

منتدى رحمة من الرحمن  
مكتبة رحمة العامة

## المعزى فى مناقب الشيخ ابو يعزى

قال الشيخ الإمام أبو العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم  
بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الشعبي الهروي الشاذلي  
التادلي مولداً ومنشأً رحمه الله تعالى و٢:

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأنعم علينا، وجعلنا  
من أمة سيدنا ومولانا محمد p وأحفنا بحقائق الإيمان،  
وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ورقى بنا مراقي  
الإحسان، وحب إلينا أوليائه العارفين، والعلماء الموقنين،  
وسلك بنا مناهج المتقين الصديقين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سرُّ الوجود،  
وأكسير هذا العالم الموجود، وسلم كثيراً.

وبعد..

لما كانت كرامات الأولياء معجزات لسيدنا ومولانا  
محمد p؛ إذ نالوا ذلك ببركة اتباعه، فمن أكرم بهذا  
النصيب الوافر، وفتح عليه بأعظم المفاخر، وتواتر عليه  
عجب العجائب وكثير المآثر؛ أعجوبة الزمان وحامي  
الحمى، كبير الشأن، تحفة الدهر، وغريب الير والبحر،  
السيد العماد قطب الأقطاب، وسيد الزهاد، وإمام  
العارفين والأوتاد، سيدي أبو يعزى آل النور عبد الرحمن  
الهسكوري الشهير الذكر؛ العظيم القدر، فقصدت له  
التعريف ببعض مآثره، والتنبيه على العشر من مفاخره  
ومآثره وهو كما قيل:

عُقْمُ النَّسَاءِ إِنَّ النَّسَاءَ

# فَمَا يَلِدُنْ بِمِثْلِهِ عُقْمٌ مِثْلُهُ جَج

## ججج

حدّث على البحر ولا حرج، وإن كانت شمس وجوده لا تحتاج إلى بيان، وبركاته الباهرة غير مفتقرة إلى برهان، فقدم إلح على بعض الإخوان ممن ينتسب إلى هذا الإمام أن أقيد له عليه ما صح عندنا وبان، وأتضح من كرائمه، وما نقل إلينا من مفاخره، ومآثره وسلسلة من عدة أشيائه إلى النبي ﷺ فأجبتة بقدر الوسع والتيسير من جهد المقل الباع القاصر، والعلم القصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبه نستعين وإليه المصير.

وقد اشتمل هذا المؤلف على سبع أبواب وخاتمة.

**الباب الأول:** نسبه ومجاهداته وما لقي في ذلك من التعب والنصب.

**الباب الثاني:** في الأشيخ الذين لقي، وخدم وانتفع ببركات خدمتهم، وتأدب بأدابهم وسلسلته في ذلك إلى النبي ﷺ، والتعريف ببعضهم بما أمكن من أوصافهم السديدة وما لهم من على المقام.

**الباب الثالث:** في بعض ما له من الكرامات، وما أظهر الله على يديه من خوارق العادات، وكرائمه الحاصلة ظاهرة سامية نامية.

**الباب الرابع:** في ذكر بعض من أخذ عنه من الشيوخ، وما فتح عليهم ببركاته وما زال بقدره الله ﷻ الفتح على يديه إلى اليوم، حتى قيل أن مادته لا تنقطع إلى يوم القيامة.

**الباب الخامس:** في إخوانه الذين شهدوا له بالرتبة العالية، والمقامات السامية، والأحوال الزكية، وأكابر الصديقين الذين بعده من الكبراء.

**الباب السادس:** في آداب زيارته، وكيف يكون المريد في الجلوس بين يديه وكذا غيره من العلماء، والأولياء، والصديقين، والأحياء والأموات.

**الباب السابع:** في اتصال نسبتنا بهذا الإمام إلى النبي P، وكذا سيدي عبد القادر الجيلاني لما كان بينهما من المودة والمحبة، وكلا منهما يثني على صاحبه، كما نبه عليه الشمس في تأليفه الكبير، والإمام العراقي.

**خاتمة:** فيما ينبغي للمتسبين من سلامة الصدر، والمحبة، والتعظيم بقدر اتباعهم لسيد المرسلين؛ إذ بالمحبة والتصدق والتسليم يكون الإنتفاع.

**اللهم!** كما مننت علينا بحبهم، والانتماء إلى مذاهبهم، وكمال الاعتقاد فيهم؛ اسقنا من صافي عذب موردكم، ولا تقطع عنا مواصلتهم، واحشرنا في زمركم، وأمتنا على خلتهم وخالص مودتهم.

**اللهم!** إنا نتوسل إليك بجاه حبهم فيك، ودوام إقبالهم عليك؛ فاهم بكرمك أحبوك حتى أكرمتمهم بحبك فيهم، ولولا ذلك ما أقبلوا عليك ولا أحبوك، فحبك السابق لهم أحبوك حتى ووصلوا إلى حبك والشوق إلى لقائك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بما خصصتنا من حبك؛ فارزقنا من ذلك النصيب الأوفر، والخط الأنجم بمنك، وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

**اللهم!** إنا نسألك بأكرم الخلق عليك، وإكسير الوجود لديك سيدنا ومولانا محمد المصطفى، ورسولك المقرب المجتبي، وصفيك وحببيك المرتضى، أن تطهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن محبتك، ومشاهدة أوصافك على السنن المرضي، وأن تميتنا على سنة نبيك، وجماعة أحبابك والشوق إلى لقائك في غير ضراء ولا فتنة مضلة يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

### الباب الأول

في نسبه ومجاهداته وما لقي في ذلك من التعب والنصب الذي لم يصل إليه

## إلا الأفراد وأحاد الرجال

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الفضل التلمساني في «النجم الثاقب»:

فيما ذكره لأولياء الله من المفاخر، والمناقب في نسب هذا الإمام: (آل النور بن عبد الله سيدي أبو يعزى)، كذا قرأت نسبه بخط الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الملك.

قال أبو يعقوب يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات في كتابه التشوف هو: الشيخ أبو يعزى آل النور بن ميمون.

وقال الإمام المحدث أبو العباس العزفي: وجدت بخط الفاضل العلامة أبي إسحاق التلمساني آل النور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني.

قال أبو بكر بن الخطيب في أنسه: أبو يعزى آل النور بن عبد الله كان آية من آيات الله تعالى، وأمره كله عجب، وبلغت كراماته حد التواتر، وحدث عن البحر ولا حرج.

قال أبو العباس أحمد بن محمد الورنيدي في شرحه للنفحات القدسية: أبو يعزى كنيته الشيخ المشهور، وأكثر ما ينطقون به في الأخبار: بفتح العين وتشديد الزاي.

ثم قال: واسمه آل النور، وقيل: يلبخت بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني المغربي.

فقيل: إنه من هزميرة أيركان، وقيل: من بني صبيح من هسكورة.

وقيل: من أغمات إيلان نزيل تاغية من بلاد أيركان من عمل مكناسة الزيتون، كان قطب عصره وأعجوبة دهره وإمام وقته.

قال أبو علي بن حسن بن القاسم بن بادس في شرحه للنفحات القدسية قال: وكناه أبو الحسن أبا نجم.

قال: وذكر أبو العباس أحمد بن الحسين الشريف  
الغرناطي التونسي الحافظ عن أبي العباس أحمد بن محمد  
العزفي أن: اسمه يلبخت بن عبدالرحمن بن أبي بكر الإيلاني  
المغربي، إليه انتهت تربية الصادقين، والسالكين بالمغرب.

قال الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري: لقيت  
الشيخ الزاهد الرفيع، آية وقته، أبا يعزى آل النور، وكان  
أعجوبة الزمان، وعدة الأمان، بلغ من مقامات اليقين  
مقاماً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين.

أما مجاهداته: فقل من يصل إليها من الأكابر، حدث  
عنه جماعة ممن تعرض لأوصاف مجاهدته؛ كابن الزيات  
في تشوفه، وصاحب النجم، والعزفي أنه قال: أقمت في  
البراري سائحاً خمس عشرة سنة لا آوي إلى معمر،  
وكنت أتقوت بالجمار ونبات الأرض، وكانت الأسود  
والوحوش والطيور تلوي إلى في سياحتي، وتتأنس  
بمجاورتي، ولا كان قوته إلا من نبات الأرض، ولا  
يشارك أناس في معاشهم لا في مجاهدته، ولا في نهايته حتى  
لقي الله على أكمل حال.

وثبت عنه أنه قال: ذكر صاحب التشوف عن أبي  
عمران موسى بن وركون الخطابي قال: حدثنا عبدالعزيز  
الهسكوري تلميذ الشيخ أبي يعزى قال: سمعت الشيخ أبا  
يعزى يقول: أقمت عشرين سنة في الجبال المشرفة على  
تمليل التي بين الغيل المنسوب لآية مدوال ودمنات، وليس  
لي فيها اسم إلا أبو كرتيل.

ومعناه: أبو حصير؛ لأنه كان لا يلبس إلا حصيراً، ثم  
انحدرت إلى السواحل، فأقمت بها ثمان عشر سنة لا اسم  
لي فيها إلا أبو ونلكوط، ومعناه: النبات المعروف عند  
العامّة بطول أمازيه؛ لأنه إنما ينبت غالباً في الأزبال،  
والمزابل، وما فيه رائحة الزبل، ولا يأكله الناس، ولا  
الدواب غالباً، فكان قوته مما لا يشارك فيه الادميين،  
وكان في آخر حاله يأكل البلوط يطحنه ويعجنه أقراصاً

فيقتات بها.

وذكر صاحب التشوف: إنه كان في ابتداء أمره يرعى البقر، وكانوا يصنعون له أرباب المواشي التي يرعى لهم رغيفين كل يوم، فكان يأكل رغيفا، ويؤثر بالرغيف الآخر رجلا كان منقطعاً في ذلك المسجد الذي كان يأوى إليه لقراءة القرآن، فانقطع في المسجد رجل آخر لقراءة القرآن، فدفع له الرغيف الثاني، وجعل يأكل من نبات الأرض، فلما رأى النبات يكفيه عن الطعام قال: ماذا أصنع بأكل الطعام ونبات الأرض يكفيني عنه؟!.

وقال محمد بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله الباجي، وكان من خيار أصحابه الفقهاء النجباء قال: رأيت الشيخ أبا يعزى يجمع له الخباز، أو قال الخبز فيطبخ ويجفف، فإذا أراد أن يأكل جعله في قدح فيأكل منه لقمة أو لقمتين كالقاهر لنفسه، ويقول: ليس لك عندي إلا هذا.

وقال أبو عبد الله الباجي: مررت به يوماً وهو يأكل قلوب الدفلا، فناولنيها فوجدتها حلوة.

وحدث الثقات عنه من وجوه شتى مختلفة الألفاظ ومتفقة المعنى، أن السلطان عبد المؤمن بن علي بعث إليه عام إحدى وأربعين وخمسمائة هـ، فورد عليه راكباً على حمار، فحبسه في صومعة الجامع؛ أعني: جامع الكتبيين في الصومعة السفلى التي كانت للمتوبين، إذ هم الذين بنوها.

وأما الكبرى إنما بنيت في آخر أيام يعقوب المنصور في حدود أربع وتسعين من القرن السابع، قالوا: وكانت معه أقراص من البلوط، أو قال من دقيق البلوط، فكان يجعل معه أوراق النلبا؛ يعني: الخبز يجففها ويطحنها، فإذا صلي المغرب يأخذ قدر نصف رطل، فيقتات به، فبقي هناك أيام، ثم خلا سبيله لسر اتفاق لعبد المؤمن بن علي، فقال لأصحابه: اتركوه ولا سبيل لكم إليه.

ويقال: ستة قليل من بلغ مجاهدتهم في بدايتهم: سيدي

أبي يعزى في المغرب، وسيدي عبد القادر الجيلاني في المشرق، وسيدي سهل بن عبد الله في القرن الثالث، وسيدي أبي الخير المباحي، وسيدي أبي عبد الله الهزميري، وسيدي أبي يزيد رضي الله عنهم.

قالوا: وليس ببعيدٍ من هؤلاء سيدي أبي مدين مع ما كان يعانيه من طلب العلوم للعمل بكل ما يعلم، وكذا سيدي أبي محمد صالح مع عزلة عن الناس وانقطاع إلا ممن كان لا بد منه من إخوانه الصديقين.

قالوا: وفي القرن الثامن كان أبو العباس بن عاشر صاحب سلا والله أعلم.

ويُحكى عنه في مجاهدته وعظم ثقته بالله تعالى مما حكاه أبو العباس بن الخطيب عن شيخه الإمام المشهور: شيخ الجماعة الفقهاء، والصوفية أبو عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي: كان الشيخ أبو يعزى إذا حرت يعطي تسعة أعشار للمساكين، ويحبس العشر لنفسه، ويقول: إني أستحي أن أمسك تسعة أعشار، وأصرف العشر للمساكين، فإن هذا من سوء الأدب مع الله Y.

وقال أبو العباس الوريث في شرحه للنفحات القدسية: إن الشيخ أبا يعزى بقي في بداية أمره خمس عشرة سنة لا يأكل إلا حب الخبز، قلت: أبا يعزى فريد دهره، ووحيد عصره فيه، وفي مثله يقول القائل:

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِيَنَّ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ  
الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ لَبْخِيلٌ

وَلَوْ حَلَفَ وَلَا يَجِدُ إِلَى

## لِحَنَثٍ فِي يَمِينِهِ ذَلِكَ سَبِيلُ

وكان السهر أليفه، والجوع خليله، وما فارقه حتى لقي الله تعالى، وكان في الليل يدخل في الشعب التي كانت مجاورة له، حتى إذا قرب الفجر أتى لمسجده والناس يصلون فيه النافلة يحيون الليل كله في رمضان، وكان في آخر عمره حيث إستقراره بتأغية يلبس جبة من تليس مطوق وعليه برنوس أسود مرقع إلى أسفل من ركبتيه، وعلى رأسه شاشية من العزف، وكان رقيقا أسود اللون زنجيا أطلس ليس بوجهه نبات أصلا.

**مجاهدته في هذا الطريق:** كادت أن تكون عند من ليس له صدق محال، ولا سيما في هذا الزمان الذي قل فيه اليقين، وضعف الدين، وغلب الهوى، وحُب الدنيا على القلوب.

نسأل الله مولانا أن يزقنا نصيباً وأجرًا مما رزقهم، ولا حرماناً من فضلهم وبركاتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

### الباب الثاني

**في الأشياخ الذين لقي والذين خدّم وأخذ عنهم** إنه لقي جماعة من أرباب الطريق، وتبرّك بهم وأخذ عنهم.

قال صاحب كتاب التشوّف: كان الشيخ أبو يعزى يقول: خدمت نحو من أربعين ولياً لله Y منهم: من ساح في الأرض، ومنهم: من قام بين الناس إلى أن مات.

وأكثر خدمته لشيخه الأمام سيدي أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الأزموري الجامع بين العلم والعمل، وكان يخدمه حتى توغصت عليه زوجته، وقالت: لا بد من



أمة تخدمني، فدخل عليه يوماً فرأى على وجهه التغير،  
والقتر فسأله؟

فقال: إن الزوجة قالت: لا بد لي من أمة تخدمني،  
وليس لي ما أشتري به الأمة.

فقال له: أنا أخدمها على أني لن أراها ولن تراني، قال  
لها ذلك، قالت: إذا قامت لي بحق الخدمة لا حاجة لي  
برؤيتها، فكان يطحن، ويعجن بالليل، ويسقي الماء،  
ويتفرغ بالنهار للعبادة.

وذكر صاحب التشوف، قال: حدثني أبو عمران موسى  
بن وركون الهسكوري قال: حدثني أبو علي مالك بن  
تماجورت برباط شاكر.

قال: تزوج صاحب من أصحاب أبي يعزى، فطلب  
منه مملوكة لهم تكن عنده، فقال له أبو يعزى: أنا أنوب  
مناب المملوكة، وكان أسود لا شعر بوجهه فتزىء بزي  
المملوكة، فقام يخدمه وزوجه عاماً كاملاً يطحن، ويعجن  
ويسقي الماء في الليل، ويتفرغ في النهار للعبادة في  
المسجد، فلما كمل العام.

قالت الزوجة لزوجها: ما رأيت هذه المملوكة تعمل  
بالليل جميع أعمال النهار، ولا تعمل بالنهار؟ فأعرض  
عنها، وتغافل عن جوابها، فما زالت تسأله إلى أن قال لها:  
ما خدمك إلا أبو وملكوط وليس مملوكة، فعلمت أنه أبي  
يعزى.

فقالت حينئذ: والله لا أخدمني أبداً بعد هذا، ولأخدمنَّ  
نفسي، فجعلت تخدم نفسها من حينئذ.

وحدثني غير واحد: إن ذلك الصاحب الذي خدمه هو  
الشيخ أبو شعيب أيوب بن سعيد السارية، وأنه لما أخبر  
زوجَه أن الذي يخدمها هو آل النور، دخل المسجد علي  
أبي يعزى وهو يتبسم، فقال له أبو يعزى: مالك تبسم؟  
فأخبره بما كان بينه وبين زوجته، فقال له: لما أخبرتها؟  
هلا تركتني أخدمكما كما كنت.

وحكي: إن سبب ذلك أنها تكلمت مع النساء، وقالت  
لهن: لي مملوكة لا نراها بالنهار أصلاً، وكل ما تحتاجه  
تصنعه لي بالليل، وزوجي إذا مكث بالليل ساعة عندي  
يخرج ولا أدري أين يغيب.

قالوا لها: لعله يذهب للأمة فيكمل ليله عندها، إذ هي  
إذن جاريته، فلما أقام أبو شعيب على عادته للقيام، إذ  
كان يقوم الليل لا ينام منه إلا القليل فصبرت ساعة،  
وقالت: أذهب إلى موضع الأمة، فإن صدق النسوة أجده  
عندها، فلما أطلت عليه؛ وإذا بالرحى تدور وحدها، وأبو  
يعزى واقف في الصلاة، ولم يشعر فرجعت مذعورة  
خائفة، فلما أتى الشيخ أبو شعيب قالت له: أخبرك  
بعجب أنه وقع مني ذهبت لأنظر إلى المملوكة، وإذا  
بالرحى تطحن وحدها، والمملوكة واقفة في الصلاة، قال  
لها حينئذ أنها ليست بمملوكة؛ لأنه آل النور أبو ونلكوط  
هو الذي يخدمك، قالت: والله لا خدمني بعد الذي رأيت  
أحدًا ولاخذ منكما مدة حياتي أو كما قالت.

وقد لقي أيضاً غير أبي شعيب؛ كأبي عبد الله بن  
أمغار<sup>(١)</sup>، وأبي موسى عيسى أيغور وغيرهم كثير كما  
تقدم، وسيدي أبو شعيب شيخه سيدي أبو النور  
الدكالي، وسيدي أبو النور شيخه سيدي عبد الجليل بن  
ويحلان.

ويقال: ويحلام بالميم، وأنه لقَّب له والله أعلم، وسيدي  
عبد الجليل شيخه أبو الفضل الجوهري المصري، ارحل من  
المغرب إلى أن أخذ الطريقة على حقيقتها من المشرق،  
وأبو الفضل شيخه والده بشر، وبشر شيخه أبو الحسن  
النوري، وأبو الحسن النوري شيخه السري السقطي،  
والسري شيخه أبو محفوظ معروف الكرخي، وأبو محفوظ  
شيخه الإمام المشهور داود بن نصر الطائي.  
وكان من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وداود شيخه أبو

محمد حبيب العجمي، وحبیب شیخه الحسن بن أبی الحسن البصري.

وأبو الحسن أدرك الكثير من الصحابة: كأنس بن مالك وغيره، وكان معظماً له، ويقول: اسألوا مولانا الحسن.

وقالوا: أخذ أيضاً عن مولانا علي بن أبي طالب  $\text{ع}$ . وهؤلاء كلهم أخذوا عن النبي  $\text{ﷺ}$ ، وأنس بن مالك قد خدم النبي  $\text{ﷺ}$  عشر سنين، ولم يفارقه حتى مات، وكذا سيدنا علي  $\text{ع}$ .

وأما الحسن بن علي: فكان الحسن البصري من نظرائه في العلم، وإنما فضل عليه بالنسب الذي لا مطمع لأحد فيه إلا من كان له نسب كنسبه.

فأما أبو شعيب فهو: أيوب بن سعد الأنصاري الصنهاجي من بلد أزمور.

قال ابن الزيات: ويقال فيه أنه من الأبدال، قدم مراکش عام إحدى وأربعين وخمسمائة.

أشخصه عبد المؤمن بن علي، فلما رآه شاحب اللون أشفق عليه، ثم أراد أن يناظره، فهابه لما رأى منه بعض المكاشفة، فصرف مناظرته إلى بعض المتجرئين من أصحاب الإمام المهدي، فسأله عن حقائق التوحيد المصطلح عليها عندهم، فأجابه بجواب السلف بالآيات القرآنية.

وهو يروي: إنه لما سأله عن التوحيد، قال له أبو شعيب: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال له وأسار: ما هذا هو التوحيد؟

قال له أبو شعيب: لا أماته الله عليه، فتطير منها عبد المؤمن.

وعلم أنه لا بد أن تصيبه دعوته، ثم سأله بعد ساعة فقال: ما التوحيد أيها الشيخ؟

فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا

الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

فكرر عليه الشيخ الدعاء والعياذ بالله، ثم بعد ساعة قال: ما التوحيد أيها الشيخ؟ فقال: قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \*﴾ [الإخلاص: ١-٤]، فكرر عليه الجواب كالأول، فكرر عليه الشيخ الدعاء.

وإذا بهمة عظيمة وقعت في قصر عبد المؤمن، فتغير من ذلك، وعلم أنه ما أصيب إلا من جانب الشيخ فعظمه، وأمر بزيارته، وقضاء مآربه، فقال: لا حاجة لي إلا أن تشفعني في نساء علي بن يوسف، ونساء أولاده، وتسرحهم حيث شاءوا فامتل.

ثم انتقم الله من واسنار في قصة غريبة أضربنا عنها اختصاراً، ونُشر والعياذ بالله بالمنشار وهو يقول: يا ويلاه حتى مات علي تلك المقالة، وصرف الشيخ لبلاده أزمور (٢) مكرماً عزيزاً بالله تعالى.

وكان في ابتداء أمره يعلم الصبيان ببسكاون من دكالة بلد شيخه وكان يتوكأ على عصاه واقفاً ولا يجلس حتى تنصرف الصبيان لئلا يبقى عليه من حقهم، ثم بعد ذلك خاف أن يكون بقي عليه حق فتصدق بجميع ما اكتسب.

ويُحكى عنه: إنه كانت له بقرة، فرآها يوماً هتوت بفيها في فدان جاره، فجرى إليها، وأدخل يده في فيها، فأخرج منه النبات وأمر أن ترد إلى داره ويجمع لها الحشيش ولا تترك تخرج إلى المرعى ثلاثة أيام، وأن يتصدق بلبنها في تلك الأيام بعد أن استحل جاره من

الذي هوت بفيها من زرعه.  
وروي: إنه زاره أبو محمد عبد الخالق بن ياسين، وأتى إليه بحمل زبيب من جنته فقال له: من أين أتيت بهذا الزبيب؟

قال له: من جنتي.

قال: وبماذا تسقى جنتك؟

قال: بنوبتي في الساقية.

فقال له: يا عبد الخالق رد إليك زبيبك، فإني لا أكل الزبيب الذي يُسقى بالماء المشترك، فاستيقظ أبو محمد بقوله لباب الورع، فلما رجع استخرج ساقية من الوادي وحده لا يشاركه فيها، أحد أنفق فيها مائة دينار، فكان يسقي بها جنته رضي الله عنهما.

وكان إذا وقف في صلاة قد لا يحس بشيء، ويطيل القيام وكأنه سارية وأقفة؛ ولذلك قيل له السارية.  
وأما كراماته: لا تُحصى، كان ﷺ يصلي في أغمات عند سيدي عبد الجليل بن ويحلان وأبي محمد المليجي رحمهما الله ونفعنا بهما.

وذكر السمعاني في الذيل له: إنه هو الذي صلى على حجة الإسلام سيدي الغزالي، وذلك أنه قال لهم: إذا أنا مت فكفوني، وضعوني على سريري على شفير القبر، حتى يأتي رجل بدوي لا يعرف؛ هو الذي يصلي علي.  
فذكروا أنهم امتثلوا، فبينما هم ينتظرون وعد الشيخ، وإذا برجل أسمر عليه عباءة، فلما لحقهم قال لهم: سلام عليكم، ثم تقدم فكبر فكبرت الناس.

فلما سلم ذهب من حيث جاء، ولم يتجاسر أحد أن يسأله كذا ذكره ابن الزيات في صدر كتابه، والله أعلم.  
ووقعت له مع عامل أزموغ مغربات في سبب الشفاعة، فلما رأى برهانه صار لا يرده البتة، وإذا قيل له أنه أتى يقضي ما جاء فيه قبل أن يلحقه هيبة له ﷺ، وكان محاب

## الدعوة.

وكان يصلي بأغمات، فكان له مؤذن خاص به إذا وقفت الناس يأتي ذلك المؤذن، فيصيح في أذنه بالصلاة، فيستيقظ من غيبته فيوجز ويسلم، وحدث عنه الثقة بذلك فيما نقله ابن الخطيب وابن الزيات وغيره.

ويحكي عن ولده أبي عبد الله محمد بن شعيب أنه قيل له: حدثنا بما رأيت لأبيك من الكرامات، قال: نعم، صلى بأغمات عيد الأضحى، وجاءنا بأزمور إثر انصراف الناس من الصلاة، ووجدنا أردنا أن نذبح له كبشاً لأضحيته، فقال لنا: اذبحوا هذا الآخر.

ويحكي عن أبي زكريا بن أبي النور قال: جاءنا أبو شعيب في يوم عيد الأضحى ليسلم علي أبي بقرية بيلسكاون، وكان من أشياخه فاستأذنا له، فأذن له الشيخ في الدخول، فلما سلم عليه قلنا له: ألا تنزل عندنا؟ لتصيب من أضحيتنا، فاعتذر لنا وفهمت منه أنه يريد ذبح أضحيته بأزمور، فتقدم ومشيت خلفه ثلاث خطوات، فلم أدر له أثراً ولا خبراً، وغاب عن بصري.

ويحكي عن أبي محمد عبد الخالق بن ياسين أنه قال: أتيت أبا شعيب، فوجدته بقرية خارج أزمور، فبينما نحن جلوس، وإذا بالأسد أسمع زئيره، فقلت: هذا الأسد ما أتى إلا إلى دوابنا، فقال أبو شعيب: اللهم يا من رد هذا البحر عنا؛ رد هذا الأسد، فانقطع صوت الأسد في الحين، وكان كثير الزيارة لأبي عبد الله بن أمغار وما تركها وهو شيخ كبير.

ويحكي عنه: إنه مشى مرة لأبي عبد الله بن أمغار في حاجة، فلما رجعوا قال له الأصحاب: إنا لم نعب الوادي في ذهابنا وإيابنا، فقال أبو شعيب: ما دعاك إلى السؤال عن هذا؟ إذا انتهى أحد إلى حاجته فلا فائدة للسؤال.

وكم له من مجاهدات وأحوال وكرامات ومقامات قطعها.

وُتُوفِيَ بِأَزْمُور يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ الْعَاشِرِ مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي مِنْ عَامِ  
إِحْدَى وَسْتَيْنِ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوفِيَ سَيِّدِي  
عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي رَحِمَهُمَا اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا أَبُو النُّورِ فَاسْمُهُ: سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَكْرِيسَ  
الدَّكَّالِي مِنْ مَشْزَايَةِ.

قَالَ ابْنُ الزِّيَّاتِ: هُوَ مِنْ أَشْيَاحِ أَبِي شَعِيبٍ؛ كَبِيرِ  
الشَّأْنِ، مِنْ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ.

وَحَدَّثُوا عَنْهُ: إِنَّهُ مَاتَ أَخُوهُ فَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ، فَأَتَتْ لَهُ  
بَطْعَامٌ يَأْكُلُهُ، فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ أَنْ فِيهِ نَصِيبُ الْيَتَامِ الَّذِينَ  
هُمْ أَوْلَادُ أَخِيهِ، فَأَمْسَكَ عَنِ الْأَكْلِ وَبَاتَ طَاوِيًا وَفِي هَذَا  
الْمَعْنَى أَنْشَدُوا:

إِذَا طَالَبْتُكَ النَّفْسُ وَكَانَ عَلَيْهَا

يَوْمَ بِشَهْوَةٍ لِلْخِلَافِ طَرِيقُ

جججج

جججج

فَدَعَهَا وَخَالَفَ مَا هَوَاهَا عَدُوُّ

اشْتَهَيْتَ فَإِنَّمَا وَالْخِلَافُ صَدِيقُ

جججججججج

جججججججج

وَيُحْكِي عَنْ أَبِي زَكْرِيَّا بْنِ أَبِي النُّورِ: إِنَّ شَيْخَ مَشْزَايَةِ  
يَلِيسْكَوْنِ أَتَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ وَكْرِيسَ، فَقَالَ لَهُ:  
إِنْ عَامَلَ عَلِيَّ بْنَ يَوْسُفَ هَدَّدَنِي بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، وَقَدْ  
خَرَجَ مِنْ مَرَاكُشَ إِلَى دَكَّالَةِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو النُّورِ: رَدَّهَ اللَّهُ عَنْكَ، فَصَارَ الْعَامِلُ إِلَى أَنْ  
بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَرْيَةِ يَلِيسْكَوْنِ نِصْفَ مِيلٍ، فَأَصَابَهُ وَجَعٌ  
قَضَى عَلَيْهِ مِنْ سَاعَتِهِ، وَأَرَّاحَ اللَّهُ الْبَلَادَ، وَالْعِبَادَ مِنْهُ.

وأما أبو محمد سيدي عبد الجليل بن ويحلام؛ تقدّم ما فيه من خلافٍ في ويحلام أنه لقب له، والله أعلم ذكره الإسكندري في نبذته.

وهذا الشيخ قد اشترك في صحبته مع أبي يعزى، فإن أبا شعيب لقيه كما لقي سيدي عبد الله بن وكريس، وكان هذا الإمام من أهل العلم والعمل.

استوطن أغمات وبها تُوفي عام إحدى وأربعين وخمسمائة هـ.

كبير الشأن، رحل إلى المشرق، فلقي به الشيخ أبا الفضل الجوهري، فأخذ عنه هذا الشأن شيخاً عن شيخٍ بالسند المتصل لأبي ذر الغفاري صاحب النبي  $\text{p}$ .

وكان  $\tau$  يدرس بأغمات وريكة (٣) ثلاثين سنة محتسباً لله لا يأخذ على ذلك شيئاً، ولا يسأل أحداً، حتى بلغت به الفاقة أن ولدت زوجته، ولم يكن له إلا كساء واحد، فقسمه نصفين أعطاهما النصف، ولبس هو النصف، وهذا هو الزهد ولم يتغيّر قلبه ولا أهمه من ذلك شيئاً؛ لأنه اعتقد طريقة أبي ذر الغفاري.

وأما شيخه الجوهري فقد كان في ثروة عظيمة كما سنذكر في ترجمته.

ويُحكى عنه: إنه كان يسكن بالكراء، فاكترى من رجل داراً بعشرة دنانير للسنة، فاجتمع عليه في كراء عشرة سنين مائة دنانير، فأتي رجلاً كان يحسده إلى صاحب الدار، وقال: من أين يعطيك عبد الجليل مالك عليه وليس عنده شيء؟ فبلغه ذلك وأهمه، فرأى في تلك الليلة في منامه الملك الجليل جل جلاله؛ كأنه أوقفه بين يديه، فقال له: ما أهمك يا عبد الجليل؟ فقال: يارب أنت أعلم.

فلما أصبح، وإذا بداقٍ على الباب، فخرج في الظلام،



وَإِذَا بِرَجُلٍ نَاولَهُ صِرَةً وَانصَرَفَ وَلَمْ يَقِفْ لَهُ، وَلَا يَدْرِي مَنْ يَكُونُ؛ فَإِذَا فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ، فَدَفَعَهَا لِصَاحِبِ الدَّارِ فَسَقَطَ فِي عَيْنِ الْحَاسِدِ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ خَلَصَهُ مِمَّا لَهُ عَلَيْهِ، فَتَعَجَّبَ صَاحِبُ الدَّارِ، وَعَلِمَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَهُ رَبًّا لَا يَضِيعُهُ.

ثُمَّ أَنَّهُ حَجَّ، وَرَجَعَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ، وَانْقَطَعَ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، فَكَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقِفُونَ لَهُ مِنْ بَابِ دَارِهِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِأَثْوَابِهِ، وَيَسْأَلُونَهُ الدُّعَاءَ حَتَّى مَا يَبْلُغُ دَارَهُ إِلَى الْعَصْرِ؛ لَكثْرَةِ مَا يَحْبِسُهُ مِنَ الْخَلْقِ لِلدُّعَاءِ وَالتَّبَرُّكِ.

وَقَامَ بَعْضُ الْحَسَادِ لِلْقَاضِي فَقَالَ: مَا تَرَى هَذِهِ الْبِدْعَةَ الَّتِي يَصْنَعُ عَبْدُ الْجَلِيلِ؟

فَقَالَ: وَمَا الَّذِي صَنَعَ؟ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَجْعَلُونَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ إِلَى بَابِ دَارِهِ صَفَيْنِ يَتَمَسَّحُونَ بِأَثْوَابِهِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ، وَيَدْعُو لَهُذَا وَيَمْسَحُ رَأْسَ هَذَا.

وَكَانَ الْقَاضِي تَقِيًّا عَالِمًا، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ زَرْقُونِ مُرْ أَنْتَ وَافْعَلْ كَفَعَلِهِ، وَاجْمَعْ النَّاسَ عَلَيْكَ.

فَقَالَ لَهُ: لَا يَتَأْتِي لِي، وَلَا يَعْبَأُ النَّاسُ بِي، فَقَالَ: وَمَا تَرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ فِي رَجُلٍ وَضَعَ اللَّهُ لَهُ الْقَبُولَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

أَلَمْ تَسْمَعْ يَا ابْنَ زَرْقُونِ أَنَّ اللَّهَ  $Y$  يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وَكَانَ إِذَا قَضَى مِنْ تَدْرِيسِ الْفَقْهِ قَالَ لَخَوَاصِ أَصْحَابِهِ: تَعَالَوْا تَعَالَوْا؛ حَتَّى نَأْخُذَ مِنْ أُمُورِ الْعِلْمِ، وَنَتَكَلَّمَ فِي عُلُومِ الْمَعَامِلَةِ، وَأَسْرَارِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْحَقَائِقِ.

وَكَانَ ذَا كِرَامَاتٍ وَأَيَّاتٍ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ.

وَيُحْكِي عَنْهُ: إِنَّهُ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ أَغْمَاتٍ يَسِئُونَ بِهِ الظَّنَّ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِيهِ؛ فَاشْتَرَى رَجُلٌ جَبَّةَ بَعِشْرَةٍ

دنائير، ووهبها له، فجعلها في طاق على باب داره، فمرَّ به نصراني فرماها له، فانتقدوا عليه أولئك، ووجدوا للنقد سبيلا، وعظم الأمر على الواهب.

فما مرت على النصراني إلا سبعة أيام من لبس الجبة، حتى أسلم وحسن إسلامه وظهرت حقيقة إشارته. ويحكى عنه أنه قال: أقمت ثلاثين سنة ما اجتمع عندي مدى مع مدى ولا صحيفة مع صحيفة.

وقال: جاهدت إبليس ثلاثين سنة إلى أن تبدَّى لي، وقال لي: والله لا تعرضت لك بعد اليوم لقد أعيتني، فقال له: والله لا أمنك بعد اليوم حتى ألقى الله تعالى، قال له: وهذه أعظم على مما حاربتك عليه.

ويحكى عنه: إنه كانت له في غرفته حصيرة يصلي عليها، وسليخة ينام عليها؛ أعني: هيدورة.

قالت زوجته: ولنا ولدان؛ سالم وعبد الكريم، فصاح عليّ يوماً، أو قالت: ليلة، وقال لي: من صعد إلى الغرفة؟ فلم أدري من صعد فيها، فسألت سالمًا، فقال لي: أنا صعدت، فقلت له: ماذا صنعت؟ قال لي: نمت على السليخة فاحتلمت.

فقلت لعبد الجليل: لما سألتني عن صعود الغرفة؟ فقال لي: رأيت النبي ﷺ لما قرب منها رماها برجله، فعلمت أنه حدث بها أمر، فقلت له: إن ابنك سالمًا نام عليها، واحتلم فأمر بها فغسلت.

وأما أبو الفضل الجوهري، واسمه: عبد الله بن بشر، وكان إمام وقته علمًا وعملاً وحالًا، وكان ذا همة، وثورة في الدنيا، وكان من لا يعرفه لا يظنه إلا من أبناء الدنيا في لبسه وهيئته.

ويحكى عن بعض الفقراء ممن كان يقرأ القرآن بالسبع: إنه سمع به وهاجر إليه بنية الزيارة، فلما بلغ إلى مصر، وقد بلغ به النصب والتعب الغاية، فلما دخل عليه في

لفيف الناس؛ فوجده على ذلك اللباس، وبسائط عظيم عليه الناس جلوس، فقال في نفسه: سبحان الله هذا ابن الجوهري الذي صار بحديثه الركبان، وإن في كل بلدة يذكرونه، وأنهم يقولون هو إمام الزمان، لقد ضاعت والله سفرتي وخاب سعيي.

ثم خرج بتلك النية، فمر في بعض أزقة مصر وإذا بامرأة تصيح بأعلى صوتها:

وا مصيبتاه! وا عظيم كرباه! فأشفقتُ عليها، وأتيت إليها، وقلت: ما لك أيتها المرأة؟ قالت لي: يا سيدي كانت لي بُنية، وأبوها من أشرف الناس، فربيتها جهدي، واعتنيت بها حتى أدركها الاحتلام، فخطبها رجل من صالح المسلمين، ورأيت أنه كفء لها، فزوجتها منه، والليكة الزفاف فأصابها علرض من الجن، فأفسد عقلها وهي لا تملك من أمرها شيئاً ولا حيلة لي أنتعشها.

فقلت لها: هني روحك أنا لها إن شاء الله حتى أستخلصها من ذلك الجن بحول الله وقوته، فذهبت قدامي، وأنا على أثرها حتى بلغت داراً عالية واسعة الأفنان عجيبة الأركان، فقالت لي: انتظرنى، فلما دخلت قالت: ادخل فصعدت إلى غرفة عجيبة فإذا بفرش عجيبة، وأوصاف من أراد الزفاف، فكشفت لي الستارة على البنت وإذا بها بارعة الجمال وهي تقلب رأسها، وعيناها يميناً وشمالاً مما حل بها من أمر الجان.

فقرأت عليها عشرة آيات من القرآن بالقراءات السبع، فتكلم الجان بلسان فصيح يسمعه القاصي والداني، وقال لي: يا أبا بكر لا تفتخر علينا بقراءة السبع، وإن كنت شيخ وقتك، ونحن سبعون صنفاً من الجن ممن أسلموا على يد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأتينا جماعة نصلي الجمعة وراء هذا الشيخ الصالح العالم العارف: أبو الفضل الجوهري الذي احتقرته أنت، واستصغرت ولم تعرف حقه.

فُتِبَ من استحقارك إِيَّاه، واعرف قدره ومنزلته عند الله، فقلت له: بحق هذا السيد الجليل إلا ما خرجت من هذه البنت، فقال: نعم، سمعاً وطاعة، وإذا بالبنت رجعت لعقلها، واستحيت مني، وأرخت عليها خمارها في الحين، فبقت تدعو لي وتقول: سَتَرْتَنَا سَتَرَكَ اللهُ في الدنيا والآخرة، فجددت حينئذ نية أخرى، وخرجت لزيارة الشيخ فلما دخلت عليه قال لي لما أقبلت عليه: مرحباً بمن لم يصدقنا حتى أعلمه الجان بنا.

قال: فسقطت مغشياً علي، فلما أفقت عاهدت الله ألا أفارقه وأجاوره؛ أقتبس من أنواره، وأعترف من أسرارهِ، فلازمتَه في بعض زوايا زاويته.

ويُحكى (٤) عن أبي جبل يعلى الفاسي المدفون في باب الجيسة (٤) أنه مر في مجاهدته للمشرق، وسار على جبل درن حتى نزل قبالة الإسكندرية، ففرغ ما كان معه من الزاد، وضل في تلك الصحراء، وإذا برجل مصفر اللون قد ناوله رغيفين، وغاب عنه في أقل من طرفة عين. فلما دخل جامع مصر؛ وجد فيه أبا الفضل الجوهري وهو يتكلم على الناس، فناده: ادن يا أبا جبل وهو أول من ناداه بأبي جبل، فدنا منه، فإذا هو رجل مصفر الوجه قد قام عنه، فقال له الجوهري: أتعرف هذا؟ قال له: لا.

قال له: هو الذي ناولك الرغيفين في الصحراء، ثم إنه رجع إلى فاس في حكاية غريبة أضربنا عنها إختصاراً، ثم رجع إلى المشرق أيضاً، فلما وصل مصر، ودخل جامع عمرو بن العاص، وأبو الفضل الجوهري يتكلم على الناس فلما رآه ناداه: تعالى يا أبا جبل، فلما دنا منه، اعتنقه وأجلسه بإزائه، فرأى رجلاً قد سدَّ باب المسجد طوله وعرضه، ودنا من أبي الفضل، وسارره في أذنه وانصرف.

فقال له أبو الفضل: رأيته؟ قال له أبو جبل: نعم ولم يره أحد من الحاضرين في المسجد غيرهما. قال له: ذلك الخضر وقد قال: أقرأه السلام مني، وبشره أنه قد لحق

بالأبدال، وذلك على رأس أربعين سنة من توجهه وإقباله  
على الله Y.

وقال أبو جبل: فلما بشرني اشتقت الرجوع إلى فاس  
وإلى أهلي، فاستأذنته في الرجوع إلى الوطن، فأمرني بإقامة  
أيام، ثم قال لي: خذ هذه الدراهم لتزود بها.  
فقلت: ألهذا حبستني؟ ما ضيَّعت قط قبل هذا اليوم  
أفيضي عن اليوم! فأبيت من قبولها.  
وفي هذا المعنى أنشدوا:

سَافِرٌ لَتَكْتَسِبَ فِي فَرْبٍ فَائِدَةٍ تَلْقَى  
الْأَسْفَارَ فَائِدَةً مَعَ السَّفَرِ

ج

ججججججج

وَلَا تُقِمِّ بِمَكَانٍ لَا دِينَاَ وَلَوْ كُنْتَ بَيْنَ  
تُصِيبُ بِهِ الظِّلَّ وَالزَّهْرَ

ج

فَإِنَّ مُوسَى كَلِمٌ عِلْمٌ تَكْسِبُهُ فِي  
اللَّهُ أَعْوَزَهُ لَقِيَهُ الْخِضْرُ

ججج

ج

وكرامات أبي الفضل لا تنحصر، وآياته لا تنضب.  
وأما أبو عبد الله يشر والد أبي الفضل وعنه أخذ في هذا  
الشأن وعليه يديه يخرج، وإن كان له عدة شيوخ؛ فله  
ينتسب إلا أنه كان ذا حمول.  
قال صاحب النبذة النفيسة ذلك وأثنى عليه غاية ذلك.

وما زال علي نفس الحال، حتى لقي الله تعالى، وقد ارتحل إلى بغداد فلقي الأعلام به، وكانوا متوافرين. فاعتمد أبا الحسين النوري<sup>(٥)</sup>؛ فأخذ عنه هذا الشأن، ورجع إلى مصر وبها توفي.

وقد ألبسه أبو الحسين الخرقة وغيرهما مما هو عندهم في هذه الطريق.

وأما أبو الحسين النوري واسمه: أحمد بن محمد، ويقال: محمد بن محمد، وأحمد أصح، كذا قال حجة الإسلام، وهو ببغداد المولد والمنشأ خراساني، يعرف بابن البقوري، وكان من أجلة المشايخ من نظراء إمام الطائفة.

وكان يقول الجنيد<sup>(٦)</sup>: منذ مات النوري ما بقي من يخبر عن حقيقة الصدق، وكان من أعلم القوم بمعالم الطريق، فلم يكن أعلم منه بعد الجنيد ولا أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً، صحب السري وعليه اعتمد والإمام القصاب أبا عبد الله محمد بن علي.

وروى أحمد بن أبي الحواري<sup>(٧)</sup>: إنه مات ببغداد عام خمس وتسعين ومائتين هـ.

وكان يقول: التصوف ترك كل حظ للنفس. وقال: أعز الأشياء في زماننا هذا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته.

وقال أبو العباس المغازلي: ما رأيت أعبد من النوري، قيل له: ولا الجنيد قال: ولا الجنيد.

وقال<sup>٨</sup>: كانت المرقعات غطاء على الدر، فصارت مثل الجياف على المزابل.

---

(٥)

(٦) () .

(٧)

قلت: يريد أنها كانت في الزمان الأول كان لا يلبسها  
إلا ذووا الهمم العالية مثل الدر؛ بل أفضل وأحسن، فلم  
صارت شباكا للدنيا، وهم أهلها خسيصة؛ فهي مصيدة  
للدنيا التي هي بمنزلة المزابل عند الصديقين، ولما صار  
الناس الذين يلبسونها بمنزلة الموتى من ضعف الحال  
والخسة كأنهم موتى؛ فلذلك عبر عنها بـ (المزبلة)،  
وعلى مَنْ يلبسها بالجيقة، وإلا فهي من زى القوم  
وعمادهم، ولما فيها من الفوائد كما قال أبو العباس  
السرقي الفاسي في أرجوزته رحمه الله:

وَالْقَوْمُ مَا إِلَّا لأوصافٍ

اختاروا المرقعات وسوف تأتي

أولها فيها ومنعها للغر

انطراح ثم الحر

الكبر ج

جج

وخفة المؤن قلّة طمع

ثم فيها الطامعين فيها

ججج جج ج

وذلة النفس والصبر ثم

وتطويل العمر الاقتداء بعمر

ج جج

ألا ترى لابسها فهي إذا أقرب  
كالخاشع للخواضع

ج

وقال أبو محمد المرتعش: سمعت أبا الحسين أحمد بن محمد النوري يوصي أصحابه رضي الله عنهم ويقول: عشرة وأى عشرة احتفظ بهن، واعمل عملهن جهدك. فأول ذلك: مَنْ رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربن منه.

والثانية: مَنْ رأيته يركن إلى الرياسة والتعظيم فلا تقربن منه ولا ترج فلاحه.

والثالثة: مَنْ رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه على علم الشريعة فلا تقربن منه.

والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا وإن مات جوعاً فلا تقربن منه ولا تقبل رفقته وإن ارتفقك بشيء فإن رفقته تُقسى قلبك أربعين صباحاً.

والخامسة: مَنْ رأيته مستعيناً بعقله فلا تأمن جهله بكل حال.

والسادسة: مَنْ رأيته مدعيًا حالة باطنه لا يدل عليها ظاهر الكتاب والسنة ولا يشهد لها حفظ ظاهره فاتمه في دينه.

والسابعة: مَنْ رأيته يرضي عن نفسه ويسكن إلى وقته فهو مخدوعٌ فاحذره.

والثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرقاد فلا ترجُ



خيرہ.

**والتاسعة:** مريدٌ لا تراه حاضراً عند السماع فاتهمه، واعلم أنه مُنع بركات ذلك؛ لتشويش سره وتبديد همه.

**والعاشرة:** مَنْ رأيتَه مطمئناً إلى أصدقائه وإخوانه مدعياً لكمال الخلق بذلك، فأشهد له بسخافة عقله ووهن ديانته، وكم له من حكم ومعارف وحقائق مدونة في كتبهم، ويكفي في ذلك ما ذكره أحمد بن الحسين النوري في كتاب «الطبقات» له.

والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «حليته»، وحجة الإسلام في «مناقب الأبرار» رضي الله عنهم.

وكراماته أكثر من أن تحصى؛ فمن بعضهن ما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله تعالى قال: حكى أبو جعفر بن الزبير الهاشمي: إن أبا الحسين النوري ؑ دخل يوماً إلى الماء يتوضأ؛ بل ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه فبقي في وسط الماء، فلم يلبث أن جاء اللص ومعه الثياب، فوضعها بين يديه وقد شلت يمينه فقال النوري: يارب قد رد علي ثيابي رد عليه يده، وأنطلق عليه ومضى.

ويُحكى عنه: إنه خرج يوماً إلى شاطئ دجلة، وأراد أن يقطعها فوجد الجانبين قد التزقا فانصرف، وقال: أنا أعلم أنك على كل شيء قدير وعزتك لأجزتها إلا في زورق.

وحكى عنه صاحب مناقب الأبرار الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنهما أنه قال: كان في نفسي هذه الآيات فأخذت يوماً من الصبيان قصبه، وقمت إلى زورقين وقلت: وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسي.

قال: فإذا دجلة رمى لي بها في الحين سمكة فيها ثلاثة أرطال وإذا بصبي يقول لي: ياعم أشوها لك، فقلت: نعم فشواها فأكلت منها حاجتي، فلما بلغت حكايته هذه إلى

الجنيد قال: جزاؤه أن تخرج له أفعى تلدغه (٨).  
قلت: وإنما قال إمام الطائفة ذلك؛ لأنه نزل من الحقيقة  
التي هي مقامه لمقام البسط.

والإذلال الذي هو محل السقوط إلا من عصمه الله  
وعصم من الأكابر؛ لأن التحفظ فيه صعب؛ كما قال  
تاج العارفين ٧: ولا يقف على حدود الأدب في البسط  
إلا قليل.

قال أبو الحسن علي بن عبد الرحيم: دخلت يوماً على  
النوري فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره قال:  
طالبتي نفسي أكل الثمر أمنعها

فتأني فاشتريت لها تمرًا، فلما أن أكلت قلت لها: قومي  
حتى تصلي، فأبت فقلت لها: لله علي أن أرقد على  
الأرض أربعين يوماً فما قعدت حتى استوقيتها.

ومن كلامه ٧: التوبة أن تتوب من كل شيء دون الله  
تعالى (٩).

وقال: سوى الله تعالى (١٠).

وقال: الخائف يهرب من ربه إلى ربه Y.

وقال: الرضا سرور القلب بمرور القضاء.

وحكايته مع السيّاف لما أمر بضرب أعناق الصوفية  
حين سعى بهم غلام الخليل مشهورة.

وكراماته أكثر من أن تحصى.

ويُحكى عن أبي نصر السراج أنه قال: كان سبب موته  
أنه سمع منشدًا ينشد هذا البيت.

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ تَحِيْرُ الْأَبَابُ

---

((٨)).

(٩)

(١٠).

وَدَا دِيكَ مَنَزِلًا عِنْدَ نُزُولِهِ

ج

فتواجد وهام في الصحراء، فوقع في أجمة قصب، وبقي أصولها كروؤس السيوف، فكان يمشي عليها، ويعيد البيت إلى الغدوة، والدم يسيل من رجليه، وهو لا يحس بشيء، ثم وقع مثل السكران ومات رحمه الله تعالى.

وقال أبو عبد الله الفرغاني (١١): كان الجنيد والنوري رضي الله عنهما يُسميان ببغداد: طاووسا العباد. فمكث النوري عشرين سنة يأخذ من بيته كل يوم رغيفين، ويخرج ويمضي إلى السوق، فيتصدق بالرغيفين، ويدخل إلى المسجد، فلا يزال راکعاً ساجداً حتى يكون وقت السوق فيدخل الحانوت، فيظنون أنه تغلّى في السوق، وأهل السوق يظنون أنه تغلّى في داره (١٢). وروي أن: سائلاً سأله يوماً عن أحوال وقعت له في الوجد والسماع فقال:

كَانَ مِنِّي الْكُلُّ وَإِنْ كَانَ مَنْ  
فَالْكُلِّ فَانِيًّا بِالْوَجْدِ أُخْبِرُ

ج

فأجابه أبو الحسين:

إِذَا كُنْتَ فِيمَا وَقُوفِكَ بِالْأَوْطَانِ  
لَسْتُ بِالْوَصْفِ عِنْدِي تَحْيَرُ

(١١).

(١٢)

## فَإِنِّيَ ج

ج

وروي: إن من غريب ما اتفق له مع جماعة الشيوخ أنهم اجتمعوا في دار ابن أبي خثيمة ببغداد على سماع، وفيهم: الجنيد، وأبو محمد رويم، وابن مسروق، والجري إلى أن مضى من الليل بعضه، أو قال: جلّه، وفيهم النوري فلم يتحرك منهم واحد ولا أثر فيه القول، فقال النوري: يا أبا القاسم، هذا السماع يمرّ مرّاً ولا أرى وجهاً يظهر.

فقال الجنيد: يا أبا الحسين ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

وأنت يا أبا الحسين ما أثر عليك! قال: ما بلغت مقامي في السماع، فقال: الجنيد وما مقامك في السماع؟ فقال: الرمز إليه، والإشارة دون الإفصاح، والكناية دون الإيضاح، ثم وثب وصفق بيديه، وأنشد يقول:

رُبَّ وَرَقَاءٍ هُتُوفٍ ذَاتَ شَجْوٍ  
فِي الضُّحَى صَرَخَتْ فِي فَنِّي

ج

|                     |                       |
|---------------------|-----------------------|
| فُبْكَائِي رُبَّمَا | وَبُكَاءُهَا رُبَّمَا |
| أَرْقَهَا           | أَرْقَنِي             |

ج

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا | وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا |
|------------------------|------------------------|

أَفْهَمُهُ | تَفْهَمُنِي

ج

غَيْرُ أَنِّي بِالْجَوَى وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى  
أَعْرِفُهَا | تَعْرِفْنِي

ج

فقام جميع من حضر لقيامه ساعة من الليل (١٣).  
وروي عنه: إنه سُئِلَ عن أدب المعرفة، فقال: لا تصل  
إلى حواشي المعرفة حتى تخوض إلى الله Y سبع بحار من  
نيران بحر بعد بحر، فعسى بعد ذلك تقع لك أوائل بدء  
عمل المعرفة.  
ثم أنشد لنفسه:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو طُولَ وَوَجْدِي بِمَنْ عَزَّتْ  
شَوْقِي وَحَيْرَتِي عَلَى مَطَالِبِهِ

ججج

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا وَمَا آخِرُ الْأَمْرِ الَّذِي  
الَّذِي فِيهِ رَاحَتِي أَنَا طَالِبُهُ

جج

وقال علي بن عبد الرحمن: رأيت النوري T قائماً عند  
باب الكعبة يحرك شفّتيه كأنه يسأل شيئاً ثم أنشد يقول:

كَفَى حُزْنًا أَنْ كَأْنِي بَعِيدٌ وَكَأَنَّكَ  
أُنَادِيكَ دَائِمًا غَائِبٌ

ججج

ججج

وَأَسْأَلُ مِنْكَ الْفَضْلَ وَلَمْ أَرْ مِثْلِي زَاهِدًا  
مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ فِيكَ رَاغِبٌ

ججج

ججج

جججج

وأما شيخه السري (١٤): فهو أبو الحسن السري بن  
المغلس السقطي خال الجنيد، وأستاذ الجماعة؛ صاحب  
معروف الكرخي؛ فانتفع ببركة دعائه وإقباله عليه، فكان  
أوجد زمانه في الورع والأحوال السنية، وهو أول من  
تكلم فيها ببغداد وإليه ينتمي أكثر المشايخ.

مات رحمه الله ببغداد سنة إحدى وخمسين، وقيل سبع  
 وخمسين ومائتين، وقبره بالشونيزية ظاهر يزار.

وسبب زهده في الدنيا أنه كان في السوق ويتردد إلى  
معروف الكرخي، فجاءه يوماً وهو في حانوته، ومعه صبي  
يتيم، فقال له: أكس هذا اليتيم، قال السري: فكسوته،  
ففرح بذلك معروف الكرخي فقال له: بغض الله لك  
الدنيا، وأرإحك مما أنت فيه، قال: فقامت من الحانوت  
وليس شيء أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من  
بركات معروف.

قلت: انتهى به الحال حتى كانت الدنيا تتمثل له في  
صورة عجوزة فكانت تخدمه حتى شاهدها أخته.

فشكته إلى أحمد بن حنبل  $\tau$  قالت له: إن أخي امتنع من طعامي ورأيت في بيته عجوزاً تخدمه، فأتي إليه فكلّمه في ذلك، قال: إنها كانت تخدمني: أعني أخته، وكانت تأتي كل ليلة بفطوري، فأبطأت علي يوماً، فسألته عن السبب فقالت: إن غزلها لم يبع وقالوا لها أنه مخلط، فامتنعت من طعامها؛ خيفة على ديني، فقيّد الله لي الدنيا تخدمني فهي التي رأت.

وكان أحمد بن حنبل يثني عليه كثيراً، ويقول: ذلك الفتى طيب الغذاء، وإنه ليعجبني أمره وله معه حكايات أضربنا عنها؛ اختصاراً.

وقال الجنيد: ما رأيت أعبد من السري السقطي  $\tau$ ؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت.

ومن كلامه: التصوف اسم لثلاثة معانٍ، وهو الذي لا يظفيء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم في علم باطن بما ينقضه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

قلت: فمن تحقق بهذا فهو الصوفي  $\tau$ .

قال الجنيد: سألتني السري يوماً عن المحبة، فقلت: قال قوم: هي الموافقة.

وقال قوم: الإيثار.

وقال قوم كذا. فأخذ السري جلدة ذراعه فجذبها ومدها فلم تمتد، قال: وعزته لو قلت ما أيس هذا الجلد على هذا العظم إلا محبته لصدقت، ثم غشي عليه ثم دار وجهه كأنه قمر، وكان السري شديد الأدمة، وإنما أشرق وجهه في تلك الساعة ما خامر قلبه من الأنوار واستولى على باطنه من الأسرار (١٥).

وقال  $\tau$ : أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة، قيل له: وما

هو؟ قال: لا تأخذ من أحد شيئاً، ولا تسأل من أحد شيئاً، ولا يكون معك شيئاً تعطيه أحداً.  
قال الجنيد: سمعت السري يقول في دعائه: اللهم إن عذبتني بشيء، فلا تعذبني بذل الحجاب.  
وقال الجنيد: جاء رجل إلى السري فقال له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

مَنْ لَمْ يَيْتَ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُفْتَتِ  
وَالْحُبَّ حَشْوُ الْأَكْبَادِ  
فُؤَادِهِ جَجَجَج

ججججج

وقال الجنيد: دفع إلى السري رقعة، وقال لي: هذا خير لك من سبعمائة قصة وإذا فيها مكتوب:

فَمَا الْحُبُّ حَتَّى وَتَذْهَلُ حَتَّى لَا  
يُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا تُجِيبُ الْمُنَادِيَا  
ججججج ججججج

وَتَنْحَلُ حَتَّى لَا يَبْقَى سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا  
لَكَ الْهَوَى وَتَنَاجِيَا  
جججججج ج ج

جج

وقال حجة الإسلام: قال غيلان الخياط: كنت يوماً



عند السري جالساً، فجاءت امرأة، فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك وقد أخذ ابني الطائف البارحة؛ أعني: الحريس الذين يطوفون بالليل، وأنا أخشى عليه، فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث معي من يكلمه.

قال غيلان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام السري وكبر وطول في صلاته، فقالت المرأة: يا أبا الحسن اني أخاف أن يؤذيه السلطان، فسلم فقال لها: إني في حاجتك وإذا بامرأة أتت إليها وقالت إليها: إلحقي بابنك فإنه سرح وخلي سبيله ولا بأس عليه.

وقال الجنيد: أتيت أقف على السري من علة كانت به، فقلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كَيْفَ أَشْكُو إِلَى وَالَّذِي قَدْ  
طَيِّبَ بَدَاءِ أَصَابَنِي مِنْ  
ج ج طَيِّبِ

ج ج

قال: فأخذت المروحة أروح عليه بها فقال: كيف يجد ريح (المروحة) من جوفه يحترق من داخل، ثم أنشأ يقول (١٦):

الْقَلْبُ مُحْتَرَقٌ وَالْكَرْبُ مُجْتَمِعٌ  
وَالْدَمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرِقٌ

ج

ج

كَيْفَ الْقَرَارَ عَلَى فَمَا جَنَاهُ الْهَوَى

مَنْ لَا قَرَارَ لَهُ وَالشَّوْقُ وَالْفَلَقُ

ج

ج

يَارَبِّ إِنْ كَانَ فَاْمُنْ عَلَيَّ بِهِ  
شَيْءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ مَا دَامَ لِي رَمَقُ

ج

جج

قال: صحبت رجلاً من أهل سامراء يُعرَف بـ (الواله) سنة، فلم أسأله عن مسألة، ثم فقلت يوماً: أي شيء المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال لي: أن تجد الله تعالى أقرب إليك من كل شيء وأن تمحو من سرائرك وضمائرِك كل شيء غيره.

قلت له: بأي شيء يوصل إلى هذا؟ فقال: بزهدك وترغيبك فيه.

قال السري: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر.  
يقال: قلوب الأبرار معلقة بالخواتم، وقلوب المقرِّين معلقة بالسوابق.

فقلت: وأعلى منهما ابن وقته الذي لا ينظر إلى السوابق ولا للواحق؛ فإنها لا تغير وإنما هو عبدٌ مأمورٌ يقوم بحق ما أمر به فما هو مطلوب به فإن كان ينظر إلى السوابق أو اللواحق لشغله ذلك عما هو أولى به من حق الوقت والمريد ابن وقته، وأعلى منه من هو مستغرق بالوقت عن الأوقات.

كما حكى عنه أيضاً ٢ أنه سُئل مرة عن حاله؟  
فأنشأ يقول:

مَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ

لَوْلَا اللَّيْلُ لِي فَارَحَ أَمْ قَاصِرًا قَالَ

ج

لَأَنِّي فِي طُولِ لَيْلِي وَفِي النَّهَارِ أَقَاسِي  
هَائِمٌ قَلِقٌ الْهَمُّ وَالْفِكْرُ

ج

ج

خوفي الشناعة لصِحت، ثم قال: أين شاهد هذا ؟.  
قلنا: لا نعلم.

قال: حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار» (١٧).

وروي: «ليس عند ربكم صباح ولا مساء فمن كان عبد ربه Y فليس هو في ليل ولا نهار» (١٨).

قلت: ومن كان بهذا الوصف فلا يتفرغ لمطالعة السوابق، ولا اللواحق؛ لغلبة أنوار الجلال والجمال على قلبه، فهو في الجمال بأنوار أنسه، وفي الجلال بصدمة هيئته.

وكان يقول: ترك الذنوب على ثلاثة أوجه خوفاً من النار، والعقاب والرغبة في الجنة والثواب، والحياء من الملك الوهاب.

قال T: لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، وعليها كل ما خلق الله تعالى من الطيور يخاطبه كل طير منها بلغته.

وقال له: السلام عليك يا ولي الله تعالى، ثم سكنت

نفسه إلى ذلك لكان في يدي نفسه أسيراً.  
وفي بعض الروايات: ولم يخف أن يكون ذلك مكرًا به  
لكان به مكمورًا.

وقال ٧: صليت ليلة وردى، ثم مدت رجلي، فإذا  
بها تف ينادي: يا سري أهكذا تجالس الملوك، فضممت  
رجلي، ثم قلت: وعزتك لا مدت رجلي أبدًا، فبقي  
ستين سنة لم يمدد رجله ليلاً ولا نهاراً.

واعلم أن هذه السادات لا تقوم لها الأسفار، وإنما  
مرادنا التعريف ببعض ذلك والمقصود تحقيق سلسلة هذا  
الشيخ إلى النبي ٨.

وأما شيخ السري: فهو أبو محفوظ سيدي معروف بن  
فيروز الكرخي ٩.

وقال حجة الإسلام: وقيل معروف بن الفروزان، وقيل  
معروف بن علي؛ وهو من أجلة المشايخ وقدمائهم،  
والمشهور بالزهد والورع والفتوة وإجابة الدعاء.

مات سنة مائتين، وقيل: سنة إحدى ومائتين والأول  
أصح، والله أعلم.

وقبره ببغداد شهير ومزار؛ فهو يتردد الخلق إلى زيارته،  
والناس يستشفون بقبره ويستسقون إذا قحطوا به.  
محرب عند أهل بغداد صحيح، ويقولون: قبر معروف  
ترياق محرب.

وهو من موالي علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر  
الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين  
الشهيد بن علي أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

ويحكى عنه: إن أبويه كانا نصرانيين، فأسلما معروفًا  
إلى مؤدبهم، فكان المعلم يقول له: قل ثلاث ثلاثة  
ومعروف يقول: بل هو الواحد الأحد الصمد، فما زال

المؤدَّب يعاقبه علي ذلك، وهو يقول الواحد.  
وروي: فضربه أحدٌ يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب منه،  
فعمي خبره، فكان أبواه يقولان: ليتنا وجدناه علي أي  
دين يشاء نوافقهُ عليه، ثم أنه مضى إلي علي بن موسى  
الرضي ٢ وأسلم علي يديه، ورجع إلي منزل أبويه،  
فدق الباب فقبل: من بالباب؟ فقال: معروف، فقالا له:  
علي أي دين أنت، فقال: علي الدين الحنفي، فأسلم أبواه  
فوافقاه.

قال حجة الإسلام ٢: قال السري: رأيت معروف  
الكرخي ٢ في المنام كأنه تحت العرش والله Y يقول  
للملائكة: من هذا؟ فقالوا: أنت أعلم ياربنا، فقال: هذا  
معروف الكرخي سكر من حبي، فلا يفيق إلا بلقائي.

ومن كلامه ٢: ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين في  
الصالحين، وقال: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب  
العمل وأغلق باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق  
عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل.

وقال له رجل: أوصني، قال: توكل علي الله تعالى حتي  
يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك فإن الناس  
لا ينفعونك ولا يضرؤنك.

وقال ٢: علامة مقت الله للعبد أن يراه مشغلاً بما  
لا يعنيه من أمر نفسه، وطلب الجنة بلا عمل ذنب من  
الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور،  
وارتجاء رحمة من لا يطاع حمق وجهل.

وقيل له: ما علامة الأولياء؟ قال: ثلاثة؛ همومهم بالله  
تعالى، وشغلهم به، وفرارهم إليه.

وقال: قلوب الطاهرين تنشرح بالتقوى وتزهو بالبر،  
وقلوب الفجار تظلم بالفجور وتعمى بسوء النية. وإذا  
أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب  
الفترة والكسل.

وله T أحوالٌ عجيبة، وهو ممن جمعت القلوب على محبته.

قال شارح «النفحات القدسية»: أبو محفوظ الكرخي ممن يمد في الحياة والممات كالشيخ عبد القادر وأصحابه الأربعة.

وله كرائم شهيرة:

يُحكى عنه: إنه كان مع أصحابه عشية يوم، فلما أصبحوا فإذا بزلقة في وجهه، فسأله بعضهم، فقال له كنا معك بالأمس ولم يكن في وجهك أثر كهذا الأثر الذي أرى بك الآن.

قال: سل عما يعنيك، قال له: بمعبودك إلا ما أخبرتنى، قال: لما أكملت البارحة وردى، اشتقت إلى مكة، فإذا أنا بها فطفت بالبيت سبعة ثم ركعت بالمقام، ثم ملت إلى زمزم؛ لأشرب من ماءه تبركا، فزلقت، فوقع لي ما رأيت.

ويحكى عنه: إنه أتاه خليل الصياد قال له: يا أبا محفوظ إن ولدي محمد قد تاهَ زمنا طويلا، فوجدنا عليه وجدا شديدا، وأمه لا راحة لها عليه، قال له: وما تريد أن أصنع؟ قال: تدعو الله Y أن يرده علينا، فقال: اللهم إن السماء سماءك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، أنت محمد.

قال خليل الصياد: فخرجت من عنده وذهبت إلى باب الشام، وإذا أنا بابني محمد واقف، فقلت: ولدنا هذا! فقال: يا أبتى الساعة كنت بالأنبار ولا أدري كيف أمري! فقلت يا بني دعوة معروف جلبتك إلينا أو كما قال له.

وكان يقول لنفسه: أخلصي تخلصي، قلت: أخلصي في الأقوال والأفعال والأحوال لله Y؛ تخلصي من العقاب والعتاب وسوء الحساب.

قال حجة الإسلام: كان أبو محفوظ مع جماعة من أصحابه على دجلة؛ إذ مر بهم أحداث في زورق يضربون الدف والعود، ويشربون الخمر، ويلعبون بين رجال ونساء.

فقال الجماعة: ادع الله عليهم هكذا يغضبون الله مجاهرين، فرفع يديه وقال: إلهي! كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة.

فقالوا له: إنما سألناك أن تدع عليهم لا لهم، فقال لهم: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولا يضركم من أمرهم شيئاً.

فروي أنهم في الحين تابوا إلى الله Y على يد معروف، فاعتزلت النساء بجهة فاغتسلن، والرجال بجهة فاغتسلوا، وحسنت توبتهم ببركته.

ومن كلامه الذي رواه عن الثقات قال: قال الله تعالى: «أَحِبُّ عِبَادِي إِلَيَّ الْمَسَاكِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُوا قَوْلِي، وَأَطَاعُوا أَمْرِي، وَمِنْ كَرَامَاتِهِمْ عَلَيَّ أَلَّا أُعْطِيَهُمْ دُنْيَا؛ فَيَنْقَلِبُونَ بِهَا عَنْ طَاعَتِي».

قال السري T: قيل لمعروف عند موته أوصى قائلاً: إذا مت فتصدقوا بقميصي؛ فإني أريد أن أخرج من الدنيا كما دخلتها.

وقال T: التصوف: الأخذ بالحقائق.

وقال محمد بن الحسين: سمعت أبي يقول: رأيت معروف الكرخي في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي فقلت: بزهديك وورعك، قال: لا بقبولي موعظة ابن السماك، ولزومي الفقر، ومحبي للفقراء.

فأما موعظة ابن السماك قال: كنت ماراً بالكوفة؛ فإذا برجل يعظ الناس، فوقفت عليه فإذا هو محمد بن السماك، فقال لي في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكليته، أعرض الله تعالى عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل

الله إليه برحمته وأقبل بوجوه جميع الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما.

فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله Y، وتركت كل ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضي T، ثم ذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال لي: يكفيك موعظة لي إن اتعظت.

ثم صحب داود الطائي وانتفع بصحبته كثيراً كما انتفع بخدمة مولاه.

وأما شيخه أبو سليمان داود الطائي (٢٠٠): كان كبير الشأن في الزهد والورع.

قيل: إنه ورث عشرين ديناراً، فأكلها في عشرين سنة. ويحكى عنه: إنه كان مهتماً بحجم له الحمام أعطاه ديناراً، فيقال له: هذا إسراف، فيقول له: من لا مروءة له لا دين له.

توفي رحمه الله عام خمس وستين ومائة وألف. ويحكى: إن سبب موته أنه كان يقرأ في ورده، فمر بآية فيها ذكر النار، فجعل يكررها في ليلته حتى أصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة وليس في بيته شيء من متاع الدنيا.

قال حجة الإسلام: سبب زهده أنه كان يمر في بعض أزقة بغداد، فنحاه المطرقون، فالتفت فرأى جميل الطوسي، وكان قبل ذلك من أبدال الناس الحاملين الذكر، ثم رفعته الدنيا فكانت له مع بني العباس رفعة، فقال لنفسه: أف لدنيا سيقك إليها جميل، فلزم بيته والجد والحزم حتى بلغ مبلغاً قل من بلغه من الأفراد، وقيل أن سبب زهده أنه سمع بالجبانة نائحة عند قبر وهي تندبه وتقول:

بأيّ خديك وأيّ عينيك



## تَبْدَأُ الْبَلَا إِذَا سَـلَا

ج ج

وقيل: كان سبب توبته أنه كان يجالس أبا حنيفة  $\tau$  فقال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا سليمان، أما الآلات فقد أحكمناها.

قال له داوود: فما بقي؟ قال: العمل، قال: فنازعني نفسي إلى الخلوة والعزلة، فقلت لنفسي حتى أجالسهم ولا أتكلم في شيء قال: جالسهم سنة لا أتكلم في شيء، وكانت المسألة تمر بي وأنا في الكلام فيها أشد نزاعاً ممن العطشان إلى الماء، ولا أتكلم، ثم صار أمره إلى ما صار. وقد ذكر هذا صاحب النجم، وكذلك الحافظ والأستاذ القشيري وعلى هذا النمط.

وكان يقول في مناجاته: إلهي! همك عطل عليّ الهموم، وحال بيني وبين الرقاد.

وروي: إنه كانت جارية تخدمه، فكان لا يأكل إلا الفتيت فيشربه في الماء، فقالت له لشفقتها عليه: أما تشتهي الخبز! فقال لها: بين شرب الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية، فما أكلت الخبز منذ خمسين سنة.

وروي: إنه في الليلة التي توفي فيها رآه بعض الصالحين وهو يقرأ فقال له: مالك؟ فقال: الساعة تخلصت من السجن، فاستيقظ الرجل وإذا بالصباح ارتفع، فقيل: إن داوود الطائي مات.

وروي: إنه كان يخبز في الشهر ستون رغيفاً، فيعلقها بشريط، ثم يفطر كل ليلة على رغيفين بماء وملح.

فأخذ يوماً فطوراً، وجعل ينظر إليه فقامت مولاة له سوداء فجاءته بشيء من التمر على طبق، فأفطر عليه وأحيا تلك الليلة إلى الصباح وأصبح صائماً.

فلما كان الليل أخذ رغيفيه، وجعل يعاتب نفسه ويقول لها: اشتهيت البارحة التمر وأطعمتك، واشتهيت الليلة أيضاً تمرًا، لا ذاق داوود التمر ما دام في دار الدنيا. قال محمد بن إسحاق في حديثه: فما ذاق التمر حتى مات.

ويحكى عن الفضيل بن عياض: إنه أتاه يعود، فلما دخل عليه قال له: أقلل من زيارتي، فقد مللت الناس، ثم قال: ما أخرج الله عبدًا من ذل المعصية إلى عز الطاعة إلا أغناه الله Y بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس. وقال بكر بن محمد: قلت لداوود: دُلني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالة لا توجد، وعوثب على ترك التزويج، قال للعاذل: كيف بقلبٍ ضعيفٍ لا يقوم بهمه يجتمع عليه همان.

ومن كلامه في بعض خطبه:

مَا نَالَ عَبْدًا مِنْ أَعْلَى مِنَ الشَّوْقِ إِنَّ  
الرَّحْمَنَ مَنَزَلَهُ الشَّوْقَ مَحْمُودُ

ج

وعن أبي الربيع الزاهد الأعرج فيما نقله صاحب النجم قال: أتيت من واسط لأسمع شيئاً من داوود الطائي، فأقمت على بابه ثلاثة أيام لا أصلي إليه؛ لأنه كان إذا سمع الإقامة خرج من بيته، فإذا سلم الإمام؛ وثب فدخل منزله.

قال: فصليت في مسجد آخر، وأتيت وجلست على بابه، فلما جاء ليدخل قلت: ضيف رحمك الله، قال: إن كنت ضيفاً فادخل، فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيامٍ لا يكلمني.

فلما كان بعد ثلاثة أيام قلت له: رحمك الله أتيتك من

واسط، وإني أحب أن تزودني شيئاً.

فقال: صم عن الدنيا، واجعل فطورك الموت، قلت: زدني، قال: فر من الناس؛ كفرارك من الأسد غير طاعن عليهم ولا تارك لجماعتهم.

ومن وصاياه: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، وكل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم، وإنما أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون، ويندمون على ما يخلفون.

وحكي عنه: إنه صام أربعين سنة ما علم بها أهله.

وعن عبد الله بن إدريس: قلت لداود الطائي: أوصني، قال: أقل من معرفة الناس، قلت: زدني، قال لي: ارض بالقليل مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بالكثير مع فساد دينهم، قلت: زدني، قال لي: اجعل الدنيا كيوم واحد صمته، ثم افطر على الموت.

وقال بعض الصالحين: رأيت في الليلة التي توفي فيها داود الطائي نوراً، وملائكة صعوداً، وملائكة نزولاً، قلت: أي ليلة هذه، قالوا: الليلة التي توفي فيها داود الطائي قد زخرفت الجنان؛ لقدوم روحه.

ويحكي عنه فيما نقله الأستاذ: إن رجلاً دخل عليه فرآه يطيل النظر فيه، فقال له داود: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام؟!!

ومن مرويات داود: عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» ٢١.

وله ٢٢ كرامات وآيات:

يحكى عنه: إنه كان في جواره رجلان بينهما خصومة في حائط بينهما، فأتى أحدهما يشكو إليه جاره، ويتظلم منه وصار في شكواه يقع فيه، ويطعن في خصمه، وينال منه بين يدي داود الطائي، فقال له داود: إن لسانك يأخى لرطب.

قال: فيس لسان الرجل في فيه، فصار كالعظم، فجزع وفتح فاه، وجعل يشير لداود، ويشتكى له يس لسانه، فقال: يارب إني لم أرد هذا، فرجع لسان الرجل رطباً كما كان، فقال: ياسيدي أشهدك أنني قد سلمت لخصمي فيما كان ينازعني فيه، وأشهدك أنني تصدقت على الفقراء بدية لساني، ثم ذهب لداره فأتى بألف دينار، وطرحها بين يدي داود الطائي، وقال: يا سيدي فرق هذه على الفقراء، فأبى ففرقها الرجل على الفقراء والمساكين بيده.

ولما مات رحمه الله تعالى قام ابن السماك على قبره يعد أثره ومفاخره من العلم والعبادة والزهد، فما قال قولاً إلا صدقوه، فلما فزع قام أبو بكر الشبلي، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: يارب إن الناس قالوا ما عندهم ومبلغهم ما علموه من حاله، اللهم لا تكله إلى عمله فاغفر له برحمتك.

ويحكى عنه: إنه كان ابن خمس سنين، سلّمه أبواه إلى المؤدب، فابتدأه بتلقين القرآن وكان لقيناً، فلما بلغ سورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، أتى أمه يوم الجمعة مقبلاً على حائط وهو يتفكر ويشير بيده فخافت عليه، فقالت: قم يا داود واخرج والعب مع الصبيان وانشرح، فلم يجيبها فضمتها إلى صدرها، ودعت بالويح والشبور، وظنت أنه مملوس، فقال لها: مالك يا أماه؟ فقالت له: أبك بأس؟ قال لها: لا، قالت له: فأين ذهنك كلمتك فلم تسمع؟ قال لها: مع عباد الله، قالت له: وأين هم؟ قال لها: في الجنة، قالت له: ما يصنعون؟

قال: ﴿مُتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا\* وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٣، ١٤].

ومر في قراءة السورة وهو باهت؛ كأنه ينظر إليهم حتى يبلغ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

ثم قال: يا أماء ما كان سعيهم، فلم تدر ما تقول له، فقال لها: قومي حتى أتنبّه عندهم ساعة، فقامت عنه، وأرسلت إلى والده فجاءها، فأعلمته بشأن ولده، فقال له أبوه: يا داوود كان سعيهم أن قالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

فكانت لا إله إلا الله بعد ذلك هجير داوود، ولا يسكت إلا بمهم من فعل أو قول.

الهجير: هو ما يكثر الإنسان من ترديده.

وفي الحديث: «كان هجير أبي بكر لا إله إلا الله وكان هجير عمر الله أكبر وكان هجير عثمان سبحان الله وكان هجير علي الحمد لله رضي الله عنهم أجمعين» (٢٢).

وقد ذكرنا أوصافهم في غير هذا الكتاب، وهذا إنما بني على الاختصار لا يمكن فيه التفريع على ما نحن بصدد.

وأما شيخه حبيب العجمي (٢٣): فكان آية الله في استجابة الدعاء، وكان في بداية أمره لما تصدق بجميع ماله تنازعه زوجته، وكانت سيئة الخلق معه تقول له: اذهب واخدم علينا.

فيحكى عنه: إنه ذهب إلى الجبانة، وظل فيها يتعبّد إلى المساء، فقالت له زوجته: وأين الأجرة؟ فقال لها: إني خدمت عند كريم، فكرهت أن أستعجله في الأجرة؛ فإنه

يعاملنا بأكثر ما نؤمله منه، فقالت له: إذا لا بأس، فلما طال عليها الحال خاصمته، وقالت له: اذهب إلى هذا الرجل، إما: يعطيك أجرتك أو اذهب إلى غيره، أو كلاماً هذا معناه، فذهب إلى الجبانة؛ أعني: المقبرة، واشتغل بعبادته، فلما قرب المساء خاف من لسان أهله أن تستطيل عليه قال: يارب! إنك تعلم خائنة الأعين، وملا تخفي الصدور، وإن أهلي لا يخفي عليك من أمرها شيء، فلما دخل المنزل وجد دخاناً، ورأى أهله على وجهها السرور الكثير، فلما رآته بادرته بالسلام، وقالت له: نعم الكريم، هذا الذي خدمت عنده قد بعث، والله ما يبعثه الكرماء من الإتحاف من طعام وكساء وكيس فيه كذا وكذا، وبقيت تعده له وهي باهتة، فقال لها: يا هذه والله ما خدمت إلا عند ملك الملوك، وكريم الكرماء الذي يعطي لا من قلة ويمنع لا من بخل، فقالت: لله الحمد وله المنة.

وكان في بدء أمره كثير الحرص على الدنيا، وكانت له غلمان منهم: من كان يتاجر بماله، ومنهم: من كان يؤدي له الخراج، وكان قريباً من الحسن في المنزل يحضر مجلسه، فحضره يوماً، فتكلم في الجنة والنار، فأثرت فيه الموعدة، واستقبله التوفيق من الله تعالى، فما زال في الجد حتى كان من أهل الخطوة، فكان آية من آيات الله، ذا كرامات، وصار لا يصحب إلا الصديقين، ولكن انتمأؤه إلى الحسن البصري .

ويُحكى عنه في بعض كرائمه: إنه كان إمام مسجد، فأتي الحسن وقتاً، فجازته صلاة المغرب عند مسجده، فدخل ليصلي المغرب، فلما وافاه، فإذا هو يلحن في قرآته، فخرج مخافة أن تفسد صلاته، فلما كان الليل رأى الحسن؛ كأنه واقف بين يدي الله Y وهو يقول له: يا حسن لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك. فاستيقظ الحسن مذعوراً وندم على ما صنع.

ومن غرِّ كراماته: إنه كان يوم التروية يُرى بالبصرة،  
ويوم عرفة يرى بعرفة.

ويحكى: إن الحجاج بن يوسف أمر بالحسن بن أبي  
الحسن البصري أن يقتل، فأتاه صديق فأخبره، فهرب  
الحسن، فدخل دار حبيب العجمي، فقال له: هل من مخبأ  
يا أبا محمد؟ إن الطلاب ورائي.

قال: إلا أن نجعلك ورائي، قال له: ويحك! وما يغني  
عني وراءك، قال له: أجعلك هناك عند الله، إئت حتى  
تنظر، فأتي الحسن، وجعل وراءه، فإذا برُسل الحجاج قد  
دخلوا، وقد قيل لهم: أنه دخل دار حبيب العجمي، فقالوا  
له: يا أبا محمد! أين الحسن الداخل عندك الآن؟ قال:  
انظروا إن وجدتموه، ففتشوا الدار كلها، وهو وراء  
أبو محمد حبيب، فلما لم يجدوا شيئاً، قالوا: لعن الله الذي  
قال هو هنا، فلما خرجوا، قال للحسن: رأيت؟ جعلتك  
عند الله فلم يروك، فعلم الحسن حينئذٍ كبير مقامه، وصار  
يعظمه ويعرف قدره.

ويحكى عنه: إنه أتاه رجلٌ شاكياً من دينٍ ركبه، وهو  
خمسمائة درهم.

فقال له: اذهب، فتسلّفها من بعض التجار، وأضمنها  
عنك، فأتي رجل، فاستقرض منه الخمسمائة درهم  
وضمنها أبو محمد إلى أجل معلوم.

فلما جاء الأجل، جاء صاحب المال وطلبه، فقال له أبو  
محمد: نعم غداً إن شاء الله تعالى تقبضها، ودخل مصلاه،  
واشتغل بعبادة ربه، ثم من الغد جاء الرجل، فقال له:  
اذهب إلى المسجد، فإن وجدت فيه شيئاً فخذ.

فذهب فدخل المسجد، فوجد فيه صرة فيها خمسمائة  
درهم ونصف، فرجع إليه، وقال: يا أبا محمد! تزيد، قال  
له: اذهب فهي لك.

وحدث أيضاً صاحب الصفوة: أن رجلاً أتى حبيب  
العجمي، وقال له: لي عليك ثلاثمائة درهم.



فقال له أبو محمد: إلى غد إن شاء الله، فلما كان الليل قام إلى صلاته، وقال: اللهم إن كان صادقاً فأدعني ماركني من دينه، وإن كان كاذباً فابتليه في بدنه، فلما كان من الغد جيء بالرجل محمولاً، وقد ضربه الفالج، فقال له أبو محمد: مالك؟ قال له: أنا الذي جئتك بالأمس ولم يكن لي عليك شيء، وإنما قلت: تستحي من الناس، وتعطيني، وأنا تائب مستغفر، فقال له حبيب: لعلك تعود، قال: لا أعود أبداً لمثل فعلتي، فقال أبو محمد حبيب: اللهم إن كان صادقاً، فألبسه العافية، فقام الرجل يمشي على رجله، وكأنما كان ذلك البلاء ثوباً طرحه عنه في الحين، ولم يكن به بأس أصلاً.

وقال صاحب الطبقات: إن حبيباً كان من أهل الخطوة، وممن تطوى له الأرض، وذكر ما قدمنا من أنه كان يرى يوم التروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفات.

ويحكى: إنه آتاه سائل فسأله ولم يكن عنده إلا العجين طرحته أهله ليختمر، فقال له: احمله فاتته أهله، فقالت: وأين العجين؟ فقال لها: ذهبوا به ليخبزوه فاسترابت، فألحت عليه، فقال لها: أعطيته لسائل أتى ولم يكن عندنا ما أعطيه، قالت له: سبحان الله تؤثره وتتركنا؟ قال لها: يفتح الله، فبينما هي كذلك وإذا بقوم أتوا بصحفة كبيرة من ثريد ولحم سمين، فقال لها: ترى ما عوضك الله جل جلاله.

وأما شيخه سيدي أبو سعيد سيدي الحسن بن أبي الحسن البصري<sup>(٢٤)</sup>:

وكان من سادات التابعين وأكابر الصديقين، معدوداً في الطبقة العليا فيها من حفاظ علمائهم، وكبراء زهادهم، وأرباب الورع والجد والاجتهاد، وأصحاب الأحرار، وكانت تلك الأوصاف؛ لبأسه حتى غمه الثرى، وكانت أمه من موالي أم سلمة تخدمها، فكان إذا بكى أخذته أم



سلمة زوجة النبي ﷺ فتجعل ثديها في فيه، تعلله بذلك حتى تفرغ أمه، قدرت عليه بقدره الله العزيز لما أراد الله أن يناله من النبوة، فكان آية الله تعالى.

ويُحكى عنه في المعارف والحكم عجب العُجاب.  
ويُقال: أن ذلك أتاه من بركات ذلك اللبن الذي أرضعته أم سلمة، وإنه وُلد قبل موت عمر أمير المؤمنين بسنتين.

ويُقال: أنه هو الذي حنّكه بإشارة أم سلمة، ومن أراد الله بخير فتح عليه أسبابه.

وكان كثيراً ما يلازم عمران بن حصين.  
ويقال عنه: أنه أخذ طريقة التصوّف، وبركته انتفع؛ كذا ذكره صاحب النجم.

وذكر صاحب طبقات النساك لأبي سعيد بن الأعرابي: إن الحسن البصري أول من تكلم في علوم التصوّف، وميز أعمال القلوب، وشرح أحوال المراقبة، وأبان مذاهب التصوف، ودعا إليها وادعّاها.

قال يوسف بن اسباط: مكث الحسن ثلاثين سنة لم ير ضاحكاً، وأربعين سنة لم يمازح.

قال بعض العلماء: ما رأيت أخوف من الحسن، وعمر بن عبد العزيز؛ كأن النار لم تُخلق إلا لهما.

وفي كتاب الهداية: إنه قيل للحسن: يا أبا سعيد أينام الشيطان؟

فقال للسائل: لو نام لوجدنا لنومه راحةً، ولكنه لا ينام. ولما وقف بعض العلماء على قول الحسن، قال: إنه عدو مبين ولا سبيل لنا إلى التخلص منه، والنجاة من غوائله إلا بعون الله وقوته ونصرته وحوله ومعونته، وأن يتخلص المرء من عدوه الساكن في صدره الذي يحول بين المرء وقلبه، ويجري منه مجرى الدم إلا بالاستعانة بالله والافتقار إليه، والاستعاذة به منه كما قال Y: **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** \* إِنَّهُ

لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ  
\* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ  
مُشْرِكُونَ ﴿النحل: ٩٨ - ١٠٠﴾.

قُلْتُ: والصدق في اللجاء والاضطرار في الدعاء، وهما  
يخلصان العبد من آفاته، وارتجاء الفرج من الله والفضل.  
قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

ومن كلام الحسن ٢: والله ما أعزَّ الدرهم أحدًا إلا أذله  
الله تعالى؛ لأنه قيل أول ما ضرب الدينار والدرهم  
رفعهما إبليس ووضعهما على جبهته، ثم قبلهما، وقال:  
من أحبكما فهو عبي حقا.

قال صاحب الهداية، وابن الذهبي: كان الحسن البصري  
إماماً رفيع الذكر، كبير الشأن، رأساً في العلم والعمل.

قال صاحب الهداية: ومن حديثه عن أنس بن مالك  
قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس؛ إذ ضحك حتى بدت  
نواجذه، فقال: عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما  
الذي أضحكك؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي  
رب العزة، فقال أحدهما: يارب خذ لي مظمتي من هذا،  
فيقول الله ﷻ: «رد على أخيك مظلمته، فيقول: يارب لم  
يبق من حسناتي شيء، فيقول الله تعالى للطالب: كيف  
تصنع بأخيك ولم تبق له حسنة؟ قال: يارب فليحمل عني  
من أوزاري، قال: ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء،  
ثم قال: إن ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل  
عنهم من أوزارهم، قال: فيقول الله تعالى للطالب: «ارفع  
رأسك، أو قال: بصرك، فانظر في الجنان»، فيقول: يارب  
أري مدائن من فضة، وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ؛  
فلأبي نبي، أو صديق هذا؟ فيقول الرب تبارك وتعالى: هذا  
لمن أعطي ثمنه، فيقول: يارب ومن يملك ثمن ذلك؟ قال:  
أنت تملك، قال يارب: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال  
يارب قد عفوت عنه، قال: فيقول الله تبارك وتعالى: خذ

بيد أخيك وادخله الجنة» (٢٥).

ثم قال الحسن البصري: ثم قال رسول الله ﷺ: «أئبها الناس، اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة» (٢٦).

ومن كيلا مة ٢: إن المؤمن يصبح حزينًا، ويمسي حزينًا؛ يكفيه الكف من التمر، والشربة من الماء.

وقال: والله الذي لا إله إلا هو؛ ما يسع المؤمن في دينه إلا الحزن.

وقال: حق لمن يعلم أن الموت مورده، والساعة موعده، وأن القيامة بين يدي الله ﷻ مشهده؛ أن يطول حزنه.

وقال: حق لعبد يؤمن بهذا القرآن إلا حزنٌ وذلٌّ، ونصبٌ وتعبٌ.

وقال: ولا تدري، لعل الله اطلع على بعض أعمالنا.

قال: لا أقبل منكم شيئًا، ويحك يا ابن آدم! هل لك بمحاربة الله تعالى طاقة وأنه من عصي الله فقد حاربه؟ والله لقد أدركت سبعين بدرية وأكثر لباسهم الصوف، ولو رأيتموهم لقلت مجانين، ولو رأوا أخياركم، قالوا: ما هؤلاء من خلاق، ولو رأوا أشراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قلت: ولو رأوا زماننا هذا لقالوا: والله هؤلاء شياطين، وليس لهم من جنس الآدميين.

ثم قال: ولقد رأيت أقوامًا كانت الدنيا أهون علي أحدهم من التراب الذي تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا يمسي أحدهم لا يجد عنده إلا قوت يومه يقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله ويتصدق ببعضه، وإن

كان لهو أحوج من الذي يتصدق به عليه.  
وقال: طول الحزن في الدنيا يلحق العمل الصالح.  
وقال: ما من رجل أدرك القرن الأول ثم أصبح بين  
أظهركم إلا أصبح معموماً وأمسى مغموماً.  
وقال: ابن آدم! لئن قرأت القرآن ثم آمنت به؛ ليطولن  
في الدنيا حزنك، وليكثرن خوفك وبكاؤك.  
وقال: من كانت له أربع خلال، أو قال خصال؛ حرّمه  
الله على النار وأعاده من الشيطان، من ملك نفسه عند  
الرغبة والرغبة والشهوة والغضب.  
وقال: والله لقد أدركت أقواماً ما طوى أحدهم في سنة  
ثوباً قط؛ يعني: ليس له إلا ثوباً واحداً؛ فيه يتصرف، وفيه  
ينام لا يملك غيره.  
وقال: وما أمر أهله باتخاذ طعام قط؛ يعني: ما وجد  
أكله، وما لم يجد صبر، وطوى، ولا يتكلف في شيء من  
أمر قوته؛ بل ولا سائر ضرورياته لاستغراقهم في أوقاتهم.  
قال: وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط.  
وكانت سيرته أشبه الناس بسيرة أصحاب رسول الله  
.p

ومن بعض مكاتباته لعمر بن عبد العزيز لمّا استخلف:  
أما بعد.. فإن الدنيا سخيّة خيفة، وإنما أهبط آدم من  
الجنة؛ عقوبة لا كرامة.  
واعلم أن سرعتهم ليست كسرعة من أكرمها مهين،  
ولها في كل حين قتيل.  
فكن يا أمير المؤمنين؛ كالمداوي جراحه؛ يصبر على  
شدة الدواء؛ خيفة طول البلاء.  
وقال حميد الطويل: خطب رجل إلى الحسن البصري  
ابنته، وكنت أنا السفير بينهما، فكان قد رضيته، فذهبت  
يوماً أثني على الرجل بين يديه، فقلت: يا أبا سعيد أزيدك

من خبره؛ إن له خمسين ألف درهم، فقال له: خمسين ألف ما اجتمعت من حلال، والله لا أنكحته ابنتي أبداً، فقلت: يا أبا سعيد ما علمت لمسلم ماله ورع.

قال: وإن كان جمعه من حلال، فقد صرفه عن حق الله لا يجري بيننا وبينه صهر أبداً.

### ومن بعض وصاياه:

«أعز الله، يعزك».

قال الراوي: حفظت وصيته؛ فما كان أحدٌ أعزُّ مني بها حتى رجعت من سفري، وله مواقف مع ابن هبيرة وغيره من أمراء بني أمية أضربنا عنها اختصاراً؛ كالحجاج بن يوسف له معه مشاهدات ظهر فيها قوة صلابته في دينه وتحقيق يقينه.

قال أبو نعيم في حليته: روي: إن أم سلمة لما وُلد أخرجته لعمر، فدعا له عمر، وقال في دعائه: «اللهم فقهِه في الدين، وحبِّه إلى الناس» (٢٧).

وسئل أنس بن مالك عن مسألة، فقال: أتسألوني؟! اسألوا مولانا الحسن؛ فإنه سمع وسمعنا، وحفظ ونسينا.

وقال أبو قتادة العدوي: ألزموا هذا الشيخ؛ يعني: الحسن؛ فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه.

قال علي بن يزيد: لو أن الحسن أدرك أصحاب النبي وهو رجل؛ لاحتاجوا إليه؛ كذا ذكره صاحب الحلية.

ومن أسانيده إلى رسول الله: «ابن آدم! اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة، ومن بعد صلاة العصر ساعة؛ أكفيك ما بينهما» (٢٨).

ومن أسانيده إلى رسول الله عن أبي هبيرة مرفوعاً: «من قرأ يس في ليلة التماس وجه الله غفر

له» (٢٩).

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَوْ صَاعِدًا مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَتَعَلَّمَهُنَّ أَوْ يَعَلَّمَهُنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣٠).

وأُسْنَدُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ: «زَيَّنُوا دِينَكُمْ بِالسَّخَاءِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ» (٣١).

وأُسْنَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثٌ: شَحْ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبَعٍ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ» (٣٢).

وهو ٢ ممن أطبقت قلوب العلماء والعارفين على محبته، وصادفته دعوة عمر الذي قال: «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» (٣٣).

فكان من أفقه أهل زمانه، وأقواهم ورعاً ومعرفةً وجداً واجتهاداً وزهداً ومحبياً إلى الخلق، ومات ٢ بالبصرة سنة عشرة ومائة وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة.

وأما مشايخه ٢ الذين أخذ عنهم، وانتسب في هذا الشأن إليهم: فقد أدرك من الصحابة الكثير؛ كـ (أهل بيعة الرضوان) و (البدرين)؛ كما تقدّم ذكره.

أدرك منهم سبعين، ولكن عمدة النسابين ينسبونه لسيدنا علي بن أبي طالب ٢.

وقد ذكر ابن الحاج وغيره: إن سيدنا علي بن أبي طالب لما دخل البصرة، وجد في جامعها كثرة القصاص، فأقامهم كلهم؛ لأنه وجدهم على غير سيرة السلف، حتى

(٢٩)

(٣٠)

(٣٢)

(٣٣)

وجد حلقة الحسن، فرأى عليه سمةً وهدياً.  
فقال له: يا فتى! إني سائلك، فإن أجبتني وإلا أقمتك  
كما أقمت أصحابك، قال له: سل عما بدا لك يا أمير  
المؤمنين، قال: ما صلاح الدين؟ قال: الورع، قال: ما  
فساد الدين؟ قال: الطمع، قال له: اجلس مثلك يحدث  
الناس، ويقص عليهم.

وذكر حجة الإسلام في إحيائه له؛ موقفٌ شهيرٌ مع  
الحجاج؛ دل على عظيم مقامه وثبات يقينه.

قال: وقد روي سعيد بن أبي مروان أنه قال: كنت  
جالساً إلى جانب الحسن ؑ؛ إذ دخل علينا الحجاج من  
بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذونٍ أشقر،  
فدخل المسجد على برذونه، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً،  
 فلم ير حلقة أفضل من حلقة الحسن، أو قال: أكبر من  
حلقة الحسن، فتوحه نحوها حتى بلغ قريباً منها، فثني  
وركه، ونزل ومشى نحو الحسن، فلما رآه متوجهاً إليه؛  
تجافى له.

قال سعيد: وتجافيت أيضاً أنا له عن ناحية مجلسي، حتى  
صارت بيني وبين الحسن فرجة ومجلساً للحجاج، فجاء  
الحجاج حتى جلس بيني وبينه، فلم يقم له، ولم يكثر  
منه الحسن وهو يتكلم بكلامه الذي يتكلم به في كل يوم.  
فما قطع الحسين كلامه قال سعيد: لأبلون الحسن اليوم.  
وقال: لأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن  
يزيده في كلامه أو تحمل الحسن هيئة الحجاج أن ينقص  
من كلامه؟ فتكلم الحسن كلاماً واحداً مما كان يتكلم به  
كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه، فلما فرغ الحسن من  
كلامه وهو غير مكترث بالحجاج ولا بسطوته، رفع  
الحجاج يده، وضرب بها على منكب الحسن.  
وقال: صدق الشيخ وبر، فعليكم بهذه المجالس وامتلاً  
المجلس، فاتخذوها حلقة وعادة.

فإنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ حَلَقَ الذِّكْرِ رِياضُ الْجَنَّةِ» (٣٤).

ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها.

ثم ذكر كلاماً أعجب الناس، ثم ركب برذونه وذهب، ثم ذكر حكاية ومغربة وقعت له معه أضربنا عنها اختصاراً.

فأما شيخه سيدنا (علي) بن أبي طالب ؑ، على ما ذكره الكثير من أهل السير (٣٥):

فهو أشهر من نار على علم، وأوصافه لا تخفي إلا على أكمله لا يعرف القمر، وفي بعض الأحاديث عنه ؑ أنه قال: «نَادُوا لِي عَلِيَّ سَيِّدَ الْعَرَبِ، قَالَتْ عَائِشَةُ، قُلْتُ: أَنْتَ سَيِّدُ الْعَرَبِ، قَالَ: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ هُوَ سَيِّدُ الْعَرَبِ» (٣٦).

قال أبو نعيم ؑ: خُتِمَتِ الْخِلَافَةُ بِهِ؛ كَمَا خَتَمَتِ النَّبُوَّةُ بِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

قال ؑ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا وَهُوَ ؑ قُدُوةُ الْفُقَرَاءِ وَزِينَةُ الْعَارِفِينَ» (٣٧).

وقد قال فيه ؑ: «لَمَّا نَزَلَ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ يَا عَلِيُّ! سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ» (٣٨).

قال علي ؑ: فما نسيت بعد هذا شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وله سوابق لا يجاري فيها ؑ؛ منها: إنه هو أول من أسلم مع خديجة، وأقرب الصحابة إلى رسول الله

(٣٤).

(٣٥)

(٣٦)

(٣٧)

(٣٨)



pنَسَبًا، وزَوَّجَه بَابنته التي كانت أحب الناس إليه وبضعة منه.

وابنه الحسن الذي قال فيه U: «إِنْ ابْنِي هَذَا سِيدٌ» (٣٩).

ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فظهر مصداقه U أن أَصْلَحَ الله المسلمين بعد أن كانت سيوفها ورماحها مسلولة لبعضها بعضًا.

ومنها فتح خيبر الذي كان على يديه.

وقد قال U لما عسر عليهم أمرها: «لَأُعْطِينَ الرِّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ يَدِيهِ، يَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَأُرْسَلُ إِلَيْهِ يَوْمًا، فَلَمَّا جَاءَهُ؛ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ.

قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تُضِلُّوا بَعْدِي، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: هَذَا عَلَيٌّ؛ فَأَحْبُوهُ لِحَبِّي إِيَّاهُ، وَأَكْرَمُوهُ لِكِرَامَتِي؛ فَإِنْ جَبُرَ لِي أَمْرِي بِذَلِكَ عَنْ رَبِّهِ» (٤٠). وَقَالَ فِيهِ U: «إِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا يَحْمِلُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ» (٤١). وَفِي رَوَايَةٍ: «يَسْلُكُ بِكُمْ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ» (٤٢).

وروي: «مَا أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ» (٤٣).

وروي: «تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ» (٤٤).

(٣٩).

(٤٠).

(٤١).

(٤٢).

(٤٣).

(٤٤).

وقال ٧: «اللَّهُمَّ! أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ» (٤٥).  
 وقال ٧: «قَسَمْتُ الْحِكْمَةَ عَشْرَةَ أَجْزَاءً؛ فَأَعْطَيْتُ عَلِيًّا  
 تِسْعَةَ أَجْزَائِهَا، وَسَائِرُ الْمُسْلِمِينَ جُزْءًا وَاحِدًا» (٤٦).  
 وروى عنه أنه قال: قلت يا رسول الله أوصني! قال:  
 «قل ربي الله ثم استقم، قال: قلت ربي الله توكلتُ على  
 الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه  
 أنيب» (٤٧).

فقال لي: ليهنيك العلم يا أبا الحسن، لقد نهلتَه نهلاً،  
 وشربته شرباً.

وكان ٨ وهو خليفة؛ يرقع ثيابه، فقيل له في ذلك،  
 قال: يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن.

واشترى قميصاً وهو خليفة بثلاثة دراهم، فلبسه فإذا  
 هو يفضل على أطراف أصابعه، فأمر به، فقطعت ما فضل  
 على أطراف أصابعه.

ومثل هذا، ما رواه عبد الله بن عمر: أنه فعله أبوه عمر  
 بن الخطاب وهو أمير المؤمنين.

وأُسند أن رسول الله ٩ فعل مثل ذلك.

وروي ٩ وهو يبيع سيفاً بالسوق وهو أمير المؤمنين،  
 وهو يقول: من يشتري هذا السيف، فوالذي فلق الحب،  
 وبرئ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول  
 الله ٩، فلو كانت عندي ثمن زادي ما بعته قط وأنشد:

وَقَدْ تَخْرُجُ كَرَائِمٍ مِنْ رَبِّ

الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ لَهْنٍ ضَنِينَ

(٤٥)

(٤٦).

(٤٧)

## مَالِكُ جج

جج

وروي من حديث حذيفة <sup>٤٨</sup> قال: قال رسول الله <sup>٥</sup> :  
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مَمَاتِي، وَيَتَمَسِكَ  
بِالْقَصْبَةِ الْبَيْضَاءِ الْيَاقُوتَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ  
لَهَا: كُونِي، فَكَانَتْ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ  
بَعْدِي» (٤٨).

وروي من رواية ابن عباس: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي،  
وَيَمُوتَ مَمَاتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّاتِ عَدْنٍ غَرَسَهَا رَبِّي،  
فَلْيَتَوَلَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي، وَلْيُوَالِيَ وَلِيِّهِ، وَلْيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ  
مِنْ بَعْدِي، فَإِنَّهُمْ عَتَمَتِي، وَخَلَقُوا مِنْ طِينَتِي، وَوَرِثُوا  
فَهْمًا وَعِلْمًا مِنِّي» (٤٩).

وروي: إن ضرار بن سمرة الكندي، دخل على معاوية،  
وهو خليفة أمير المؤمنين، فقال له: صِفْ لَنَا عَلِيًّا كَمَا  
يَعْلَمُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَقَالَ: أَوْ تَعْفَنِي؟

قال: لا، والله لا أعفيك حتى تصفه، فقال له: أما إذ  
لا بد من وصفه، فقال: كان والله يعيد المدى، شديد  
القوى؛ يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه  
وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها،  
ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزيرَ الدمعة، طويلَ الفكرة، يقلب كفه،  
ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما ستر، ومن الطعام  
ما خشن.

وكان والله كأحدنا يليننا إذا أتيناه ويجينا إذا سألناه،  
وكان مع تقربه إلينا وقربنا منه لا نكلمه؛ لهيبته ولا

(٤٨).

(٤٩)

نبتديه؛ لعظمته.

فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظوم يضم أهل الدين، ويجب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه، وقد أرضي الليل سدله، وغابت نجومه واقفا في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تملل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنني أسمعه الآن وهو يقول: «ياربنا... ياربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: هيهات... هيهات غر غيري فقد بتك ثلاثاً لا رجعة فيها» (٥٠).

وفي رواية: «قد طلقك ثلاثاً لا رجعة لي إليك أبداً؛ فيعمرُك قصيرٌ، ومجلسُك حقيرٌ، وخطرُك كثيرٌ، آه... من قلة الزاد، وضعف العتاد، وبعد الشقة، وخوف المشقة، ووحشة الطريق، وقلة الرفيق» (٥١).

قال: فوكفت دموع معاويةؓ، وعلا نحيبه، وقد اختنق القوم بالبكاء.

ثم قال: هكذا كان أبو الحسنؓ، ثم قال: كيف وجدك عليه يا ضرار؟ فقال: وجدى عليه وجد من ذبح ولدها في حجرها؛ فهي لا ترقى دمعها ولا تسكن حرقتها، ثم قام عنهم فخرج.

وكان ؓ من أجلاء علماء الصحابةؓ وعظمائهم، وقد بعثه رسول الله ﷺ مرة إلى اليمن فقال: «يا رسول الله! أتبعثني وأنا شاب لا عليم لي بالقضاء؟ قال له: انطلق، فإن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك» (٥٢).

قال علي: فوالله ما تعايت في شيء بعد.  
وروي أنه قال ؓ: «اللهم اهد قلبه» (٥٣).

(٥٠)

(٥١)

(٥٢)

(٥٣)

قال: فما شككت في قضاء بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا.

وتقدم في ترجمة أبي الفضل الجوهري: إنه أسلم على يديه سبعون صنفا من الجن في قصة أبي بكر القاريء الذي استنقص أبي الفضل.

وفتاويه في العضلات مع وجود فحول الصحابة شهيرة. وروي أنس قال: جمع عمر أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال: «قل: يا علي، فإنك أعلمهم وأفضلهم»، قال سعيد بن المسيب: كان عمر يستعيد بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن» (٥٤).

وقال ابن مسعود: «أن علياً أفضل أهل المدينة بالفرائض» (٥٥).

وقالت عائشة رضي الله عنها مرة: «من أفتاكم بصوم عاشوراء؟ قالوا: علي بن أبي طالب، فقالت: إنه أعلم الناس» (٥٦).

وقال مسروق بن الأجرع: انتهى العلم إلى ثلاثة:

عالم بالمدينة، وعالم بالعراق، وعالم بالشام.

فعالم المدينة: علي بن أبي طالب ؓ، وعالم العراق: عبد الله بن مسعود، وعالم الشام: أبو الدرداء فإذا التقوا سألوا علي بن أبي طالب ولم يسألهما رضي الله عنهم ورضي عنا بهم.

ومات ؓ عام أربعين في رمضان، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: ابن ثلاث وستون سنة.

وأما أنس بن مالك بن النضر الأنصاري النجاري خادم رسول الله ﷺ: يُكنى أبا حمزة، سُمي باسم عمه أنس بن النضر، أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية.

قال أنس: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة.

وروي: إنه شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، حتى بدر على خلافٍ في غزوة بدر.

وروي: «إنه لما قدم النبي ﷺ المدينة فكل واحد من النساء والرجال أتخف رسول الله ﷺ بما استطاع، فأتت به أمه وقالت: يا رسول الله إن أهل المدينة كلهم أتخفوك بما استطاعوا غير أني لم أجِد شيئاً أخفك به سوى ابني أنس تقبله مني يكون خادماً لك، قال لها: قبلته علي أن يكتم سري، قالت له: يفعل يا رسول الله، قال أنس: فخدمت رسول الله ﷺ عشرة سنين، فما قال (شيء) ففعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لما لم تفعله» (٥٧).

توفي ٦٠ عام إحدى وتسعين، وعُمره مائة سنةٍ إلا سنة. قال أبو عمر بن عبد البر: يقال: هو آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: «ولا أعلم أحد مات بعده ممن رأى رسول الله ﷺ إلا أبا الطفيل» (٥٨).

ويقال: «إن أنس بن مالك دعا له رسول الله ﷺ بالمال والأولاد، فكان أكثر الأنصار مالا وأولاداً» (٥٩).

وبلغ نسله في حياته أولاده وأولاد أولاده المائة بين الأحياء والأموات والسقوط والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

\* \* \*

(٥٧)

(٥٨).

(٥٩)

### الباب الثالث

فيما له ٧ الكرامات وما رُوي عنه من خوارق العادات

#### في الحياة وبعد الممات

قد روى أبو العباس زروق ٧: إن أبو يعزى كراماته بعد مماته كمثله حياته.

وقال أبو العباس بن عاشر ٧: الكرامات لا تنقطع بموت الولي، وهذا أبو العباس السبتي كراماته بعد موته أشهر من حياته.

قال أبو العباس زروق: لما تكلم عن الزيارة، لاسيما من ظهرت كراماته بعد مماته أكثر من حياته؛ كالشيخ أبي العباس السبتي (٦٠).

ومن ظهرت كراماته في حياته ومماته سواء؛ كالشيخ أبي يعزى.

واعلم أن هذا الإمام ممن بلغت كراماته حد التواتر.

قال الشيخ أبو العباس العزفي: في تعريفه بهذا الإمام ٧: سمعت الفقيه الفاضل أستاذ الأستاذين، وآخر المتكلمين: أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفندلاوي عُرِفَ بابن الكتّاني يقول: وقد جرى ذكر سيدي أبي يعزى، وذكر ولايته، وانتشار كراماته. قال: وما نعلم ولياً من أولياء الله تعالى ثبتت كراماته بالتواتر إلا هذا الشيخ المبارك: سيدي أبي يعزى. قلت: وسيدي: عبد القادر الجيلاني، كما نبه عليه الإمام ابن حجر، وابن عبد السلام عز الدين المصري، وسيدي: أبي العباس السبتي، كما نبه عليه سيدي: أبي العباس زروق، وكما نبه عليه سيدي محمد بن يوسف السنوسي في موضع آخر غير هذا.

قال أبو علي الصواف: سمعت أبا مدين يقول: رأيت أخبار الصالحين من أويس القرني إلى زماننا هذا، فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى.

وقال: نظرت في كتب التصوف، فما رأيت مثل الإحياء للغزالي، قال: وسمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول: سمعت أبا عبد الله الكتاني يقول: نقلت كرامات أبي يعزى نقل التواتر، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري، قال: رأيت الشيخ، أو قال: لقيت الشيخ الزاهد الرفيع آية وقته أبا يعزى آل النور؛ وكان أعجوبة الزمان، وعدة للأمان.

بلغ من مقامات اليقين مبلغاً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين، وهذا اللفظ قدّمناه في الباب الأول من التعريف باسمه ومجاهدته، ثم قال: واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان، وشهر شهرتها، ولولا مخافة إنكار البطالين المنكرين من المريدين؛ لأوردنا بعض ما شهدنا من الكرامات ما يعرفه المحققون ويرتاح بسماعه المتقون.

قال أبو يعقوب بن الزيات: سمعت أبا العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي يقول: سمعت أبا الصبر أيوب بن عبد الله يقول: سمعت أبا يعزى يقول: ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الأولياء! والله لو كنت قريباً من البحر؛ لأريتهم المشي على الماء عياناً.

واعلم أعزك الله أن هذا الإمام ممن اتفقت العلماء على كراماته وولايته، وقد شهدنا له من ذلك كثيراً T.

فمن بعض ذلك: أني كنت قبل الوباء الذي كان عام أربع وستين هـ، وكنت أعلم الصبيان، وأقريء جماعة من الطلبة ما يقرب في جملتهم من الثمانين إلى المائة بين الصبيان، والطلبة الغرباء الواردين، وأهل المنزل، قالت نفسي: إن الوصول إلى مقامات الصديقين والعارفين؛ إنما هو بالخروج من هذا الأمر، وإنك تنزل إلى السواحل، فعزمت على أني أخرج وأجد، وعزمت على طلاق



الزوجة، فبعثت إليها مع عدلين صديقين كانا على محبتي ومودتي.

فقلت لهما: وما ذنبي حتى يطلقني؟، فقال لها: إنما أراد أن يذهب؛ لينقطع لطاعة ربه ولعبادته.

فقلت لهما: إن كان هذا قصده فأنا طلقته لوجه الله، وصبرت عليه يعمل بنفسه ما شاء، وأنا أجلس أشتغل لما يعينني، حتى يقضي الله في أمري وأمره ما شاء، فلما كان اليوم الذي عزمتم على الخروج؛ أصابني كسل في بدني، وأخذني نوم، فطرحت نفسي، فلما جاز علي بعض النوم ولم أستغرق، وإذا بأسودين أعظم ما يكون، وأنا كاني في موضع مرتفع؛ كأنه منار وأنا في وسطه مع رجلين، وإذا بهما؛ أعني: الأسودين رفعا أحد الرجلين أحدهما من عند رأسه، والآخر من عند رجله، فرموا به من تلك الكوة التي كنا نحن عندها؛ وهى كالباب، وأخذنا أيضاً الآخر ففعلا به مثل الأول.

ثم إنه قال أحدهما للآخر: هذا الذى لم يهدر زوجه في هذا الموضع الذى أقيم فيه، تعالوا حتى ترموه، فأخذ أحدهما من عند رأسي، والآخر من عند رجلي، وأنا بينهما كالجنزة المطروحة لا أستطيع دفعهما وأنا ساكت.

وإذا برجل ضخيم، كبير الكرش، كث اللحية، كامل القد على قدرهم في القامة، وقف وجعلني بين رجله، وقال لهما: (اهدءوا.. اهدءوا)، هذا نحن جعلناه هنا، أو قال: نحن أقمناه، فسكتا عنه، وانصرف عني وتركاني في موضعي، فتكلم الذي أنقذني منهما، قال لي: أتدري من هذين؟ قلت: لا، قال لي: ذلك الشيخ أبو يعزى الإيلاني، والآخر الشيخ عبد الله بن مسعود الكوثري، ثم قال لي: وأنا عرفتني؟ قلت: لا، قال: أنا عبد الله الغزواني، ثم قال لي: وهذا الموضع الذى أرادوا أن يرموك منه تدريه؟ قلت: لا، قال لي: هذا التعليم للطلبة، وتأديب الصبيان، أي شيء أعجلك للخروج! أجلس في مكانك

حتى يكون خروجك بالإذن من الله تعالى، وذلك إذا أتى وقتك، فقمتم وقد غسل الله ذلك السفر، وذهبت تلك الخواطر، فعلمت حينئذ أن الشيخ أبا يعزى من أهل التصريف، وأن مادته بعد مماته كحياته، فكنت أزوره في ذلك الزمان كل سنة، فوجدت له بركة.

ومما شُهِد من كراماته في زمانه: المكاشفة، ويحكى عنه أنه ما آتاه أحدٌ إلا قال له: أنت كذا، وقصدك كذا، وجئت لكذا.

قال أبو الصبر أيوب الفهري؛ وكان من الأئمة الثقات، أو يقال: حضرت عنده إلى أن آتاه، أو قال: جاءه رجل فسلم عليه، فقال له الشيخ أبو يعزى: لم تَخُنْ أخاك وتأتي زوجته وهو غائب؟ فقال له الرجل: أتوب إلى الله Y من ذلك.

قال أبو العباس العزفي؛ على ما حكى أبو الصبر: وما زال أبو يعزى يكشف الواردين ويقول: سرقت كذا يا هذا، وعصيت يا هذا بكذا، وإذا بكتاب الشيخ أبي شعيب، ورد عليه من أزمور يقول له: استر عباد الله ولا تفضحهم، فقال: والله لولا أنني مأمورٌ بهذا ما فضحت أحداً، ولسترهم وإنما قيل لي: قل فقلت.

ومما شُهِد من مكاشفاته وكراماته: ما ذكره الوريدي في شرحه علي النفحات القدسية، وصاحب النجم الثاقب، والعزفي: إن السلطان عبد المؤمن بن علي بعد أن صرفه عام أحد وأربعين، تواترت إليه كثرة الجموع، وقيل له: هذه الجموع يخشى على الدولة منها.

فيحكى عنه: إنه خرج بمحلته يرتحل وينزل حتى عمل بينه وبينه نصف مرحلة، فبعث إليه لياثيه، فأتاه راكباً علي حمار، فلما لحقه كلمه بأشياء تعجب منها، ثم قال للترجمان: نريد من المكاشفة ما يكون حاضراً حتى يشاهده بالعيان، قال: إن حماره يأكله الأسد الليلة، فقال عبد المؤمن: اتتوا له بحماره، اجعلوه في مرتبط خيلنا،

وباتوا الحرس يحرسون إلى أن طلع الفجر، فتفرقوا، وإذا بالأسد قد افترس الحمار، وبقي هناك رايضاً، فلما طلع النهار؛ عرف بذلك الخليفة، فأمر أن يعرف الشيخ به، فعرف فقال: أريد أن أقف عليه، فسار حتى وقف عليه والسبع رايض، فتقدم إليه، فضربه بعصاه ضربة فخر ميتاً، فنقل ذلك للخليفة فقال لجلسائه: اعتبروا بهذه القصة، وإن كانت عجباً، فإنه ما ضربها لكم إلا مثلاً، وجعلها لكم تأديباً؛ كأنه يقول لكم: أنا رب الدابة، فقتلها الأسد فسلط عليه فقتلته، وأنا عبد ربي إليه، فإن قتلتموني غضب لي سيدي، فيفعل ذلك بكم أو أشد منه لمن قتلني. قال أبو العباس العزفي: هذا منه اعتبار عجب، وخاطر من الفراسة مصيب.

قال الإمام الغبريني في عنوان الدراية: قال الشيخ أبو مدين: ما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى! وينبغي أن تكتب بالذهب.

قال أبو العباس العزفي: قال أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي: إذ كان من تلامذته كنت أصلي بأبي يعزى التراويح في رمضان، فإذا كان آخر الليل خرج أصحابنا ينظرون الفجر المرة بعد المرة، والشيخ جالس في ركن المسجد واضع رأسه في طوقه وهو يقول باللسان الزناتي: (وإن يفوا.. وإن يفوا)، فإذا طلع الفجر رفع رأسه من طوقه ويقول: (يفوا بعد الحال)؛ ومعناه بالعربية: مازال ما أصبح الصبح فإذا طلع الفجر يقول: صبح الصبح، قال: فيخرج أصحابنا، فيجدون الفجر لاشك فيه ولا ريب.

ويحكى عن بعضهم: إنه ظن أن هناك شق أو كوة ينظر منها، فنظروا فلم يجدوا هناك شيئاً، فسئل عن ذلك؟ فقال لهم: إن مولاي عادي معي يعلمني بالفجر إذا طلع منذ زمان أو كلاماً هذا معناه.

قال أبو العباس العزفي: وشهد هذا منه بعض الفضلاء، فقال: إن سيدي أبي يعزى صديق ولا ينكر هذا من الصديقين، ألم تسمعوا إلى قول النبي ﷺ:

«إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ» (٦١).  
أَوْ قَالَ: «مَنْ سَاقَ الْعَرْشَ أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، فَلَا يَجِدُ رِيحَهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ» (٦٢).  
قلت: والشيء بالشيء يُذكر.

حدثني ثقة من أصحاب سيدي أبي عثمان رحمه الله تعالى قال: غاب مؤذن مسجد، فجعلني مؤذناً فكنت أؤذن وأدخل المسجد واشتغل بقراءتي، فإذا طلع الفجر أشم رائحة عجيبة لا توجد، فأسمع هاتف الفجر طلع، فأخرج في الحين فأجد الفجر قد طلع ومازلت على ذلك حتى جاء المؤذن وما ذلك على الله بعزیز.

وحكى العزفي وصاحب النجم وابن الزيات: إن أبا الحسن بن الصايغ قال: خرجنا لزيارة الشيخ أبي يعزى، فلما كان الغروب خرجنا للتوضأ، وبعدنا عن القرية، وإذا بالأسد حال بيننا وبين القرية، فقبل ذلك لأبي يعزى، فخرج بعصاه واشتغل يضرب في الأسد حتى أبعدته، فلما لحقناه اشتغل يأكل عيون الدفلا، فقال للترجمان: إذا كان لا يحسن العربية إلا القليل منها ما تقول؛ أنتم معشر الفقهاء فيمن يأكل عيون الدفلا، قلت له: قل له الذي يأكل الدفلا يطرد الأسد عن أصحابه، فقالها له، فرأيت أنه يتسم.

وقال أبو العباس العزفي: أما أكل الشيخ أبي يعزى لعيون الدفلا؛ فهو مما شاهده اللحم الغفير منه، والعدد الكثير.

قال أبو الحسن بن الصايغ: وقد ناولني عيون الدفلا،

قال لي: كُلُّها فأكلتها فوجدتها في غاية ما يكون من الحلاوة؛ فهي من أكبر كرامات الشيخ ؒ في خرق العوائد، وانقلاب الأعيان الشاهدة بعظيم بالبرهان على ولاية هذا الإمام ؒ.

ومن جملة مكاشفاته ؒ: إنكاره على المصلين بغير وضوء، ويحكى عنه أنه قيل له: بماذا تعرف هؤلاء المصلين بغير وضوء؟ فقال: أشم منهم رائحة كرائحة الكلاب، ورأيت من ينظر تارك الصلاة فيرى على وجهه دخان ودكنة، فيعلم أنه غير مصلي، وإن كان أبيضاً، ويرى المصلي عليه إشراق ونور، وإن كان أسود، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي كتاب التعريف فيما نقله صاحب النجم وغيره: إن الشيخ أبا يعزى لما استقر بزاويته، وقصده الناس بالزيارة من الآفاق، كان يطعمهم أطيب الطعام والعسل، ولحوم الضأن، والدجاج، والفواكه الطيبة، ولا يأكل هو شيئاً من ذلك؛ لأنه كان لا يشارك الناس في معاشهم كما قدمنا في باب مجاهدته.

قال صاحب التشوف: حدثني أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، سمعت أبا محمد عبد الله بن عثمان يقول: ذهبت إلى زيارة الشيخ أبي يعزى مع صاحب لي من أهل فاس، فدخلنا في بيت اجتمع فيه الواصلون إليه، والوفود الذين وردوا عليه إلى أن جاءنا الشيخ أبو يعزى، فرأينا رجلاً أسوداً طويلاً، فأنكب على رؤوس زائريه يقبلها واحد بعد واحد، فقال لي صاحبي: هذا أسود حاذق، فقلت له: تحفظ ولا تتكلم في ولي من الأولياء، ولم يسمع أحد هذا الكلام غيري.

ولما انتهى أبو يعزى إلينا قبل رأسي، ولم يقبل رأس صاحبي؛ بل مسح بيده على صدره، ثم قال: أما هذا فلن أقبل رأسه، حتى يذهب من قلبه الذي فيه، أو قال: ما فيه، فتعجب صاحبي من ذلك، وقال لي: ثبت إلى الله

تعالى مما كتمت في ضميري ولا أعود، فأمر لنا الشيخ أن نكون في بيت ننفرد فيه عن الناس، وقال لنا: أنتم لا تحملون أن تكونوا مع الجموع، فحملنا إلى بيت نظيف خال، فانفردنا فيه، فأتي بعض خدمته بطعام الشعير وعليه الخبيرة في صحفة، فقال لي صاحبي: ما سقنا إلا لناكل من يقول الأرض والبراري، فقلت له: ألم تتب إلى الله من أمثال هذا؟! وإذا نحن بالشيخ أبي يعزى قد أقبل إلينا بطبق فيه رغيفان من البر، أو قال: رغائف البر وصحفة فيها لحم مشوي من لحوم الضأن، فقال لي: قل لصاحبك هذا لو أقام عندي شهراً ما أطعمه إلا هذا الطعام، فعلى ما يلومك، وإنما خلط الخديم بذلك الطعام قبل أن أمره بما يأتيكم به من الطعام.

فاشدد عجب صاحبي من ذلك فقال لي: والله لا عدت إلى مثل ذلك أبداً.

وحكى الشيخ أبو العباس زروق ٢ عن الشيخ أبي عبد الله العطار المعروف بالقصار قال: كان زوج خالتي من أصحابه، وكانت له مكاشفات، والإخبار بالوقائع كثيرة. حدثني شيخنا أبو عبد الله بن زمام عنه، وكان صاحبه قال له: كنت عافياً عفيفاً، صاحب همة وعزيمة، ما سبقني أحد للضيوف بالمسجد، وكنت لما جاءني ضيف آخذ من ثوبه خيطاً فجعلته في كفة كانت عندي من ذلك، وقد جعلتها في ذراعي مع حروزي، فلما كان ذات ليلة قلت: انظر! ما هذا الذي حملت؟ فألقيتها في النار، فاحترق نصفها وبقي النصف تلعب عليه النار ولا تحرقه، فاضطربني ذلك إلى التوبة، فثبت وقلت في نفسي، لم يبق اليوم أو ليس يرى ثمة اليوم شيخ ظاهر من الأحياء؟ فإني أخذ الشيخ سيدي عبد القادر، وسيدي أبي يعزى وسيلة إلى الله Y، ثم نظرت، فإذا الشيخ سيدي عبد القادر زيارته غير ممكنة؛ لبعد المسافة والطريق غير سهلة، فعزمت على زيارة الشيخ أبي يعزى، وعقدت مع الله تعالى أن كل نافلة أعملها فتواها لهما، ثم رحلت إليه

فأقمت على قبر الشيخ أبي يعزى احدى وعشرين يوماً؛ أقوم الليل، وأصوم النهار، ولا أفتر من الذكر، فنمت في آخرها في القائلة، وإذاً بالقبر قد انفتح وخرج منه رجل، وأتى رجل عليه عمامة كبيرة، فوقف عليه؛ أعني: على صاحب القبر، فقال له: اعطه حاجته، فقال له: ما هي لي وحدي؟ فقال له: اعطه، قال: فرأيتك أعطاني علماً، فاستيقظت مسروراً بما رأيت في تلك الرؤيا، وعلمت أني أدركت بركة الشيخين، وإذا أنا برجل مصمودي واقف على باب المسجد يقول لي باللسان الزناتي: هنيئاً لك بقضاء حاجتك، فقممت في قلبه فلم أجد أحداً.

قال أبو العباس زروق: ثم جرى حاله بعد ذلك، وعانيت من أمره أن زوج خالتي شكى إليه برجل جار عليه في حائط ادعى سقوطه، وأخذ له بسبب ذلك شبراً من داره، ثم عاود للحق ذلك في موضع آخر، فقال له الشيخ العطار: إذا جاء للهدم فوجه وجهك لناحية الموضع الذي أنا فيه، وبينهما مسيرة يوم طويل، وناد: يا سيدي فلان! فلما أخذوا في الهدم جعل الرجل ما أوصاه الشيخ.

قال أبو العباس: وأنا أنظره شرعوا في الهدم، وذهبت أنا للمكتب للقراءة فما أتيت من المكتب حتى وجدت دار ذلك الرجل الذي أراد أن يغضبه في ذلك الشبر كلها في الأرض؛ كأنها كدية من تراب على كل مل فيها، فسألت عن ذلك، فقالوا: كانت في الحائط خشبة مشتركة؛ لما أرادوا زوالها فهدمت الدار.

فلما جاء الشيخ وأعلمه بما وقع، فقال له: تعبنا والله؛ يعني: هم أهل لكل ما فعل بهم؛ لتعديهم وجرمهم وجرأتهم، قلت: وهذا أقوى دليل على أن كرائم هذا الشيخ بعد مماته كحياته، وكذا سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما.

قال أبو العباس زروق: وبقت تلك الدار خربة، وهي في أعز الأماكن للأزبال والأبوال وغيرها من سنة ثلاث



وخمسين هـ ونحوها إلى سنة ثلاث وسبعين هـ، وما قدر صاحبها المشاحن على بنائها، فمهما أراد أن يبينها أصيبت ببلية، ونزلت به نكبة تصرفه عن بنائها، حتى مات واشتراها بعده خديم له فبناها.

قال أبو العباس زروق: ولقد لقيني يوماً، وقال لي: ما معناه: الأولياء يظلمون الناس في أموالهم هكذا، فقلت له: ما مقتضاه؛ إنما هي مجازات، وعقوبة من الله يشير إلى أن ما أصابه من دعوة العطار حين استغاث به زوج خالته.

وسنأتي بحقائق هذا المعنى في الباب الرابع في: (الذين أخذوا عنه في حياته)؛ وإنما أتينا بهذه هنا لما كانت مادة هذا الشيخ بعد ممات الشيخ أبي يعزى، فكان إثباتها في باب كرائمه أولى وأحسن، والله أعلم.

قال أبو يعقوب يوسف بن يحيى: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الخالق عن خديم الشيخ أبي يعزى: إنه راه يوماً، وقد أتت إليه صبية بها علة في جسدها، فأدخل يده إلى جسدها ليمسح عليها، فوجدت من ذلك في نفسي شيئاً كثيراً فكرهت المقام معه.

قلت: هذا لا يجوز بالإجماع فاستأذنته في الإنصراف، قال لي: لا تنصرف حتى أمرك، فأنصرفت من غير إذن، فضلت الطريق، وكنت بها عارفاً، وأخذت في طريق متعبة خرجت منها إلى مكناسة الزيتون، وقد أجهدني التعب والجوع، وكان الناس حينئذ يقتلون على ترك الصلاة في وقتها، فقبض على جماعة كنت فيهم، فحملنا للقتل، فلما كان في تلك الساعة، قال الشيخ أبو يعزى: ارفعوا أيديكم إلى الله تعالى، وادعوا عسى أن يخلص صاحبكم من المحنة التي أصابته، فلما أرادوا قتلي رأني بعض من كان يعرفني.

فقال للوالي: ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو تركوا الناس كلهم الصلاة لصلى هذا وحده، ومن شأنه كذا، ومن وصفه كذا.



فأمر الوالي بإطلاقي، فانطلقت وأتي القتل على الجماعة التي قبضت معي، فلما سرحت علمت أن ما نكبت إلا من اعتراض علي الشيخ، فرجعت على الفور إلى الشيخ أبي يعزى لأستغفر منه، وأتوب من سوء ظني، فلما أبصرني قال لي: بديهة أبيت ألا يزول ما في قلبك إلا بعد المحنة، فقلت له: ثبت إلى الله تعالى.

قال أبو يعقوب بن الزيات: قيل للشيخ أبي يعزى إن فقهاء فاس أنكروا عليك لمس صدور النساء والنظر إليهن، فقال: أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراهما للضرورة؟ فهلا عدوني واحداً من أطبائهم، وإما لمس ذوات العاهات للتداوي بذلك.

وروى صاحب النجم: عن التبادلي والعزفي عن الشيخ أبي مدين قال: قالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لسيدي أبي يعزى: أما ولاية سيدي أبي يعزى فهي عندنا صحيحة، ولكن رأينا يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن، وهذا عندنا حرام؛ يعني: بالشرعية، وإن كن يتفعلن بذلك وتحيرنا في مثل هذا منه، وإن أنكروا عليه هلكننا، وإن سكتنا بقي ذلك في قلوبنا، فقلت لهم: رأيتم لو أن ابنة أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج، ولم يوجد من يعالجه إلا يهودي أو نصراني؟ أكنتم تسمعون له بأن يعالجها، ويشاهد مواضع الداء منها ويمسه بيده؟ قالوا: نعم نسمح بذلك، قال فقلت لهم: ولكم مع ذلك شك في البرء والشفاء في ذلك التداوي أم على يقين، قالوا: على شك، قال: ومعالجة أبي يعزى لنسائكم ومعايته لهن مجرب في برءهن وعافيتهن، قالوا: نعم ونحن على يقين من ذلك، قال: فحسبكم إذا، فبلغ هذا الكلام الشيخ أبي يعزى فاستحسنه، وقال لهم: قولوا لشعب عسى أن يعتقني، قلت: والشيء بالشيء يذكر.

حدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني العبادي عام ست وستين بمدينة فاس، وأنا أقرأ عليه

الكبرى لأبي عبد الله السنوسي: فجرى في مجلسنا ذكر هذه الحكاية، قال لنا: كان أبو عثمان سيدي سعيد البجياوي بعمل تلمسان في القرن الثامن في أيام الإمام خطيب الخطباء بن مرزوق.

فكان هذا السيد كل من به عاهة من الرجال والنساء يجعل يده على تلك العلة، فترجع في الحين شبه الكية، فتبرأ العلة بقدره الله تعالى.

واشتهر من أمره ذلك حتى كانت الناس ترد عليه من الأقطار فكل من لمسه تؤثر كية وتبرأ براء الكية، فقام الإمام بن مرزوق فسجنه شهراً، فابتلي الإمام بن مرزوق بالفالج، ف قيل له: ما أصابك هذا إلا من سجنك للشيخ سيدي سعيد البجياوي، قال لهم: والله لا خرج من السجن، ولو مات النصف الآخر إلا أن يتوب، فذهبوا إلى الشيخ البجياوي فأخبروه بما قال بن مرزوق، فقال: أنا تائب لله، فسجلوا عليه بذلك وأخرجوه، فلما خرج أبو عثمان البجياوي برئ ابن مرزوق في الحين، ثم أصابت ابنته اللقوة، فعولجت فلم تبرأ، ف قيل له: لو أمرت بها للشيخ البجياوي رجونا الشفاء، فذهبوا بها إليه، فلما وصلته قال: ألم تسجلوا علي أني لا أمس امرأة؟ قالوا: بلى، قال: وما الذي تريدون؟ قالوا: انظر ما ظهر لك، قال لهم: اعلموا أني لما هتيموني بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فامتثلنا، فأكرمني الله أن من كانت به عاهة يجعل يد نفسه على علة بين يدي والحجاب بيني وبينه إن كان من النساء فترجع كية في الحين، فتبرأ العلة ببرء تلك الكية بفضل الله، ثم قال: قولوا لابنة الشيخ تجعل يدها على علتها، ففعلت، ثم اعلموا الشيخ بن مرزوق بما كان، فلما برئت البنت قال الإمام بن مرزوق: من ظهرت كرامته وجب تعظيمه وزيارته، وأظن أني رأيت هذه الحكاية في كرائم هذا الشيخ.

قال لنا أبو العباس العبادي: ثم إن الشيخ ابن مرزوق أفتى بعد وفاة الشيخ البجياوي، فسلط الله عليه السلطان

أبو سالم المريني، فسجنه سنة كاملة حتى لم يبق من له  
وجاهة في المغرب وعدوة الأندلس إلا وتشفع فيه، فلم  
يقبل أبو سالم شفاعته، فلما كملت السنة، والسلطان  
متمادي على أبايته، سلط الله عليه من أقام عليه فسلبه من  
الملك وقتله وخرج ابن مرزوق سالماً.

وفي هذه الحكاية عبرة، وإنه مما ينبغي التسليم  
للصديقين، كذا قاله أبو حفص الرجراجي الفاسي، وكذا  
قاله أبو العباس زروق كما نوضح ذلك في الخاتمة إن شاء  
الله تعالى.

وذكر أبو العباس أحمد العزفي وصاحب النجم والتادلي  
وغيرهم:

عن الشيخ الإمام أبي إصبر أيوب بن عبد الله الفهري  
السبتي الدار، وكلهم ناقل عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم  
الأزدي إلا صاحب النجم، فإنه ناقل عنهما، قال: سمعت  
أبا الصبر أيوب يقول: زرت أبا يعزى على حمار لي،  
فنزلت عنه، فقل لي: إن حماري أكل من شعير أبي  
يعزى، فأشرف على الموت، فقلت للشيخ: إن حماري  
أكل من شعيرك فهو على الموت، فقال لي: أنا وشعيري  
متاعك، ولن يموت حمارك فجاءني الخبر أيضاً، وتوالى  
وتواتر أن الحمار أشرف على الموت فأعلمته أيضاً، فقال  
لي: لن يموت فقلت له يموت حماري، وأنت تقول لن  
يموت، فقام إلى الحمار فوجدناه لاصقاً بالأرض، فأخذ  
بشفتيه، وبصق في فيه بعد ما فتحه، قام الحمار من ساعته  
كأنما نشط من عقال، فركبت عليه، وهذا في باب  
الكرامات أتم إذ صار ريقه رقية لكل شيء، وهكذا تواتر  
عنه: إن كل من كانت به عاهة أو علة، ولمس عليها أو  
تفل عليها، وهو يلمسها ويدلكها بيده تبرأ في الحين، فهو  
مما تواتر عنه وشاهده الجسم الغفير، وتواتر في كراماته وما  
ذلك على الله بعزیز.

ومن غر مناقبه في هذا المعنى: ما نقل عن الإمام الأوحـد

أبي عبد الله محمد بن أبي يعلي التاودي المعروف: بالمعلم الحياط، وكان من الأئمة الثقات إذا كان قرأ على أبي الحسن بن حرازم، وكان من أصحاب الشيخ كما نذكر ذلك في الباب الرابع إن شاء الله ممن صحب الشيخ، قال: كنت عند الشيخ أبي يعزى وهو مريض، وأنا كنت قدِمْتُ عليه بنية الزيارة، فقلت له: أأزملك، فقال لي الترجمان عنه إذ كان لا يحسن اللسان العربي: اذهب إلى أهلك، فإذا رأيتهم ارجع إلي، فلما وصلت إلى فاس أتاني رسوله يستدعيني، فاتيت، فوجدته قد فاق من مرضه، فأقمت عنده أياماً، فمرض وكان ابنه أبو علي يعزى غائباً في مكناسة، ثم وصل فكان أبو يعزى يقول: نادوا لي يعزى، ادعوا لي يعزى، واشتد حرصه علي رؤيته، والناس يختلفون إلى أعز، ويأبى من الوصول إليه، فقميت إليه فقلت له: يا بني إن الشيخ يتشوق إلى رؤيتك فودعه قبل الموت، فقال لي: إني أخاف منه، فلم أزل به إلى أن تجرد من أثوابه السنينة التي كانت عليه، ولبس دونهما من الثياب، فجاء إليه وهو يبكي، فقبل رأس أبيه، فنظر إليه وقال: تَبُّ إلى الله يا يعزى، فقال له: تبت إلى الله يا أيت، فقال له: افتح فاك ففتحه، فبصق فيه أبو يعزى بصقة، ثم مات الشيخ في الحين، فظهرت عليه آثار الولاية في الحين والساعة كما نذكره إن شاء الله في الباب الرابع في الذين أخذوا عنه وظهرت عليهم بركاته.

وذكر أبو يعقوب بن الزيات: عن أبي زكريا يحيى بن محمد الزناتي صاحب «نظير بتادلة» قال: قال سمعت أبا جعفر محمد بن يوسف الصنهاجي دفين تاغزوت من بلاد تادلا يقول: قلت يوماً في نفسي: ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى؟ والله لأفعلن فعلاً لا يطلع عليه إلا الله Y حتى أنظر، أو قال: حتى أعلم حقيقة ذلك وكنت أشاركه في كل ما استعيره، فجمعت دراهم وقسمتها وأنا في البستان وحدي، ثم نظرت إلى عنقود عنب فوق شجرة مرتفعة، فقلت: وددت أنه أكله الشيخ أبو يعزى ثم مر بي حنش،

فقلت له: والله إن عدت لأقتلنك فخرجت، فجاءتني امرأة فدفعت إلي خمسة دراهم، فقالت لي: اعطها من يأتيك من المريدين فأخذت من دراهم أبي يعزى خمسة دراهم، وجعلت الدراهم التي أعطتني تلك المرأة فيها عوضاً عما أخرجته منها، فتوجهت من تاغزوت إلى أيركان، فدخلت دار أبي يعزى فوجدته يصلي في بيتها، فلما سلم قال لي: يا محمود دبر ورقاً أستهزأ به، فقلت له: ما ذلك؟ قال لي: ألم تقل في نفسك ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى؟ ثم نظرت إلى عنقود عنب، فقلت: وددت أنه لو أكله أبو يعزى، ثم مر بك حنش فتواعدته بالقتل وظننته حنشاً، وإنما هو من مؤمن الجن، فناولته الدراهم، فأخرج منها خمسة دراهم، فقال: ما هذه دراهمي هذه دراهم فلانة، وكنت عوجت أطرفها بأسناني، فإذا هي بأعيانها فرماها مني الدراهم التي أتيتها بها وشارطته فيها، فعلمت حينئذ أن الذي يصدر منه إنما هو عن فراصة صادقة، وثبت إلى الله تعالى من سوء الظن به، قلت: أما أبو جعفر محمود بن يوسف، فهو من أصحابه سنعرف به ممن أخذ عنه.

وأما أبو زكريا فهو حفيد الإمام الشهير أبو محمد مع الله الزناتي، وكان عالماً عاملاً صاحب كرامة، وإجابة الدعاء من أكابر الصديقين، وكان أبو زكريا هذا يسكن بمراكش من أكابر الصديقين.

قصد أبو محمد صالح زائراً له في رباط آسف، فلما قرب من موضعه، تلقته تلامذته عليهم المرقعات، وهم في وردهم من الذكر، فاعتنقوه بكون، وهو يبكي معهم، فقال لهم: لما سكتوا من البكاء: أين الشيخ أبو محمد صالح؟ قالوا: تركناه في المنزل، أو قال: في منزله، فسألهم عن سبب خروجهم إليه، قالوا له: كنا معه جلوساً إلى أن أطرق برأسه، ثم رفعه، فقال لنا: جاءكم رجل صالح، فاخرجوا إلى لقائه فخرجنا إليك، فاجتمع بأبي محمد صالح، وخلّا به مع شدة انقباضه عن الناس فلما

انصرف، قال لأصحابه:

ما ظننت أن بمراكش مثل هذا الرجل، وكان هذا الإمام شهير بالكرامات.

وأما أبوه المدفون بنظير، فهو أوضح من نار على علم، وذكر التادلي أنه قال: كان عبداً صالحاً لا يعرف شيئاً مما الناس فيه، وهو أولي من قرأت عليه كتاب الله تعالى، وكان من أهل التهجد بالقرآن، سريع الدمعة على سنن أهل الدين والفضل، ورأيت بعد موته، فسألته عن حاله فذكر خيراً.

وقال: حدثني ابنه أبو علي رحمه الله تعالى قال: لما حضرت أبي الوفاة رحمه الله تعالى، مد يديه ورجليه.

وقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] ثم تبسم ورد السلام على الحاضرين من علي يمينه، ثم رد السلام على من على يساره، فلقنته الشهادة، فقال بصوت رفيق: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشار بجانبه وخرجت روحه يوم الثلاثاء الثالث عشر من شعبان عام أربعة عشر وستمائة هـ، ودُفن بباب الدباغين.

وجده أبو محمد مع الله عام أربعة وثلاثين من القرن السادس والله أعلم.

ويحكى عن أبي يعزى: إنه استدعى عبد المؤمن بن علي السلطان الموحد بعد انفصال المجلس الذي وقع له معه، فانقاد إليه، وسار في أكابر دولته، ورغب منه الدعاء بخضوع، واستكانة، وتسليم، واذعان وعرف منزلته.

زعموا أنه طلب أن يخرج من صلبه من يذكر به على الأحقاب، فأكرمه الله بيعقوب المنصور.

وذكر أبو العباس بن الخطيب: إن السلطان سجن سيدي علي بن حراز بمدينة مراکش، فقال لتلامذته في الطريق: لا ألبث في السجن، فقالوا له: سبحان الله،

اسكت وهل سجنّت إلا على مثل هذه الأحوال؟ فقال لهم: أن الشيخ أبا يعزى ها هو هناك ينظر إلي، ولا يتركني، وأنه كلما يطلب من الله يوفيه له وبينهما أيام عديدة، قال: فأطلق من ساعته.

وقال أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي: حدثني الثقات عن عبد الله بن عثمان قال: لما حمل أبو الحسن علي بن حرازم إلى السجن بفاس، توأصى سمار السجن أن يكفوا عما كانوا عليه من كلام الخنا، والهجو وغير ذلك من الهذيان، وأن يشتغلوا بالذكر يقطعون بذلك ليلهم، فلما سمعهم الشيخ قال: قولوا لهم يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكلام، فإن الذكر محفوظ ومحروس ومحرم إلا من أهل الذكر خاصة، وأن الذكر إذا اشتغل به غير أهله أتاها الشيطان، وحال بينهم وبين الذكر، فما مرت على السمار ساعة من الليل إلا وهم نيام، قال: وكنا قد أصدقنا به وهو يقول: قد انطلقت من السجن ونحن نقول لا نتكلم بهذا يتحدث به عنك، فلهذا وشبهه سجنّت وهو لا يعبأ بنا ولا يكلمنا، فلما طلع الفجر جاءه البشير من السجن بالتسريح، فقال أبو الحسن: والله لا خرجت حتى تخبرني، فقال له: إن القائد عبد الله الحياني جاءني البارحة إلى داري وما جاءني قط، قال لي: اذهب الساعة إلى السجن، وأطلق الفقيه أبو الحسن، وإياك أن يبيت فيه، فتصيينا من أجله مصيبة، وأكسر كل باب مغلق يصدك عن الوصول إليه، وأنت تكره كسر أبواب المسلمين في حقك؛ ولذلك أمهلت إلى طلوع الفجر بعد انفتاح الأبواب.

فقال له أبو الحسن: أحسنت، قال أبو محمد عبد الله بن عثمان: فقلنا لأبي الحسن من أين علمت البارحة؟ أنك منطلق، قال: رأيت الشيخ أبا يعزى أتاني مع الحرس الذين حملوني إلى السجن، فعلمت أنه لا يتركني، وأنه يسألني من الله Y، ولو سأل الله تعالى في الدنيا كلها لأجابه فيها، فكيف بخروجي من السجن؟ وكفي بها شهادة من



هذا الإمام الذي اتفقت العلماء على جلالته قدره.

وذكر صاحب النجم والإمام العزفي والتادلي: عن أبي الصبر أيوب الفهري قال: كنت يوماً جالساً مع أبي يعزى، ونحن نتحدث إذا قام عني فسمعتِهِ وهو يضرب دابةً بعصى حتى بُعدَ عني، ثم سمعت لغطاً كثيراً، فبقي ساعة ورجع وهو يقول: وأنا أقول من أين دخل الحرام في كسبي؟ ثم جعل يحدثني، قال: دخل الأسد في ماشيتي، فلم أزل أضربه حتى فرّ، فسألت أهل المكان فقال: كان بنوا فلان قد أغاروا على طائفة من ماشيتنا، فذهبنا إليهم، فأخذنا من مواشيهم مثل ما أخذوا لنا، فجبرنا منها ما نقص من ماشيتك، فأمرتهم أن يخرجوا من ماشيتي ما أدخلوا فيها من تلك المواشي.

وقال صاحب النجم الثاقب فيما لأولياء الله تعالى من المفاخر والمناقب وغيرها؛

كأبي العباس العزفي، وابن الزيات فيما رَووا عن محمد بن عبد الكريم: أنه قال: صلينا الجمعة مع الشيخ أبي يعزى في عام جدب، فلما خرج من المسجد تلقاه الناس، وشكوا إليه احتباسَ المطر عنهم، فنزع شاشية من العزف كانت علي رأسه ورمى بها، وبقي رأسه؛ كأنه ثغامة أبيض، ثم تجرد من برنسه ورمى به، وأرسل دموعه، وبقي يتضرع باللسان الزناتي: (أمزغن.. أمزغن)؛ معناه: يا ضيفي ويا سيدي ويا مولاي، هؤلاء ساداتي طلبوا مني أن أستسقي لهم وما قدر لي، قال: وما زال يكي ويتضرع حتى غيمت السماء، وأمطرت في الحين، قال محمد بن عبد الكريم: فنزعنا نعلي، ومشيت حافياً حتى وصلت من كثرة الأمطار، قلت: ورأيت في بعض كتب من تعرض لكرائمه أن هذه الحكاية وقعت له بفاس بجامع الأندلس منها والله أعلم.

وروى التادلي والعزفي وصاحب النجم الثاقب ناقلاً عن التادلي ميمون الباروطي قال: زرت الشيخ أبا يعزى،



وأقمت عنده أيامًا، فجاءت جماعة من أهل فاس من المنكرين عليه، فخرج الشيخ إلى لقائهم مع جماعة من أصحابه بالغابة، فلما رأوه نزلوا عن دوابهم يسلمون عليه، فبينما هم كذلك إذا خرج أسد من الشعب، فوثب علي دابة أحدهم، فصاح عليه أبو يعزى ودنا منه إلى أن أخذ بأذنه ونحن ننظر إليه، فقال لأصحابه: اركبوه فهابوه، فناداني ميمون، فقلت: نعم قال: اركب، فوثبت على ظهره وركبته وأجرسته مرارًا، والواصلون للإنكار على أبي يعزى ينظرون إلي وأنا على ظهره، وكنت أحس وبره نفذ إلي من ثوبي إلى جلدي، فأقمت عليه ساعة، ثم نزلت عنه فذهب.

وروى أبو العباس بن إبراهيم الأزدي: عن عبد الواحد عن الحاج بن عاصم قال: زرت أبا يعزى من سبتة، فلما أردت الانصراف قال لي: أضحيتك عندي من ماشيتي، أو قال: من غنمي، قلت له: من يوصلها لي من هاهنا إلى سبتة، وفي توصيلها لي تعب.

قال لي: لا تعب عليك، أو قال: ما عليك تعب، قال: فقبض الكبش، وأخذ حماري، وحك فم الكبش بعرقوب الحمار، فركبت حماري والكبش يتبعه كالفلو خلف أمه، فإذا لقيني قطع من الغنم وقف ينظر إليهم ساعة، ثم يجري إلى أن يصل الحمار ويتبعه إلى أن وصلت مدينة سبتة، قلت: ورأيت هذه الحكاية وقعت له مع الفقيه الإمام أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري، وأنه كان يعتقد غاية، ونال من بركاته كما ذكره في باب: (من أخذ عنه) إن شاء الله تعالى.

قال أبو علي الصواف ، وكان من الأعلام: قال: سمعت الشيخ أبا مدين يقول: جاء أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي بصحفة كبيرة على رأسه من العود من عمل الروم من سبتة إلى تاغية منزل الشيخ أبي يعزى، وقال له: أردت أن تقبلها مني فقبلها منه أبو

يعزى، فكان يقرئ فيها أضيافه والوافدين عليه الزائرين.  
قال ابن الخطيب: وبين تاغية وسبته ثلاثة عشر مرحلة،  
قلت: وبالأيام أقل من ذلك.

وكان أبو الصبر هذا كبير التعظيم لأبي يعزى ويدل  
على ذلك صنيعه هذا.

وحدث الثقات عن أبي محمد يسكر بن موسى  
الجرأوي، وكان من أكابر الأعلام كما نذكر وصفه في  
باب من صحب الشيخ وأخذ عنه، وكذا في باب من  
شهد له بالكمال، وأنه حاز قصب السبق في مقامات  
الرجال.

قال: ذهبت مع جماعة لزيارة الشيخ أبي يعزى، فتمنيت  
في نفسي أن يطعمني رغيفا وعسلا، فلما دخلنا عنده قدم  
لنا طعاما، فأهويت بيدي لأكل مع الناس، فقال لي: اصبر  
أنت حتى تأكل ما انتهيت، فأتاني برغيف البر والعسل.

قال الإمام ابن الزيات: حدثني أبو زكريا يحيى بن محمد  
الزناقي قال: زار أبو محمد يسكر الشيخ أبا يعزى، فأعطاه  
أبو محمد نعله ليلبسهما قال: أريد أن تقبلها مني لتذكرني  
كلما لبستهما، وكلما لبستهما للوضوء فتدعوا لي.

وأبو زكريا هذا هو حفيد أبي محمد مع الله صاحب  
نظير، وابن الزيات بعد نقله للحكاية أنشده.

أَمِنْ بَعْدِ ذُلِّ الْعَيْشِ أَثَابَ بِمُرِّ الْعَيْشِ  
فِيمَا أَرُومُهُ فِيمَا أَثَابُ

ججج

جج

وَلَيْتَكَ تَحُلُو وَلَيْتَكَ تَرْضَى

وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَالْأَنَامُ غَضَّابٌ

ججججج ججججج

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنِي وَبَيْنِي وَبَيْنِي  
وَبَيْنَكَ عَامِرٌ الْعَالَمِينَ خَرَابٌ

ججججج ججججج

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوَدُّ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ  
فَالْكُلُّ هَيْنٌ التُّرَابِ تُّرَابٌ

ججججج ججججج

وَلَيْتَ شَرَابٌ مِنْ وَشُرْبِي مِنْ مَاءٍ  
وَدَادِكَ صَافِيًا الْفُرَاتِ سَرَابٌ

ججججج ججججج

والأبياتُ معروفةٌ، وإنما أتى بها استشهاداً لما هو بصددّه.

قال الشيخ أبو مدين: لما كنت بفاس بعد معرفتي  
بالشيخ أبي الحسن بن حرزهم، وملازمي له، سمعت الناس  
يتحدثون بكرامات الشيخ أبي يعزى، فذهبت إليه في  
جماعة توجهوا لزيارته. فلما وصلنا جبل أيركان، ودخلنا  
على أبي يعزى، أقبل على القوم دوني، فلما حضر الطعام  
وقمت إليه، انتهرني ومنعني من الأكل، فقعدت في ركن  
الدار، فلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقمت على  
ذلك الحال ثلاثة أيام، وقد اجهدني الجوع، ونالني الذل،  
فلما انقضت ثلاثة أيام قام إلي أبو يعزى من مكانه،  
فقممت إلى ذلك المكان، ومرغت وجهي فيه، فلما رفعت  
رأسي نظرت فلم أر شيئاً، وصرت أعمى فبقيت أبكي  
طول الليل ولسان الحال ينشد:

قليلٌ لمثلي زفرةٌ      ولَيْسَ لَهُ إِلَّا

ونحيبٌ      الحبيبُ طيبُ

ججججججج      ججججججج

وأوّلُ ما يلقَ      إِذَا كَانَ مَنْ

المحبُّ خضوعه      يَدْعُوهُ لَيْسَ

ججججججج      يُجِيبُ

جججججججج

قال: فلما أصبحت خرج الشيخ فاستدعاني، وقال لي:  
قرب يا أندلسي، فدنوت منه، فمسح بيده على عيني  
فأبصرت، ثم مسح بيده على صدري، ثم قال للحاضرين:  
هذا يكون له شأنًا عظيمًا، أو كلامًا هذا معناه، قلت:  
جاءت بشائر الفتح، وإنما فعل به ما فعل اختباراً له، كما  
فعل أبو الخير الدباس مع سيدي عبد القادر الجيلاني،

فوجدته جبلاً راسخاً لا يتحرك ولا يتزلزل، قال: فأذن لي في الإنصراف، ثم قال لي: ستلقى في طريقك الأسد فلا يروغك، فإن غلب عليك خوفه فقل له: بجرمة آل النور إلا ما انصرفت عني، فإنه يذهب عنك، ثم يلقاك ثلاثة من اللصوص عند شجرة، وستعظهم فيتوب اثنان منهم على يديك، ويرجع الثالث، ثم يقتل ويصلب على تلك الشجرة، فودعته وانصرفت عنه، فلما دخلت الغابة اعترض لي الأسد في الطريق، فأقسمت عليه بأبي يعزى، وتنحى عن الطريق إلى أن جرت، وما زال يتبعني إلى أن خرجت من الشعراء، فرجع عني، ثم أتيت على ثلاثة من اللصوص، وهم جلوس إلى أصل شجرة، فقاموا إلى فوعظتهم، فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم، فانصرفا وبقي الثالث، فرجع إلى أصل الشجرة، فقعد عندها فسمع به الوالي، فبعث إليه من ضرب عنقه، وصلبه على تلك الشجرة، قال: وكنت كثيراً ما أزوره؛ أعني: الشيخ أبا يعزى، فأول مرة زرته مشيت إليه مع رجلين، فاشتهد كل واحد منهما عليه شهوة عينها، فلما وصلنا أطعم كل واحد منا ما اشتهاه حين الوصول إليه، فأقمت عنده أياماً فرأيتهم يقدم الرجل للصلاة في تلك الأيام، فإذا كان مجيداً في قراءته تركه، وإذا كان لحاناً أخرجه، وكان أبو يعزى أمياً، ولكن رزق إدراك علم هذا.

قلت بفراسة صادقة ويقين كامل وقد قال ρ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله Y» (٦٣).

ويحكى عن الشيخ أبي مدين: إنه لما ودّع الشيخ في انصرافه للمشرق، وقال له في حفظ الله، وبشره بالمقامات العظيمة، ثم قال: وستهدى لك جارية حيشية، وسيولد لك معها ولدًا، فإن عاش فسيكون له شأن عظيم، وكان الشيخ أبو مدين يحدث أصحابه بذلك، فلما استقر ببجاية وهو منتظر لوعده الشيخ، فأهدى له تاجر من تجار بجاية

جارية فما كان إلا يسيراً، فولدت له ولداً سماه محمد، وكان يظهر على وجه الشيخ الكآبة، فقيل له في ذلك، فقال: لم يكن لي في هذه الجارية أرب، فإن تركتها أثمت، وإن زوجتها تحيرت من أمر ولدي من يريه، وأنا ما لي غرض فيها ولولا بشارة الشيخ بالولد وأنه يكون له شأن، ما قربتها فمن أجل تلك الكآبة التي رأيتم فقال له الشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجزولي: يا سيدي أنا أتزوجها، وأربي ولدك، فقال له أو تفعل ذلك، ونكاح الحبشية عند المصامدة عار.

قال: يا سيدي ليس في قلبي شيء من ذلك وأنا أفعله في محبتك، قال: فتزوجها ورب ولد الشيخ فصدقت فيه فراسة الشيخ أبي يعزى، فحفظ القرآن في أمد قريب، وظهرت له فراشات وكرامات في أمد يسير، ثم اخترته المنية صغيراً وله مغربات وحكايات وسندكرها في باب من صحب الشيخ إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ أبو العباس زروق: لما كان آخر سنة سبعين من القرن التاسع زُرنا الشيخ أبا يعزى مع شيخنا أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني، وجماعة الفقهاء، فظهر لنا، أو قال: علينا من أسرارهِ وأنواره وبركاته ما لا مزيد عليه، وسافر معنا في هذه الزيارة أبا عبد الله الدقوني، وكان أمياً صادقاً مفتوحاً عليه بحيث يتكلم في التوحيد الخاص، والعلوم الرقيقة، ويأتي بما يرضي ويسر في ذلك، وكانت في حدة، فإذا رآها مني قال لي: اصبر حتى تجاوز الأربعين، فإنه لا يبقى لك من ذلك شيء، فكان كما قال، وكلنا رجع من بركات الشيخ بأنوار شارقة عليه وأسرار ظهرت له في هذه السفرة حتى كوشف الشيخ الزيتوني بمن يخلع من الملوك، ويقتل ومن يتولى، فالتفت إلي وقال لي: يا أحمد، قلت: نعم، قال لي: اسمع عبيد سلطانين حديدين، ثم استكمني فكتمتها عليه، ولم أفد بها لأحد.

قال لي بعد ذلك: سمعتك قلتها لفلان، فحلفت له بكل

يمين يمكن الحلف به، فلم يقبل فلم أقدر على تكذيبه، ولم يصح عندي تصديقه لما أعلمه من نفسي، فكنت أجوز إن ابتلاني الله بشيطانٍ أسمع ذلك، ثم ضاقت علي الأرض بما رحبت، ثم خرجت لزيارة الشيخ أبي مدين، ثم ذكر مغربات وقعت له في ذلك أضربنا عنها اختصاراً، وفتح عليه بعد زيارته لأبي مدين، وذهب عند ذلك البؤس، وانشرت النفوس.

قال الشيخ أبو العباس زروق في تعريفه لهذا الإمام: الشيخ أبي يعزى، آل النور بن عبد الرحمن بن ميمون الدكالي، وكان أمياً لا يعرف من القرآن إلا الفاتحة والإخلاص والمعوذتين، وإذا قرأ القارئ بين يديه يرد على القارئ غلطه أو لحنه، فقليل له في ذلك قال: انظر النور يخرج من فيه، فإذا انقطع عرفت أنه غلط أو لحن. وله في المجاهدات أمور عظيمة، ومن الكرامات ما لا يحصى، وكراماته بعد مماته أكثر من حياته، أو قال أكثر منها في حياته.

وقوله الدكالي: إنما يُنسب لدكاله؛ لكثرة مكثه بها في مجاهداته في تلك السواحل، وخدمته لتلك الشيوخ الذين بتلك البلاد والله أعلم، وإلا لم يصح أنه دكالي أصلاً والله أعلم.

ويحكى عن أبي علي مالك بن تاجروت وكان من الصديقين الكبار قال: كنت أقدم لزيارة الشيخ سيدي أبي يعزى كل سنة إلى جبل أيركان، وأحمل له حمل زبيب من نفيس الوادي المعروف: بوادي النفيس، فمشيت إليه في بعض الأعوام بحمل زبيب علي العادة، فدفعته إلى مؤذنه، ففرغه في بيت، وقعدت أتحدث معه فقال لي: عسى أن تكلم الشيخ أبا يعزى أن يستر الناس ولا يفضحهم، فإن الرجل جاهل ولا علم عنده.

فيقول للواصلين إليه: سرقت يا هذا، وزنيت يا هذا كذا؛ يذكر لكل واحد فعله، ثم انقطع كلامه فنظرته وقد

منع الكلام فكلّمته فلم يجبني.  
فبينما أنا معه كذلك وإذا بالشيخ أبي يعزى أقبل وعصاه في يده، فسليم عليّ، وسألني عن الحال والأهل، وجاء إلى مؤذنه ومدّ يده إلى حلّقه قمّسح له عليه، وقال له: يا بني صدقت، فأني جاهل ولا علم عندي إلا ما علمني ربي، أو قال: مولاي، فصارت علقه دم من حلّقه في الحين، فتكلّم المؤذن حينئذ، وقال: أتوب إلى الله يا سيدي، قال له: ومما تتوب وأنت ما قلت إلا الحق، فأنا جاهل لا أعرف إلا ما عرفني مولاي.

ويُحكى عن تلميذه أبي جعفر محمد بن يوسف، كان يسكن بتاغزوت من تاذل: إنه يسمع في بعض الأحيان يقول: ونعم، بصوت عال؛ كأن أحدا ناداه، فسُئل، فيقول: ناداني سيدي أبي يعزى من جبل أيركان.

قال أبو جعفر: أتيت مرة أبو يعزى، فقال لي: ما لي أناديك؟ ناديتك ثلاث مرات فلم تجبني إلا في الثالثة.  
وكان أبو جعفر فيما حكى عنه فحمل له سلال العنب على ظهره من تاغزوت إلى جبل أيركان.

وذكر ابن الزيات: عن الشيخ سيدي أبي محمد عبد الحق بن عبد الصمد الهسكوري قال: ذهبت مع تلميذه لزيارة الشيخ سيدي أبي يعزى، فلما كانا بأثناء الطريق أدرك صاحب سيدي عبد الحق العطش، وكاد أن يأتي عليه، قال: فشكوت ما بي إلى سيدي عبد الحق قال: فسكت عني ساعة، وناولني ركة فيها ماء بارد عذب.

قال: فشربت منها حتى رويت وناولته الركة، ثم نظرت إليه بعد ذلك فلم أر معه ركة ولا دريت من أخذها منه وقضينا زيارتنا وانصرفنا.

ويحكى عن الشيخ أبي يعزى: إنه كان من يأتيه؛ يطعمه من عنده ويعلف دوابه، وإن الفتوحات ترد عليه من إخوانه في الله تعالى، وإن أهل القرى المجاورين إليه كانوا يضيفون الواصلين لزيارة الشيخ أبي يعزى ويتبركون



منهم.  
ويحكى عنه: إنه لما مات رؤي في المنام وهو يطير في  
الهواء.

ف قيل له: بماذا نلت هذه الرتبة؟ قال: بإطعام الطعام وما  
أحسن قول صاحب السينة فيه:

وَأَمَّا أَبُو يَعْزَى وَبِالْغَرْبِ حَلَا  
فَشَيْخُ شَعْبِهِمْ لِلْإِفَادَةِ وَالْحَرَسِ

ويحكى عنه ٧: إن بعض العمال جَارَ على قوم،  
فاشتكوا عليه، وكان هذا العامل متجرباً لا يخاف من  
النار، ولا يخشى من العار؛ لقوة ظلمه، فأقر أن يكتب إليه  
من عبد أبيض القلب أسود الجلد: ثُبْ من فعلك هذا،  
وإلا يكون فساد أمرك على يدي.

ويحكى عنه ٨: قال: مررت في بعض سياحتي  
بالسواحل، وإذا بجارية وهي تستغيث من وجع في عينها،  
فمسحتها وذهبت، فسمعتها تقول: مَنْ مَسَحَ عَلَى عَيْنِي  
وقد استراحنا؟ وأنا أمر في مسيري حتى انقطع عني سماع  
كلامها.

ويحكى عن محمد بن عبد الكريم الوراق أنه قال: كنت  
عند أبي يعزى في جماعة، فدخل علينا يوماً، وقال لنا:  
قوموا لتعابونا عجباً، أو قال: اخرجوا لتنظروا عجباً.

قال: فقمنا معه، فرأينا الحمر راقدة، والسباع قريية  
منها، فلم تنظر الحمر من السباع، ولا وثبت السباع على  
الحمر، وكانت تلك الحمر للواصلين لزيارته.

وكان مع جلاله قدره؛ كثير التواضع يثني علي  
الصديقين بما لهم من علي المقام، ويحض على زيارة  
الأكابر الكرام.

ويحكى عنه: إن رجلاً أراد السفر من المغرب إلى بغداد، فقال له: لا يفوتك رؤية رجل شريف أعجمي اسمه عميد القادر الجيلاني، وسلم عليه، وأسأله كي في الدعاء، وقل له: لا تنسى أبا يعزى، فإن والله ما خلف في العجم بأسرها مثله، وإن المشرق ليفضل على المغرب به، وإن علمه ونسبه ميزاه على الأولياء تمييزاً واضحاً، وكذا عادته  $\tau$  يثني على أصحاب المراتب نظرائه.

ويحكى عنه فيما نقله صاحب التشوف: عن أبي جعفر محمود بن يوسف تلميذه قال: سمعت الشيخ أبا يعزى يقول: أنا وأبو زكريا يحيى بن محمد القراوي الذي كان بتادل؛ كهاتين وأخذ ورقة من العزف وقسمها نصفين مستويين.

فكل ما أعطيته أنا أعطيه هو، إلا أني رزقت أولاداً وهو لم يتزوج.

قلت: وهذا الإمام الذي أشار إليه هو المدفون الآن عند مجمع وادي درنة بأم الربيع، وقبالبته أبو محمد مع الله بينهما ميلين أو ثلاثة أو ما يقرب من هذا.

وأبو زكريا على ضفة درنة، وأبو محمد على ضفة واد أم الربيع وأسفل منهما أبو جعفر محمود بن يوسف الصنهاجي تلميذ أبي يعزى يكون بينه وبينهما ستة أميال أو ما يقرب من ذلك على ضفة وادي أم الربيع في موضع عال مشرف على الوادي رحمهم الله ورضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وحكى صاحب التشوف: عن سبب توبة أبي زكريا يحيى بن محمد الذي كان يثني عليه الشيخ قال: إنه كان من الرعيان، وكان أقرع يأوي إلى رجل صاحب ماشية كثيرة، فنزل بالرجل أضياف، فصنع لهم طعاماً فجاء أبو زكريا يحيى بن محمود بالماء؛ ليغسلوا أيديهم، فأبوا أن يناولهم استقذاراً له، فنزعت به همته، فقال: والله لا خدمت إلا الله ولا خدمت مخلوقاً أبداً، وأقبل على عبادة الله إلى أن ألحق بالأفراد وفي ذلك أنشدوا:

تَزُودُ مِنَ الدُّنْيَا وَعَدٍ عَنِ الْفِعْلِ  
فَإِنَّكَ فِي رَمْسٍ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ

وَلَا تَتَخَلَّفَ عَنْ مِنَ الْعَالَمِ الْأَدْنَى  
رِجَالٍ تَقَدَّمُوا إِلَى الْعَالَمِ الْقَدَسِ

وَأَقْبَلْ عَلَى إِصْلَاحِ ثُجَابٍ بِمِقْدَارِ  
نَفْسِكَ إِنَّمَا التَّشَاغُلُ بِالنَّفْسِ

وتوفي الشيخ أبي يعزى فيما نقله جماعة ممن تعرضوا  
لسيرته وسياره عام اثنين وسبعين وخمسمائة وعمره يقرب  
من مائة وثلاثين سنة كذا قالوا، والله أعلم.  
وترك الأولاد، والمعروف منهم؛ الذي يكنى به وهو أبو  
علي يعزى، وهو الذي أقيم مقامه لما مات وظهرت عليه  
بركاته في ساعته.

قال أبو العباس بن الخطيب: رأيت شيخاً من أحفاده  
على صفة جده ولونه وقده، وتبركت به، وذلك في عام  
إحدى وستين وسبعمائة.

وكان غرضي زيارته والوقوف على قبره، فبقي بيني  
وبين موضعه بـ تاغية نصف يوم، فعدمت الرفيق؛ لخوف  
الطريق فرجعت.

واعلم أن الشيخ أبا يعزى ؓ ما من سنة إلا وتظهر له  
كرامة أو كرامات، وقد منا كلام أبي العباس بن زروق ؓ

أن كراماته في مماته كحياته.  
وقال مرة: أكثر منها في حياته، وهذا باب لا ينحصر،  
وإنما ذكرنا هذا النذر ليعرف به حقيقة بعض مقاماته والله  
ينفعنا به آمين.

## الباب الرابع في ذكر بعض من أخذ عنه من الشيوخ وظهرت عليه بركاته

ما زالت مادته بقدر الصدق فيه إلى يوم القيامة حتى قيل  
أن مادته لا تنقطع إلى يوم القيامة، يعني: حتى تنقطع  
الولاية في الأرض، وذلك حين لا يبقى من يقول: لا إله  
إلا الله؛ كما أشار إلى ذلك صاحب روض الرياحين.

وقد حدثني رجل من الصديقين في عام اثنين وستين من  
هذا القرن قال لي: قال الشيخ أبو يعزى: العروسة التي ما  
ركبت من عندنا في المغرب؛ عرسها فاسد؛ يعني: من لم  
تظهر عليه مادته، والله أعلم.

واعلم أن هذا الإمام الذين أخذوا عنه، وظهرت عليهم  
عنايته، وأشرقت لهم أسرارهم فانتفعوا به أكثر من أن  
يحصى عددهم.

والمشهور منهم جماعة فأكبرهم قدراً وأفخمهم أمراً:  
الشيخ العارف (الصديق الأكبر أبو مدين شعيب بن  
الحسين الأنصاري) ٦٤؛ أصله من حصن قطينانة من عمل  
أشبيلية، ثم نزل بيجاية، وأقام بها إلى أن أمر بأشخاصه إلى  
حضرة مراکش، فمات وهو متوجه إليها بموضع يسر.

قلت: وهو وادٍ قريب من تلمسان عام أربع وتسعين  
 وخمسمائة.

وقيل: عام ثمانية وثمانين، والأول أشهر ودفن بالعباد  
خارج تلمسان، كذا قاله التادلي.

وقال أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري في التعريف به: كان زاهداً فاضلاً عارفاً بالله.

وقال أيضاً: كان مقبوضاً بالزهد والورع؛ مبسوطاً بالعلم، قد خاض من الأحوال بحاراً، ونال من المعارف أسراراً، وخصوصاً مقام التوكل لا يشق عليه غباره، ولا تجهل آثاره.

وقال أيضاً: كان مبسوطاً بالعلم، مقبوضاً بالمراقبة، كثير الالتفات إلى الله تعالى بقلبه حتى ختم الله له بذلك.

وقال أبو العباس زروق: كان يدخل خلوته بـ ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)).

ولها خاصية في مقام التوكل، ولذلك كان أبو مدين لا يشق له فيه غباره، ولا يلحقه من السباق المضمار.

وقال صاحب النجم في التعريف به: سيدي أبو مدين سيد العارفين وقدوة السالكين، كان فرداً من أفراد الرجال وصدرًا من صدور أولياء الله الأبدال، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة، وأثار به معالم هذه الطريقة، وأقامه ركنًا من أركان الوجود، وأظهره بالبلاد المغربية هاديًا وداعيًا للخلق للملك المعبود، فقصد بالزيارة من جميع الآفاق والأقطار، واشتهر بـ «شيخ الشيوخ في الأمصار».

وقال ابن بادس وابن الخطيب وابن الزيات وغيرهم من المعنيين بأخباره: إنه خرج علي يديه ألف شيخ من أولياء الله تعالى؛ كلهم ظهرت له كرامة أو كرامات، وعرفوا بإجابة الدعوة.

ونحن نذكر إن شاء الله طرفاً من أوصافهم فيما بعد؛ هذا على وجه التلميح والتبرك بآثارهم.

وكان شيخه سيدي أبي يعزى يقول فيه: إذا ذكر بين يديه أركان أندلسي؛ يعني: نعم الرجل الأندلسي شعيب.

فقال أبو مدين من بركاته وشاهد العُجب العجائب من كراماته، وكان يتكرر إلى مجالس العلماء.

قال التادلي: سمعت محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري قال: سمعت أبا مدين يحدث ببدء أمره.

ويقول: كنت يتيماً بالأندلس، فجعلني إخواني راعياً لهم لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلي، أو يقرأ أعجبتني، وذنوت منه وأجد في نفسي غماً؛ لأنني لا أحفظ شيئاً من القرآن، ولا أعرف كيف أصلي، فقويت عزمي على الفرار لأتعلم القرآن والصلاة، ففرت فلحقني أخي، وببده حربة.

فقال لي: والله لئن لم ترجع لأقتلنك! فرجعت ثم أقمت قليلاً، فقويت عزمي على الفرار، فأسريت ليلة، وأخذت في طريق آخر، فأدركني أخي بعد طلوع الفجر، أو قال طلوع الشمس، فقال لي: والله لأقتلنك وأستريح منك، فعلايتي بسيفه ليضربني، فنلقيته بعودٍ كان في يدي، فانكسر سيفه وتطاير قطعاً.. قطعاً.

فلما رأى ذلك بكى، وقال لي: يا أخي، اذهب حيث شئت، فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة، ثم ذهبت إلى سبته، فكنت أجيراً للصيادين، ثم ذهبت إلى مراکش.

وقال أيضاً: أتيت إلى ساحل البحر، فإذا بخيمة وإذا برجل خرج إلي منها، وظن أني هربت من النصاري، فرمى بمسمار في رأس قصبة في البحر، فأخرج لي حوتاً، وشواه لي فأكلته، فكان كلما جعت فعل معي كذلك.

ثم قال لي: يا هذا، أراك تروم أمراً، وإن الله لا يُعبد بالجهل، اذهب إلى الحاضرة لتتعلم دينك.

قال: دخلت مدينة سلا، ثم مراکش، فأدخلني الأندلس الذين كانوا بها في جملة الأجناد، وكتبوني في ديوانهم، فكانوا يأكلون الطعام ولا يعطوني منه إلا القليل، أو قال: اليسير.

فقال لي بعضُ النصحاء: إن أردت أن تتفرَّغ لدينك

فعليك بمدينة فاس، فتوجهت إليها.

ولزمت جامعها: يعني جامع القرويين، وتعلمت الوضوء والصلاة، وكنت أجلس على حلق الفقهاء والمذكرين، فلا أثبت على شيء من كلامهم إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي.

فسألت: من هو؟ فقل لي: أبو الحسن بن حرزهم، فأخبرته أنني لا أحفظ إلا ما سمعته منه خاصة، فقال لي: هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الأذان، وأنا قصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب، ثم ذكر ما قدمناه من زيارته لأبي يعزى إلى آخره في الباب الذي قبل.

وقال أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف: وكان قد صحب أبا مدين نحواً من ثلاثين سنة ما فارقه إلى أن مات بـ «يسير»؛ كذا ذكره ابن الزيات قال:

سمعت الشيخ أبا مدين يقول: كنت بقطنيانة فأردت التخلي عن الدنيا، فسرت قاصداً نحو بحر المغرب ثلاثة أيام أو أربعة أيام، فلاحت كدية على البحر عليها خيمة، فخرج إلي منها شيخ وليس عليه إلا ما يوارى به.

أو قال: ما يستر عورته، فنظر إلي، وظن أنني أسير فررت من أرض الروم، فسألني عن شأني فأخبرته، فأخذ حبلاً وربط في طرفه مسماراً، فرمى به في البحر فأخرج جوتاً شواه لي، فأكلته فأقمت عنده ثلاثة أيام كلما جعت.

رمى بالحبل والمسمار في البحر، فيخرج الحوت ويشويه، وآكله، ثم بعد ذلك قال لي: أراك تروم أمراً فارجع إلى الحاضرة، فإن الله لا يعبد إلا بالعلم، فرجعت إلى أشبيلية، ثم ذهبت إلى شريش ومن شريش إلى الجزيرة الخضراء، فجزت البحر إلى سبته، وذهبت إلى فاس فلقيت بها الأشياخ، فسمعت رعاية المحاسبي على الشيخ أبي الحسن بن حرزهم، وإحياء علوم الدين، وسمعت كتاب

السنن لأبي عيسى الترمذي على أبي الحسن على بن غالب.

وأخذت طريقة التصوف عن أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي، ورأيت في بعض التقايد قال: ولبست الخرقة من أبي يعزى والله أعلم.

وإن أبي يعزى لبسها من شيخه أبو شعيب. وإن أبي شعيب لبسها من أشياخه؛ مع أن الطريق عندهم على قسمين:

الأولى: صحبة واقتداء لا غير.

والأخرى: صحبة واقتداء ولبس الخرقة وتلقين الذكر والمصافحة.

والكل معروف لا يُنكره إلا جاهل غير ممارس للطريق وأهله.

قال الشيخ أبو مدين: فكنت أقيم بفاس آخذ آية من القرآن أو حديثاً، فأخرج إلى موضع خال متصل بالساحل، فإذا فتح لي في العمل بالآية والحديث؛ عدت إلى فاس فأخذت آية أو حديثاً؛ كذلك فأعمل عليهما، وكان الموضع الذي آوي إليه في الجبل عمراناً طراً عليه الخراب، فلم يبق من بنائه شيء قائم إلا مقصورة المسجد خاصة، فكنت إذا قعدت فيها تأوي إلى غزالة، فلا أدري هل كانت تأوي إلى أهل ذلك المكان فرحلوا عليها وبقيت تأنس بالمكان؟ أم كانت تأوي إلي؟ فكانت تأتيني متى جئت إلى ذلك المكان، فتشم من قرني إلى قدمي ثم تربض أمامي، فذهبت يوم الخميس إلى فاس، وبت بها ليلة الجمعة، فلقيت رجلاً من الأندلس أعرفه، فسألت أبا عبد الله بن أبي حاج عن ثوب كان لي عنده فقال لي: وما تصنع به؟ فقلت له: أريد أن يباع ويدفع ثمنه إلى هذا الرجل، ويكون ذلك ضيافته فقال لي: خذ عشرة دراهم وادفعها له، فأخذتها وطلبت الرجل، فلم أجده فصررت الدراهم في صرة وجعلتها في مئزري.



وفي بعض التقايد: فجعلتها في كرزتي، وخرجت إلى الجبل، فمررت بقرية على طريقي فيها كلاب كثيرة كنت إذا مررت بها تبصص إلى الكلاب، وتدور بي فلما قربت من تلك القرية أنكرتني كلابها ونبحتني، وما تخلصت إلى أن حال بيني وبينها أهل القرية، فلما وصلت مكاني من الجبل؛ جاءني الغزالة فشمتني، ثم تنحت عني، ونظرتني نظراً منكراً، ونطحني مرة ثانية وثالثة بقرونها.

وأنا أتلقى قرنيها بيدي، فتفكرت في سبب ذلك وفي إنكار كلاب القرية لي، فعلمت أنه من أجل الدراهم التي صهرتها في مئزري، فنزعته ورميتها ناحية، فنظرت إلي، وربضت أمامي على عادتها، فبت بذلك المكان فلما كان الصباح أخذت الصرة، وحملتها إلى فاس، فوجدت الرجل الذي أعددها لضيافته فدفعته إليها إليه، ثم سرت إلى الجبل على عادتي فمررت بالقرية التي في طريقي، فبصصت الكلاب على عادتها، ولم تنبحن فوصلت موضعي من الجبل، فجاءني الغزالة على عادتها، فشمت السلهامة من قرني إلى قدمي، فربضت أمامي على عادتها. وكانت له مجاهدات ومكابدات وخصوصاً في مقام التوكل، وله كرامات كثيرة.

وقال أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصواف: كان أبو مدين يقول: الملتفت إلى الكرامة كعابد وثن، فإنه إنما يصلي ليرى كرامة.

وكان ت يقول: رأيت من واصل ستة أشهر، وذكرت بين يديه العقبات السبع، الذي ذكر حجة الإسلام في كتابه «المنهاج» فقال: رأيت من قطعها في سبعين عاماً، قطع كل عقبة منها في عشرة أعوام، ورأيت من قطعها كلها في ساعة واحدة كإبراهيم بن أدهم الذي قطعها في ساعة وجاءه التوفيق من الله.

وحدث التادلي: عن أبي عبد الله محمد بن خالص عن أبي الربيع المديوني قال: وصل رجل من المكاشفة إلى

تلامذة أبي مدين، فأنكر عليهم بعضُ أمورهم، فأعلموا بذلك أبا مدين، فقال لهم: دعوه فإنه سيسلب ما وهب، فسلب والعياذ بالله المكاشفة، وصار كأحد العامة بتغير قلب الشيخ.

وكان ٢ جعل كتاب الإحياء نُصب عينيه.  
وكانت تُقرأ رسالة الأستاذ القشيري ٢ بين يديه ويفيض عليه من أنواع المعارف ما لا يوجز من العلوم الدنية.

فهو يوماً لما انعقد المجلس فيما حدث عنه الثقة وأراد القارئ على العادة أن يبدأ بالقراءة، فنظر إليه الشيخ، وقال له: أمهل! ثم التفت إلى رجل وإذا هو آت بنية الاعتراض والانتقاد على الشيخ، فقال له: لم جئت؟ قال له الرجل: جئت لأقتبس من أنوارك، قال له: ما الذى فى كمك؟ قال له: المصحف، قال أبو مدين: أخرجه، فأخرجه الرجل من كمه، قال له: اقرأ أول سطر، ففتحه وقرأ أول سطر.

فإذا فيه مكتوب: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

قال له الشيخ أبو مدين: أما يكفيك هذا؟ فتاب الرجل مما اعتقد، ولما كمل مرغوبه من القراءة على أستاذه، وانفتحت بصيرته، واستنارت سريرته، وكان على بينة من ربه، ومات بعض أستاذه، وانتقل إلى البلاد المشرقية، فلقي بها الأشيخ المقتدى بهم، واقتبس من أنوارهم، واستفاد من زهادها، وأخذ من أعلام علمائها وأوليائها، ثم إنها عرفت بالشيخ الماجد المعلم؛ فصيح اللسان، والقلم راسخ الجنان، والقدم تاج العرفين أبي محمد عبد القادر الجيلاني، فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيراً من الحديث، وألبسه خرقة التصوف، وأودعه كثيراً من أسرارهِ وحلاه ملابس أنواره.

ويُحكى: إن سيدي أبا مدين كان يفخر بصحبته

بسيدي عبد القادر، ويعده من أفضل مشايخه الأكابر، ثم رجع إلى المشرق وأنواره زائدة في الشروق.

وكان يتردد في إفريقيا، ثم لما كان آخر حاله استقر ببجاية، فحببها الله له.

وقال: إني وجدتها معينة علي طلب الحلال.

قال صاحب النجم: كان أبو مدين رحمه الله من أعلام العلماء، وحفاظ الحديث، وكانت الفتاوي ترد عليه في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت.

وكان له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس من كل جهة، وربما مرت به الطيور وهو يتكلم فتقف في الهواء، وربما مات بعضها، وربما يموت في مجلسه من أصحاب الحب كثير.

ويحكي عنه: إنه بلغ عنه في قراءة القرآن إلى سورة: تبارك الملك.

وشيخه سيدي أبي يعزى روى: إنه قرأ إلى آخر سورة الزلزلة فلما بلغ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾\* **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** [الزلزلة: ٧، ٨].

قال: حسبي.

ولما استقر الشيخ ببجاية زارته علماءؤها وساداتها وكبارئها، وعرفوا قدره في الحال والعلم والمقال إلا أبا محمد عبد الحق الأشبيلي، وكان مقدما في العلم والحديث والوعظ.

وله كتاب: الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث، والعاقبة في التذكير وله تأليف حسان لم يصل إلى الشيخ.

وقال: إن كانت العلوم فهي معنا، وإن كان العمل فنحن فيه على الجد.

فأرى النبي ﷺ وهو يقول له: سِرْ إِلَى أَبِي مَدِين، وأقرأ عليه القرآن.

فلما استيقظ قال: سبحان الله! أنا أقرأ القرآن بالسبع، وأحفظ عليها التفسير بتوجيهاته والحديث وغير ذلك، وما هذا؟ فتربص.

فلما كانت الليلة الثانية رآه أيضاً، فقال مثل مقالته، ثم لما كان الليلة الثالثة رآه فعزم عليه فاستيقظ، وقال: هذا أمرٌ أراد المولى إبرازه، فاتفق أنه التقى بالشيخ الفقيه القاضي الصالح أبي علي عبد الحق المسيلي صاحب التذكرة أيضاً، وغيرها في أصول الدين، وذلك أنهما كانا متصاحبين في الدين والعلم والعمل، ومتأخين على الزهد واليقين واتباع سلف المؤمنين، فاتفق رأيهما على الاجتماع به حتى يسمعا كلامه، وقد كانا يسمعا كلامه، وقد كانا سمعا عنه من غرائب العلوم وعجائب الفهوم وأسرار المعارف من العلم المكنون، وأرادا أن يطلعا على ما عنده.

فذهبا إليه إلى المسجد الذي يجلس فيه مع خواص أصحابه، فدخلوا عليه فوجداه يفيض في أمور، ويستخرج الدرر من قيعان البحور، فعلما فضله، وأههما لم يدركا رتبته فسلما وجلسا.

فلما تم ودعَا، قاما وسلما عليه، فقال لهما بديهة: أما هذا؟ فالفقيه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي.

وأما هذا؟ فأبو علي المسيلي، فقالا: نعم، فقالا له: بلغنا عنك أنك لم تجاوز سورة تبارك الذي بيده الملك.

فقال لهما: هي كانت سورتي، ولو تعديتها لاحتقرت، ثم التفت إليهما.

وقال لهم بلغة صوفية قيل لي: بي قل، وعلي دل، وأنا الكل.

فانفصل مجلسهما وقد عرفا فضله، وقد علما أن لله مواهب لا تسعها المكاسب، وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، وأتاه حينئذ الشيخ عبد الحق بنية خالصة، فلما دخل عليه كاشفه، وقال له: أمرك النبي ﷺ أن تقرأ علي

القرآن، فسمي فقرأ الفاتحة حتى ختمها.  
قال له الشيخ أبو مدين: اقرأها على الوجوه السبع، ثم  
قال له: فسرّها لي ففسرها بأتم الوجوه إلى أن بلغ. ﴿

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].  
ثم قال له الشيخ: لو كنت تستعين بالله لما استعنت  
بالسلطان والوزير، فتكلم أبو محمد كالمستعذر.

فقال له الشيخ: إن كنت متعلماً، فاسمع واشتغل بما  
يعنيك، والزم بيتك فإن الله يكفيك وعن سائر الخلق  
يغنيك. فقال: صدقت، ففعل.

فروى أن الأمير والوزير وردا على بلده فلم يخرج  
إليهما على ما كان من عادته، فسألا عنه، فتكلم من له  
غرض، قال: إن عبد الحق تكبر عليك.

فقال الأمير: العلم يؤتى إليه ولا يأتي! فزاره في داره.  
فصار بعد ذلك أبو محمد إذا دخل على الشيخ أبي  
مدين؛ يجد من المواهب الربانية والعلوم الدنية والعجائب  
والغرائب كما ذكر بعض ذلك ابن العربي الحاتمي  
المعروف بـ «ابن سراقه».

وحكاية الرؤيا ذكرها أبو زيد عبد الرحمن التميمي  
الفهري المعروف بـ «الفرمي»، وله كلام في التصوف  
شهير دونته الأئمة.

فمن بعض كلامه قال ﷺ: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَدَّعِي مَعَ اللَّهِ  
حَالًا وَلَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ شَيْءٌ شَاهِدٌ فَاَحْذَرِهِ.

وقال ﷺ: حُسْنُ الْخَلْقِ مُعَامَلَةٌ كُلِّ شَخْصٍ بِمَا يُؤَانِسُهُ  
وَلَا يُؤْجِسُهُ، فَمَعَ الْعُلَمَاءُ بِحُسْنِ الْاسْتِمَاعِ وَالْاِفْتِقَارِ،  
وَمَعَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالسَّكُونِ وَالْاِنْتِظَارِ، وَمَعَ أَهْلِ  
الْمَقَامَاتِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْاِنْكِسَارِ.

وقال ﷺ: الْحَقُّ تَعَالَى مَطَّلَعٌ عَلَى السِّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ فِي  
كُلِّ نَفْسٍ وَحَالٍ؛ فَأَيُّ قَلْبٍ رَأَاهُ مُؤَثَّرًا لَهُ حَفِظَهُ مِنْ طَوَامٍ

الْمِحَنَ وَمُعْضَلَاتِ الْفِتَنِ.  
 وَسُئِلَ عَنِ التَّسْلِيمِ فَقَالَ: هُوَ إِرْسَالُ النَّفْسِ فِي مِيدَانِ الْأَحْكَامِ، وَتَرْكُ الشُّفْقَةِ عَلَيْهَا مِنَ الطَّوَارِقِ وَالْأَلَامِ.  
 وَقَالَ: مَنْ رُزِقَ حَلَاوَةَ الْمُنَاجَاةِ زَالَ عَنْهُ النَّوْمُ.  
 وَقَالَ: مَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الدُّنْيَا ابْتَلِيَ بِالذَّلِّ فِيهَا.  
 وَقَالَ: جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا مَحَلًّا لِلْغَفْلَةِ وَالْوَسْوَاسِ، وَقُلُوبَ الْعَارِفِينَ مَحَلًّا لِلذِّكْرِ وَالِاسْتِنَاسِ.  
 وَقَالَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَغْتَرِ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ.  
 وَقَالَ: مَنْ خَدَمَ الصَّالِحِينَ ارْتَفَعَ بِخِدْمَتِهِمْ، وَمَنْ حَرَمَهُ اللَّهُ مِنْ إِحْتِرَامِهِمْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْمَقْتِ مِنْ خَلْقِهِ.  
 وَقَالَ: أَبْنَاءُ الدُّنْيَا تَخْدُمُهُمُ الْإِيمَاءُ وَالْعَبِيدُ، وَأَبْنَاءُ الْآخِرَةِ تَخْدُمُهُمُ الْأَحْرَارُ وَالْكَرَمَاءُ.  
 وَقَالَ: انْكِسَارُ الْعَاصِي خَيْرٌ مِنْ صَوْلَةِ الْمُطِيعِ.  
 وَقَالَ: عَلَامَةُ الْإِخْلَاصِ: أَنْ يَغِيبَ عَنْكَ الْخَلْقُ فِي مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ.  
 وَقَالَ: الْعَارِفُ لَا يَزَالُ يَتَرَقَّى، وَمِنْ نَفَائِسِ اللَّطَائِفِ يَتَلَقَّى، وَلَيْسَ لَهُ التَّفَاتُ إِلَى كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَلَا يَقْنَعُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا بِرَبِّ الْبَيْتِ.  
 وَسُئِلَ ٢٠ عَنِ الْحُبِّ فَقَالَ: أَوَّلُهُ دَوَامُ الذِّكْرِ، وَأَوْسَطُهُ الْأَنْسُ بِالْمَذْكُورِ، وَأَعْلَاهُ وَنِهَائِيَّتُهُ أَلَّا تَرَى شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.  
 وَسُئِلَ ٢١ عَنِ الشَّيْخِ الْمُحَقِّقِ قَالَ: الشَّيْخُ هُوَ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ ذَاتُكَ بِالتَّقْدِيمِ، وَسَرَّكَ بِالْإِحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ.  
 الشَّيْخُ مَنْ هَدَبُكَ بِأَخْلَاقِهِ، وَأَدَبُكَ بِإِطْرَاقِهِ، وَأَنَارَ بَاطِنَكَ بِإِشْرَاقِهِ.  
 وَقَالَ: التَّوْحِيدُ سِرٌّ قَوِيٌّ الْإِشْرَاقُ، يَرْفَعُ الْهَمَّةَ بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَهُوَ حَيَاةُ الْحَيَاةِ، وَمَا سِوَاهُ مَمَاتٍ.

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعد  
التلمساني: ومن شعر الشيخ الإمام القطب العلامة الهمام  
أبي مدين ؑ ما أنشده لبعض المشايخ:

عِشْنَا رُحْمًا حَلَّتْ زَادَ السُّرُورُ  
الْبَرَكَاتُ وَتَمَّتْ الرَّاحَاتُ

فَالْوَقْتُ صَافٍ وَالْعَيْشُ خَصْبُ  
وَالزَّمَانُ مُسَاعِدُ وَالْمِيَاهُ فُرَاتُ

وَالْقَلْبُ سُورُ وَالصِّدْرُ رَحْبُ  
وَالْبَشَائِرُ جَمَّةُ وَالْحَيَاةُ حَيَاتُ

وَالسَّعْدُ مُقْبِلٌ قَدْ وَلِكُلِّ سَعْدٍ مُقْبِلُ  
بَدَتْ أَعْلَامُهُ آيَاتُ

بِحَمْدِنَا ارْتَفَعَتْ شَرْقًا وَغَرْبًا هَذِهِ  
عَلَى رَغَمِ الْعِدَا الْأَمْـُـوَاتُ

قال الشيخ ابن أبي الفضل للشيخ أبي مدين ؑ: أنشده  
ابن جرير:

يَا مَنْ عَلَا وَيَرَى مَا تَحْتَ الثَّرَى وَظِلَامُ  
فِي الْقُلُوبِ وَمَا اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ

أَنْتَ الْمُغِيثُ لِمَنْ أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ  
ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيلُ

إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَالْكَلَّ يَدْعُوكُ  
وَأَثَقَلْنَا مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِلُ

فَإِنْ غَفَرْتَ فَذُو وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ  
فَضْلٌ وَذُو كَرَمٍ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ

ومن شعره ؑ ورضي عنا به:

مُغِيثُ أَيُّوبَ يُتِيحُ لِي فَرَجًا  
وَالْكَافِي لَذِي بِالْكَافِ وَالنَّوْنِ  
النَّوْنِ



كَمْ فَاقَةٌ فَاقَتْ عَنِي وَلَمْ يَنْكَشِفِ  
الْآفَاقَ فَرَجَهَا وَجَّهِي لِمَنْ دُونَ

وقد خمسها بعض العلماء فأحسن وأجاد.  
وله ٢ أدعية عجيبة في الاستخارة وغيرها؛ فمن أدعيته  
في الاستخارة ما رواه ابن أبي الفضل في نجمه:  
اللهم إن العلم عندك وهو محجوب عني، ولا أعلم أمراً  
أختاره لنفسي، فقد فوضت إليك أمري، ورجوتك  
لفاقتي.

فأرشدني اللهم إلى أحب الأمور إليك، وأرضاها عندك،  
وأحمدها عاقبة؛ فإنك تفعل ما تشاء، إنك على كل شيء  
قدير.

قلت: ينبغي لمن أراد أن يستخير الله بدعاء هذا الإمام  
فليقدم الأدب.

وهو ما روي عن النبي ﷺ في الاستخارة، من صلى  
ركعتين والصلاة على النبي ﷺ بعد الاستغفار، ثم ليدع  
بدعائه ٣، ثم يثنى بدعاء هذا الشيخ، فإنه لا محالة محمود  
العاقبة، ومرجو الإجابة؛ إذ جمع بين السنة وأنفاس هذا  
الإمام، فإنه لا يحرم من بركاته، فإن الله بفضله يدلّه  
لأحسن الطريق.

ومن أدعيته أيضاً المأثورة:

ما رواه صاحب النجم، وغيره عن سيدي محمد بن  
يحيى، وقيل: عن سيدي عبد العزيز البوبرجي رضي الله  
عنهما.

ويُقال أن له سرًّا عجيبًا في كشف الكروب، ودفع الملمات وهو هذا:

بخفي لطف الله، بلطيف صنع الله، بجميل ستر الله، ودخلت في كنف الله، وتحصنت بألف لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان ٦٥ حافظًا للحديث، فمن مروياته عن أبي أمامة الباهلي ٦٥ قال: سمعت رسول الله ٦٥ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا؛ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ (مَعَ) كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثَ حَيَّاتٍ مِنْ حَيَّاتِهِ» ٦٥.

قلت: وهذا قد روي فيه وحده قال ٦٥: «سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يرفقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» ٦٦.

وروي: «سألتُ ربي فأعطاني سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بغير حساب، فقال عمر: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَا اسْتَزَدْتَهُ؟ قال: قَدْ اسْتَزَدْتَهُ، قال: وَمَا زَادَكَ؟ قال: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا المضاعفة يشفع في سبعين ألفًا، ففي الثالثة أو الرابعة.

قال ٦٧: وَثَلَاثَ حَيَّاتٍ، قال عمر حينئذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُدْخِلَهُمْ كُلَّهُمُ الْجَنَّةَ بغير حساب بحِثَّةٍ واحدة» ٦٧، أو كما قال.

وتأمل هذا مع ما جاء في أحاديث الرجاء من قوله ٦٧: «أمتي كلها مرحومة منهم؛ مَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ بِصَلَاتِهِ... الحديث» ٦٨.

(٦٥)

(٦٦)

(٦٧)

(٦٨)

وقوله ٧ لما تلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]

ثم قال: «كلهم في الجنة» (٦٩).  
وفي رواية: «سابقنا سابق، ومقتصدنا لاحق، وظالمنا مغفور له» (٧٠).

ومن مروياته ٨: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (٧١).  
ومن مروياته ٩: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «التفقه كلها في سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه» (٧٢).

يعني: ما كان خارجاً عن الضرورة، وأما الضرورة ما التمسته الحاجة الفادحة، فلا بأس به، ويؤجر عليه؛ كذا فسروا الحديث... والله أعلم.

ومن مروياته بالسند المتصل إلى النبي ﷺ قال: «مَنْ اسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَيْقِظَ أَهْلَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ كَتَبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» (٧٣).

ومن مروياته: عنه جابر بن عبد الله ٩ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنِيَ فِيهِ سِتْرُ اللَّهِ كُنْفَهُ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ؛ رَفَقَ بِالضَّعِيفِ وَشَفَقَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمَمْلُوكِ» (٧٤).  
ويحكى عنه ٩: إنه كان ملازماً للإحياء عاكفاً عليه،

(٦٩)

(٧٠)

(٧١)

(٧٢)

(٧٣)

(٧٤)

فمن مروياته فيه: إن الإمام الزاهد مالك بن دينار فتر ليلة عن ورده من قيام الليل، قال: فرأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، وفي يدها رقعة، فقالت لي: يا مالك أتحسن أن تقرأ؟ فقلت لها: نعم فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها مكتوب:

أَهْمَتَكَ اللَّذَائِدَ عَنْ الْبَيْضِ إِلَّا  
وَالْأَمَانِي وَأُنْسَ فِي الْجَنَانِ

تَعِيشُ مُخَلَّدًا لَا وَتَلْهُو فِي الْجَنَانِ  
مَوْتَ فِيهَا مَعَ الْحِسَانِ

تَبَّهْ مِنْ مَنَامِكَ إِنْ مِنْ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ  
خَيْرًا بِالْقُرْآنِ

وروي: إنه وقع لـ «ذي النون» مثل هذا، فما نام بعدها إلا غلبة، حتى يُقال أن مالك صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة.

قلت: واشتهر في زمانه أن أربعين من التابعين صلوا الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، والله أعلم. وقد نص على هذا: أبو طالب في قوته وغيره. ويحكى عن ذي النون أنه أنشد في واقعه:

مَنَعَ الْقُرْآنُ بِوَعْدِهِ مَقَلَ الْعُيُونِ بَلِيلَهَا  
وَوَعِيدِهِ أَنْ تَهْجَعَا

فَهَمُّوا عَنِ الْمَوْلَى فَرَقَابَهُمْ ذُلْتُ إِلَيْهِ  
الْجَلِيلِ كَلَامِهِ خُضَّعَا

ويحكى عنه ٢ فيما نقله جماعة من العلماء كـ ابن الخطيب، وأبي الصبر، والعزفي وابن الزيات.

قال ٢: جاءني رجل من الصالحين، فقال لي: رأيت البارحة في النوم حلقة عظيمة لجماعة من الصوفية فيهم؛ أبو يزيد البسطامي، وذا النون المصري، وغيرهما من المشايخ؛ وهم على منابر من النور.

وأبو طالب المكي على منبر عال، وأبو حامد الغزالي على منبر يقابله، وأبو طالب يسأل أولئك الصوفية وكل واحدٍ يجيبه على قدر علمه.

فقال أبو طالب لأبي حامد: أين غابت هذه العلوم التي يصرفها أبو مدين في دار الدنيا؟ فقال له أبو حامد: ها هو ذا عن يمينك فاسأله، فالتفت إليه أبو طالب، فقال له: يا أبا مدين! أخبرني عن سر حياتك؟ فقال له: بسر حياته ظهرت حياتي، وبنور صفاته استنارت صفاتي، وبنور أسمائه استنارت أوصافي، وبديموميته دامت مملكتي، وفي توحيده أفنيت همتي.

فسر التوحيد في قولنا: لا إله إلا أنا، والوجود بأسره: حرف جاء لمعنى.

فبالمعنى ظهرت الحروف، وبأسمائه ائتلف كل مألوف،

وبصفاته ظهر كل موصوف، ومراعاته له محكمة، ومخلوقاته له مسلمة؛ لأنه خالقها ومظهرها ومنه بدؤها وإليه مرجعها؛ كما أظهرها يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

يا أبا طالب هذا لوجودك محرك، وهو الناطق والممسك، إن نظرت بالحقيقة تلاشت الخليفة، فالوجود به قائم، وأمره في مملكته دائم، وحكمه في خلقه عام؛ كحكم الأرواح في الأجسام، به بانت على اختلاف أنواعها؛ منها اللسان للبيان وهو Y مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن.

فقال أبو طالب: من أين لك هذه العلوم يا أبا مدين؟ قال له: لما أمدني بسره غرقت في واد من بحر فضله، فامتلاً وجودي نوراً، وأثمر غيبة وحضوراً، وسقاني شراباً طهوراً، وأذهب ضللاً وزوراً، فغشيت أنواره أخلاقي، فعسى في القيامة أن أنظر الباقي بالباقي، قلت: إنما قال أبو طالب لأبي حامد: أين أبو مدين والعلوم التي يصرفها؟ فكأنها أجوبة عن الذين كانوا يسألون ولم يجيبوا بالغرض من الحقائق التي كانت قصده، وكأنه بهذا إبان فخر أبي مدين، وتفخيم أمره، وأوضح عظيم مقامه؛ كما قيل: تَكَلَّمُوا تَعْرِفُوا.

واعلم أعزك الله أن له من الإستقامة ما يشهد له بالكرامة بأكبر الكرامات، وكراماته لا تنحصر. وما زالت مادته ظاهرة؛ كشيخه سيدي أبي يعزى، وسيدي عبد القادر.

ومن مناقبه: ما ذكره الإمام ابن بادس في شرحه للسينية التي سماها بـ «النفحات القدسية» عن الشيخ الفاضل الإمام الزاهد أكبر تلامذته سيدي أبو محمد صالح.

قال: قامت الحرب بالمغرب في جزيرة الأندلس وغلبت الروم على المسلمين، فأخذ الشيخ سيفه، وخرج إلى الصحراء في نفر يسير، وأنا معهم، ثم جلس على كتيبٍ

من الرمل، وإذا بين يديه خنازيرٌ من الروم قد ملأت البرية كثرة، فوثب الشيخ وصار بينهم، فاستل سيفه وعلا بها رؤوسها، فيضرب الفارس فيصرعه وفرسه، وما زال كذلك حتى صرع الكثير منهم، وولت الروم بين يديه هاربة، ورجع.

فسألناه بعد أن رجع إلى حسّه، فقال: هؤلاء الإفرنج أخزاهم الله تعالى، فأرخنا الوقت، فإذا هو وقت النصر، وجاءه المجاهدون بعد ذلك، وأكبوا على رجله، وقالوا له: يا سيدي لو لم تغتنا لهلكنا، وأقسموا له أنه لو لم يكن بين الصفيين لفنؤهم الكفار، ومن بقي أسروه، وأن المسلمين أهل الحرب كانوا يشاهدونه يصرع الفارس وفرسه وهو كذلك.

فلما تمت الحرب، وانهزم المشركون لم يروه بعد ذلك، وكان بينه وبين الموضع أكثر من مسيرة شهر.

قال أبو محمد صالح الدكالي: قدم أناسٌ من المشرق فاشتبهوا عنباً من المشرق في غير إبانة، فقال لي الشيخ أبو مدين: يا صالح! ادخل البستان وأتنا بعنب.

قلت: الساعة خرجت منه ولا شيء فيه، قال: بلى فيه. فدخلت، فإذا الدوالي مملوءة عنباً، فجئت، واحتملت، فأكلوا وأكلت معهم وليس فيه عجم.

وروي أبو العباس الوريدي المعروف بـ «ابن الحاج في شرحه على النفحات القدسية» عن أبي محمد صالح وابن بادس عن أبي الحجاج الأنصاري قال: سمعت شيخنا أبا محمد عبد الرزاق الجزولي يقول: مر شيخنا أبو مدين ببعض القرى بالمغرب، فرأى أسداً يأكل من حمار افترسه، وصاحبه بعيد يبكي من الفاقة، فأمسك الشيخ بناصية الأسد أو قال: بأذنه، وقاده ذليلاً، وقال لرب الحمار: أمسك هذا واستعمله موضع حمارك، قال: أخافه، قال له: لا يستطيع أن يؤذيك.

فمر يقوده والناس يتعجبون، ثم أتى به آخر النهار،

وقال له: ياسيدي! أينما سرت يتبعني، وأنا أخافه، قال الشيخ: اتركه لا بأس عليك، ثم قال للأسد: اذهب فمتي أذيتم بني آدم سلطتهم عليكم.

**قلت:** وهذه الحكاية تدل على أن الحكم له والتصريف، والأولى على البداية، وأن الأرض صارت له قدم.

وحكى الحريشي وغيره قال: كان الشيخ أبو مدين من الأبدال، وهو عظيم القدر؛ صاحب الخواطر والخطوة والكرامات.

وكان يتكلم في الحقائق بعد صلاة الصبح بمسجد بالخضراء بالأندلس، فسمع به رهبان دير يعرف بـ دير الملك، وكانوا سبعين نفراً أو قال سبعين رجلاً، فجاء من أكابرهم عشرة أنفس للاختبار والامتحان، فتنكروا ولبسوا زي المسلمين، ودخلوا المسجد، وجلسوا مع الناس، ولم يعلم بهم أحد.

فلما أراد الشيخ أن يتكلم سكت حتى جاء رجل خياط قال له: ما أبطأك؟ قال: يا سيدي جلست حتى استوعبت الطواقي التي أوصيتني عليها، والآن فرغت منها.

فأخذها الشيخ منه ونهض قائماً، ولبس كل واحد من العشرة طاقية، فتعجبوا الناس من ذلك ولم يعلموا بالخبر حتى شرع الشيخ في الكلام.

**فكان من جملة قوله:** يا فقراء إذا هبت نسيمات القبول والتوفيق والفضل من الحق على القلوب المشرقة أطفأت كل نور.

ثم تنفس الشيخ فانطفأت قناديل المسجد كلها وكانت تنيف على ثلاثين، ثم سكت وأطرق فلم يجد أحداً أن يتكلم؛ لعظيم الهيبة، أو يتحرك.

ثم رفع رأسه وقال: لا إله إلا الله يا فقراء! إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب الميتة أضاء لها كل ظلمة.



ثم تنفس الشيخ فاشتعلت القناديل، وعاد لها نورها واضطربت اضطراباً شديداً حتى كاد يلحق بعضها بعضاً.  
ثم تكلم الشيخ في آية السجدة، فسجد وسجد الناس، فسجدوا الرهبان مع الناس خشية الفضيحة والاشتهار.

فقال الشيخ في سجوده ودعائه: اللهم إنك أعلم بتدبير خلقك، ومصالح عبادك، وإن هؤلاء الرهبان قد وافقوا المسلمين في لباسهم والسجود لك، وأنا قد غيرت ظواهرهم ولم يقدر علي تغيير يواطئهم غيرك، وقد أجلستهم علي موائد كرمك؛ فأنقذهم من الشرك والطغيان، وأخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

فما رفع الرهبان رؤوسهم من السجود إلا وقد مضى عنهم الهجران والصدود، ودخلوا في دين الملك الصمد الواحد المعبود، فأسلموا وبلغوا المقصد.

فأتوا الشيخ وأسلموا على يديه وتابوا وبكوا وندموا على ما كان منهم، وكثر الصياح والبكاء في المسجد.  
وكان مشهوراً، ومات ثلاثة أنفس في المجلس، ففرح الشيخ بإسلامهم.

قلت: هذا الشيخ لم يثبت عنه أنه رجع للأندلس قط منذ خرج منها ولكن لما كان صاحب كرامات، وخوارق عادات يمكن أن خرقت له العادة؛ كما اتفق له مع النصاري في القصة التي تقدمت.

وكان من أبي شعيب في صلاته على حجة الإسلام وهو بالمغرب، والغزالي بالمشرق، وكم لهم من مثل هذه الكرامات رضي الله عنهم!

قال الشيخ الحريفيشي بعد وروده لهذا الحكاية: هذه والله صفة الأولياء الأخيار، والسادات الأبرار؛ أمناء الله على عباده ورحمة لهم في بلاده.

وقد ذكر حجة الإسلام في كرامات الأولياء: إن الأرض لهم خطوة يسرون فيها كيف شاءوا.

وقال محمد بن سهل بن عبد الله لما سئل عن صفة الولي المحققي قال: ما أراد موضعاً إلا وجد نفسه فيه، وإذا شغله أمر أقام الله ملكاً في موضعه يتكلم بلسانه، فالناس يظنون هو وليس بهو.

وقد استوفى هذا المعنى صاحب روض الرياحين: صدق بهم تمل فضلهم، وتتدارك بركاتهم، وإلا سلم لهم. وإياك والتكذيب فتهلك مع الهالكين! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد صح من كرامات بعض أصحابه: إنه كان يصلي الصبح في بغداد، ويأتي مكة، فيجدهم في ذلك الصبح بعينه.

وقد كان من الصديقين من يصلي الصبح بمكة، والظهر بالمدينة، والعصر ببيت المقدس، والمغرب بجبل الطور، والعشاء بسد ذي القرنين، ويبيت إلى الصبح؛ فيصلي الصبح أيضاً بمكة.

فمنهم: من يطوي له الزمان، ومنهم: من يتسع له حتى يتلوا ما شاء من الذكر أو القرآن؛ كما صح ذلك من كرامات الصدراني موسى صاحب سيدي أبي مدين.

وكما حكى ذلك جمال الدين ولد شهاب الدين السهرودي في حجته المشهورة مع والده الشيخ المذكور، عام ثمانية وعشرين من القرن السابع وما أحسن قول أبي حفص عمر بن الفارض في تائيته في هذا المعنى:

وَفِي سَاعَةٍ أَوْ دُونََ بِمَجْمُوعِهِ تَلَى فِيهَا  
ذَلِكَ مَنْ تَلَى أَلْفَ خَتْمَةٍ

وقد ذكر في ذلك الفرغاني، وصاحب مختصره أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد العزيز المراكشي عجب العجاب.

ولولا الاختصار لأتينا من ذلك بما يثلج الصدور، ويرفع  
الوهم والإشكال عمن أراد الله به أن ينفع بهم ممن سبقت  
له من الله العناية، وإلا فلا نجاة للغريق بالتكذيب إلا أن  
يتفضل الله عليه فينقذه بالمحبة والتصديق والتسليم.

وذكر أبو العباس أحمد بن محمد الوريدي المعروف بـ  
ابن الحاج، والإمام أبو علي الحسن بن أبي القاسم في  
شرحه على نفحات القدسية: إن الشيخ أبا مدين مر في  
سياحته ببعض سواحل البحر، فأسرته الروم، فجعلوه في  
السفينة، وفيها جماعة من أسرى المسلمين، فمدوا القلوع،  
فرست السفينة ولم تتحرك مع قوة الريح، فخافوا أن  
يدركوهم المسلمون، وقالوا: لعل هذا الشيخ من أصحاب  
السرائر، فأمروه بالنزول.

فقال لهم: لا أنزل إلا إن أطلقتكم كل من في أسركم من  
المسلمين، فلم يجدوا بداً من ذلك، وأطلقوهم وحينئذٍ  
تحركت السفينة وسارت.

وذكر أبو علي حسن في شرحه على النفحات أيضاً  
قال أبو محمد صالح: سمعت الشيخ أبا مدين رضي الله  
عنهما في عام، أو قال: في سنة ستين وخمسمائة يقول:  
لقيت أبا العباس الخضر، وقد سألته عن مشايخ المشرق  
والمغرب في عصرنا، وعن سيدي عبد القادر فقال: هو  
إمام الصديقين، وحجة على العارفين.

قلت: وكلا من الشيخين؛ سيدي أبي يعزى، وسيدي  
أبي مدين كانا يعظمان الشيخ عبد القادر، وينوهان باسمه،  
ويرفعان من قدره، ولهم في ذلك عجائب وغرائب.

وكان هو يثنى على سيدي أبي يعزى كثيراً؛ كما نذكره  
في الباب الخامس من شهادة المشايخ له من أنه رفيع  
القدر، وأنه حاز قصب السبق على التمام.

ويحكى عن الشيخ أبي مدين: إنه كان له مقام في المحبة  
عظيم، وربما تبرز منه في ذلك شطحات.

وذكر أبو علي حسن بن بادس في شرحه، وأبو العباس

الورنيدي: إن الشيخ أبا مدين تكلم يوماً في مجلسه،  
فجاءت طيورٌ ودارت حوله عاكفة عليه، فتواجد وأنشد  
هذه الأبيات:

تَوَجَّعَ مِمَّرَاضٍ وَإِشْفَاقٍ مَهْمُومٍ  
وَحَوْفٍ مُطَالِبٍ وَحُزْنٍ كَثِيبٍ

وَلَوْعَةٍ مَشْتَاكِ وَسَقَطَةٍ مَسْقَامٍ  
وَزُفْرَةٍ وَالْهَ بَغَيْرِ طَبِيبٍ

وَفِكْرَةٍ جَوَّالٍ لِيَأْخُذَ مِنْ طِيبٍ  
وَفُطْنَةٍ غَائِضٍ الصِّفَا بَنَصِيبٍ

أَلَمْتُ بِقَلْبٍ حَيْرَتِهِ مِنْ الشَّوْقِ حَتَّى  
طَوَّارِقُ ذَلٍّ ذُلٌّ غَرِيبٍ

يُكَابِدُ أَشْجَانًا ثَوْتُ وَاسْتَكْنَتْ  
وَيُخْفِي مَحَبَّةً فِي فُؤَادِ حَبِيبٍ

فهاج المجلس، وضيّجوا وما زال طائراً منها يصفق  
بجناحيه حتى سقط ميتاً، ومات رجل من الحاضرين،  
قلت: والأبيات أصلهم للإمام ذو النون المصري.

يحكى عنه: إنه سأله رجل: ما الذي أنصب العباد  
وأضناهم؟ قال له: ذكر المقام وقلة الزاد، وخوف  
الحساب، ثم قال: ولم لا تذوب أبدان العاملين، وتذهل  
عقولهم، والعرض على الله أمامهم، وقراءة كتبهم بين  
أيديهم، والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في  
الأخيار والأشرار؟ ثم قال: مثلوا هذا في نفوسكم،  
واجعلوه نصب أعينكم، ثم أنشد الأبيات المتقدمة،  
ولذي النون في مثل هذا كثير.

ويحكى عن أبي علي حسن بن محمد الغافقي الصوّاف  
قال: حدثني أبو مدين قال: صليت مع عمر الصباغ  
المغرب، فلما سلمنا قال لي: رأيت وأنا في الصلاة ثلاثاً  
من الحور أو أربعاً، وهن يتبخترن في ركن البيت، فقلت  
له: أعدّ صلاتك فإن المصلي يناجي ربه، وأنت إنما  
ناجيت الحور العين، قلت: أراد أن ينقله إلى مقام أعلى  
من مقامه، وأدبه بقوله أعدّ صلاتك؛ لأن كل شيء من  
دون الله من سائر المقامات حجاب حتى لا يقف مع شيء  
ولا يسكن إلى شيء.

وقد حكى عن أبي يزيد: إنه كُشِفَ بأربعين حوراً  
أحسن ما يكن، ثم قيل له: انظر إليهن، فلما نظر إليهن  
حجب عن مقامه أربعين يوماً بقدر عددهن؛ تأديباً له، ثم  
بعد ذلك كُشِفَ بثمانين فوقهن في الجمال، فقيل له:  
انظر إليهن، فغمض عينيه وسجد، وقال: لا حاجة لي بهن  
دون الله.

اللهم إني أعوذ بك مما سواك، وما زال يبكي يتضرّع،  
وهو ساجد إلى أن حجب عنه، فحينئذ رفع رأسه، وله في  
ذلك مشاهد ومواقف شهيرة

وكان الشيخ أبو مدين  $\pi$  مع اتساعه في المعارف

والعلوم اللدنية يجرّض أصحابه على السلوك بكل وجهٍ  
أمكنه، ويحضّهم بكل إشارةٍ وكل لطيفةٍ.

يحكي عنه: إنه كان يوماً في مسجده الخاص بأصحابه  
أهل الدوق والمعارف، وهو يفيض عليهم على عادته في  
تلك الحقائق، ويأتيهم بكل عجيبةٍ تدل على القرب، وكل  
غريبة من أوصاف أهل الحب.

فبينما هم في ذلك مستغرقون، وإذا برجل دخل عليهم  
شبه الملهوف أو مذهول فقد المألوف، فقال لهم: يا رجال  
ما دخل عليكم هنا حماراً؟ أو قال دابة، وهو في يده  
قضيب كان يسوقها به، فرفع بعضهم إليه رأسه، وقال له:  
يا هذا إن هذا مسجد، وما رأينا لك دابة، فسكت الشيخ  
وأطرق ساعة، ثم رفع إليهم رأسه، وقال لهم: هل فيكم  
من عشقَ قط؟ ولم يكن يتكلم على العشق في تلك  
الساعة، فسكتوا ولم يجبه أحد، إذ لم يعلموا مقتضى مراد  
الشيخ بقوله، ثم نظر بعضهم إلى بعض، ثم رجع الشيخ  
لقوله الذي كان يتكلم فيه إلى أن استوفاه، وختم المجلس  
وقام، فرجعوا جملة أصحابه يتأملون قوله: هل فيكم من  
عشق قط؟ فاتفقوا على أن معنى هذا السؤال: إن الحب  
يجب أن يطلب محبوبه في كل مكان، وأينما توجه، كما  
فعل هذا البدوي طلب حماره حتى في المسجد.

ويحكي عن أبي الفضل فيما ذكره في نجمه قال: رأيت  
هذا السيد أبا مدين في المنام أيام قراءتي للموطأ على خاتمة  
العلماء الأعلام شيخنا أبي عبد الله بن العباس، وذلك  
بمحل تدريسه، قال: رأيت كأني دخلت لزيارة سيدي  
إبراهيم المصمودي، فلما دخلت لمحل دفنه رأيت شيخاً  
مهاباً، وهو جالس نحو قبر السلطان المدفون بإزاء سيدي  
إبراهيم، فقبل لي، أو قال: خطر ببالي أنه سيدي أبو  
مدين، فتقدمت؛ لأقبل يده، فقال لي: سلام عليك،  
فتذكرت أنني لم أقبل: سلام عليك حين دخلت لما غلبني  
من الدهش اللاحق للداخل، ثم ناولني يده، وهي في كم  
ثوب من صوفٍ غليظٍ من لباس أهل مصر.

فلما قَبَلْتُ يَدَهُ دَخَلَنِي بَعْضُ الْأُنْسِ بِهِ، فَطَلَبْتُ مِنْهُ شَيْئًا لَا أُدْرِي دَعَاءًا أَوْ غَيْرَهُ، وَكَانَ عَلَيَّ يَمِينُهُ سَجَادَةً مِنْ جِلْدِ بَقَرِ الْوَحْشِ، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَنَاولَنِيهَا، فَأَخَذْتُهَا بِيَدِي، وَانصرفت عنه، وَفِي قَلْبِي مِنَ السَّرُورِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ.

قُلْتُ: فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا هَذِهِ وَلَعَلَّهُ نَبَّهَ عَلَيَّ التَّوَاضُعَ؛ وَلَكِنْ يَكُونُ فِي غَيْرِ مَذَلَّةٍ، وَذَلِكَ وَصَفَ الصَّدِيقِينَ، لَا عَنْ حَظٍّ كَمَا يَكُونُ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، أَوْ عَوْضٍ أَوْ غَرَضٍ كَمَا يَكُونُ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ تَوَاضُّعُهُ بِاللَّهِ لِلَّهِ خَالِصًا، وَذَلِكَ وَصَفَ الْعَارِفِينَ.

وَحَكِي صَاحِبُ النِّجَمِ الثَّاقِبِ: عَنْ أَحْصَى أَصْحَابِهِ، وَأَكْبَرِ تَلَامِذِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحِ الدِّكَالِيِّ الْمَاجِدِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِيِّ ؓ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَإِذَا بِالشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ طَاطَأَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: اَللّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ، وَأَشْهَدُ مَلَائِكَتَكَ أَنِّي سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ.

فَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ سَيِّدِي أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ: صَعِدَ مِنْبَرُهُ فِي مَجْلِسٍ وَعَظَهُ فِي بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَقَالَ: قَدِمِي هَذِهِ رَقَبَةٌ كُلِّ وَلِيٍّ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ صَالِحٌ: فَأَرَحْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَدَّمَ أَصْحَابُنَا الْمَسَافِرُونَ لِبَغْدَادَ، فَحَدَّثُونَا بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِينَهُ.

قُلْتُ: مَعَ عَظِيمِ قَدْرِهِ كَانَ يَثْنِي كَثِيرًا عَلَيَّ سَيِّدِي أَبِي يَعْزَى؛ كَمَا نَذَكَرَهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ ثَنَاءِ الْأَكْبَارِ عَلَيْهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ: إِنَّهُ حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ.

قَالَ ابْنُ صَعْدٍ: وَكَانَ أَبُو مَدِينٍ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ وَخُصُوصًا كِتَابَ التِّرْمِذِيِّ، فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ شَيْخِهِ؛ أَعْنِي: جَامِعَهُ.

وَمِنْ عَجِيبِ كِرَائِمِ سَيِّدِي أَبِي مَدِينٍ أَنَّ أَوْلِيَاءَ أَهْلِ زَمَانِهِ كَانُوا يَسْتَفْتُونَهُ فِي الْمَعْضَلَاتِ مِنْ مَشْكَلَاتِ الطَّرِيقِ



التي لا يفهمها الفقهاء، فيُجيب عنها في الحين؛ كأجوبته لتلميذه أبي عمران موسى الصدراني الطيار.

قال صاحب النجم الإمام ابن الخطيب، وابن الزيات: كلهم يرون عن أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن محمد التونسي، قال: حدثني أبو مدين  $\tau$  قال: كان يأتيني كل يوم رجل عند انصداع الفجر، يسألني عن أشياء، أو قال: عن مسائل لا تفهمها الناس، وكنت أسمع عن رجل اسمه موسى أنه يمشي على الماء، ويطير في الهواء وغير ذلك من الكرامات. فخطر ببالي ليلة أن الذي يأتيني عند الفجر هو الذي كنت أسمع عنه تلك الخوارق، فطال علي الليل كله؛ لكي أرى الرجل هل هو صاحب تلك الكرامات؟

فلما انصدع الفجر، وإذا به يقرع الباب، فخرجت إليه، فسألني عن مسألة، فأجبته ثم قلت له: أنت موسى؟ فقال لي: نعم، قال: فكان يتخلف إلي في أكثر الأوقات، قلت: وهذا لا يستبعد في كرامات الأولياء الصديقين.

وقد كان شيخ شيخه أبو العباس بن العريف الأندلسي دفين مراكش؛ المتوفي عام سبعة وثلاثين وخمسمائة هـ، هو والإمام أبو الحكم بن برجان في حكاية غريبة اضربنا عنها إختصاراً.

فكان يحضر مجلسه بالمدينة رجال يطيرون في الهواء يُرى علي وجوههم كحرق النار من شدة تحريقهم للهواء، وتلقيهم تلك السموم في زمن الحر، والزمهرير في زمن البرد.

وكرائم شيخه أبي الحسن بن خلف بن غالب الذي أخذ عن ابن العريف شهيرة، رضي الله عن جميعهم، وأنالنا الحظ الأوفر من مناهم بفضله وكرمه.

قال أبو علي حسن بن بادس القسطنطيني  $\tau$ : اعلم أن أبا مدين من صدور المقربين، وعظماء العارفين، وأصحاب الحقائق والمعارف، وذوي التمكين والتصريف، وخرق العوائد ممن جمع له بين علمي الحقيقة والشرعية، وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن، وتخرج به جماعة؛ كسيدي عبد الرحيم القناوي، وأبي عبد الله القرشي، وأبي محمد صالح.



حكى صاحب حرز الأتقياء: إن بعض الصالحين رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: يا رسول الله ما تقول في أبي مدين؟ قال: هو شيخ الشيوخ.

قال: أخذ الطريقة عن أبي الحسن حرازم، عن ابن العربي، عن الغزالي، عن أبي طالب المكي، عن الجنيد، عن خالة السري السقطي، عن معروف الكرخي، عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري بسنده.

وأخذ الطريق أيضاً عن سيدي الشيخ أبي يعزى، ولبس منه الخرقة كما أخذها وليس من أبي الحسن علي بن حرازم، وكلاهما أخذوا عن القاضي أبي بكر بن العربي عن الإمام (٧٥).

وأخذ الطريق أيضاً عن الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني بسنده كما مر.

**قلت:** ظاهر كلام الشيخ: إن الشيخ سيدي أبي يعزى أخذ عن الإمام ابن العربي، وإن سيدي علي بن حرازم أخذه من الشيخ وهو صحيح بهذه النسبة.

وقال فيه الأستاذ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي في حليته، وذكر أبو الصبر الفهري فيمن لقيه من شيوخ الصوفية، ثم ذكر ما قدمناه من أوصافهم من الزهد والمعارف وغير ذلك، عن أبي الصبر هذا، قال ابن بادس وذكر لي بعض الناس عن الشيخ الزاهد المتخلي عن الدنيا، المنقطع إلى الله تعالى أبي النجاة سالم الجيجلي السرقسطي الأصل، البيجائي الدار والوفاة: إنه نقل عن الشيخ أبي مدين ⚭ أبو أحمد وهو: جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيديونه الخزاعي بشرق الأندلس من عمل شاطبة أعادها الله للإسلام، وكان مقامه التوكل.

والشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر الهروي بمرسي جرام، قال أبو العباس زروق: دفن بمرسي عيدون، وكان مقامه المحبة.

والشيخ أبو محمد عبد الرزاق الجزولي، وكان مقامه العلم، وهو بالإسكندرية مدفون.

قلت: وسنذكر بعض ما لهم من المآثر، وبعض من أمكن ذكر اسمه إن شاء الله تعالى فيما بعد هذا، وبقصد الوسع والتيسير، وقصر الباع والعلم القصير.

وذكر أبو العباس بن الخطيب في أنسه عن بعض الصالحين قال: رأيت النبي ﷺ ومعه أبو حامد الغزالي، وأبو مدين، فقال أبو حامد لأبي مدين: ما روح الروح؟ قال له أبو مدين: المعرفة، قال له: فما روح المعرفة؟ قال له: اللذة، قال: فما روح اللذة؟ قال: نظرة الله، قال الراوي: ثم غشيهم نور عظيم، فأخذتهم الملائكة، وصارت بهم حتى غابوا عن بصري في الهواء.

ومما يحكى عنه من علومه الغامضة: إنه وقع اختلاف بين فقهاء بجاية، ونزاع شديد في الحديث الوارد عن النبي ﷺ وهو قوله: «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ أُعْطِيَ نِصْفَ الْجَنَّةِ» (٧٦).

فإن الظاهر يقتضي أن المؤمنين إذا ماتوا استحقوا كل الجنة بكاملها، ولما أشكل عليهم هذا قالوا: ما لهذا إلا صديق! ولا هنا في هذا العصر أكبر من أبي مدين، ففزعوا إليه، وأتوه لما يعلمون من تحقيقه وتدقيقه في المعارف والعلوم، فدخلوا عليه وكانوا قبل ذلك يحل لهم ملأ أشكال عليهم من مثل هذا، فوجده في مجلسه وهو يتكلم على رسالة القشيري.

فلما استقر بهم المجلس عدل عما كان فيه من القراءة، قال لهم: هل أتيتم لما أشكل عليكم من ظاهر الحديث؟ فعلموا أنه كاشفهم، فقالوا له: نعم.

قال: إنما أراد ﷺ أن المؤمن إذا مات أعطاه الله نصف ما كان كتب له في اللوح المحفوظ من جنته التي أعدّها له في

دار الخلود؛ بأن يكشف له عن مقعده في الجنة؛ ليتنعم بذلك، وتقر عينه، فيتنعم برؤية مقامه حتى إذا كان يوم القيامة، وحشر الناس، ونُصب الميزان، ووقع الحساب، أعطي النصف الآخر وكمل له ما قدر له في الأزل.

قلت: ويصح أن يعاين عند موته الجنة التي أعدت له كما روي: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَخَذَ الْكَافِرُ مَنْزِلَهُ الَّذِي فِي النَّارِ، وَتَوَلَّى هُوَ مَنْزِلَهُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ» (٧٧).

كما قال Y: ﴿وَنَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]، فكان له بالنسبة النصف بموته، والنصف الآخر حين استقرار كل أحد فيما أعد الله له من الكرامات والإحسان، قال Y: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وعبر لهم الشيخ على الجملة من غير تفصيل، ويدل عليه أيضا ما في بعض أحاديث سؤال الملكين للعبد: «وَأَنْ الْمُؤْمِنَ يَفْتَحَانِ لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ، وَيَقُولَانِ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ لَوْ أَسَأْتَ لَكُنْكَ أَحْسَنْتَ، وَأَسْعَدَكَ اللَّهُ! هَذَا مَنْزِلُكَ، فَيَكْشِفَانِ لَهُ عَنِ الْجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، وَيَفْرَشَانِ لَهُ مِنْ رِيحَانِهَا وَسِدْسِهَا، وَيَقُولَانِ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعُرُوسِ الَّتِي لَا يَوْقُظُهَا إِلَّا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهَا. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَفْتَحَانِ لَهُ بَابًا فِي الْجَنَّةِ حَتَّى يَرَى مَا فِيهَا، فَيَقُولَانِ لَهُ: هَذَا مَنْزِلُكَ، لَوْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ لَكُنْ لِمَا كُنْتَ فِي دِيْوَانِ الْأَشْقِيَاءِ هَذَا دَارُكَ، فَيَكْشِفَانِ لَهُ عَنِ النَّارِ لَا يُطْفَأُ لَهَبُهَا، وَلَا يَزَالُ يَأْتِيهِ مِنْ فِيحِهَا وَهَمَهَا وَسُمُومِهَا» (٧٨).

وذلك على اختلاف روايات الأحاديث، والله أعلم.  
وكم له من مثل هذه المشكلات لا يفك ختامها إلا هو، ومثله من نظرائه.

ويحكى عن سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزميري دفين باب الفتوح بروضة الصابرين الأنوار بإزاء جامع الصابرين عام ستة أو سبع وسبعمئة في حركة غريبة أضربنا عنها اختصاراً: إن الفقهاء لما تنازعوا بحضرة مراکش في الحوض والصراط أيهما يسبق؟ وطال الخصام على ذلك ثلاثة أيام بين يدي الشيخ الإمام، مكمل إكمال المعلم أبي عبد الله البقوري.

فلما طال الحال ذهب طالب ممن كان يعتقد الشيخ الهزميري لزيارته، ويسأله عن المسألة حتى يشفيه، قال: لما سأله فتح عينيه، ونظر إلى السماء، ورأيت بعينه إتساعاً عظيماً، وهو ينظر ولا يطرف، وهو يقول: «الجنة الميزان الحوض الصراط».

كأنه ينظر في ذلك وهو يكرر قوله، ويشير بإصبعه قال: فخرجت من عنده، وأتيت المجلس، فإذا هو على حاله، فأخبرتهم، فبكى أبو عبد الله البقوري وقال: ليس الخبر كالبيان.

قال الإمام ابن الخطيب: كانت للهزميري، ولأخيه أحوال عجيبة.

قال بعض العلماء: لما وقف على حقائق رياضتها قل أن يكون مثل حالهما لما نشاهده من تحقيقهما في المكاشفة والمقام، وهما من عجائب الزمان.

ولولا الاختصار لأوردنا من أخبارهما ما يزيد المرید في سلوكه صدقاً وتحقيقاً، لكن كفى في التعريف بهما صاحب أئمة العينين في مناقب الأخوين.

وما زال الشيخ أبو مدين مستقراً بمدينة بجاية، وأنواره زائدة الإشراق، وأخباره طبقت الآفاق، والوفود يردون

من الأقاليم من السادات ذوي المكارم، مشاهدين له بأكبر المقام، وإنه شيخ الشيوخ بين الأنام.

فروى جماعة من العلماء: إنه ما زال ذوي الحاجات يقصدونه آحاداً ومع الرفاق، وإخباره  $\tau$  بما سيكون من أمره متحقق واقع، ونور ولايته مشرق ساطع إلى أن وشي به بعض المنكرين لكرامات الأولياء من علماء الظاهر خليفة زمانه ملك المغرب: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الموحدي المعروف بـ المنصور، وأنه عند قدومه من جزيرة الأندلس ألقى إليه ذلك، وكان قدومه في شعبان عام أربع وتسعين وخمسمائة هجرية من ربيع الأول.

وقال له صاحب السقاية فيما زعموا: يا أمير المؤمنين! هذا رجل يخاف على الدولة منه، أو قال: على دولتكم، فإن له شبهة بـ «الإمام المهدي»، وله أتباع كثيرة، وأصحابه في كل بلد وإقليم، زعموا أن ذلك وقع في قلب يعقوب المنصوري، وأهمه شأنه كثيراً، وبعث في القدوم إليه.

وروي: إنه كتب إلى قائد بجاية: أن إبعث إلى الشيخ أبي مدين، وأن احملة حملاً مكرماً.

فلما أتى القائد لأبي مدين، وأعلمه بالخبر، قال له: سمعاً وطاعة لأمر الله  $Y$ ، فأخذ في أسباب الحركة.

وقال أبو العباس بن الخطيب: فشق الأمر على الكثير من أصحابه، وخافوا أن يكون وراء ما يغير القلوب لما جلبوا عليه الملوك من إتياع الهوى في صلاح دنياهم قال: فأتوا إلى الشيخ، وكلموه، فقال لهم رضي الله عنهم وعنه: شعيب شيخ كبير ضعيف لا قوة له على الحركة والمشى، ومنيته قدرت بغير هذه البلاد، أو قال: بغير هذا المكان، ولا بد من الوصول إلى موضع المنية، فقيض الله لي من يحملني إلى مكان الدفن برفق، ويسوقني إلى مرام المقادير أحسن سوق، والسلطان الذي خفتم علي منه لا

أراه، أو قال: والقوم الذين خفتم عليّ منهم لا أراهم ولا يروني، فطابت نفوسهم، وذهب بؤسهم، وارتحل بالشيخ ، فما زالوا يرفعونه برفق حتى بلغ بإزاء تلمسان وادٍ يُسمى: وادي يسر، فنظر إلى العباد وهو مشرف على تلمسان، قال: وما اسم ذلك المكان؟ ف قيل له: العباد، قال: ما أمله للرقاد!

رُوي أنه قال: مليح للرقاد، وقال بعضهم: إنه قال: لا بأس بالنوم في هذا المكان.

وقال آخرون: إنه تُوفي بيسر، وهو المعروف الذي تقدّم، وإنه قريب من تلمسان، وحمل إلى العباد، فاتفتت هناك منيته، وشرفت تلك البقعة بتربته.

ورُوي أنه قال: ما لي والسلطان! الليلة نلقى الأحبة محمد، وحزبه.

قال أبو علي حسن الصوّاف الذي تقدّم: إنه كان ملازماً له ثلاثين سنة لما احتضر الشيخ أبو مدين، واستحييت أن أقول له: أوصني، فأتيته بريبه، وقلت له: يا سيدي! هذا فلان، فأوصيه.

فنظر إليّ، وقال لي: سبحان الله! هل كان عمري كله معكم إلا وصية؟ وأي وصية أبلغ من مشاهدة الحال؟

قال أبو علي الصوّاف: فسمعتة عند النزع، وهو يقول: الله.. الله حتى رقّ صوته.

وقال بعضهم: آخر ما سمعنا منه الحق، وقال آخر: ما سمع منه الله الحق، وروى: الله الحي.

وكان في هذا اليوم مشهدٌ عظيمٌ حتى أنه لعظيم أمره، تاب في ذلك اليوم أبو علي عمر الحياك. وقال لمن سألته: ما رأيت أعزّ من الفقراء ولا أذلّ من الأغنياء.

فقلت له: إن كان هذا حالهم في الدنيا ففي الآخرة أعزّ وأعزّ، فدفعت أثوابي لفقير، وأخذت مرقعة وذكر أموراً

أضرينا عنها اختصاراً.

ولما سَمِعَتْ أهل تلمسان بموته وممن جاورها من السكان أتوا كأنما ساقهم سائق لحضور جنازته.

قال صاحب النجم وغيره، ومن كرامات سيدي أبي مدين:

إن السلطان لما روعه وأهمل حقه؛ خوفاً علي الدولة، وطمعاً في الحياة والبقاء في المُلْك، عاقبه الله بنقيضٍ مقصودٍ، فكانت وفاة هذا السلطان بعده بسنة.

قلت: بل أقل من ذلك، وعاش منعّص العيش بمرضٍ تناول به ما يقرب من سبعة أشهر حتى توفي به.

وهكذا سُنّة الله مع أوليائه، لا يروّعهم أحدٌ ويقتحم حرمهم، أو يهتك سترهم إلا هتك الله ستره، وهذا مجرب من لدن أويس القرني إلى زماننا هذا، ولا تظن أن ظالماً متجرئاً على أولياء الله تعالى وتكون عاقبته خيراً أبداً.

وقد ذكر الإمام الحافظ أبو العباس بن خلكان: خلاف هذا كله في أشخاص الشيخ أبي مدين بمراكش.

قال أبو محمد عبد الله بن سعيد اليافعي الحضرمي في روض الرياحين، وحكايات الصالحين، روي أن أمير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالمنصور الموحد رأى أحوالاً وجدّها في نفسه من أحوال المريدين، وكان سببها؛ قتل أخيه غيرّة علي المُلْك، فندم علي قتل أخيه ندامة أورثته توبة أثرت في باطنه أحوالاً سنية، وتغيّر عليه من نعيمه ما لا يعهد لثمرّة التوبة، فما كان أبركه عليه ذنباً.

وفي مثل هذا قال القائل:

وَرُبَّ قَطِيعَةٍ وَكَم ذَا فِي

جَلَبَتْ وَصَالاً الرِّزَايَا مِنْ خَبَايَا



## جججججججج جججججججج

فشكى ما يجده لصديقة كانت تدخل قصره، وقالت له: هذه أحوال المريدين.

قال لها: وكيف أعمل بنفسى؟ ومن يعرفني ويداويني؟  
قالت له: الشيخ أبي مدين هو سيد هذه الطائفة في هذا الزمان، فبعث السلطان إلى الشيخ أبي مدين وطلبه طلباً حثيثاً، والتجأ إليه، فاقتضى إجابة الشيخ أبي مدين بأن قال له: يطيع الله سبحانه بما أمره من الطاعة، وأما أنا لا أصل إليه بل أموت بتلمسان، وكان هذا الشيخ في بجاية، فلما وصل إلى تلمسان قال لرسل السلطان: سلموا على صاحبكم، وقولوا له: شفاؤك على يد أبي العباس السبتي، ونفعك على يديه، فما أتى الشيخ  $\tau$  وذهبت الرسل، فلحقوا السلطان، وأخبروه بما أوصى به، فطلبوا الشيخ أبو العباس السبتي طلباً حثيثاً حتى وجد وظفر به، فأعلموه من الطلب، فوجد في نفسه إذناً.

أو قال: فوجد من الحق سبحانه إذناً بالاجتماع به، فمشى إليه، واجتمع به، ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبح دجاجة، وخنق أخرى، وأن تطبخ كل واحدة منهما على حدتها، وقدموهما بين يدي الشيخ، وسأله أن يتناول أكلهما، فنظر الشيخ إليهما، وأمر الخادم برفع المخنوقة، وقال: هذه جيفة، وأكل من الأخرى، فأسلم يعقوب نفسه له، ونزل نفسه له منزلة خادم، وفتح له على يديه، وثبت قدمه في الولاية ببركة الشيخ أبي العباس، وإشارة الشيخ أبي مدين.

ويحكى مما جرب ليعقوب بعد أن خرجوا للمصلى: استسقى للمسلمين، فإنه بذلك أمرت، فصلى يعقوب، ثم دعا، فنزل المطر على القوم والله أعلم.

قلت: وهذا أبو العباس هو: أحمد بن جعفر الخزرجي الأنصاري السبتي الأصل، ثم ارتحل لمراكش عام أربعين



هـ، وهو ابن ستة عشر سنة، وتوفي عام واحد من القرن السابع، وله عجائب وغرائب في إغاثة الملهوف، ولكن أعماله كلها مبنية على الفتوح والصدقة، ولا بد أن تقدم بين يدي جميع ما تطلب، وكان أهل مراکش اعتقادهم فيه خبيث، وكان يحلم عليهم ويحتملهم.

وما ظهرت ببركته، واتفقوا على محبته حتى كمل القرن الذي مات فيه وحينئذ اتفقت القلوب على محبته.

قال الإمام ابن الخطيب: إني سمعت يهودياً يستغيث به، ويتوسل به، فقلت له في ذلك، فقال لي: والذي أنزل التوراة علي موسى مما أقول لك إلا حقاً: كنت في قافلة، ودابتي موقورة بمحل، وإذا باللصوص أتوا فبكيت، وقلت: يا سيدي أبا العباس! وإذا بعارض عرض للقافلة فوقفت، وإذا بدابتي زال عرجها، ولحقت بالقافلة، وخلصت من اللصوص.

وهذا الإمام ممن اتفقت الناس على الإجابة عنده، وأنه مجرب مع تقديم الصدقة.

وتقدم قول أبي العباس زروق  $\tau$  لاسيما من ظهرت بركاته بعد مماته أكثر من حياته، كالشيخ أبي العباس السبتي.

قلت: وهذا الشيخ بينه وبين الشيخين أبي مدين، والشيخ الأوحدي: سيدي أبي يعزى مناسبة؛ لأن سيدي أبا العباس أخذ عن أبي عبد الله الفخار عن أبي الفضل السيد الإمام سيدي عياض بن موسى السبتي القاسي القيرواني اليمني.

هذا نسبه الصحيح، ولأجل الاختصار أضربنا عن تحقيق ذلك، و التدقيق فيه، وهو أخذ عن الإمام أبي بكر بن العربي، وسيدي الشيخ سيدي أبي يعزى أخذ كما تقدم عن سيدي أبي بكر بن العربي، كما عرف به الإمام بن بادس في شرحه للنفحات القدسية.

وسيدي أبي مدين أخذ عن سيدي أبي يعزى، وأخذ أيضاً عن سيدي علي بن حرازم عن سيدي أبي بكر بن

العربي، وقد قدمنا سلسلتهم في ذلك.  
وسنزيد في ذلك بياناً إن شاء الله في اتصال سلسلتنا  
بهذه الشيوخ، نفعنا الله بهم في الدنيا والآخرة آمين.  
قلت: هذه الشيوخ الأربعة هم أركان هذه الطريقة في  
إغاثة الملهوف: سيدي أبي يعزى، وسيدي أبي مدين،  
وسيدي أبي العباس السبتي، وسيدي عبد القادر الجيلاني.  
وهم أحمى للحمى من كل كدر بقدر الصدق في  
محبتهم والاضطرار.

وأما الشيوخ المعول عليهم في السلوك والتدقيق  
والتحقيق: فحجة الإسلام أبو حامد الغزالي، والأستاذ أبو  
القاسم القشيري، وهو من أشياخ أبي المعالي الإمام  
المشهور شيخ أبو حامد الغزالي، والشهاب السهروردي،  
صاحب العوارف، وشيخ الجماعة أبو طالب المكي،  
وشيوخ الإسلام الهروي.

وعيون هذا الذي ألفوه، وكل ما جمعه وصنّفوه، فهو  
في كتاب تاج العارفين للإمام ابن عطاء الله.  
وعيون ذلك كله في كتاب الحكم وخاتمة التصوف،  
وإمام أهل الصدق والتعريف: سيدي أبو عبد الله بن  
عباد.

فالكل موجودٌ في تنبيهه ورسائله الكبرى والصغرى،  
المتوفى عام اثنين وتسعين وسبعمائة هجرية.  
ويحكى عنه: لما كان في سكرات الموت كان يكرر:  
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى  
آخرها، وينشد:

مَا عَوَّدُونِي بَلْ عَوَّدُونِي إِذَا  
أَحْبَبْتِي مُقَاطَعَةً قَطَعْتَهُمْ وَصَلُّوا

جججج

جججج

وما زال يكرّر الآية والبيت حتى خرجت روحه رحمه الله تعالى.

وأما أركان الاستغاثة أيضاً في الحياة وبعد الممات، فقد ذكر صاحب الروض النظير وصاحب النفحات القدسية أنهم أربعة: سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي معروف الكرخي، وسيدي حياة بن قيس، وسيدي عقيل، فهم يتصرفون في قبورهم كما كانوا يتصرفون في حياتهم.

وقد كان الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي يثني علي حجة الإسلام ويقول: إذا عرّضت إليكم إلى الله حاجة، فتوسّلوا بأبي حامد الغزالي.

وقد كان هو وتلميذه أبو العباس المرسى يقولان: إنا لنشهد له بالصدقية العظمى رضي الله عنهم أجمعين.

قلت: ما ذكر عن يعقوب المنصوري: إنه امتحن أبا العباس السبتي بالدجّاجتين حتى ظهر له منه الصدق؛ فما زالت الملوك على ذلك إلا أنهم على قسمين منهم: من يفعله؛ ليكون على بصيرة وإلا نهب أموالهم، وتسلط عليهم بالإذاعة وغيرها، وهذا من قلة فهمهم، فإنهم إن لم يكونوا على حقيقة الصدق، فيرعى فيهم حق نسبهم لله إذ هم منسوبون للحق.

وقد قال سيدي عبد القادر: إن لم يكن صاحبي جيّد فأنا له جيّد.

ويحكى عن بعض الملوك فيما رواه صاحب روض الرياحين قال: امتحن بعض الملوك بعض الشيوخ بطعام مزكي، وغير مزكي. يعني مئة بالذبح، وجيفة.

فلما علم الشيخ بذلك قام الشيخ بنفسه، وشرع يفصل ذلك، فيدفع المزكي لأصحابه.

ويقول: الطيب للطيب، والجيفة والميتة للجند، ويقول: الخبيث للخبيث.

فتعجب السلطان من فراسته، فاستغفر وحسن اعتقاده فيه، وذكر من هذا حكاية أضربنا عنها اختصاراً.

ومنهم: أبو محمد يسكر بن موسى الجراوي التادلي الفاسي كانت له في بداياته قراءة على الشيخ ابن حرز حتى تفقه عليه، وحضر مجلس أبي الربيع التلمساني، وصاحب أبا الحسن بن حرازم، وكان ذا جد واجتهاد.

صاحب ورع، وكان لا يتناول مما بأيدي الناس، فاشترى غنماً وأرضاً، فكانت ترعى غنمه في أرضه، فإن احتاجوا إلى اللحم بعث إلى من يأتيه بكبش من ماشيته، وكان وحيد زمانه علماً وعملاً.

وكان أبو عبد الله المهدوي يعيب عليه صنعه، ويقول: لما يتكلف هذا كله؟ فإن الحلال بفاس موجود، هذا فلان الجزار لا يشتري الغنم إلا ممن يعلم حقيقة أمرهم من طيب مكاسبهم، وكان أبو عبد الله المهدوي لا يقبل من أحد شيئاً.

يُحكى عن بعض أصحابه: إنه صحبه ثمانية عشرة سنة فما قبل منه قط، ولو المباح من بقول البرية.

ويُحكى عنه: إنه دخل فاس بنحو من أربعين ألفاً أنفقها في وجوه الخير، وما فاتته صلاة الجماعة في القرويين إلا صلاة واحدة لعذر، وكان أبداً مستقبل القبلة فيها.

توفي بفاس عام خمس وتسعين وخمسمائة هـ، وكان أبو محمد يسكر مع غزارة علمه مجتهداً في العبادة من الصيام والقيام، وكان إذا دخل رمضان طوى فراشه، وأخذ في الاجتهاد وأنشد:

لَا تَجْعَلَنَّ — يُلْهِيكَ فِيهِ مِنْ  
رَمَضَانَ فَكَاهَةً الْحَدِيثِ فُنُونَهُ

ججج

ججج

وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ حَتَّى تَكُونَ

تَنَال ثَوَابَهُ تَصُومُهُ وَتَقُومُهُ

جججج

ججج

وكان إذا زار شيخه سيدي أبي يعزى ربما مال إلى  
ناحية وطنه تاجنيت من بلاد تادلا، فيزور بها إخوانه.  
ويحكي عنه: إنه ذكر يوماً بين يدي أبي صالح بن عبد  
الحليم بن هارون بن سعيد الهسكوري من أهل تاجنيت  
بلدهما.

قال أبو صالح: كنت بجامع القرويين، فدخل عليّ فيه  
أبو محمد يسكر، فأضاء الجامع كله، فصلي فيه ما شاء  
الله، ثم خرج، وإذا الجامع رجع لظلمته كما كان قبل  
دخوله، فهو ونظرائه كما قيل:

هَمُّ الْقَوْمِ لَا يَلْهِهِمْ تَعَلُّقُ قَلْبٍ دُنْيَا

عَنْ مَلِيكَهِمْ بِالْغُرُورِ تَدُورُ

جج

جججج

يُضِيءُ ظِلَامُ اللَّيْلِ فَهُمْ فِي اللَّيَالِي

حُسْنٌ وَجُوهُهُمُ الْمُظْلَمَاتِ بُدُورُ

جججججججج

ججججج

ويحكي عن أبي الأمان الرفروفي قال: زُرت أنا وأبو  
محمد يسكر، وأبو صالح الهسكوري أبا محمد البصير، فلما  
أردنا أن ننصرف عنه قال لنا: أحملوا معكم شيئاً من  
الطعام، فأمر لكل واحد بخمسة أمراء من الشعير، فلما  
وصلنا بلدنا تاجنيت خلطنا ذلك الشعير كله، فكنا نأكل  
منه، ونطعم من يزورنا من إخواننا في الله تعالى.  
قال أبو الأمان بن بشير: فلما عزم أبو محمد يسكر على

الرحلة إلى فاس، اكتلنا ذلك الشعر لنقسمه، فوجدنا الكيل كما كان، فأخذ كل واحدٍ منا خمسة أمراء ولم ينقص منه شيئاً.

وكان أبو محمد البصير هذا من تلامذة أبي موسى بن عيسى بن سليمان الرفروفي أحد أعيان الطريق من أهل تاجنيت من بلاد تادلا، رحل إلى المشرق فقراً على الشاشي ببغداد، والطراطوشي بمصر والإسكندرية والشام، ثم عاد إلى بلده ولزم الجد والاجتهاد إلى أن لقي الله. **ويقال:** إن اليوم الذي تُوفي فيه اجتمع في بيته أزيد من خمسمائة عصى الذين وفدوا لجنائزته، وكانت له دعوة مستجابة ٢ وما هو إلا كما قيل:

يَا نَفْسِي مَا هِيَ إِلَّا كَان مُدْتُهَا

صَبْرُ أَيَّامٍ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ

ججججججج ججججججج

يَا نَفْسِي جُوزِي وَخَلَّ عَنْهَا فَإِنَّ

عَنِ الدُّنْيَا مَبَادِرَةَ الْعَيْشِ قَدَامٍ

جج ججججججج

وتُوفي أبو محمد البصير تلميذ أبي موسى الرفروفي عام سبع وستين وخمسمائة هـ، وتُوفي أبو محمد يسكر عام ثمانية وتسعين وخمسمائة هـ، ودُفن بالقلعة من باب المحروق أحد أبواب مدينة فاس.

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى ٢: أبو زكريا يحيى بن محمد بن صالح المرطاوي من بلد هسكورة، وكان شيخه أبو عبد الله بن أمغار صاحب أبي شعيب الأزموري، وخدم الشيخ أبي يعزى، وكان عبداً صالحاً مجتهداً كثيراً البكاء، فلما غمي ضاعف عبادته، وأوراده شكراً لله

تعالى، كذا عرفه ابن الخطيب، وابن الزيات.  
وفي معنى ذلك أنشدوا:

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً  
اللَّهُ نِعْمَةً

عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا  
يَجِبُ الشُّكْرُ

[illegible]

فَكَيْفَ بُلُوغَ الشُّكْرِ وَإِنْ طَالَ الْأَيَّامُ  
إِلَّا بِفَضْلِهِ وَاتَّسَعَ الْعُمْرُ

[illegible]

وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مِثَّةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ  
ججججج وَالْبِرُّ وَالْبَحْرُ

إِذَا سُرَّ بِالنِّعْمَاءِ عَمَّ وَإِنْ مُسَّ بِالضَّرَّاءِ  
سُرُورَهَا أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى: أبو يلبخت يالطن  
الأسود، كان يجبل دمنات من جبال هسكورة، وبه مات  
عام اثنين وستمئة هـ.

وكان من أكبر المشايخ، وكان له كرامات وبركات وآيات وجدها من بركة شيخه أبي يعزى.

وكان مقامه في التوكل لا يشق غباره، وكان عهد الله ألا يفتح له بشيء من الدنيا إلا رده الله Y حتى لا يعرج على شيء، وله حكايات ومغربات مع الأسود وغيرهم أضربنا عنها اختصاراً.

يُحكى عنه: إنه قال له بعض أصحابه: أتعرف فلاناً من أهل أغمات؟ قال: نعم، وقد زرتة البارحة، ورجعت من عنده لموضعي في ليلتي، وأصبحت بمكاني.

وكان يطحن بيده لزواره، فإذا نصب الرحا انتصب لصلاته، والرحا تطحن وحدها وهو يصلي، فما يكمل ورده يتم الطحين، وله من مثل هذا كثير T.

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى وتلامذته: أبو يخلو الصديقي من أهل تادلا، وبها مات عام إثنين، وقيل: عام إحدى وستمئة هجرية، وكان عبداً صالحاً.

حدث ابن الزيات: عن عبد الله بن موسى بن يحيى ابن أبي بكر قال: حدثني أخي وكان خاصاً بأبي يخلو الصديقي، قال: قال لي أبو يخلو الصديقي: مرضت فأقمت خمسة عشر يوماً لا أعقل فيها أحداً، فلما عدت إلى عقلي صليت الصلوات التي فأتني في الخمسة عشر يوماً، فقطعت الليل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى إلى أن أحسست من جوف الليل شيئاً قد نزل علي خيمتي من السماء؛ كالطائر الكبير، فقال لي: قد غفر الله لك، وهو يكررها ثلاث مرات، فبعد أن صدر منه الحديث تغير وأدركه رعب شديد، ثم قال لي: اكنم علي ما حدثتك به فهو عندك أمانة.

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى آل النور T: أبو الصبر أيوب الفهري السبتي، وقد قدّمنا بعض ما شاهد من كرامات الشيخ، وكان يخدمه كثيراً، وقد قدّمنا أنه حمل له صحيفة من سبته على رأسه من عمل الروم، وسأل الشيخ أن يقبلها منه.



وكان هذا الإمام كبير الشأن في العلم والعمل والزهد والورع.

مات شهيداً في وقعة العقاب في عام تسعة وستمائة هـ في الهزيمة العظمى التي كانت على المسلمين في أيام الناصر محمد بن يعقوب المنصوري.

ويُحكى: إن قواده جروا عليه في تلك الهزيمة كذا ذكره ابن الخطيب وغيره من أئمة السير.

وكان هذا السلطان تحوّك من مراکش إلى بلد أفريقية بجنوده، فروّحها ومهدّها لما نافق غربها، وفتح ميروقة ثانية من بلد الأندلس، ثم إنه حشد بعد وقعة العقاب، وجمع جموعاً لم يجمعها من تقدّم من الملوك ولا بلغها، فلماً بلغ إلى سلا أدركه هادم اللذات، فمات وانقطع أمله، ولم يمسح معرة الهزيمة، ولكن قالوا: الموت في طلب التأخير من الحياة مع العار.

وكان هذا الإمام أبو الصبر قرأ على ابن غالب شيخ أبي مدين الذي كان إذا أشكلت عليه مسألة علمية ينظر يميناً وشمالاً في ركن بيته، فيراها مكتوبة.

وكانت هذه الكرامة لجماعة من الأولياء حتى أن منهم: من يرى الجواب مكتوباً في جبهة السائل، ومنهم: من يراه في الذوات والحائط الذي يقابله، والحصير وما ذلك على الله بعزیز.

وصحب أيضاً أبو الصبر: سيدي أبا مدين، ثم رحل إلى المشرق، فلقي بها الأعلام، والعلماء من الفضلاء كآبي محمد البكري الكبير الشأن في زمانه.

وحكى ابن الزيات: عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال: قال لي أبو الصبر أيوب: رأيت أبا محمد عبد الله البكري بالحرم الشريف ينظر إلى السماء ويقول: ألا ترون أبواب السماء مفتوحة، ما لكم لا تنظرونها؟!!

وأخبر عن أبي محمد هذا قال: كان في ابتداء أمره غلبت عليه أحوال، فإن تكلم بها أهلكته الملوك والعلماء، وإن سكّت هلك؛ لأنه لا طاقة له على السكوت.

قال: فخرج إلى بلاد العجم، فكان يتكلم بتلك الأشياء التي يشاهد، فلم يفهموا ما يقول، فلما سكن حاله رجع إلى بلاده، واستقر بين الناس حينئذٍ.

وكانت والدته من الصالحات، فإذا غاب عنها، وجاء من سفره، خبرته بكل ما وقع له، وما نزل به في غيبته عنها.

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى ؑ: أبو علي مالك بن تماجورت من بلد نفيس، مات بمراكش عام اثني عشر وستمئة هـ، وحمل إلى بلده، فدفن بها.

وكان من أشياخه: أبو محمد عبد الخالق بن ياسين فقيه المصامدة وإمامهم، وكان كثير الزيارة لسيدي عبد الله بن أغمار الصنهاجي صاحب رباط تيط، وهي عين بالبحر يدخلونها خصوصاً يتوارثونها.

قال ابن الخطيب: عن ابن الزيات: وأنهم يتوارثون الصلاح خلفاً عن سلف، قلت: وما زالوا إلى الآن يتوارثونه، والغالب أنهم أعلام، إمام في الصلاح والعلم، أو في الصلاح، ولا تجد من له نسبة حقيقية إلا وتجد فيها خلة من الصلاح رضي الله عنهم، له معه كرامات أضربنا عنها اختصاراً.

وكانت لأبي محمد كرامات ومكاشفات، وكان يسكن بسبت بني دغوغ من عمل مراكش.

وكان أبو محمد عبد الخالق من تلامذة أبي زكريا يحيى بن موسى البطحي، ويقال: إنه من الأبدال، وكذا أبو عبد الله بن أمغار.

وتوفي عبد الخالق عام إحدى وسبعين وخمسمئة هـ، وكان الشيخ أبو علي مالك بن تماجورت يقدمه الشيخ أبو يعزى للصلاة به، ويعظم قدره، ويثني عليه كثيراً، ولم يمت حتى بلغ من السن ما زاد على المائة، وكان كثير الحج، ولم يعلم أحد بذلك، وقد قدمنا أنه حج أربعين حجة.

قال ابن الزيات: زرت في بلده، فلما دخلت عليه رفع

صوته وقال: النَّاسُ سُكَارَى بِحُبِّ الدُّنْيَا، فلا يَصْحَوْنَ مِنْ سَكْرَتِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قلت: بل يَصْحَوْنَ عنها عند الموت، ولكن يقال: مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

وحكي عنه: إنه لما توجه أول سفرة له للحج، كان يواصل يومين، ويفطر في الثالث، فبقي على ذلك في سفره إلى أن وصل إلى صحراء عيذاب.

قال: فضلت عن الرفقة، فأقمت طاوياً يومين وليتين، وأنا مع ذلك أسير سيرا ضعيفا من الجوع، فاشتد ضعفي في اليوم الثالث، فأقمت كذلك يومين وليتين من المدة على ما كانت عادتي، فسقطت قواي، وبقيت في الصحراء طريقاً لا أبصر شيئاً من شدة الجوع، فياست من الحياة، فبينما أنا كذلك، إذ شممت رائحة طعام، فجالت يدي فوقعت على طعام سخن دافي، فعالجت يدي إلى أن قربتها من فمي، فلعقت أصابعي، وفعلت ذلك مرة ثانية وثالثة، فاحسست من نفسي قوة فجلست، وفتحت عيني فأبصرت، فتأملت موضع الصحيفة التي كنت أتناول منها الطعام فلم أر شيئاً. فقميت ومشيت، فإذا أنا قد سبقت الركب، فلما أدر كني سرت معهم، فعلمت أن ذلك رفقا من الله بي، ولطفا عاملي به.

قلت: وفي هذه الصحراء: التقى سيدي أبو الحسن الشاذلي ؑ مع الخضر ؒ قال: فقال لي: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وعاملك بفضله الجزيل، وكان لك مصاحباً في المقام والرحيل، فوجد بركة ذلك الدعاء.

ومن أصحاب الشيخ سيدي أبي يعزى ؑ: أبو جعفر محمود بن يوسف الصنهاجي التادلي الساكن بتاغروت.

مات عام ثمانية وستمئة هـ، وكان يخدم أبا يعزى، فنال بذلك وكانت له كرامات ومكاشفات.

يُحكى عنه فيما نقله ابن الزيات، وابن الخطيب قال: كنت أعامل الله في ثلاث: صيد البحر، وزريرة النحل،

وبستان غرسته بيدي.

فكنت أقسمه ثلاثة أجزاء: جزء لحملة القرآن المنقطعين لقراءته، وجزء لأهلي والوافدين عليّ من إخواني في الله، وجزء لشيخ أبي يعزى، فلزمت ذلك حتى جاءني الفتح من الله تعالى.

وكان الشيخ أبو زكريا يحيى بن محمد بن أبي بكر بن أبي محمد مع الله صاحب مدينه نظير كثير التعظيم لأبي جعفر هذا.

وله كرامات كجده أبي محمد مع الله، وقدّما الإشارة إليه من بعض مكاشفات أبي جعفر. إن بعض الأدباء قال له الحجاج بن يوسف وكان ممن يحب الصالحين، ويأنس إليهم ويزورهم: اذهب بنا إلى زيارة أبي جعفر محمود بن يوسف قال: فقلت له: أتذهب بي؟

أو قال: أتحملي إلى أسود أعمى عامي أعجمي لا علم عنده، وإنما وجدت بركة الشيخ سيدي أبي يعزى، قال: أستفيده، قال: فما زال به حتى وافقه، فحمّله إليه فلمّا دخلا عليه واجههما بديهة، وقال لهما: أسود أعمى عامي أعجمي لا علم عنده، وإنما وجدت بركة الشيخ سيدي أبي يعزى.

قال: فخرجت مما صدر مني، وعلمت أنه كاشفني حقيقة؛ لأنه لم يكن معنا أحد، ولا فارقي صاحبي من حينئذ حتى دخلنا عليه.

وكان أبو جعفر المنصور يقول: أدركت بتادلا ثلاثمائة وسبعين رجلا من الصالحين كلا منهم يزار.

وكان الشيخ أبو جعفر يقول: زرت الشيخ أبا يعزى مائة مرة فما وجدت إلا بركة الرجال.

ويحكى عن أبي صالح بن عبد الحليم الهسكوري وكان من أقران أبي محمد يسكر، وقد قدّما ذكرهما: إنه أتى إلى أبي جعفر هذا، فقال له: أرني بعض ما يتحدث به عنك من الكرامات، فقال له: أنا عبد، فدعني من هذا، فقال له: لا بد أن تريني شيئا من ذلك.

فهوى الشيخ أبو جعفر بيده إلى الأرض فانشقت، فإذا ثعبان عظيم أسود.

فقال له أبو صالح: ناولنيه فمده له، فحكّه أبو صالح بيديه فتلاشى، فكاد أبو جعفر أن يغشي عليه، فقال له: أنا أقول لك أربي كرامات الأولياء، فأريتني بما يظهره أبو حيات للصبيان بمدينة كويت، قال: فجاءت سحابة فوقهما في الحين فرشتهما، وذهبت فافترقا وهو يقول: إنما طالبتك تمثل هذه الكرامات.

ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى: ولده الولي الصالح أبو علي يعزى المدفون بأم أنتمد، موضع اسمه بالعربية. فم الكلتة من عمل مراکش.

وكان في بدء أمره من أبناء الدنيا، وأهل الرفاهية، ولم يسلك طريق الله من الفقر، فلما أراد أبوه أن يموت جاء إليه سيدي عبد الله التاودي حتى أتى به إليه، وظهرت عليه بركاته وسببه ما قدمناه من أنه بعث إليه أبوه فأبى أن يأتيه حتى كلف عليه أبو عبد الله التاودي حتى أتى به إليه، فتاب بين يديه، وظهرت له كرامات وخوارق عادات.

قال أبو عبد الله التاودي: دخلت على أبي يعزى فوجدته قد فاق من مرضه الذي توفي فيه، وعنده ثور أسود، وهو يلحس في ظهر أبي يعزى وجسده بلسانه، وأبو يعزى يمسح عليه بيده ويقول بلسانه الزناتي: أي ثور هذا الطعام يصنع منه؟ ويعيد هذا القول وأنا لا أفهم معناه، وربط الله على قلبي أن أسأله عليه، فأقمت عنده أياماً، فرجع إليه مرضه، ثم توفي بعد واقعة مع ولده، وبصقه في فمه.

قال أبو عبد الله: فقام أبو علي فذبح ذلك الثور الذي كان يقول الشيخ فيه ما يقول، وصنع منه الطعام للناس أكلوه فخلفه في مكانه، وقد لاحت عليه شواهد الولاية.

ولقد حضرت مع جماعة من الصالحين إلى أن جاءه رجل مقعد، فمازال يتفل عليه، ويمسح بيده المباركة إلى

أن قام الرجل على قدميه وبريء؛ كأنما أنشط من عقال  
بعير، ولحق أبو علي يعزى بالأكابر في الحين ببركة  
والده، فجذبه الحق لحضرته، فكان من أهل خصوصيته  
من ساعته.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن أصحاب الشيخ سيدي أبي يعزى: الشيخ الإمام  
الحجة أبو عبد الله محمد بن يعلي التاودي الفاسي، عرف  
به جماعة من أئمة هذا الشأن، مات بفاس عام ثمانين  
وخمسمائة وهو من الأفراد.

ويُحكى عنه: إنه كان يعلم الصبيان، ويأخذ الأجرة من  
أغنيائهم، ويردها على فقرائهم، وكان يغسل ثياب  
الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب، ويخيطها إذا  
احتاجت إلى ذلك، ولا يأخذ في جميع ذلك أجرة.

وكان هذا الإمام في بدء أمره قرأ على أبي الحسن علي  
بن حرازم وقبره بباب الجيسة معروف عند أفراد الناس،  
وكان من أهل الخمول، وإنما ظهرت طريقته بعد وفاته  
علي يد تلميذ أبي عمران موسى البردعي الفاسي بجزيرة  
الأندلس، فأحيا الله هذا الطريق به بعد إندراسها.

ويُحكى عنه: إنه أتاه رجل محتال فقال له: إني رأيت  
النبي ﷺ في النوم، وقال لي: سر إلى أبي عبد الله، وقل له  
يدفع لك ثيابه.

فقال له: اتبعني فدخل داره، وتجرّد من ثيابه، ودفعها له  
من وراء الباب، وبقي عرياناً.

قال أبو يعقوب بن يحيى: حدثني أبو علي حسن بن  
محمد الغافقي الصوّافي قال: سمعت الشيخ أبا مدين  
يقول: زار أبا عبد الله التاودي رجلاً، فرأى أو قال:  
فأبصر هرين بين يديه، وقد جعل كل واحد منهما رأسه  
على الآخر، فقال: يا سيدي! هكذا ينبغي أن تكون أخوة  
بني آدم، فمضغ الشيخ أبو عبد الله خبزاً، ورماه لهما،  
فوثب كل واحد منهما على صاحبه يريد أن يستبد  
بالطعام دون الآخر.

فقال أبو عبد الله: كانت إخوانهم صحيحة حتى دخلت بينهما الدنيا فأفسدتهما، وكذلك بني آدم هكذا تكون إخوانهم حتى تدخل بينهما الدنيا فتفسدها، أو كلاماً هذا معناه.

ويُحكى عنه ٢ في الورع والزهد ما لا يُحصى، سلك مذهب الأحياء.

وروي: إنه دخل بيته يوماً؛ ليرفع منه ثوباً، فوجد الهرة نائمة عليه، فكره أن يوقظها فخرج وترك الثوب حتى استيقظت الهرة.

ويُحكى عن بعض ثقة تلامذته: إنه خرج مرة من فاس مع بعض أصحابه إلى تاود، قال: فمشيت معه ساعة، ثم أخرج من تحته أرنباً وقال: اذهبي حيث شئت الآن فقد أمنت، فقال لصاحبه: إن كلاب الصيادين ألجأتها إلينا فسترثها بثوبي إلى أن بعدت من الصيادين فأرسلتها.

قال الشيخ أبو عبد الله الساحلي: كان أندلسي الأصل، وقيل: بل كان من تاود من أعمال فاس.

وكان من الأفراد المشهورين، كثير البذل والإحسان، من أهل العلم والعمل، شهير الكرامات، حسن الإشارات، جميل المقاصد، كبير الشأن، متين العلم، صادق اللهجة، طلق الوجه.

له أحوال تبين عن رفيع مقامه، وتمكين معرفته بالله تعالى.

وروي: إن رجلاً من فاس من كبرائها وفضلائها كان له عرس، فدعا فضلاء أهل فاس إلى داره؛ ليحضروا عرسه، فقبل له في نومه ليلة يوم العرس: إن شمس هذه البلدة يحضر غداً عرسك، قال: فلما أصبح جعل الناس يأتون العرس، وصاحب العرس يقول في نفسه: ليت شعري! من الذي هو شمس هذه البلدة؟

فبينما هو كذلك؛ إذ دخل أبو عبد الله التاودي، فقال لصاحب العرس: فيما أنت تفكر؟ أنا هو شمس هذه البلدة.

وكراماته أكثر من أن تحصى، كان له في طريق القوم قدم رأسخة، وحال كبير، ومذاق شريف.



قال أبو عبد الله الساجلي: وكان يقول إذا ذكر له الشيخ الكامل أبو يعزى: هو رجل صوام قوام ثواب، لكنه لم يشم لطريقتنا هذه رائحة أو عباراً. وكان الشيخ أبو يعزى يُشهد له بالفضل والتقدم، ويطلق لسانه ثناءً عليه.

أخذ عن شيخه أبي الحسن بن حرزهم، ويقول له: إن أبا عبد الله التاودي قطع مقامات الشيخ أبا يزيد البسطامي كلها في أربعين يوماً.

قلت قول أبي عبد الله في شيخه، وصاحبه الشيخ الفاضل عدة الزمان سيدي أبي يعزى هو صوام قوام ثواب، لكنه لم يشم لطريقتنا هذه رائحة أو عباراً. يعني إن الشيخ كان أمياً، ولكن كان له من الله نور ساطع، وبرهان قاطع على بينة من ربه في جميع تصرفاته.

والشيخ أبو عبد الله التاودي كان تصرفه على طريقة الأحياء واقفاً مع الأمر والنهي، سالكا مسلك أهل الورع، فأبو عبد الله قبضه الورع، والشيخ سيدي أبو يعزى بسطته المعرفة رضي الله عنهما، فافهم ذلك.

ويحكى عنه: إن رجلاً من أهل فاس كانت له دالية بداره، وكان كل سنة يأتيه بالعنقود الأول الذي يطيب في عريشه، إلى أن أتاه مرة وهو في المكتب، فقال له: أقسمه على الصبيان، فكل واحد أعطه عرجوناً، أو قال: ادفع له غصناً، فقال له: إنه لا يكفيهم، فقال له الشيخ: افعل ما أمرتك به، وليس ذلك إليك، ففعل الرجل فوسعهم وفضل من العنقود.

وروي عنه: إنه كان له عدة أولاد، فاحتاجوا إلى أن يفصل لهم ما يلبسون، فذهب إلى الخياط وأعطاه الطرف، وحبس الطرف الآخر تحته، والخياط يفصل إلى أن فصل ثياباً عديلة، تشهد العادة إلى أنه لا يفصل من مثلها ذلك، فمل الخياط، فتعجب، فقال: ياسيدي! هذه الشقة لا تتم أبداً، فرمى له الشيخ بالباقي، وقال الشيخ: قد تمت سترًا للحال وهكذا شأهم الغيرة.

ويحكى عنه: إنه أتاه رجل بدرهم، وقال له: تقبلها مني، فقال له الشيخ: لا أحتاجها، فالح عليه الرجل، فلما



رأى منه العزم رفع له سليخةً كان يجلس عليها، فرأى  
دراهم قوية، فلما أبصر الرجل انصرف عنه، وعلم أنه  
غني بالله لا بدراهم بني آدم.  
والسليخة هي المعروفة عند العامة: بالهيدورة، والله  
أعلم.

ومن غر مناقبه T: إنه كان له صديق، وهو أبو إسحاق  
الخرّاز، فاستدعى أبا عبد الله للمبيت عنده في جماعة فيهم  
الفقيه أبي يحيى، والفقيه أبو بكر بن خلف المعروف  
بالوراق، وأبو عبد الله البقال.

فاستعار أبو إسحاق لحافاً من جيرانه؛ بل من بعض  
أصهاره، وكان في زمن البرد الشديد، فلما أصبحوا جعل  
اللحاف على حائط، ووضع النساء مجمر النار قريباً منه،  
فسقط بعض اللحاف على المجمر فاحترق بعضه، فاغتم  
أبو إسحاق لذلك، وأعلم أبو عبد الله التاودي، فقال له:  
جئني به لأنظر في أمره، أو قال: في إصلاحه، فأتاه به  
وحمله، ثم أتاه أبو إسحاق فدفع إليه اللحاف فنظره، فإذا  
لا أثر فيه ولا حرقاً ولا إصلاحاً، فتعجبت أنا ومن عندي  
من الأهل، ولولا معرفتنا باللحاف لقلنا بدل بغيره.

ويُحكى عنه T: إن زوجته غزلت غزلاً فدفعته لأبي عبد  
الله التاودي، فقالت له: بعه واشتري بثمانه أضحية ولا  
تعطها أحداً لما تعلم فيه من البذل للمعروف، فباع الغزل  
واشترى كبشاً، وأعطاه للحمّال يرفعه، فلما كان في أثناء  
الطريق لقي امرأة وزوجها يتنازعا، فسأل عن سبب  
نزاعهما، فقيل له: طلبت منه زوجته أن يشتري لها  
أضحية، فقال لها ليس عنده ما يشتري لها به شيئاً، فدفع  
له أبو عبد الله الكبش، وأتى لداره، فقالت له زوجته:  
وأين الكبش؟ قال: تركناه يعلف لنا، ثم خرج من الدار  
فلقي رجلاً، فقال له: عسى أن تذهب معي، فوافقه فلما  
دخل الدار أوقفه على أكباش معلوفين، فقال له:  
ياسيدي! عينت لك كبشاً لأضحيتك، فقال له أبو عبد  
الله هو هذا، قال الرجل: نعم والله ياسيدي هو الذي  
عينت لك وعجب من فراسته وزاد في صدقه ومحبته فيه.

ومن أصحاب الشيخ أبا يعزى ؓ: أبو محمد عبد الحق بن أبي إسحاق الهسكوري، مات عام إحدى وتسعين وخمسمائة هـ، وكان من كبار المشايخ، أدرك أبا الأمان، وأبا شعيب أيوب بن سعيد السارية، وكان يزور الشيخ أبا يعزى.

وله كراماتٌ أضربنا عنها اختصاراً، وتقدّم بعضها حين ذهب لسيدي أبي يعزى، فأخذ صاحبه العطش، فأخرج له كوة من تحته، راجعها في كرامات سيدي أبي يعزى. وإعلم أن هذا الشيخ ممن قد أشرقت لأنواره ومادته حياً وميتاً، وظهرت أسرارُه حتى قال بعض الصالحين: لا تزال تظهر له كرامة كل زمان وحين نفعا الله به آمين.

## الباب الخامس

في إخوانه الذين شهدوا له  
بعلّيّ المقام وأنه حاز قصب السبق في هذا  
الطريق على التمام

وقطع المقامات، وسلك المعالي من الرتب الساميات، والأحوال الزاكية، وشهادة العلماء الذين عاصروه فمن هؤلاء: سيدي أبي الحسن بن حرازم، كان يُشهد له بكبير المقام، وكان يقول لأصحابه: كل ما يطلبه من مولاه يعطيه له.

ومن (العارفين أهل الحقائق: سيدي عبد القادر الجيلاني (٧٩)، كان إذا فاضت عليه أنوار الجمال فيقول: كذا وكذا، وأنواع الشطحات، فربما قيل له: هل تعلم لك في الوجود نظير؟ أو كلاماً هذا معناه، فيقول لهم: عبد حبشي بالمغرب اسمه آل النور، وكنيته أبو يعزى له مقام عظيم قل من يبغى من الأوائل والأواخر، وثبت الشاء من كل منهما على صاحبه.

قال الشيخ أبو العباس بن الخطيب ؓ: كان أبو عمران

موسى بن محمد بن معطي العبدوسي كثير التعظيم للشيخ أبي يعزى، وكان يصرح فيه بالثناء حتى سمعته قال ما في الأولياء مثله.

قلت: هذا الشيخ كان يُسمّى في زمانه شيخ الجماعة؛ لأنه كان يحضر في مجلسه الفقهاء والصوفية.

فمن الصوفية: سيدي أبو عبد الله بن عباد، وسيدي أبو حفص عمر، وسيدي محمد بن عمر الهروي الوهراني الدار، وسيدي الحسن أير كان.

وعامة فقهاء فاس كلهم يحضرون مجلسه في المدونة، وكانوا يأتون في المجلس أزيد من أربعين شرحاً وكان لإدلاله فيها عجب.

وفي زمانه وقع من السلطان أنه عمل طعاماً، ودعا إليه جماعة من أهل الفضل، كسيدي أبي الربيع سليمان بن يوسف بن عمر صاحب التقييد على الرسالة وهم خمسة: فمنهم: من أكل، ومنهم: من استظهر بالصوم، ومنهم: من حمل خبزه وايتدم من ايدام السلطان، ومنهم من امتنع من الأكل وقال: أنا أحمل طعام السلطان للبركة، فلما خرجوا سألهم هو عن هذا الأمر وما اتفق لهم:

فأما الإمام ابن عباد فهو الذى أكل فقال: طعامٌ مستهلكٌ ترتب في ذمة مستهلكه، وقد مكّني منه عن طيب نفسه، فبأى وجه أتركه! قال: صدقت.

وقال الذى استظهر بالصوم: تركت الشبهة بكل وجه أمكّني قال له: بارك الله فيك.

وقال الذى ايتدم بايدام السلطان: طعامٌ مستهلكٌ ترتب فيه القيمة، فكنت أكل وأقدر، فلما خرجت أعطيت ذلك للمساكين؛ لأن أربابه مجهولون.

وقال الذى أخرج الطعام: إنه مالٌ جهلت أربابه، فالمساكين أحق به، فأخرجت لهم ما أمكّني خروجه، وكان هذا الإمام من تلامذة أبي زيد عبد الرحمن بن عفان صاحب شراحة الرسالة الذين قيدوا في مجلسه أصحابه ولم يقيد هو منها شيء، وتوفي في حدود الأربعين وسبعمائة

هـ. وثوفي الإمام العبدوسي في سنة ست وسبعين وسبعمئة هـ.

قال الشيخ بن الخطيب: وما رأيت في الفقهاء أعظم تعظيماً للشيخ سيدي أبي يعزى، ولقد كان في كثير مجالسهم بيدي لنا، ويذكر ما ظهر من أحواله وكراماته، ويصرح بحكايته في الزكاة ما قدمناه بدفع تسعة أعشار للمساكين، ويكتفي هو بالعشر.

قلت: وسيدي أبو يعزى ؑ؛ كشمس الضحى فلا يحتاج إلى دليل، ويكفي في هذا شهادة أبي محمد يسكر، وأبي الصبر، وسيدي أبي مدين، وسيدي عبد القادر الجيلاني، فإن هؤلاء كلهم شهدوا له بأكبر المقام، ويكفيك أن ما من ولي في المغرب إلا زاره وتوسل به.

وكان شيخنا أبو الحسن سيدي علي بن إبراهيم كثير الزيارة له، فلما كان في آخر حاله قالوا: كان كثير الزيارة لولده أبو علي يعزى.

## فصل

وأما من أخذ عن هؤلاء المنسوبين لأبي يعزى ؑ فهم كثير، ولا سيما ما خرج على سيدي أبي مدين، فأكبرهم قدراً أبو محمد صالح بن ينصار بن عيقان بن الحاج بن يحيى بن أيلخت هكذا وجد بخط يده نسبه، هذا وكان من دعائه: اللهم! يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، نسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها، وما لم أعلم أن تغفر لي ذنوبي، وتحسن عوني على طاعتك، وتيسر لي أسبابها، فأني لا أملك لنفسي نقماً ولا ضراً، وأنت العالم بذلك بجودك وكرمك.

وكان سيدي أبو محمد صالح كثير الزيارة لسيدي إبراهيم أدار إسماعيل بن وجمان الرجراجي، وكان صاحب خوارق وكرامات، مات إبراهيم هذا عام خمس وتسعين وخمسماية هجرية.

وكان أبو عبد الله الهزميري كثير الزيارة لسيدي أبي

محمد صالح، وربما عكف عند قبره المدة المديدة، وأكثر أصحاب أبي مدين بالمشرق وإفريقية.

**فأما أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي:** المتقدم الذكر قبل هذا الباب، فكان أمياً، ثم فتحت بصيرته ببركة الشيخ، فدخل الخلوة الأربعينية، فقال إمام المهديّة: إن مات عبد العزيز لا أصلي عليه؛ لأنه قتل نفسه، فبلغه ذلك فقال لهم الشيخ: هو يموت وعبد العزيز هو يصلي فكان كذلك.

ويُحكى عنه: إنه بلغ في القرآن إلى سورة قد سمع الله. وكان فصيح اللسان، عجيب الحظ والبنان، راسخ الجنان، وكان الشيخ أبو مدين يثني عليه كثيراً، ويقول: عبد العزيز سبع النفوس، وله تصانيف على هذا الشأن، وكان من أرباب التوكل، توفي عام إحدى وعشرين وستمائة هجرية، وغلبت عليه أنوار المحبة.

**وأما الشيخ أبو محمد عبد الرزاق بن محمد بن إسماعيل الجزولي:** فكان في آخر عمره مستقراً بالإسكندرية، وكان له مقام عظيم.

ومن كبار مشايخ هذا الطريق قال ابن الزيات: حدثني الثقات عن الشيخ الصالح بن ينصار بن عفيان الماجري عن أبي محمد عبد الرزاق: إنه كان يواصل سبعة أيام، فقل ذلك لأبي مدين، فقال: دعوه فإن كان صادقا فسينتفع بذلك، وإن كان كاذباً فعقوبته ذلك.

وتقدمت حكايته مع الشيخ أبي مدين في تربيته لولده، وتزويجه الجارية أم الولد.

وحكي عن الشيخ سيدي أبي محمد صالح: إنه كان يقول غير ما مرة اعتمد شيخنا أبو محمد عبد الرزاق من أمر كان بينه وبين زوجته، وربما آذته بلسانها، وربما ضربته فاعتزلها وانفرد في زاوية ذي النون المصري بأخميم، قال: فغدونا إليه يوماً، فوجدناه قد تلطخ بالدماء ورأسه مجروح، فحدثني: إنه كان بالزاوية بالليل وبأبها مسدود عليه، فإذا برجلٍ مدَّ يده إلى الباب فانفتح، فدخل عليه،

فقال له: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا موسى الهروي، فقال لي: يا عبد الرزاق اسمع أحدثك، فأنشأ يحدثه عن نفسه ولم يصرح، فقال له: ذهب رجل إلى ولي من أولياء الله تعالى سمع به، فسار إليه مسيرة شهر، فدخل البلد الذي كان فيه بالليل، فنزل في أعلى الدار التي كان يسكن فيها ذلك الولي، فسمع كلام امرأة ذلك الولي وهي قد أتته بطعام لعشائه، فقالت له: خذ يا هذا المرائي، فوالله لو علم الناس ما أعلم منك لرجموك بالحجارة، فلما سمع الرجل كلامها تغير لونه، وتبدلت نيته، وخسر ظنه، وقال: أتيت هذا الرجل فإذا هو هكذا، وهم بالانصراف دون أن يراه. فلما أصبح استقبح الرجوع دون أن يراه، ثم قرع الباب: أعني باب الشيخ، فقالت زوجته: إن الشيخ ذهب للغابة ليحتطب، فذهب وراءه فوجد الشيخ وهو ما بين الشجر والأسد يكسر له الحطب وهو يجمعه ويربطه بجبل، فحمله على ظهر الأسد إلى أن قرب من العمران، فأزال الشيخ الحطب عن ظهره، ورجع الأسد إلى الغابة، فاتى إلى الشيخ فقبل يده، وقال له: يا سيدي! بما نلت هذا المقام؟

قال له: بصبري على ما سمعته البارحة، ثم قال له موسى الهروي: أنت يا عبد الرزاق، وضع الله لك التعظيم في قلوب أهل المشرق وأهل المغرب، وسخروهم لك إلا عجوزاً واحدة لم تستطع الصبر على خلقها، ثم غاب عني، فصحت صيحة شديدة، ووقعت مغشياً على الأرض، فإذا بي قد وقع رأسي على الحائط فأنجرت كما ترون، ثم قال لنا عبد الرزاق: فوالله! لا أبالي بعد هذا بما تفعله بي الزوجة، ولو نتفت لحيتي ما أنكرت عليها شيئاً من ذلك، ثم طرح ثيابه صدقة للفقراء، وشكر لتلك الرؤيا فباعوها وأكلوا ثمنها.

قلت: موسى الهروي هو أحد الكبراء، وكان من أصحاب أبي مدين، له الخوارق والكرامات الكثيرة من مشي على الماء، وكان في طي الأرض له عجب العجائب، وكان الشيخ أبو العباس المرسى ت يثني كثيراً على الشيخ

عبد الرزاق، وكذا تلميذه تاج العارفين، وهو من أشياخ  
الشيخ أبي الحجاج الأقصري الإمام المشهور، وكان يقال:  
هو من الأبدال؛ بل قالوا: كان له التصرف العام كما  
حكى ذلك عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي ؑ، وأنه لما  
توجه من إفريقيا إلى مصر قيل له ليلة: إن الشيخ أبا  
الحجاج الأقصري توفي البارحة، وهو كان صاحب  
الوقت، وأنت تخلقه.

وقد نبّه على هذا المعنى صاحب الدرة والله أعلم أعني:  
ابن الصباغ، وحكاية الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وأبي  
علي بن السماط في مبايعته له بذلك شهيرة.

وأما الشيخ عبد الرحيم: فكان كامل الأوصاف، فهو  
من أصحاب الشيخ أبي مدين، وقد لقي جماعة من  
الفضلاء؛ كشيخه أبي مدين، وكان خدّم كثيراً أبي النجاة  
المدفون بغوث.

قال صاحب النفحات القدسية في سنيته:

وللمغربي عبد من الفهم للقرآن

الرحيم مواهب جلت عن الخرس

ججج

جججج

وفاضت من السر عليه وفي الأقطاب

المصون بحوره عد بلا خلس

جج

جججج

قال ابن بادس في شرحه: كان اسم هذا الإمام في  
المغرب أسداً، قال: فلما فتح الله عليّ، وعانيت كرامة الله  
عليّ، ورأيت وصف الرحمة، وشاهدت الطاف المولى،  
سميت نفسي عبد الرحيم طمعاً فيما عاينت.



وقال أيضاً أبو عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون المغربي نزّيل قنا: له إشارات ثابتة، وكرامات خارقة، وأنفاس صادقة، واليد البيضاء في تفصيل معاريج القلوب والبصيرة الثاقبة، والسريرة الشارقة، وهو ممن آتاه الله كنزاً من معرفة الكتاب والسنة والحكمة ومفتاحاً من علم السر المصون، ورفع له القبول والهيبة في القلوب.

وقال صاحب حرز الأتقياء: اجتمع بالشيخ أبي مدين ومن عاصره، وقال عن بعض أصحابه: رأيت الملائكة تصافحه، والجن بعد صلاة الصبح إلى الضحى، فركع، وخرج إلى بستانه، فرأيت الأشجار تسلم عليه، وتشتكي إليه بالعطش، وكان هذا الشيخ خدام أيضاً أبا النحاة المدفون بغوث، ونسبه إليه ابن أبي المنصور في رسالته، وكان له التصرف البالغ.

وحكى أبو الحجاج الأقصري: إنه اجتمع بالشيخ عبد الرحيم، والشيخ عبد الرزاق الجزولي بمصر، فأطرق الشيخ عبد الرحيم ملياً، ثم قال لعبد الرزاق: يا أخي! إني نظرت اللوح، فرأيت فيه حضور رجل من الأبدال في القدس، وإنه محتضر في هذه الساعة، وقد أمرت أن أحضر وفاته، فقاما وحضراً موته ودفناه وعادا في بقية يومهما لمصر، ثم قال للشيخ أبي محمد عبد الرزاق: قلب وهب مقام هذا البدلي لشيخ في سفينة في النيل، وقد أمرت أن أتى به، فذهبا إلى الشاطيء، فإذا السفينة في الشاطيء الآخر، فغرس عصاه في الأرض، فوقفت السفينة لا تذهب يمينا ولا شمالا.

فمرَّ الشيخ عبد الرحيم حتى وقف عليها، ونادى باسم الرجل فأجابه، فلما قرب منه أخذه بيده، ومشيا على الماء إلى الشاطيء الآخر، ونزع الشيخ العصا الذي غرس، فسارت السفينة، ثم انطلق الشيخ عبد الرحيم، وأبو محمد عبد الرزاق مع الرجل الذي أتى معهما لبيت المقدس بقية يومهم، ووصلوا به المغرب، وجلس الرجل في مقام الميت، ووهبه الله مثل حاله ومقامه.

ويُحكى عن الشيخ أبي محمد عبد الرحيم: إنه شكاه



رجلٌ بفاقته وفقره وكثرة عياله، فأعطاه قدحاً من بُر، فقال له: اخلطه على بُرك واطحن ولا تكتل، فكانت زوجته تطحن كل يوم قدحين أربعة أشهر، فلما أعلمت الجيران بذلك نفذ.

قلت: قول الشيخ أبي محمد عبد الرحيم: إنه رأى اللوح المحفوظ أعني: مثاله لا هو حقيقة، وأعلم أن الأولياء حيث قالوا: شاهدوا اللوح أو الجنة أو النار، إنما ذلك المثال؛ لصفاء سريرتهم، وإشراق بصائرهم، ولا يشاهد حقائق الأشياء من اللوح وغيره إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد نبه على هذا المعنى شيخ الوقت في عصره، وإمام لمن بعده: أبو العباس المرسى، كما ذكر التاج في لطائفه رضي الله عن جميعهم.

وحكى الإمام تقي الدين بن دقيق العيد عن أبيه فخر الدين أنه قال: زرت أنا والشيخ أبو الحجاج الأقسري قبر الشيخ أبي محمد عبد الرحيم، فلما وقفنا عليه خرج من القبر نور؛ كدائرة الشمس، وجاءت حتى مست أبي الحجاج، فكنت أقول روح الشمس أبي محمد عبد الرحيم، وهو شريف حسني سكن قنا من بلد الصعيد إلى أن مات سنة اثنين وتسعين وخمسمائة هجرية.

وكان هذا الشيخ مع جلالة قدره يثني على الشيخ سيدي عبد القادر؛ كشيخه سيدي أبي مدين، وشيخه سيدي أبي يعزى رضي الله عن جميعهم، ووهبنا ما به تحفهم وأكرمهم.

قال الشيخ أبو العباس الورنيدي: الشيخ أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد المغربي صاحب كرامات، وخوارق عادات وأنفاس صادقة، وذكر أن الله أعطاه مواهب عظيمة في فهم معاني القرآن، والإطلاع على أسرارهِ، وليست بظنية؛ بل حقائق ربانية، وعلوم لدنية ليست بحدسية ولا ظنية؛ بل مواهب ربانية، وإلهامات قطعية، وكشوفات يقينية لا يطرُقها شك، ولا يخالطها ظن.

وبهذا الوجه فاق الأولياء غيرهم، فإن علم الأولياء قطعي وعلم غيرهم أكثره ظني.. انتهى.

وقال أيضاً: إن هذا الشيخ فاضت عليه بحور أسرار الله تعالى المكنونة عن غيره، وأطلع الله تعالى على كنوز علم القرآن ومعارجه وخواصه؛ لأن علوم القرآن وأسرارها لا تتناهى. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وإنما يفتح الله تعالى منها لأوليائه على قدر مقاماتهم عنده، وذكر أن الشيخ معدود في جملة الأقطاب من غير أن يتأخر عن درجاتهم.. انتهى.

قلت: هذا مقام القطبانية والفردية، فجمع المعارف، وتحقيق أمن الخائف، ورتبة الصديقية العظمى إليها تنتهي آمال كل عارف، ولا تتناهى معارفها وحقيقة رتبها؛ فلذلك ترى كل من له نسبة حقيقية أو وسمية يدعيها، وعن غيره ينفيها ولو لم يرها إلا شم ريحها، أو رأى بعض إشراف أنوارها طالعة على غيره، فظن لوهمه أنها عليه طالعة غيره من الحق على إظهار هذا السر المصون أن تظهر حقائقه في دار الدنيا.

فكانت تلك الدعاوي من أربابها نعمة عظيمة على الصادقين، وفضيحة كبيرة على الكاذبين كما قال أبو حفص عمر بن الفارض ؓ في تأنيته:

فَفِي حَالِ سُكْرِي بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ  
حَانَ شُكْرِ لِفُئَةِ الْهُوَى مَعَ شُهِرَتِي

جججج

ججججج

فحضور أهل الدعاوي مع وجود الصادقين نعمة شاملة للصادقين، وكرامة للعارفين، وصوناً لحالهم والتباساً على غيرهم حتى لا يطلع عليهم إلا من أراد الله انتفاعه

كما قال صاحب الحكم ٢: سبحان مَنْ لَمْ يَجْعَل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتابه ختم الأولياء: للقطب مائة ألف مقام وأثنى وأربعين ألف مقام، وكل مَنْ فتح له في مقام من تلك المقامات ينكر على مَنْ فوقه، وينفيه عنه، وينسبه للنقص أو الجهل، وربما أخرجته عن هذه الدائرة، وهذا من أعجب العجائب، فلا يبقى للعاقل إلا التسليم، وترك الاعتراض على أرباب الصدق والتقديم.

قلت: التسليم مقام عظيم لا يُكرّم به الحق إلا مَنْ أحبه، وإنه من أهل دائرة الخصوصية إلا أنه على قسمين: تسليم إذعان، ومحبة وصدق وإيمان، وهذا لأرباب العرفان، والسادات أهل مقام الإحسان. وتسليم متاركة لسلامة الدين والمروءة، وهذا لكل جاهل ومكابّر كما قيل:

دَعِ النَّاسَ فَمُرَادُ الْحَقِّ مَا

وَمَا هُمْ فِيهِ دَفَعُوا إِلَيْهِ

جججججججج جججججججج

قال أبو العباس زروق ٢ في بعض رسائله: وأوصيكم بوصية مباركة، وهي: أن تسلموا لكل أحد فيما هو فيه من أعمال وأحوال وعلوم، ولا تنازعوه؛ بل تتركوه، وما دفع إليه، فمراد الحق ما هو عليه، ولا تقتدوا بغير ما صح من الكتاب والسنة.

وقال في موضع آخر من رسائله: واتركوا الناس، وما دفعوا إليه من أنواع التلف.

وقال في موضع آخر: فانظر إليهم بعين الحقيقة، واحكم عليهم بالشرعية، ودع اتباع الهوى وحمية الجاهلية، فإنها

أهلكت الأولين وكذا تفعل بالآخرين.  
وأما أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن هاشم  
القرشي قال ابن بادس:

هو أحد المشهورين من أكابر المشايخ العارفين،  
والأولياء المذكورين، والأفعال الخارقة، والأحوال  
الصادقة، والأنفاس المحققة.

روى عنه جماعة من الصديقين أنه قال: رأيت القيامة،  
ومراتب الخلق فيها ومقامات الأنبياء، ورأيت صور  
الأعمال كيف تظهر على أربابها، ورأيت البرزخ وأحوال  
الموتي، ورأيت شخصاً كنت أعرفه، وهو يترقق لي من  
شدة حاله، وما كنت علمت بموته، فسألت عنه فقيل لي:  
مات.

ومات الإمام القرشي عام سبعين في السادس والعشرين  
من ذي الحجة وخمسمائة كذا قال ابن بادس في شرحه،  
وهو كما قدمنا من أصحاب الشيخ أبي مدين أدركه في  
إفريقيا قبل استقراره ببجاية، وكان أبو مدين يثني عليه،  
ويعظم قدره كثيراً، وقال أبو عبد الله القرشي ﷺ لقيت  
قريباً من ستمائة شيخ اقتديت منهم بأربعة:

أبو يزيد القرطبي، وأبو الربيع سليمان بن عمرو المالمقي،  
، وأبو العباس أحمد بن عطاء الله بن العريف الطنجي  
المرى الخزرجي، وأبو إسحاق إبراهيم بن طريف.

قلت: وبعد هؤلاء إلتقي بأبي مدين وصحبه، ولازمه  
مدة، فانتفع بصحبته وروى عنه.

قال أبو عبد الله القرشي: كان أبو مدين يلحظني  
ببره وكل من لقي من شيوخه كانوا يعظمونه حتى قال  
أبو إسحاق بن طريف الناس: ينسبون القرشي إلى ، والله  
لقد انتفعت به أكثر مما انتفع بي، وانكشف لي بسببه أمور  
كثيرة.

وقال أبو الربيع لقد ذكرتني رؤية القرشي أموراً غابت  
منذ أربعين سنة.

وتخرج بهذا الإمام جماعة كثيرة من الصديقين: كابن

القسطلاني جمال الدين أبو العباس أحمد بن علي، وبهاء الدين.

وسكن مصر ٧ مدة طويلة وله فيها كرامات أضربنا عنها اختصاراً، وحج مرات، وجاور بالحرمين الشريفين، وفي كل موضع ينزل تظهر عليه وعلى يديه كرامات وآيات، ونزل في آخر عمره أرض القدس وبه توفي وقبره هناك شهير بالبركة يقصد في المهمات، ويلجأ إليه في الشدائد والأزمات، وتكشف في الحين ببركاته.

قال الإمام ابن بادس، وصاحب روض الرياحين عن أبي عبد الله القرشي قال: آخر ما تصورت لي الدنيا في صورة امرأة حسناء شابة بيدها مكنسة، وهي في المسجد الذي أنا فيه معتكفا تكنسه، فقلت لها ما شأنك؟ قالت: جئتك لأخدمك قلت: لا والله، فأشرت عليها بعصا كانت عندي، وعزمت علي ضربها، فعادت عجوزاً واشتغلت تكنس المسجد، ثم غفلت عنها فعادت مثل ما كانت، فهممت بإخراجها، فانقلبت عجوزاً معيبة فرحمتها، ثم غفلت عنها فصارت شابة، فتغيرت عليها وانزعجت لذلك، فقالت لي: تطيل أو تقصر هكذا أخدمك، وهكذا خدمت إخوانك، فمن ذلك اليوم لم يتعذر علي شيء من الأسباب.

وقال أيضاً: كنت بمبنى فعطشت ولم أجد ماءً ولا شيئاً اشتريه به، فمضيت إلى بئر وجدت عليه أعاجم فقلت لأحدهم: ضع لي في هذه الركوة ماء، فضربني وأخذ الركوة من يدي ورمى بها بعيداً فمضيت إليها لأخذها وأنا منكسر القلب، فوجدتها في بركة ماء حلو فاستقيت وشربت وجئت بها لأصحابي فشربوا، وأعلمتهم بالقصة، فمضوا إلى المكان؛ ليسقوا منه، فلم يجدوا ماءً ولا أثره، فعلمت أنها آية.

وقال أيضاً: كنت مرة في بدر متوجهاً إلى مكة وكان هناك رجلاً معه تمرٌ يبيعه للحجاج علي أن يأخذ ثمنه بمكة، فدفع إلى منه شيء وألح علي في أخذه.

وقال: أنا أصبر عليك بثمانه، وإن مت أنا أجعلك في حل، أو قال: فأنت في حل منه، ولم يزل بي حتى أخذته منه، ثم إنه عرض له السفر قبلنا فطالبني بالثمان، فقلت له: ما عندي شيء وأنت قلت: لا تطلب الثمن إلا بمكة، فقال: لا بد من الثمن، وضيق عليّ وأذايني وشتمني فدخلت المسجد، فدعوت وتضرعت إلى الله تعالى، ثم خرجت فلقيني رجل؛ كأنه أعرابي عليه ثياب الإحرام، فناولي دراهم وعدّها في كفي، فذهبت إلى صاحب الدين فقضيت، فتضاعفت أذيتّه وجعل يقول: يخبئون الدراهم ويكذبون ويحلفون والدراهم معهم فسكت ولم أجابوه بحرف.

قلت: الرجل الذي ناوله الدراهم هو الخضر ٧ وله معه مواقف شهيرة، ومشاهد عظيمة عند الصديقين والعارفين منها: إنه أتاه مرة بزيتونة من نجد، قال: كل هذه الزيتونة فإن فيها شفاؤك، فأني أتيت بها من نجد قال: فقلت له: لا حاجة لي بك ولا بزيتونتك اخرج عني.

وله كلام على طريق القوم عجيب، وكان له مجلس يُقرأ عليه فيه كتب القوم من كتب الرقائق كالإحياء، والقوت، ورسالة الأستاذ، والرعاية وغير هذه الكتب، وكان آية الله في المعارف والحقائق.

ومن كلامه: مَنْ طلب المناهى في المبادئ فقد أخطأ الطريق، وقال: الزم الأدب وحدك من العبودية، ولا تعترض لشيء فإن أرادك أوصلك إليه، وقال ٨: يسير العمل مع الرعاية ينجح، وقال ٩: كنت في بحر جدة مع صاحبي كي فعطش عطشاً شديداً فسألت: عمن يبيعنا ماء بشملة؟

كانت عليّ ولم يكن عليّ سواها، فلم نجد عند أحد شيئاً، فقلت لصاحبي: خذ هذه الشملة واذهب بها إلى رئيس المركب، فمضى إليه بركة معه، فانتهره وصاح عليه، وأخذ الركة ورمى بها في البحر فلم تقع في البحر؛

بل وقعت في السفينة، فرأيت ذله وشدة حاجته، فعلمت أن الله لا يتركه فأخذت الركوة فملأتهما من البحر فشرب حتى روي، ثم أخذتهما منه فشربت حتى رويت، وشرب من كان إلى جانبي، ومن ليس له ماء، ثم ملأتهما ثانية فإذا الماء على حاله فتعجب صاحبي قلت له: إذا تحققت الحاجة وقع الاضطراب فتقلب الأعيان.

وكان ٢ لما أسنَّ ضَعُفَ بصره، فإذا أراد الاستجداد وضعوا له الموس، فيفعل أحسن ما يفعله البصير في أمور تصرفاته، فسأله خديمه أبو العباس ابن القسطلاني قال له: كلي بصر وكانت به علة الجدام، ودخل عليه بعض أصحابه في خلوة الحمام فوجده بصير أبيض وجسده كالفضة، فقال يا سيدي ما هذا؟ وما ذاك؟ فقال له: يا بني الله Y ألبسني ثوبي العافية والبلاء وصرفني فيهما أيهما شئت لبسته، فلما تظهر لبس ثوبه، فإذا هو أعمى مبتلا على حاله الأول.

قال ابن بادس: سئل عن أخباره بأشياء تغيب عن الضرير، فقال: كلي عيون فبأي عضو أردت أن أنظر نظرت، وتزوج امرأة بمصر قالوا فيما أخبرتهم المرأة: إذا قرب منها يكون بصيراً وجسده أبيض كالفضة، وكان الملك الكامل بمصر يعظمه فاتاه زائراً، فقدم له إناء من لبن وشرع يأكل معه، وكان مع الملك كاتباً قصر من الأكل من أجل ما ذكر عنه من البلاء، واشتغل الملك الكامل يأكل معه فلما علم به وكشفه الشيخ، فقال له: يا هذا إن امتنعت أن تأكل معي بسبب هذه اليد فكل معي بهذه، وأخرج يداً بيضاء مثل الفضة، وكان الملك الكامل هذا معظماً له ويستشير في مهمات، ويسأله الدعاء، ويصدر عن رأيه، ويعمل على إشارته.

قال صاحب النجم: ومن غر مناقبه: إنه كان إذا سافر مع أصحابه في بر أو بحر واحتاج أصحابه الماء واشتد بهم العطش، فإن كانوا في بر عدل بهم عن جادة الطريق، وسأل الله أن يسقيهم فيجدون ماء عذبا لا عهد لهم به في ذلك المكان وإن كان في البحر أخذ الركوة من يد



أصحابه، واستسقى بها الماء من البحر المالح فيشربون منه، فيجدونه أحلى من العسل.

ومن كلامه ٢:

مَنْ صَدَّقَ بكرامات الأولياء وأحبهم فهو ولي، ومَنْ أدرك شيئاً من مقاماتهم أو حالاً من حالاتهم فهو من الأبدال.

وكان يقول: كشف لي عن باطن حقائق القرآن واطلعت على أسرارهِ.

ومن أدعيته ٢: اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا صحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بما يقربنا إليك مقروناً بالعافية في الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه واستعمدناه أو جهلناه، ونستغفرك من كل ذنب تُبنا لك منه، ثم عدنا فيه، ونستغفرك من الذنوب التي لا يعلمها غيرك ولا يسعها إلا حلمك، ونستغفرك من كل ما دعت إليه نفوسنا من فعل الرخص فاشتبه ذلك علينا وهو عندك حرام، ونستغفرك من كل عمل هو لوجهك فخالطه ما ليس لك به رضا، لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين.

ويُحكى عنه: إنه كان يثابر على هذا بالبكور والآصال والله أعلم.

قال صاحب النجم: وللشيخ أبي عبد الله القرشي مشيخة عظيمة، وأخذوا بيده ودلوه على الطريق المستقيم، فمنهم: الشيخ سيدي أبي مدين لقيه ببجاية، ولازم مجلسه وخدمه إلى أن فتح الله له على يديه.

ومن كلامه ٢: مَنْ لم يكن له مقام في التوكل كان ناقصاً في توحيده، ومدار هذا الأمر على حسن الخلق فلن يبلغ أحداً مبلغ الرجال إلا بمحاسن الأخلاق

وحُكي: إنه قال لما جاء الغلاء الكبير إلى الديار المصرية: توجهت لأن أدعو الله بالفرج، فإذا النداء علي.



لا تدع فإنه لا يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاءً  
فقلت: اخرج أيضاً من بين أظهركم، فقلت: إن شئت  
فاخرج، وإن شئت فاجلس فسافرت إلى الشام حتى  
وصلت ضريح الخليل ٧، فقلت: يا رسول الله أو قال: يا  
خليل الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا  
لهم ففرج الله عليهم.

قال صاحب روض الرياحين لما نقل الحكاية قوله:  
تلقاني الخليل ٧ قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد  
عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السموات  
والأرض، وينظرون الأنبياء والأحياء والأموات، كما نظر  
النبي ٨ موسى ٧ في الأرض يصلي ونظره أيضاً جماعة في  
السموات، وسمع منهم مخاطبات، وقد تقدم إنه يجوز  
للأولياء من الكرامات ما يجوز للأنبياء من المعجزات  
بشرط عدم التحدي، انتهى كلام صاحب روض  
الرياحين.

قال أبو العباس الحراري: كان الشيخ أبو يوسف  
البهرماني يحضر ميعاد الشيخ أبي عبد الله القرشي قال:  
فبعثني الشيخ أبو يوسف يوماً إلى الشيخ القرشي قال لي:  
قل له: هل يعمل في ذلك اليوم ميعاد أم لا؟ فمضيت،  
فلما وصلت الساحة التي فيها باب داره متردداً هائماً،  
وإذا بطاقة فتحت وجارية أخرجت رأسها من الطاقة  
قالت: يا محمد قال لك الشيخ: قل لأبي يوسف نحن ما  
نعمل ميعاد اليوم، فشكرت الله سبحانه حين عاملني الشيخ  
بهذه الحالة، فلما وصلت إلى أبي يوسف قعدت وكان  
مضطجعاً قال لي: لم وقفت بساحة الباب حتى قالت لك  
الجارية ما قالت؟ قلت: يا سيدي أنا أهابه، فقال لي: إذا  
كنت وحدك هبه، وإذا كنت في مأ أقدم عليه، فقلت  
للشيخ أبي العباس الرسول: أيهما أعلى كشفاً في هذه  
المسألة؟ قال القرشي: لأن أبا يوسف أرسلني وخاطره  
معي يدرك ما يجري لي مع القرشي؛ كالمرأة يدرك كلما  
يتوجه إليه قلت: الكمال في ذلك مع أبي العباس الحراري  
في كمال الأدب ويدل على ذلك حكاية الأستاذ القرشي  
مع أستاذه أبي علي الدقاق، وأبي عبد الرحمن السلمي في  
فراستهما معاً، وتآدب القرشي مع أستاذه أبي علي

الدقاق، وأبي عبد الرحمن القشيري كما أوضحها في كتاب الرسالة من باب الفراسة أضربنا عنها اختصاراً فلينظرها هناك من أرادها وحاصل أمر هذا الإمام وكراماته، كلها عجب العجاب لا يأتي على جميع تفاصيلها هذا المختصر.

وأما أبو أحمد جعفر بن عبد الله: من عمل شاطبة الأندلس، فكان آية من آيات الله، فهو ممن أخذ عن الشيخ، وكان مقره بالأندلس كهفا للمريدين، وعزا للفقراء والصديقين، ونوراً للعارفين، ومصباحاً للموقنين.

**فمن بعض مناقبه:** ما حدث به صاحب الروض وغيره كحرز الأتقياء.

وقال أبو العباس الحرّاري بالحاء المهملة والراء المكررة T: دخلنا على الشيخ أبي أحمد الأندلسي ونحن جماعة من المريدين، قصدنا زيارة هذا الرجل من الأبدال، فرأينا خلقاً عظيماً حوله نقباً، تحت يد كل نقيب جمع كثير، فنظر الشيخ إلينا وقال: إذا جاء الصغير إلى المعلم، ولوحه ممحوا كتب له المعلم، وإذا جاء ولوحه مملوء أين يكتب له المعلم؟ وبالذي جاء يرجع، ثم نظر إلينا نظرة أخرى، فقال لنا: من شرب من مياه مختلفة، دخل مزاجه التغير، ومن اقتصر على ماء واحد سَلِمَ مزاجه من التغير.

قال أبو العباس: ورأيت من أصحاب الشيخ أبي أحمد أربعمئة شاب في دار كلهم من خمسة عشر سنة أو نحوها، وكلهم مكاشفون، فلما كان بعض الأيام بعث الشيخ إلى خادمه، فمشيت إليه فوجدت عنده جماعة وهو يتكلم، قلماً جلست أخذت وشهدته قائماً على رأسي ومعه قادوم وهو يهدم في، وأنا أشاهد أعضائي تنفرك على الأرض إلى أن وصل إلى كفي، أو قال: إلى قدمي، ولم يبق في شيء إلا شمله الهدم، ثم أخذ يبني بناءً جديداً من كفي، أو قال: من قدمي إلى أن بلغ دماغي، ثم قال لي: قد استويت، أو قال: استقام أمرك فسافرت، فلما خرجت من عنده، واتسعت من بين يدي الشيخ انكشف لي العالم العلوي كشفاً بحيث لا يحتجب عني منه شيئاً.

قال صاحب الروض قوله: أُخِذْتُ بضم الهمزة وكسر الخاء وسكون الذال المعجمة وضم التاء من فوق، ومعناه: غبت عن نفسي، وعن هذا العالم، وكشف لي بشيء من عالم الملكوت.

قلت: لما كانت هذه الطائفة أقوالها غالبها رموزاً لاسيما مثل هذا الشيخ، كانت كلها عجائب على هذا المعنى.

ومعنى قوله: لوحه ممحوا يعني: إذا جاء المريد وقلبه فارغ من التدبيرات، وإنه الخلع من الدنيا والآخرة استسلاماً وانقياداً كما فعل أبو الحسن الشاذلي مع شيخه سيدي عبد السلام، فقال له: يا علي! اغتسلت من علمك وعملك، خذ منا الدنيا والآخرة، وإذا جاء المريد وقلبه مملوءاً بالتدبيرات والاختيارات كفاه ذلك، فلا يدخل عليه غيره، وكما إنه إذا كثرت عليه المسائل، أو أراد قضاؤها في وقت واحد فذلك نفل المسائل، وإنما تقضى المسائل شيئاً بعد شيء.

وقوله: رأى الهدم فيه يعني: إنه لما كان صياداً في توجهه استقبله الشيخ بهمة، فما زال يتوجه إليه، ويتضرع إلى ربه حتى أعانه عليه، فتخلص من آفات نفسه، وتخلّى عن جميع المذمومات، وتخلّى بجميع المحمودات هو البنيان الثاني الذي شاهده، والهدم هو ما تخلّى عنه من أحوال العادات، ثم إنه لما استقامت أحواله، علم الشيخ بما شاهده من أنوار الجمال، وإنه حينئذٍ يتهيأ لتجلي أنوار الكمال.

فلما خرج عن الشيخ بدا عليه ظهور ذلك، إذ بقدر بعده عنه تتقوى مادته، كما أن القمر كلما يبعد من الشمس تتقوى مادته ويكثر ضياؤه، وكذلك النجوم فافهم ذلك.

وحاصل هذا الشيخ أمره كله عجيب، وهذه الطرق قدّمتها إنما بُنيت على الصدق والمحبة والتسليم وترك الاعتراض.

وحاصل أمر هؤلاء الرجال أصحاب أبي مدين كلهم

عجب، فما نالوه من بركات الشيخ سيدي أبي يعزى، حتى إنهم كانوا يرون بعضهم يتكلم مع الموتى، ويتجاوب معهم كالحى.

**يُحكى عن بعض أصحاب أبي عبد الله القرشي:** إنه ماتت زوجته، وتزوج امرأة أخرى، وذهب يوماً؛ ليزور قبر الميتة، فمشى معه بعض أصحابه منتبذاً عنه، فسمعه يتكلم مع الميتة، ويقول لها: يا مباركة! أنا معذور ولا أستغنى عمن يخدمني، كما علمت من مرضي، فعلم أنها عاتبته على زواجه.

وحكى ابن الزيات: عن الإمام بن سعدون، وكان من أئمة هذا الشأن أصله من القيروان، ولقي بمكة هذا الشأن أبو بكر المطوعي، فحمل عنه تواليقه في التصوف وغيرها، واستقر آخر عمره بأغमत أوريكة، وتوفي بها سنة خمس وثمانين وأربعمائة هجرية.

وأهل مراکش إلى الآن يستشفون بقبره، واسمه: أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي ابن بلال.

حدث التادلي: عن علي بن عيسى عن شيوخه: إن فقيهاً من فقهاء أغमत أشكلت عليه مسألة، فأتي إلى قبره، فجلس عنده، فسمعه بعض الصالحين يتحدث معه، فقال ذلك الصالح: سمعتك تتحدث، أو قال: تتكلم عند قبر ابن سعدون، فقال له ذلك الفقيه: أنت رجل صالح، ولولا ذلك ما حدثتك.

فاكتم عليّ فقد أشكلت عليّ مسألة، فبحثت عنها فلم أجدها.

فأتيت قبر ابن سعدون، فذكرت له المسألة، فقال لي من قبره: اطلبها في الديوان الفلاني وأنشدوا:

عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ

فِي الْخَلْقِ حِكْمَةٌ ————— شَوَاهِدُ

جج

ججج

فَلَا يَنْكَرُ الصَّدِيقُ فَعَيَّرَ نَكِيرٌ مِنْهُ  
لِلَّهِ قُدْرَةٌ خَرَقَ الْعَوَائِدَ

جج

ججج

ومن أصحاب الشيخ أبي مدين:

أبو عمران موسى ندراس الحلاج، آية الله في المকাশفة،  
حدث أبو علي الصواف عن أبي عمران: إنه كان حلاجاً  
للقطن بفاس، فكان لا يأتيه أحدٌ إلا قال له: كان من  
أمرك كذا، وفعلت كذا وكذا، فشاعت عنه هذه  
الخوارق، فخاف على نفسه، وهرب من فاس وقصد  
بجاية، إذ كان بها شيخه أبو مدين، فلما اجتمع بالشيخ  
أبي مدين شكى عليه ما قاساه من الناس بفاس، فقال له  
أبو مدين: أنت موسى اسمك واسمي شعيب، وقد آمنت،  
فإن موسى لم يأمن حتى لقي شعيباً.

وقال ابن الزيات: سمعت أبا عبد الله محمد بن إبراهيم  
بن خالص الأنصاري يقول: سمعت أبا مدين يقول: إن  
أبا عمران غاب عنه مدة ثم جاءه، فوجد الشيخ يتكلم  
على الناس فجلس، فلما فرغ الشيخ من كلامه، قام فسلم  
عليه، فقال له الشيخ وهو يباسطه: علي من هي الضيافة  
على الزائر أو المزور؟ فسكت هيبه من الشيخ، فقال له أبو  
مدين لما يعلم من كراماته، وخرق العوائد له التي قالها  
من برگاته: علي الرغفان وعليك العسل، فقال له: نعم يا  
سيدي، فاستدعى صحيفة الشيخ أدباً مع الشيخ، وجعلها  
خارج البيت، ثم أتى زاوية البيت، فركع ركعتين، وخرج  
وطلب من أبي مدين ثوبه يوسلاً، فأداره على الصحيفة، ثم  
عاد إلى زاوية البيت وصلى ركعتين، ثم خرجا فأدخل  
الصحيفة على أبي مدين مملوءة شهداً أيضاً.

قال الشيخ أبو مدين: فأكلنا منها خمسة وعشرين يوماً،

وهي علي حالها لم ينقص منها، فخفت أن تكون معلومة لي فتصدقت بها.

وهذه الخوارق والكرامات لأبي مدين وتلاميذته وشيوخه كادت أن تكون أضوء من الشمس، وقد قدمنا من أوصاف الشيخ أبي يعزى ومن أصحابه ما فيه الكفاية. وكذا من الشيوخ الذين أدرك أبو مدين، وأخذ عنهم غير الشيخ أبي يعزى.

كالشيخ الإمام الأوحى سيدي أبي الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي السبتي ونزل بقرطبة، وأستقر آخر بقصر كتامة.

وبها مات عام ثمانية وستين وخمسمائة هجرية، ويقال: عام ثلاثة وسبعين.

وشيوخه في هذا الشأن، وطريقة التصوف أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصهناجي المعروف بابن العريف، ذكره ابن بشكوال فآثني عليه كثيراً، فقال: كان متناهياً في الفضل والدين، منقطعاً إلى الخير، وكان العباد يألفونه، والزهاد يحبونه ويحمدونه ويقصدون صحبته.

وقد قدمناه إنه من أشياخ أبي عبد الله القرشي، وسعى به القاضي محمد بن أسود حسداً منه، إذ كان مجاوراً له في قرية المزية، وكان محمد هذا متجرداً جليلاً لا يطاق، فأشخص لمراكش فأقبل عليه علي بن يوسف قال له: اطلب حوائجك كلما طلبت أقضه لك، قال له: لا حاجة لي إلا أن تخلي سبيلي، اذهب حيث شئت، فقال له السلطان علي بن يوسف: قد سرحناك اذهب حيث شئت، وحظي عنده فحسده أيضاً محمد بن أسود، زعموا أنه احتال عليه بعد أن سأل عن أحب الطعام عنده، فقبل له: الباذنجان فجعل فيه سماً كثيراً، ودعاه لمنزله على وجه الكرامة، فلما أكله مات بعد أيام، واحتفلت الناس بجنائزته، وخرج السلطان له بنفسه، فبحث عن سبب

موته، فذكر له القصة على حقيقتها، فكان شهيداً  
مأجوراً، وكان الفاعل به عاقبته الويح والشبور.

نعوذ بالله من سوء العواقب، زعموا أن السلطان أمر  
به، فقيّد وكبل وصُرف لسوس فسقي هناك السم،  
ومات.

نسأل الله العافية، وقد قدّمنا تاريخ وفاته، وهو مدفون  
في وسط مراکش أحواز السمارين يقول له العامة اليوم:  
سيدي البناء، وكان أبو الحسن بن غالب تلميذ ابن  
العريف، والشيخ الشيخ أبي مدين، وشيخ أبو الصبر أيوب  
الفهري، والشيخ أبي محمد عبد الجليل بن موسى  
القصري.

وقال أبو العباس بن إبراهيم الأزدي: سمعت أبا الصبر،  
وأبا محمد عبد الجليل يقولان:

كنا نحضر مجلس أبي الحسن بن خلف بن غالب،  
فيحضره جماعة من المشائين على الماء، والطيّارين في  
الهواء.

وكان فيهم رجل يظهر في وجهه كآثر حرق النار من  
احتراق الهواء.

وكان هذا الإمام فيما حكى الشيخ أبو الصبر، والشيخ  
أبو محمد عبد الجليل ورث عن أبيه اثني عشر ألفاً،  
فتصدّق بها كلها، وتركها تورعاً حتى قال له شيخه: يا أبا  
الحسن ألا طهرها الثلث.

وذكر عنه أنه قال: إذا أشكل عليّ معنى في شيء أنظرُ  
في أي جهة كنت من جهات البيت، فأجد المسألة  
وحقيقة عملها مسطرة.

وروي: إن الليلة التي تُوفي فيها رأى تلميذه أبو محمد  
عبد الجليل بن موسى مكتوباً في السماء: فقد وتّد.

ومن أصحاب الشيخ أبي مدين:  
الصالح الشهير بالبركات أبو عبد الله محمد بن إبراهيم



الأنصاري، وهو من أكبر تلامذته، وكثير الرواية عنه.  
 كذا قال ابن الخطيب رحمه الله حدث عنه أنه قال: كنت ليلة  
 برابطة الزيات ببجاية مع أبي علي المنصور الملياني في ليلة  
 مقمرة، وقد قام كل واحد منا إلى ورده، فسمعتنا حساً  
 مزعجاً؛ كطائر طارب بشدة، فرفعت ببصري، فإذا شخص  
 طائر على البحر يصلي، فكتمت ذلك عن أبي الملياني، ثم  
 قال أبو علي: هل ترى ما أرى؟ فقلت له: رأيته حين  
 انزعج، وستررت ذلك عنك قال لي: هو فلان الذي يحضر  
 معنا، فجلس الشيخ أبي مدين رضي الله عن جميعهم، فهم  
 كما قيل:

يَزِيدُ اشْتِيَاقِي كُلَّمَا وَأَهْجُرُ ذِكْرَ الْغَيْرِ  
 مَرَّ ذِكْرُكُمْ حِينَ يَزِيدُ

ججج

جج

وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي مَغْيِكَ عَنْ سَمْعِي  
 الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا إِلَيَّ شَدِيدُ

ج

ججججججج

ومن أصحاب الشيخ سيدي أبي مدين:  
 الشيخ الصالح الشهير أبو مسعود بن عريف من جبال  
 شلف من أرض تلمسان.  
 قال ابن الخطيب: وكان مجاب الدعوة، شهير الكرامات  
 والبركات، وقبره بجبال شلف يُزار.  
 وله تلامذة بقسنطينة، وهو من أشياخ أبو يعقوب  
 اليوسفي وغيره.  
 قال ابن الخطيب: ارتحل إليه في صغره، فأدّبه وهدّيه،  
 وأحسن تربيته وانتفع به وعلى يديه، وأمره بالانصراف



إلى وطنه، فأقام بزاوية، ووجد بركته، وله مكانة سنية.  
وبها تُوفي عام سبعة عشر وسبعمائة هجرية، وكانت له  
مكاشفات وكرامات.

ومن عجيب ما حدث به من كرامات شيخه أبي  
مسعود أنه قال: قمت ليلة قريباً من شيخنا أبي مسعود من  
خلوته، فسمعت كل شعرة منه تذكّر الله تعالى بلسانٍ  
فصيح رضي الله عنهم.

ومن غر مناقب الشيخ سيدي أبي مدين: إنه لما اجتاز  
بالبلاد الشلفية حين أتى في سقرته التي تُوفي فيها  
بتلمسان، نظر إلى موضعه، فقال لأصحابه: أي وتد  
يكون هاهنا كنيته أبو البيان واسمه واضح بن عاصم؟  
فظهر هذا الشيخ بعد وفاة سيدي أبي مدين بسنين، فعُدَّ  
من مشاهير كراماته، وكان إماماً داعياً.

قال صاحب النجم: وكان هذا الشيخ ممن أظهره الله  
داعياً لخليفته، ومن جلاله برداء مهابته، وجلبت القلوب  
على محبته وتعظيمه، فكان أمراء الوقت وجباة الأموال  
يهابون موضعه، ويحترمون أصحابه ومن تعلق به،  
ويخشون تغيير خاطره عليهم، وإذا أمر بشيء ابتدروه،  
وإذا أمرهم أذعنوا لقوله وتلقوه بالسمع والطاعة.

ويُحكى عن سلطان بني زيان أيغمارس المعروف  
بيغمور الذي كانت عليه الوقائع الشهيرة بينه وبين أبي  
مدين: إنه قصد زيارته لبعض الأحيان، ونزل بمحله على  
وادي رهيف قبالة زاويته، ثم ركب في خواص أصحابه،  
وأتى لزاوية الشيخ، فامتنع الشيخ من الإذن له ساعة من  
الزمان إلى أن غلب عليه الحر، وهو واقف، ثم أذن له فلما  
دخل قال له: سيدي! واضح حينئذ يا يغمور، إنما فعلت  
هذا بك، وأطلت وقوفك؛ لتذكرك ما يقاسيه المحتاجون  
إليك عند بابك، ويمنعهم الخدام والحجاب من الوصول  
إليك وما زاده ذلك إلا محبة فيه.

وقد كان السيد الإمام أبو العباس بن عاشر انقطع عن  
أبناء الدنيا جملة وتفصيلاً، ولا يلقاهم أصلاً حتى أن أكابر

ملوك بني مرين، ورؤساء جبابرتهم يقصدونه برسم الزيارة، فما يلقاهم ولا يأذن لهم في الدخول عليه، وما زادهم ذلك هو عندهم إلا مهابة وإجلالا.

وكانت الملوك يستبشرونه في مهماتهم، فيعلمون على إشارته وينتفعون بتدبيره ورأيه، ولما قال له يغمور: إني أعهد إلى ولدي عمر لما معه من الفقه والكياسة، قال له: إن الرعية لا تحتاج إلى الفقه والكياسة، وإنما تحتاج لمن فيه شفقة ورأفة ورفق، وإنك إن وليته يشتغل بجميع الدرهم للدرهم، والدينار للدينار، فيضيق معه حال الرعية.

قلت: وصدق الله فمهماً كان الملك بذلك الوصف الذي تكرهه الرعية، وإن كان مع ذلك بخل يكرهه الجند وأرباب الدين من العلماء والصلحاء، وربما أحبوا الإراحة منه إذا لم يكن لهم الفضل منه.

وحكاية العباس المأمون في ذلك شهيرة في الذي كتب البيتين في جدار قصره بالعجمة وكلامه معه أضربنا عنه اختصاراً.

وكان هذا الإمام من أرباب القلوب والمكاشفات وأصحاب الخطوة في طي الأرض.

قال صاحب النجم: عن شارح القصيدة، قال: ذكر الثقات عن إمام الفريضة بزوايته، قال: افتقدت ليلة سيدي واضح في محل تهجده وعبادته في المسجد، فلم أجده وباب المسجد مغلق على حاله، فتحيّرت في أمره، قال: فلما قرب طلوع الفجر انتبهت، فإذا الشيخ سيدي واضح قائم على رأسي، فهزني قال لي: أصبح.. أصبح، قم فأذن، فأذنت وقد اشتد تعجبي منه ومن حاله، قال: فلما كانت الليلة الثانية عزمت ألا أنام، وارتقب حال الشيخ سيدي واضح؛ لأدفع الشك باليقين، فبينما الشيخ سيدي واضح قائم في تهجده، وإذا برجل قد أتاه فسلم عليه، وقال له: بسم الله، فخفف الشيخ في صلاته.

وخرج مع الرجل. قال: فقفوت أثرهما في الوقت فغابا عني، ولم أقف لهما على خبر، فازددت حيرة، وعلمت أن سيدي واضح كبير القدر، وأنه من أرباب الخطوة، ثم دخلني الشك، وقلت: لعل هذا في المنام.

فلما أصبح وافرغنا من صلاة الصبح جعلت بالي إليه، وما قلت له شيئاً، فبينما نحن جلوس في المسجد، وإذا بالرجل الذي قد أتاه بالليل واقف عليه، فقال له: بسم الله، قال له: سيدي واضح أردت منك أن تسلم لي، قال له: والله لا أسلم لك، فخرجنا من المسجد فتبعتهما، فلما تحولا عن عيني بجدار المسجد، خرجت في إثرهما فغابا عني، ولا أدري هل دخلا في الأرض أم ارتفعا في السماء؟

قال: فتحققت حينئذ صحة ما كنت رأيت من كراماته عند الله تعالى، ووصوله رتبة أولياء الله تعالى ذو الفضل والاختصاص، ثم رجعت على نفسي باللوم، وكوني من أهل القصور، فغلبتني عيني فنمت نوماً متكاسلاً طلع الهم والحزن على قلبه، وإذا بسيدي واضح واقف على رأسي، وقال لي: ما هذا النوم الذي عليك البارحة واليوم؟ فقلت: يا سيدي ما عرفت أنك صاحب سريان، فقال لي: ولعله خيل عليك يا أخي عزوز، وهو اسم ذلك الإمام، فقلت: كيف يُخيل علي ما رأيته عياناً في النهار؟ ومع هذا فوالله لا أعاشرك إلا إن أطلعتني على سبب تواريك عني، وما كان من حالك وحال صاحبك، وإلى أين ذهبتما البارحة واليوم؟ فقال لي: يا أخي عزوز استر علي وعاهدني ألا تكشف لي سرّاً، فعاهدته ألا أخبر أحداً ما دام حياً، قال لي: أما الرجل الذي رأيت فهو أحد الأبدال أتاني ليلاً وسألني الصحبة؛ لزيارة بعض إخواننا في جبل لبنان، فزرناه هناك وصلينا معه الصبح، ثم أتاني عند طلوع الشمس كما رأيت وسألني أن نذهب معه إلى المدينة المشرفة، فدخلني بعض العجز لأجل هذه الترويجة التي

أصابني، فأقسم عليّ كما رأيت وذهبت معه إلى المدينة، فشربت بداره ورجعت كما رأيت.

قلت: ويحكى عن الإمام وسيدي محمد الهواري الأبرش: أن كل واحدٍ منهما يرفع رجله من باب مسجده، فيضعهما على جبل قاف، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد كان على هذا النمط الإمام الشهير أبو مهدي، وابن سلامة بن جنداس الدغوي من بني دغوغ من إسكطاي من دكالة.

مات في حدود الستين وخمسمائة من الأفراد، شهير الكرامات، وانتهى إلى الأحاد وأكابر الأولياء وأكابر الرجال.

وكان هذا الإمام يصرّح لإخوانه الصديقين في محبته بالكرامات التي تقع له؛ لكي يجدوا في الطلب، وكان من أرباب الخطوة والمشاة على الماء والطيارين في الهواء. وكان يقول أيضاً: جدثوا إخوانكم بالكرامات؛ لكي تحببوا لهم بذلك طاعة الله.

قال أبو يعقوب بن الزيات: حدثني موسى بن عمران المعلم عن عثمان بن سعيد: قال: سألت أبا مهدي عن المشي على الماء قال: هو حق، ولم يمس القدم إلا باطنه.

وقال أيضاً: حدثني صالح بن إبراهيم قال: سرت إلى أبي تاتوا مرةً لأزوره، فرأيت في الفحص قوس قزح طرقة بدار أبي تاتوا، فرأيت رجلاً في الهواء ينزل من قوس قزح؛ كما ينزل الإنسان على الدرج إلى أن نزل بدار أبي تاتوا، فلما وصلت أبي تاتوا فرح بي فقال لي: لو أسرع لأدركت أبا مهدي، فإنه خرج من عندي الآن. وكان أبو تاتوا هذا من الأكابر، من أصحاب اللحظة، كبير الشأن.

وأبو مهدي هذا له من الخوارق والكرامات ما جاز حدّ التواتر في عصره إلا أنه لم تظهر إلا في حياته، ولم تتواتر عنه بعد مماته كالشيخ أبي يعزى، وسيدي أبي مدين، وسيدي أبي العباس السبتي.

وله مغربات مع الشيخ يغمور صاحب أبي محمد عبد الخالق بن ياسين الفقيه حتى رأى أنه يصير مع أصحاب له في الهواء شبه الغرائق، فما زال مصاحباً له حتى أدرك تلك المقامات أضربنا عن ذكرها اختصاراً.

واعلم أن الشيخ أبله مدين فتح له في مقامات ممزوجة بالعلم والعمل والحال قل أن يدركها أفراد الأفراد.

وثبت عن الشيخ الإمام الأوحى فريد الدهر، وهو وحيد المعصر سيدي أبي العباس الموسي أنه قال: جلت في الملكوت، أو قال: في ملكوت الله، فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش، وهو رجل أشقر أزرق العينين، فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ قال: أما علمي فأحدى وسبعين علماً، وأما مقامي فأربع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال، فقلت له: ما تقول في شيعي أبي الحسن الشاذلي؟ قال: زاد علي بأربعين علماً، وهو البحر الذي لا يحاط به، وسنعرف ببعض أوصاف أبي العباس، وأبي الحسن في باب اتصال سلسلتنا بجميعهم رضي الله عنهم ورضي عنا بهم آمين.

واعلم أن الشيخ الإمام سيدي أبي مدين، وسيدي أبي يعزى عظيم القدر، وكرامتهما وكرامات من اتسب إليهما قل أن يحاط بها، وإنما ذكرنا هذا القدر منها؛ ليستدل بها على ما وراءها؛ كالعنوان على ما في الكتاب، والحق يظهر من المعنى كما قال البوصيري.

**وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلَمٍ**

**وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.**

\*\*\*

الباب السادس

في أدب زيارة هذا الشيخ

وزيارة تلميذه سيدي أبي مدين وكيف يُزار  
سائر الأولياء والعلماء والصالحين والصديقين

## والعارفين (٨٠)

وكل من انتسب إليهم من أهل الدين من الأحياء  
والميتين؛ وكيف يجلس بين يدي الأحياء؟ وأين يجلس من  
قبور الأموات وما يتلو وما يدعو به؟

واعلم أنه بالأدب ساد من ساد، وبعده خاب من  
خاب وفسد من فسد.

وقالوا: حسن الخلق، وحسن الأدب يبلغان العبد أعلي  
المراتب، فمفهومه أن سوء الأدب وسوء الخلق يقهقران  
العبد ويلحقان به العطب، وهذا عندهم بالتجريب سواء  
في الدنيا أو في الدين.

وقد قال أبو العباس بن النبا في أرجوزته:

وللطريق ظاهرٌ تعرفُ منه صحّة

وباطنٌ المواطن

جججججججج

جججج

ظاهرُ الأدب مع كل خلق ما

والأخلاق له خلاق

ججج

جج

باطنه منازل مع المقامات لذي

الأحوال الجلال

جج

جج

والأدبُ الظَّاهِرُ دِلَالَةُ البَاطِنِ فِي

لِلْعِيَانِ الْإِنْسَانِ

جججج

جج

وَهُوَ أَيْضًا لِلْفَقِيرِ وَلِلْغَنِيِّ رُبَّةٌ

سَسَنَدُ وَسُودُ

جج

جججج

وَقِيلَ مَنْ يُحَرِّمُ فَهُوَ بَعِيدُ مَا

سَلْطَانِ الْأَدَبِ تَدَانِي وَاقْتَرَبَ

جججج

جج

وَقِيلَ مَنْ تَحْبِسُهُ فَإِنَّ مَا يُطْلَقُهُ

الْأَنْسَابِ الْأَدَابِ

جج

جججج

وَالْقَوْمُ بِالْأَدَبِ بِهِ اسْتِفَادَ الْقَوْمُ

حَقًّا سَادُوا مَا اسْتَفَادُوا

جج

جججج

إِذْ نَصَحُوا وَحَفَظُوا

الأَحْدَاثَ السَّادَاتَ

وَالْأَصَاغِرَ وَالْأَكْبَارَ

ججججج

ججج

وَأَجْتَنِبُوا مَا يُؤْلِمُ وَأَبْتَدُوا

الْقُلُوبَ الْمُنْدُوبَ

وَالْمَرْغُوبَ ججج

وَاخْدُمُوا الشُّيُوخَ وَبَذَلُوا النُّفُوسَ

وَالْإِخْوَانَ وَالْأَبْدَانَ

جج

جج

وَأَنْصَتُوا عِنْدَ وَاحْتَرَمُوا الْمَاضِي

الْمَذَاكِرَاتِ مَعَ الْآتِ

ججج

وَسَأَلُوا الشُّيُوخَ وَوَقَفُوا مِنْ دُونِ

عَمَّا جَهِلُوا مَا لَمْ يَصِلُوا

ججج

ججججج



وَعَمِلُوا بِكُلِّ مَا وَثَرُوا وَاعْتَفَرُوا  
قَدْ عَلِمُوا وَاحْتَشَمُوا

جججج جججج

وَاحْتَكُمُوا بِالْعَدْلِ وَوَرِّدُوا كُلَّ مَعِينٍ  
وَإِنْ صَافٍ صَافٍ

ججج

وَبَعْضُهُمْ كَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ عِدَّةً  
لِبَعْضٍ عَوْنًا وَأَمْنًا

جج ججج

قلت: هذا هو الأدب الحقيقي الذي ينبغي للمريد أن  
يلزمه، وبه يصل العالم أعلي الرتب، ولو بعد حين  
والأعمال بخواتمها.

ومن لم يكن له أدب مع الأكابر والأصاغر؛ بل مع كل  
أحد فلا تفرح به، وإن بلغ ما بلغ فهو إلى السقوط  
أقرب.

وقد قالوا: كن مع أبناء الآخرة والعلماء بالأدب؛  
لصلاح دينك، وكمال علمك ومع الصديقين؛ لتتل العلم  
المكنون، والسر المصون، ومع أبناء الدنيا بالأدب والتسليم  
لهم فيما هم فيه من حالهم؛ لتسلم دنياك لك وإلا أفسدوا  
عليك الدنيا، وثنوا بالدين، وبقيت مطروحاً رهيناً، وقد  
ندب مولانا في كتابه نبيه بحسن الأدب في غير ما آية من  
كتابيه.

قال Y: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

وَقَالَ اللَّهُ Y: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقد ندب مولانا نبيه للأدب بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وأمره أن يتحصن من اللعين بالخطاب له والمراد: أمته إذ هو معصوم ظاهراً وباطناً، ثم أثنى عليه بكمال أوصافه فيه.

قال Y: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وأما الزيارة، وحكم الزائر والمزار وشروطه، وما يتعلق بها على الكمال فهذا المختصر لا يمكن فيه استيفاء ذلك.

وقد استوفينا ذلك في غير هذا الكتاب كالسراج، ولباب الألباب، ومطالع الأنوار السنية وغيرهم مما لا بد منه ولكن نذكر لمحا لا يستغنى عنه المنتهي، ويكتفي به المبتدئ إن شاء الله تعالى بحول الله وقوته.

اعلم أعزك الله Y: إن الزيارة ركن عظيم في هذا الطريق، وقد انتفع بها الكثير من هذه الطائفة؛ بل هي عمدهم ومعتمدتهم، وقد جالت الأخيار في طلب الآثار، وزيارة الأكابر، والأبرار المشرق والمغرب؛ كحجة الإسلام، وأبي العباس زروق من المتأخرين، ومنهم من رزقه الله علماً نافعاً وعملاً صالحاً، فتوجه لمولاه بكرة وعشياً، فلازم موضعه حتى فتح عليه، وما زالت الأخيار تتواصى على هذا الشأن، وتحض على زيارة الإخوان، وتشاهد أهل المعارف والآثار.

وقد كان الإمام الأوحدي سيدي أبو النجيب عبد القاهر السهروردي أحد أركان هذا الطريق يمشي مع أصحابه للحج، فإذا بلغ اعتزل عنهم واختفى، ويبقى يتصفح وجوه الناس.

فسئل عن ذلك فقال: ثبت الرواية عنه U أنه قال: إن لله رجلاً من نظر إليه نظرة سعد بها سعادة لا يشقى

بعدها أبداً، فأنا أتصفح الوجوه؛ لعلّي أرى بعض تلك الوجوه، وكان إمام وقته؛ لأنه قيل: العارف لا يرضى بالخير وإن كان فيه فإن فوق الخيرات خيرات.

وما زالت الزيارة دأب القوم وديدانهم. ولكن ينبغي للزائر أن يكون سليم الصدر على كل من ورد عليه أو من عنه صدر، وإلا فلا يستفيد بكمال الفائدة ولا سيما إن كان ينتظر ممن يفد عليه يكرمه ويعظمه؛ بل ينبغي له أن يلتجئ إلى الله أن يقبل عليه، وأن يصلح له قلوبهم، فإن أفعالهم علامة على القبول من الله Y. وأما إن كان يمدح من يقبل عليه ويكرمه، ويذم من يفعل معه العكس، فما أشبهه بأبناء الدنيا؛ بل أكابر أبناء الدنيا، إن كان من أهل المرأة لا يرضى لنفسه أن يكون مسلاقاً خبيثاً، وما أسمع بالفقير أن يكون كلباً عقوراً يذم هذا ويشتم هذا، كما أنه ما أقبح بالعالم أن يكون غتاباً سماجاً بالناس لاسيما من نظرائه، وأرباب الدين والصالحين.

وقد قال أبو الحسن الشاذلي ؑ في آخر دعوته على ابن البراء: اللهم! اجعله ومن تبعه نكالا للمتقين.

قال الشيخ الإمام أبو العباس العريف في بعض العلماء ممن كان كثير الطعن:

لسان فلان، أو قال: قلمه وسيف الحجاج شقيقان يعني: إن الحجاج سفاك للدماء حتي من الصحابة والعلماء، وهذا الفقيه كان كثير الطعن وتلاباً للأعراض.

وقد روي: إن كلاباً في النار تمزق اللحم والعظم ممن كان يغتاب الناس في الدنيا، كما نبه على ذلك حجة الإسلام ؑ، واستوفي ما فيه من الأحاديث.

قال سيدي أبو حامد الغزالي: زيارة العلماء، وزيارة مشاهدهم مستحبة من هذا المعنى؛ وزيارة الصلحاء لاسيما إن كانوا علماء صلحاء، فيأخذ من كل صفة حالة.

قلت بشرط التسليم لهم ومهما اعترض لا ينتفع به، وقد قال الأستاذ في باب حفظ قلوب المشايخ: إن بعض

المريدين ذهب لزيارة بعض الأخيار، ثم إنه لما نظره اعترض في بعض أحواله، ثم سلم عليه وكلمه، فقال له ذلك الولي: إنك استصغرتني فلا تنتفع بكلامي فلم يكلمه.

وقال سعيد بن المسيب: كنت أسافر الأيام العديدة في طلب الحديث الواحد، وقد سافر بعضهم من الحجاز إلى الشام، ثم من الشام إلى مصر إلى أفريقيا في حديث واحد، وما عيب عليه بذلك؛ بل عدوه من نجابته وصلابة دينه وقوة يقينه.

وكان الشعبي يقول: لو سافر الرجل من أقصى الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى، ما كان سفره ضائعاً؛ بل هو محمود.

وقد سافر جابر بن عبد الله رحمه الله وهو على ما عليه من الدين واليقين في حديث من المدينة إلى مصر، حتى سمعه من عبد الله بن أنيس.

وهذه الزيارة في حكمها بالمعيار تنقسم إلى الأحكام الخمسة: واجبة كزيارة والديه لحقهما ولاسيما إن كان الوالد جمع علماً وعملاً وحالاً، فيزوره على جميع ذلك، وكذا زيارة شيخه الذي يستفيد منه العلوم والمعارف، ولاسيما إن كان عارفاً بدسائس النفوس ومخاتلها؛ بل يجب إن وجد محققاً ملازمته ولا يفارقه حتى يأذن له، أو تفتح بصيرته كما تقدم من أوصاف سيدي أبي مدين مع شيخه سيدي أبي يعزى، وليصبر على كل ما يفعله معه الشيخ إن أهانه أو أعرض عنه ولعله يختبره كما فعل الشيخ سيدي أبي يعزى مع سيدي أبي مدين، وكذا سيدي أبي الوفا حين أخرج سيدي عبد القادر ثلاث مرات.

وما كان يتحامل عليه أبو الخير الدباس، فينبغي للفقير الزائر أن يتحمل ما يراه من الشيوخ سواء في الزيارة أو غيرها، وأما في حق الشيوخ فلا ينبغي أن يدهم إلا على الله بإشارة صادقة لا ينقضها كتاب ولا سنة، وأن يجلس المريد بين أيديهم جلوساً متادباً فارغاً من علمه وأدبه؛ بل

وعمله ومفتقراً إليهم ظاهراً وباطناً كثير الإطراق سميعاً بقلبه وأذنيه لما يلفظون به، وأن يكون جميل الاعتقاد في شيخه؛ بل في جميع الأولياء؛ بل يحسن ظنه بجميع أهل الدين، ولا يظن بمؤمن سوء أصلاً وليلتبس أحسن المخارج إن رأى منه بعض البوادر.

وأما الأشرار فإنما يحملهم على سوء الظن، وقد قال عمر بن الخطاب **٦**:

«مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ»، فلا تلومَنَّ مَنْ أساء به الظن، وليزر الأحياء والأموات، ولا سيما مَنْ جربت إجابة الدعوة عند قبره، كالشيخ سيدي أبي يعزى، فإن قبره معروف بهذا المعنى حتى قيل ما رد قط زائره خائباً.

وصفة الجلوس بين يديه أن يجعل بينه وبين رأسه ذراعين أو ذراعاً ونصف ذراع إلى ذراعين، ولا يلتصق بالقبر؛ بل يجعل بينه وبينه أيضاً نصف ذراع أو ذراع، وليجلس بينه وبين القبلة؛ يجعل القبلة في قفاه، ويتوجه بوجهه إلى الشيخ هكذا ذكرت الأئمة المحققون.

ويحكى عن أبي جعفر المنصور العباسي: إنه أتى من بغداد حاجاً، ثم زار النبي **٥**، وبعث إلى إمام دار الهجرة، وكان عالماً مع فظاظة كانت فيه وغلظة مع هيبة الملك، فتكلم مع إمام دار الهجرة، فأغلظ عليه في القول، فقال له الإمام: يا أمير المؤمنين! إن الله **٧** أدب قومًا في هذا المسجد. فقال الله **٧**:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

وذمَّ آخرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

ومدح آخرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

فلما سمع المنصور هذا، استكان ورجع من غلظته فما زاد على قوله: يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدع الله أم أستقبل القبر؟ فقال له: ولما تستدبره؟ بل استقبله إذ هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، فأدع الله وتوسل به، وأنت مستقبل إليه وتشفع به فإن الله يشفعه فيك، قالوا: فمن ذلك اليوم عرف أبو جعفر منزلة الإمام من العلم والدين، فصارت له حظوة ومكانة أكثر مما كان عنده.

ويُحكى عن عيد الله بن عمر بن الخطاب: إنه كان كل يوم يأتي فيقف تجاه النبي ﷺ، ويجعل بينه وبين رأسه ما تقدم ويقول: السلام عليك يا رسول الله، ثم يدعو بعد الصلاة بما يشاء ثم يتأخر، ويجعل بينه وبين رأس أبي بكر مقدار الذراع أو الذراعين، ثم يقول: السلام عليك يا أبا بكر، ثم يتأخر حتى يجعل بينه وبين رأس أبيه كذلك، ثم يقول: السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف.

وإنه ينبغي أن يتأدب مع الأموات كما يتأدب مع الأحياء، فيجلس كجلوسه في الصلاة أو يجلس متربعا، قال بعض العلماء: وليتجىء إلى من قصد بكلية الاضطراب، ولا سيما من جربت الإجابة عنده كسيدي أبي مدين <sup>٢</sup> وقد نص على ذلك جماعة من الفضلاء كصاحب النجم، وابن الخطيب وغيرهما، وكذا سيدي أبي العباس السبتى بمراكش، وسيدي أبي الفضل القاضي عياض دفين باب إيلان المتوفي عام أربعة وأربعين وخمسمائة هجرية.

وقال بعض العلماء: سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وسيدي عبد العزيز بن عبد الحق الحراري، وسمعت شيخنا أبي العباس الذرعي يحكى عنه هذا المعنى، وأن مادته بعد مماته كحياته.

وكذا سيدي إبراهيم أدار بالسواحل، وسيدي أبو محمد صالح، وسيدي أبو شعيب، وسيدي عبد الله الغزواني، وسيدي أبو عبد الله بن أمغار.

وقد ذكرنا جماعة ممن يُزار من الأموات في رجز لنا تضمنه كتابنا مصباح النجاح في فضائل حزب الفلاح.

وقد نَظَّم الإمام صدر الصدور في هذا الشأن المسلم له في العلم والعمل. أبو سالم سيدي إبراهيم بن محمد التازري ذكر فيها: من يزار، وكيفية الأدب معهم فأفاد وأجاد. قال في المهم منها، وزيادة قوله بعد أن ذكر ما فيها من الفوائد، وأن فيها نصرة المظلوم وترفع الخامل، وأنها مفتاح لكل خير، وكالمهرم الذي يعالج به الأطباء الجراحات، وأنه يفتح بها للمريد في إرادة صادقة في الحين، وأن القلب غالباً ينشرح ويتسع بالأنوار السنية ببركة المزار، وأن المظلوم إذا قصدهم يأخذ الله حقه في الحين، ومن أغرب ما وقع في ذلك ما ذكره ابن الخطيب: إن بعض الفقهاء بدكالة كان خديماً للفقراء، ويأخذ بأيديهم، ثم إنه تسلط عليه قائد من قواد أبي الحسن المريني اسمه: ابن بطلال وكان ظلوماً غشوماً لا يُطاق، فسجن هذا الفقير أحد عشر يوماً، أراد أن يذله بذلك حتى يتجرأ عليه أحد من أهل النسبة؛ لأن هذا الخادم كان لا يخاف في الله لومة لائم، فلما سرّحه خرج زائراً للشيوخ الأحياء والأموات بسبب نازلته.

قال: فأول من لقيت رجلاً منقطعاً لا يُعرف فأول ما بدأني به قال لي: كم سجنك ابن بطلال؟ قال: قلت له إحدى عشر يوماً، قال: ارجع لدارك وأنا أسجنه لك إحدى عشر سنة، قال: فرجعت بعد أيام قلائل أتى كتاب أبي الحسن المريني من فاس لنائبه بمراكش أن أسجن ابن بطلال فسجن ونسي فيه إحدى عشر سنة، وما ترك رشوة إلا أعطاهما على أنه يسرح، وأقول لهم: لا يفسد ماله فإنه لا يخرج حتى يكمل المدة التي عينت لي قال: فما خرج من السجن إلا بعد إحدى عشر سنة.

وكم من زائر كان حاملاً فشهر، وظهرت له أنوار وأسرار، وربما يصادف من يكون من أصحاب الخطوة، فيكمل له عز الدنيا والآخرة.

كما حكى عن أبي زكريا يحيى بن موسى المليجي: إنه سافر للحج، فطلع في السفينة فراهم يفعلون فعل قوم لوط في السفينة، فنهضت به الغيرة أن حمل ثيابه ورمى



بنفسه في البحر، فنادى عليه الرئيس: أبحنون أنت أم أحمق؟ قال: كل ذلك فحبيه الماء من وسطه، فقال: اللهم أعني عليه فإنك تعلم أني ما فررت إلا كراهة أن أشاهد معصيتك.

قال: فحس بشيء من تحت رجله حملاه، فسار على وجه الماء، فسبق السفينة، وتأملت رجلاه فوجد عينا فتوضأ منها وشرب، فأذهب الله عنه الجوع والعطش وفاته الحج في عامه ذلك، وخرج إلى الشام وجال فيه ودخل مسجداً، فوجد فيه رجلين فلم يكلمهما ولا كلماه وكل واحد منهما مقبلاً على صلاته، فلما صلوا المغرب خرج أحد الرجلين فدخل عليهما بقصعة فيها ثريد وعليه منديل، فاستدعياه للأكل فأكل معهما، فلما كان اليوم الثاني وصلوا المغرب خرج الثاني فأتى بمثل طعام صاحبه فأكلوا وردوا الصحيفة.

فلما كان اليوم الثالث وصلوا المغرب نظر أحدهما إلى الآخر وتبسما.

قال أبو زكريا: وصلتني النوبة، وقد أكلت طعامهما وقد فرطت، فقامت وخرجت من المسجد، ففصلت ركعتين وسألت الله ألا يفضحني، فلما التفت، فإذا بصحفة كصحفتهم فأدخلتها إليهما وعليها منديل كمنديلهما، فشكرت الله تعالى فوضعتها بين أيديهما فنظرا إلي وقال لي: أنت يحيى بن موسى؟ قلت: نعم.

فسلما علي ورحبا بي، فأقامت معهما أياماً وقال لهما: إني راغب في المقام معكما، ولكن فاتني الحج وأريد أن أؤدي فريضة الحج وأزور النبي ﷺ، فودّعهما، وقال له أحدهما: إذا قضيت مناسك الحج فسر إلى بئر زمزم، فإنك تجد رجلاً أسوداً يسقي الناس وهو محتزم، فخذ إصبعه الفلانية فإنها أمانة بيني وبينه، فلما قضى مناسكه قصد الرجل الذي وصاه صاحبه، فوجد الرجل على الهيئة، فحس بإصبعه الذي ذكر له، وقال له الرجل: هل رأيت فلاناً؟ قال له: نعم، فأقبل عليه وبش في وجهه وتبسم، فلما صلى معه العتمة قال: ما حاجتك؟ قال له:



كنت دخلت البحر من بلاد المغرب، ثم دخلت الشام وقد نفذ زادي ولا أدري ما أصنع؟ قال له: من أى البلاد أنت؟ قال له: من المغرب الأقصى.

فقال له: من أى البلاد منه؟ قال: من بلد ركرake، فقال له: من أى البلاد منه؟ فقال: من بلاد شفشاون، فجعل يكرر شفشاون شفشاون، ثم قام فتحزم وشد علي نفسه ثيابه، فأخذ بعضده الأيمن، ورفع من الأرض، فمال به ذات اليمين فوضعه، ثم رفعه فمال به ذات الشمال فوضعه، ثم رفعه ثالثة فمال به ذات اليمين فوضعه، وتركه وغاب عنه وانتظر أن يرجع إلى أن قرب طلوع الفجر، فرأى سواداً كسواد الوادي بالشجر فقصد إلى ذلك السواد، فإذا هو بالوادي.

فلما انبلج الضوء رأى شجر الصفصاف وأنواع الشجر، وعاین الأجنة، فقال في نفسه: ما أشبه هذا الوادي بوادي شفشاون! فأبصر قرية فيها صومعة، فقال ما أشبه هذه القرية بقرية بليجة! ثم أبصر راعي بقر قد خرج بها إلى المرعى، فقال له: تعرف يحيى بن موسى. قال له: هذه بقرة وأنا راعيها، وقد سافر إلى المشرق بنية الحج، فدخل القرية وقصد منزله.

قلت: علي مثل هؤلاء يبحث، فإن قلت: أين أجدهم؟ قلت: الصدق والمحبة والتسليم يجمعك بهم حيث كانوا، وربما أتوك إلى منزلك إن صدقت في الطلب، ولا يحرمك الحق بفضله وكرمه، وفي هذا المعنى أنشدوا:

لَا يَنْكُرُ الْخَرْقَ لِلْسَّادَاتِ ذُو بَصَرٍ بِالْعَقْلِ

والشَّرْعِ

جججج

لِلْأَبْدَالِ فِي

الْبَشَرِ

جججج  
وَالطّيُّ لِأَرْضٍ مَعْلُومٌ تَوَاتَرَهُ وَالنَّصُّ فِي  
ججججج ذَاكَ

الْفُرْقَانِ  
وَالْأَثَرِ  
ججججج

وَعَرْشُ بَلْقَيْسَ بُرْهَانَ يَدُلُّ بِهِ عَلَى سِوَاهُ  
ججججج رَجَالُ

الْفِكْرِ  
وَالنَّظَرِ  
ججججج

وَالطّيُّ قَدْ جَاءَ لِلدَّجَالِ مِشْتَهَرًا  
جججججججججج

يَطُوي  
الْبَسِيطَ  
وَفِي أَشْيَاءَ  
الْبَحْرِ  
جججججججججج

بِالصَّٰدِقِيْنَ

## جج

وَذَوِي

## الْحَذَرُ

## ج.ج.ج.ج

لیس یدر

ج ج ج ج ج ج ج

لَذَّةَ الصَّدْرِ

ج ج ج ج ج

التَّصَدِيقُ

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

بِالْخَبَرِ

ج.ج.ج.ج.ج.ج.ج.

فمن مثل هذه الفوائد استحبوا الزيارة، ولاسيما في مشاهدة الأخير إذا اجتمعوا في أمكنة من الأماكن المشرفة، كما كانوا يجتمعون قبل هذا برباط شاكر، وبساحل دكالة وبسلا وبجبل العلام، وعند الشيخ سيدي أبي يعزى في أيام الربيع إلى غير ذلك.

وأما في مسجد النبي ﷺ، وبيت الله الحرام، فإنهم يأتون

إليه فرضاً مفروضاً ولكن الغالب عليهم الخفاء، وقد ذكرنا منهم جملة كافية في كتابنا «مطالع الأنوار» والكثير من الصديقين كان سبب خلاصهم من لجج المعاصي؛ زيارتهم للأخيار، وفتح عليهم بركات شروق أنوارهم ظهرت عليهم في الحين أسرارهم.

وقد قال الشافعي: قبر موسى الكاظم الدرياق المجرب، وكم من صادق في زيارتهم، فالقى عليه جذبات الأنوار، فوصل إلى حضرة القدس، وبساط الأنس في الحين من غير كلفة، ثم تحمل المشاق والمتاعب، وقد يلقيه الحق ببركة صدقه بالنبي ﷺ فيصل في الحين كما اتفق لابن هوارو، والشنكي، وإنما يلزمه الأدب الكامل، ويحسن الظن بكل أهل النسبة يظن فيهم الكمال إلا نفسه، فإن بذلك يظفر بالكمال كما قال أبو سالم:

فَزَرِ وَتَأَدَّبَ بَعْدَ      تَأَدَّبَ مَمْلُوكٌ مَعَ  
تَصْحِيحِ      نِيَةِ      الْمُلِكِ الْحُرِّ  
جج

وَلَا فَرْقَ فِي      مُرَبٍّ وَمَجْذُوبِ  
أَحْكَامِهَا بَيْنَ      وَحِيٍّ وَذِي قَبْرِ  
سَالِكِ      جججج

جج  
وَذُو الزُّهْدِ وَالْعِبَادِ      عَلَيْهِ وَلَكِنْ لَيْسَتْ  
فَالْكَُلُّ مُنْعَمٌ      الشَّمْسُ كَالْبَدْرِ

جججج

جججج

وزُورَةُ رَسِيلِ اللَّهِ وَهُمْ دَرَجَاتٌ فِي  
خَيْرِ زِيَارَةِ الْمَكَانَةِ وَالْقَدْرِ

جججججججج

جججججججج

وَأَحْمَدُ أَعْلَى يُؤَمِّمُهُ الْعَارِفُونَ فِي  
الْعَالَمِينَ وَخَيْرٌ مَنْ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

جججج

جججج

قلت: وإذا تعذرت عليه الزيارات، وضاحت عليه الحيل،  
ولم يجد مسلكا فليلزم الاستغفار بالاضطرار، وليكثر من  
الصلاة على النبي ﷺ، فإن الله يفتح له الأبواب، ويرفع له  
الحجاب، ويسهل عليه الأسباب.

وأما نصوص العلماء في الزيارة: فلهم في ذلك مجال،  
وكل أجاب على قدر فهمه واتساعه في علمه وضيقة.  
قال الإمام القرافي: أما الخروج لزيارة العلماء والصالحين  
فجائز سواء طال السفر أو قصر.

وممن نص على ذلك أبو بكر بن العربي في القبس،  
وحجة الإسلام الغزالي في الإحياء في كتاب الحج وكتاب  
السفر. قال الغزالي: ويعتقد أنه ينتفع بالميت. قلت: نص  
الإمام ابن العربي في قبسه بخلاف نصه في غيره أنه لا يزار  
إلا قبر النبي ﷺ ورد عليه ذلك بما هو معلوم وقول حجة  
الإسلام ويعتقد أنه ينتفع بالميت.

قلت: هذا إذا كان من الأكابر وأما إن كان الغير فإنه  
يعتقد نفعه بدعائه له فافهم ذلك.

قال حجة الإسلام: وكل من ينتفع به حيا ينتفع به

ميتاً.

قال الإمام ابن العربي: وإنما ينتفع الميت من الحي لا الحي من الميت.

قلت: هذا إن كان كما ذكرنا ناقصاً، وإلا فإن الحي ينتفع من الميت، وكل ما يهديه إليه الحي من الدعاء والقراءة والصدقة إنما ذلك زيادة في شرفه، وإلا فإن المولى أغناه بفضله وهو بمنزلة البحر لا يحتاج لماء، وكلما فرغ فيه من الأنهار لا يستغنى عنه ولا يكرهه، وإنه فضل من الله وهبه له وفضله حاد عليه.

قال الشيخ أبو العباس زروق: أما زيارة الحي فللاستفادة علماً وعملاً وحالاً، ولم يزل الناس يرحلون في هذا الغرض.

قال سيدي أبو عبد الله بن الحاج في مدخله: ينبغي ألا يخلي نفسه من ورد زيارة الصالحين الذين برؤيتهم يحيي الله القلوب الميتة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر، وتنشرح به الصدور الصلبة، وتهون برؤيتهم الأمور الصعبة؛ إذ هم وقوف على باب الكريم المنان ولا يرد قاصدهم ولا يحجب مجالسهم ولا عارفهم ولا محبهم؛ إذ هم باب الله تعالى المفتوح لعباده، ومن كان كذلك فتتعين المبادرة إلى رؤيته واغتنام بركاته؛ لأنه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الحفظ والفهم وغيرهما ما يعجز عنه الواصف أن يصفه.

وقد حدثني بعض الأخيار في حدود ثمان وخمسين من هذا القرن أن الشيخ سيدي عبد العزيز الحرار لما أتى من عند سيدي الصغير السفيفاني قصد زيارة الشيخ سيدي أبو يعزى، وبات عند قبره مضطراً ومتضرعاً، فرأى في تلك الليلة كأنه شق صدره وأدخل فيه القرآن، فلما أصبح وجد نفسه يفهم القرآن مع أنه كان أمياً، فكان حيث ما تكلم مع إنسان أتى بنص القرآن رضي الله عنهما.

وقد ذكر سيدي علي بن محمد الجزولي الدرعي الدار والقبر والمزار أنه قال: قصده وبقيت عنده ستة أشهر في

حكاية غريبة أضربنا عنها اختصاراً.  
 قال: فلما أردت الانصراف أتيت إليه لأودعه فقلت له:  
 يا سيدي عندي أولاد الله يصلحهم، وزوجتي الله يوفقها،  
 وعندي والدة الله يسترني معها.  
 وإذا به يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ  
 أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾  
 [الفرقان: ٧٤].

وكان هذا الدعاء غالباً عليّ في سحري ونحري، وطمعني  
 وإقامتي، فتعجب من مكاشفته وكيف جرى ذلك على  
 لسانه مع أنه كان أمي!  
 واعلم أن شهود النفع بزيارة الصالحين مما هو شاهد ولا  
 ينكره إلا بليد الطبع، أو من طبع الله على قلبه ونفي  
 الخصوصية والتخصيص.  
 قال صاحب النفحات القدسية:

فكم رتبة أجلى وكم رتبة أعلى  
 إلأه بجاههم وأولى من الأوس

جججج

جججج

ولا تسمعن قاصر على من يكن حياً  
 النفع فيهم فذاك من الطلس

جججججج

جججج

فإن شهود النفع ولاسيما والقوم  
 ينفي مقالته نصوا على العكس

وقد أصبحوا في ولا موت قالوا  
العلم أعلام صلبة للمحبين في الرمس

جججججج جججججج

فكن صادقاً في بأحوالهم واحذر  
حبهم ومصدقاً مخالطة الشمس

جججججججججج جججججججججج

قال بعض العلماء: إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم،  
فما ظنك بمشاهدتهم، وما ظنك بيوم اجتماعهم على ربهم  
وهو يوم موتهم.

ويحكى عن سيدي سهل بن عبد الله: إنه لما مات  
وقعت ضجة عظيمة، والناس يتمسحون بأكفانه، وقد  
حملوه لقبره فسمع يهودي الضجة وقدرهم ينيف على  
السبعين ألفاً، فخرج لينظر ما السبب، فرأى الناس  
يتمسحون، فصعق، فلما أفاق قال لهم: أرايت ما رأيت؟  
قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أقواماً ينزلون من السماء  
لا تحصى كثرتهم يتمسحون بالأكفان، ثم أسلم فحسن  
إسلامه، وكانت وفاته عام ثلاثة وسبعين ومائتين.

ويحكى عن ذي النون المصري ⚡: إنه توفي عام خمس  
وأربعين ومائتين.

قال حجة الإسلام في مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار:  
قال أبو بكر بن محمد بن زيان الحضرمي: لما مات ذي  
النون المصري بالحيرة، وحمل في سفينة مخافة أن تنقطع  
الجسور من كثرة زحام الناس مع جنازته، وكنت قائماً  
مع الناس على كومة أنظر، فلما أخرج من القارب،



ووضع على النعش، وحمله الرجال رأيت طيوراً خضراء  
قد اكتنفت الجنازة.

قال أبو بكر بن زيان: فذكرت ذلك لخالي الحسن بن  
يحيى بن سلال بعد زمان، فقال: والله لقد رأيت هذه  
الطيور على جنازة المازني ثم رثاه، وقال: ٧

ورأيتُ أعجبُ ما من قبلَ ذاكَ رأيتهُ

رأيتُ ولم أكنْ ————— شيع

جججججج جججججج

طيراً ترفرفُ فوقه حتى تواري في

وتحفه ————— حجابِ المضجع

ججججججج جججججج

ثم احتجبَ عن علماً بكنه مصيره

العيونِ ولم أحطْ في المرجع

ججججججج جج

وأظنُّها رسلَ والله أعلمُ فوقَ

الإلهِ تنزلتْ ذلِكَ مسمع

ج

ويُحكى عن بعض الأخيار: إنه قال: اشتاقت نفسي إلى  
زيارة أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الهزيمري  
بأغمات، فقلت ذلك لبعض الأصحاب، قالوا: أن لهم

غرضاً في الفرجة بأغمات فسرنا ودخلنا المدينة عند الزوال فدخلوا المسجد وكان ذلك زمن الصيف فتوسد كل واحد منهم حصيراً ونام وخرجت أنا إلى قبر الشيخ سيدي أبي عبد الله الهزميري فقرأت على قبره ما تيسر من القرآن ودعوت الله تعالى ورجعت فوجدت أصحابي نياماً فأيقظتهم وتوضؤوا وصلينا الظهر ونظرنا الشيخ فلم نجد فرجعوا إلى نومهم وخرجت أنا إلى قبر الشيخ فأقمت به إلى العصر فرجعت إلى المسجد فأيقظت أصحابي فقاموا وتوضؤوا وصلينا العصر ونظرنا الشيخ فلم نجد باليسارية من أربعة أركان وبحثنا عليه بحثاً شديداً فلم نجد فلما أيسنا من طلبه، قال بعضهم: نقيم هاهنا غداً لنلقاه.

قلت لهم: أما أنا لا يمكنني القعود غداً هاهنا فإني مطلوب بوظيفتين: وظيفة الخضار، ووظيفة الإمامة. فقالوا لي: سر معنا نتفرج في هذه العشية في المدينة ونرحل غداً إن شاء الله تعالى.

فقلت لهم: إنما أتيت برسم زيارة هذا الشيخ ولم آت برسم الفرجة فخرجوا من المسجد من أحد الأبواب الشرقية وأنا أنظر إليهم واحداً بعد واحد وإذا بالشيخ مستند إلى السارية التي تقابلني وهو ينظر إلى ويضحك فبادرت وسلمت عليه فرحب بي وسألني عن الأهل والقربة ورأيت منه قبولاً وبشاشة لم أرها منه قبل ذلك، وأنا في ذلك كله أنظر إلى الباب الذي خرج منه أصحابي، وأقول: يا ليتهم يعلمون أنني قاعد بين يدي هذا الشيخ فلما رأى التفاتي إلى الباب المرة بعد المرة جذب بثوبي، وقال لي: أين عقلك؟ قلت: حاضر يا سيدي، ثم قال لي: إنما مثلك كمثله رجل له صاحب وهو من جملة أصحابه، فقال له: إني أريد أن أقيم عرساً تكون يدي ويدك واحدة غير أني أشرط عليك شرطاً واحداً وهو ألا تدع لهذا العرس طقيلياً. فقال له صاحبه: نعم فلم يكن عاجزاً ولا بطيء إن دعا جملة من الطفيليين فلما شعر صاحب العرس بذلك أوقف على الباب بواباً وقال: لا

تدخل علىّ إلا من عرفته من أصحابي وإياك والطفيلين فإذا بصاحبه لم يترك طفيلياً إلا عرض عليه فتقدم هذا المذكور بهم وقرع الباب فقال له البواب: من أنت؟ قال: فلان، وهؤلاء الدين معك. قال ارجع أنت وأصحابك.

فلما أراد البواب أن يغلق في وجوههم توقف هذا. قال له أصحابه: سر معنا. قال لهم: إني أريد منكم التسليم حتى أجتمع مع صاحب هذا العرس.

قالوا قد سلمنا، وانصرفوا، فلما رأى البواب انصرافهم ولم يبق إلا هذا المذكور. قال له: أدخل الآن أنت، فلقية صاحب العرس الترحيب والإكرام وأقعدته مقعداً يليق به وأحضر بين يديه الطعام فلما رأى الطعام تنغص من أصحابه إذا لم يأكلوا معه وخاطره متعلق بهم وأكل الرفيق على الرفيق حرام فما كان يصلح هذا الشخص إلا لو أكل مع أصحابه. فما استتم والله هذا الكلام إلا وأصحابي عن آخرهم قد دخلوا من الباب الذي كانوا خرجوا منه ولم يكن بين خروجهم ودخولهم إلا بقدر ما تكلم بهذا الكلام فلما رأوه أسرعوا وسلموا عليه فجعل يحدثهم ويبسطهم وأما أنا فكساني حال عظيم فما زال يحدثهم حتى أذن مؤذن لصلاة المغرب فالتفت إلى وقال لي: عش ما شئت فإنك ميت وأصحاب ما شئت فإنك مفارقة ودعا لنا وقمنا للصلاة.

ويحكى عن بعض الصديقين أنه قصد لزيارة الشيخ سيدي أبي زيد عبد الرحمن الهزميري بأغمات بعد أن طلب رجلاً يسير معه وكان يحب الشيخ هذا الزائر ويشتاق إليه شوقاً شديداً وكان ذلك اليوم ثالث عيد الفطر فنأدى ذلك الرجل يعرف بالوراد، فقال له: تصحبني لزيارة الشيخ.

فقال لي: إن المرأة ولدت ولا عندي ما أقيم به حالها ولولا ذلك لأنصرفت معك، فأعطيته ثلاثة دراهم فقلت له: اشتر لها لحماً ودقيقاً وما خصها انفق عليها بالدرهم حتى ترجع إن شاء الله. فلما وصلنا دخلنا على الشيخ وقعدنا بين يديه وسألني عن الأهل والأولاد وعن حالي

كما كانت عادته، ثم التفت إلى الوراد صاحبي ولم يكن الوراد قبل ذلك يعرفه، فقال له أمغار ومعناه الشيخ تزايد عندك مولودًا، وأنت فقير وليس عندك ما تنفق عليه؟ فقال له: نعم يا سيدي، قال له: يفتح الله، ثم دعا لنا وانصرفنا ثم نادى الوراد، فأشار إليه أن أجلس فقعده، فقال: إذا خرجت من هاهنا سر إلى موضع الدباغين فإنك تجد هناك كلبًا أسود أبو تاهيدورت ومعناه عليه صوف كثير فقل له: يقول لك عبد الرحمن هات الأمانة التي عندك فإذا أعطاك شيئًا استنفقه لذلك المولود.

فلما خرجنا من المسجد قلت له: وما كان الشيخ يقول لك، فقال لي: سقتني لمن يبسط علي ويضحك مني. قلت له: وكيف ذلك؟ قال: قال لي تذهب إلى موضع الدباغين فإنك تجد كلبًا أسودًا فاطلب منه الأمانة التي عنده وأنفقها لذلك المولود.

فقلت له: الرجل ولي وما يقوله حق، قال لي: لا أفعل شيئًا من ذلك أتريد أن يضحك مني أهل أغمات، فمازلت أستعطفه إلى أن بلغت معه الدباغين فوجدنا الكلب على الطريق على الصفة التي وصف الشيخ، وهو كالمنتظر إلينا فدنا منه، قال له يقول لك الشيخ أبو زيد هات الأمانة التي عندك فمضى بين أيدينا مسرعًا إلى أن أقبل على معدة الماء فحفر بكلتا يديه في ركن البرج فسقطت من الحائط خرقة كالكورة وسخة ومزيتة فأخذها بخرطومهم ورمى بها إليه فأخذها وخرجت معه من باب المدينة فحل الخرقة فوجد فيها عشرة دنانير فرأيت الرجل كاد أن يفارق عقله من الفرح ثم قال: والله لا انصرف من هاهنا حتى أعلم حقيقة هذا، فغاب عني ساعة ثم أقبل، قلت له: أين كنت؟ فقال لي: نظرت الشيخ في المسجد فلم أجده، فسألت عن منزله فدللت عليه فهبت أن أضرب عليه وإذا به قد خرج، وقال لي: أمغار أخذت الأمانة.

قلت: نعم يا سيدي، قال: وما جاء بك؟  
جئت لتقف على حقيقة ذلك الشيء، اعلم أن ذلك هو

الذي يسرقه الباعة للناس يكون عند الجن فإذا جاء من يستحقه مثلك دفع إليه، قد وقفت على الحقيقة انصرف.  
واعلم أنه لا يكون كمال الانتفاع بالزيارة إلا بالصدق وعدم الاعتراض وأن الولي الذي يزار باب من أبواب فضل الله ورحمته.

وقبر الشيخ أبي مدين ؑ بالعباد شهر البركة.

قال أبو العباس بن الخطيب: وهو مشهور معهود وحوض للزائرين مورود، ورأيت من قبور الأولياء كثيراً من تونس إلى مغرب الشمس ومنتهى بلده أسفي (٨١) فما رأيت أنور من قبره ولا أشرف ولا أظهر من سره وليس الخبر كالعيان والدعاء عند قبره مستجاب قاله الأعيان وقد وقفت على ذلك غير ما مرة وأخبرني به من جربه واختبره، وزرته مراراً ورأيت له أسراراً، فمنها يارتي له مع أمير المؤمنين أبي العباس الحفصي عام إحدى وستين وسبعمائة، فذكر حكاية أضربنا عنها اختصاراً.

قال: وآخر زيارتي له عند ارتحالي من المغرب وجوازي عليه إلى قسطنطينة، وذلك في سنة ست وسبعين وسبعمائة وفي هذا العام كانت المجاعة العظيمة، وعم الخراب المغرب فوردت تلمسان والحالة هذه وأقمت بها قرب شهر غير واجد للطريق، وكان وزيرها إذا استشرته في الخروج منعني وتبرأ مني فكثرت علي النفقة وبلغت المعينة منها فيما لا بد منه لعيالنا ومن تعلق بنا أربعة دنانير ذهباً في صبح كل يوم دون المزية العظمى واليد الكبرى التي تجعل علينا من بيع الطعام فلجأت إلى قبر الشيخ أبي مدين وركعت عنده ما قدر لي، ثم قرأت جملة من القرآن، ثم أخذت في التسبيح والتهليل في نفسي ساعة حتى رق قلبي واجتمع خاطري فاستغفرت الله تعالى وصليت على رسول الله ﷺ، ثم قلت:

يا سيدي أبي مدين قد نزلنا بجوارك ولنا معك وسيلة عهد وسند متصل غير منفصل والغرض تيسير الانتقال

والحفظ في كل الأحوال.

اللهم إنا نتوسل إليك بأوليائك وأنبيائك يسر لنا في ذلك يا قريب يا سميع الدعاء مراراً وختمته بالصلاة على النبي ﷺ.

وحمدتُ الله وانصرفتُ فيسر الله تعالى عليّ فيما طلبته ووقع ما أملتُه وارتحلت بعد أيام يسيرة ورأيت في طريقنا من انقلاب الشر خيراً ما كان يتعجب منه من كان يشاهده، وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف تحسراً علينا وانتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله وذلك عندنا معهود من كرامات الشيخ أبي مدين ؑ فالدعاء عند قبره مستجاب.

قلت: وعلى هذا النمط قبر الشيخ الإمام الذي نحن بصدده سيدي أبي يعزى فما قصده أحد قط بصدق نية وعزيمة إلا قضيت حاجته بسهولة وحسن تيسير حتى إنني رأيت جماعة من الظلمة المتورطين في الظلم والجرأة على الله وجنوا على أنفسهم ما لم تغفره الملوك عادة فوجدوا بركة الشيخ فغفرت لهم الملوك جميع ذلك. وأما القاصدون في المهمات والملمات وتفريج الكربات فهذا موجود من بركاته في كل من قصده وكان بيده التي قصد مقضية.

وكان على هذا الشيخ الإمام أبي العباس السبتي إلا أنه لابد من تقديم الصدقة بهذا جرت عادته ؑ.

واعلم أن هذا الإمام ممن أكرم بالخصوصية من صغره إلى كبره، ومن حفظه الله ﷻ مع كثرة الأعداء إذ كانوا أهل مراکش يقذفون فيه كثيراً ويتكلمون فيه بكل مكروهة ويسمعون له الأذى ويحلم عليهم فعامله الحق برعايته واكتنفه بكلائته وتولاه الله بلطفه حتى خرج من الدنيا وحتى أن بعض أكابر العلماء قصده للاذاية فحفظه الله تعالى منه ووقع به مكره كما قال Y: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

يحكى عنه: إنه كان في ابتداء أمره، وهو ابن عشر سنين بمدينة سبتة، ومات والده وكانوا فقراء لا مال لهم. وكانت والدته كيسة في دنياها، وأرادت أن تعلمه الصناعة ليستعين بذلك وما يعود عليه من نفع تعليم الصنعة، وأراد الحق به خصوصيته، وما سبق له من الفضل في سابق علمه فحملته إلى معلم الحياكة؛ ليتعلم فلما ذهبت فر عنهم، فألهمه الله تعالى أن أتى إلى مكتب أبي عبد الله بن الفخار، وكان من الأتقياء الأخفياة الأجلاء الأذكياء، وله فراسة وبركة اكتسبها من بركة الشيخ سيدي أبي الفضل ٧.

فدخل عليه وكان متقناً في القراءة والفقه والعربية، وفنوناً من الأدب وتقوى وورع زائد، وولاية ظاهرة وأنوار شارقة، فقال: يا سيدي أردت أن تعلمني الله وأنا يتيم، فنظر إليه فألقى الله محبته في قلبه فقال له: على بركة الله يا بني مرحباً بك وسهلاً، ثم أجلسه مع الصبيان.

فروى أن الشيخ حس بركة زادت عليه من ساعته، فأراد أن يختبر أمره فاشترى طيوراً على عدد الصبيان، وقال لهم: كل واحد منكم يذبح طيره حيث لا يطلع عليه أحد فما كان إلا ساعة وإذا بهم قد أتوا بطيورهم كلها مذبوحة، وإذا بأبي العباس أتى بطيره حياً لم يذبحه، فقال له: وأنت لم لم تذبح طيرك؟ قال:

يا سيدي أمرتني أن أذبحه حيث لا يراني أحد فما وجدت موضعاً إلا والله مطلع عليه وناظر إلي فمن أجل ذلك لم أذبحه.

فقال له: يا بني بارك الله فيك إن عشت ليكونن لك شأن عظيم. قال له: يا سيدي ذلك بيد الله يفعل في ملكه ما يشاء. فزاد حظوة عند الشيخ وصار يحمله إلى داره ويحسن إليه وزادت عليه من بركاته الخيرات، وإفاضات الإحسان.

ثم إن والدته افتقدته عند معلم الحياكة فقال لها: إن ولدك لم يجلس عندنا بل في الحين خرج عنا وتبعه بعض



المتعلمين حتى دخل علي بن الفخار في مكتبه فذهبت  
تسأل حتى وجدته عند أبي عبد الله يقرأ مع الصبيان وكان  
حسن الحفظ فتكلمت للشيخ، فقالت: يا سيدي هذا  
ولدي وهو يتيم ونحن فقراء ولا مال لنا وأردت أن أعلمه  
الصنعة. فقال لها: يا أمة الله بكم تكريه في الشهر؟ قالت:  
بعشرة دراهم، قال لها: دعيه وأنا أعطيك في الشهر  
عشرين درهما فإني رأيته تقياً نقياً مع ما رأيته له من  
البركة وإنه دخل علينا بها. قالت: يا سيدي أتوفي لي  
بذلك؟ قال: يا أمة الله إن من الإيمان الوفاء بالعهد،  
فأدخل يده في جيبه وعد لها عشرين درهماً.

وقال لها: هكذا أفعل معك إن شاء الله في كل شهر،  
فتركته واستقبله الشيخ بهمته مع ما فيه من حب الخير  
فجد في قرائته.

ويحكى عنه: إنه لما بلغ أن الله يأمر بالعدل والإحسان  
قام إليه فقبل يده، وقال: يا سيدي ما معنى هذه الآية  
الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾  
[النحل: ٩٠]. فنظر الشيخ متعجباً من حسن عقله مع  
صغره وقال: ليكون لهذا الشاب شأن، وقال لي: يا بني  
لي كذا وكذا أعلم الصبيان، فما سألتني عنها أحد منهم،  
إلا أجبتة، والعدل: المشاطرة بأن يكون بينك وبين إنسان  
مال فتقسمه علي السواء وهو العدل، ثم تحسن له من  
شطرك، فهذا هو العدل والإحسان الذي أمر الله به.

قلت: هذا على فهم هذا الإمام ع، وإلا فإن العدل هو  
استواء السريرة والعلانية، والإحسان أن تكون السريرة  
أحسن من العلانية.

ولك أن تقول: العدل تحقيق العلم والعمل، والإحسان  
كما صح في الحديث: «إِنْ تَعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» (٨٢).

ثم ما أتت عليه ست سنين من دخوله المكتب إلا وقد  
حفظ القرآن والرسالة وفنوناً من الأدب والعربية.



ووافق أربعين سنة من القرن السادس، وقويت عزيمته على السفر برسم طلب العلم ولقاء المشايخ فقام إلى الشيخ، وقال له: يا سيدي إني عزمت على المسير إلى مراکش أطلب العلم فيها فإنها مدينة الخير والعلم والصلاح.

فقال له: يا بني والله إنه ليعز على فراقك ولكن في طلب العلم يهون على سفرك، فودعه وانصرف عنه، فمازال يجد السير إلى مدينة مراکش، واتفقت له في الطريق كرامات أضربنا عنها اختصاراً، وقد تعب في طريقه إذ لم يتعود السفر مع صغر سنه، ولكن لله ألطاف خفية شملته في جميع أحواله، وانقطع بأحوال مراکش بالجبل المعروف «بايكلين» للعبادة، وانتظار الإذن من الله في الدخول على عادة الأكابر ألا يدخلون في أمر إلا بإذن من الله تعالى.

كما قال صاحب الحكم: فإن نزلوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ واليقين؛ وقد أوضحنا حقيقة ذلك في كتابنا مطالع الأنوار السنية على الحكم عند قول المؤلف سيدي ابن عطاء الله هذا T، وكان فقيراً تعلق به، وانقطع لخدمة الشيخ ومصاحبته، وقد شكاه يوماً بالحفاة وأراد نعلاً، فطلب من الشيخ أن يأذن له في دخول المدينة حتى يخدم بما يشتري به نعلاً يلبسه، فأذن له الشيخ فدخل المدينة وسأل عن موضع يخدم فيه فقبل له: سر إلى الموقف فبينما هو واقف إذ أتاه إنسان فحمله إلى منزله يخدم البنيان، فخدم يومه كله فقال المعلم: لصاحب المنزل هذا الرجل يخدم في دارك ما يخدمه اثنين، فإن أعطيته أجرته ينصرف عنك ولا تجده.

فقال له الرائي: تواعده ولا تعطيه شيئاً حتى تكمل بنيان دارك، فمازال يخدم معهم حتى أكمل بنيان الدار، فطلب أجرته فماطله بها، وطول عليه كل يوم يعده إلى أن أعيته الحيلة وهو مسكين وصاحب الدار من المعتبرين، فانصرف عنه آيساً، فصعد إلى الشيخ وقد أثر الجير في يديه ورجليه

إذ كان يخدم علي نيته ولا يتوقى الجير كما تفعل الخدمة في الحذر من حرقة. فلما رآه الشيخ علي تلك الحالة أبشع مما يكون حافي القدمين، فاستعظم أبو العباس ذلك وسأله عن حاله فأخبره بقصته.

وكانت للشيخ همة في توجهه إلى ربه عالية كما قال بعض العلماء في أوصافه ونظرائه، ومن أراد اليوم عبادة الحسن البصري، أو زهد داوود الطائي، أو علم أبي حامد الغزالي وأحوال أبي يزيد البسطامي، أو رياضة سهل بن عبد الله التستري، أو ورع إبراهيم بن أدهم البلخي، أو كرامات سيدي عبد القادر الجيلاني، أو مكاشفات أبي يعزى الإيلاني، أو معارف أبي مدين القطباني العبادي، أو تربية أبي الحسن الشاذلي، أو معرفة شيخ الإسلام الهروي، أو حقائق أبي العباس المرسي، أو همة أبي العباس السبتي، أو مشاهدة ابن أبي جمرة الأندلسي.

وأمثالهم كثير رضي الله عنهم، فقد طلب الشيء في غير إبانة، وقصده في غير مكانه، وذلك أن ضوء الشمس بالظهيرة في وسط النهار ليس كالذي بعد مغيب الشمس أو قرب مغيب الشفق فافهم هذه الإشارة.

قلت: هذا الكتاب إنما وعدنا فيه ذكر كرائم الشيخ أبي يعزى، و من أخذ عنه وله معه نسبة، ولما كانت بينه وبين هذا الشيخ نسبة حقيقية، يلتقي معه عند أبي بكر بن العربي المعافري الأندلسي دفين فاس بين المدينتين حسن منا أن نذكره ونذكر بعض أوصافه إذ هو أعجوبة من عجائب الزمان ووحيد الأقران.

قال أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عمر المعروف بـ «ابن الزيات»: لما شرعت في تأليف أخبار صالحى المغرب الذي جمعتهم في الكتاب المسمى بالتشوف إلى رجال التصوف أشار علي جملة من الفضلاء بأن أذكر فيهم الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي، فتوقفت في ذلك إذ لا يكفي في ذكره الاختصار لما وقع فيه من الاختلاف، فرأيت أن أقرده ذكره وأبسط أخباره حتى يعلم الواقف على ذلك مجموع عيون أخباره

وحقيقة أمره وأسراره.

**وبالجملة:** فإن شأنه من عجائب الزمان، وأنا أتى من غرائب بما ينوب عن العيان، وكان  $\pi$  قد أعطي بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد إلا أفحمه، وكان سريع الجواب، وكان القرآن ومواقع الحجج والنجوم على طرف لسانه عتيدة حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه من يأتيه للإنكار عليه فلا ينصرف إلا وقد سلم له وانقاد لقوله.

قلت: قوله: يسحر العامة والخاصة يدعون إليه بحلاوة قوله، وحقيقة أمره فيحبونه ويعظمونه، كما تقول العامة فيمن كان حلو اللسان: فلان سحار.

وأنا أثبت من بعض أخباره ما صحّ عن الثقات إن كانت شمس خصوصيته لا تحتاج إلى دليل وجبله المحيط على مرسة.

قدمنا أن مولده بسنة عام أربع وعشرين وخمسائة، وأنه قدم مراکش عام أربعين في حصار الموحدين للمتون، وأنه بعد تعبه ما شاء الله نزل مدينة مراکش حين نزوله من جبل: إيكليز الذي كانت به الجيوش أيام الحصار.

ويحكى أن سببه في ذلك الفقير المتقدم، وأن الشيخ توجه بهيمته وقال له: اذهب إلى صاحب الدار وقل له: يعطيك أجرتك وإلا وقعت داره في الحين، وكان الفقير صادق الاعتقاد فأتى إلى الرجل صاحب الدار وهو جالس على دكان في بابها، فقال له: أوفي أجرتي فمأطله على العادة استهزاء واستحقاراً وهو مع جملة من أصحابه. فقال له حينئذ الفقير: إن لم تعطني أجرتي وإلا وقعت دارك في الحين والوقت، فضحك الرجل هو وأصحابه استهزاء واستحقاراً بقول الفقير، فقال له: إذن انطحها برأسك أو قال: بكبشتك.

فقال له الفقير: الذي ثم تراه. ثم انصرف عنهم قاصداً للجبل إلى الشيخ، فلما غاب الفقير عن أعينهم وهم يتضحكون ويتفكهون بقول الفقير وإذا بالدار، بقدرة من

يقول للشيء كن فيكون، وقعت في الأرض، ولم تهلك أحداً ممن كان فيها فضاقت حينئذ بصاحب الدار الرحاب، فبحث هو وأصحابه على الفقير، فلم يجدوه ولا علموا أين ذهب وشاع الخبر في مراکش، فأقبل الناس ينظرون كذبة من تراب لا حجر مع آخر، وكان الرجل ذا وجاهة، فبكي، وخفا خوفه كله.

وقال: الذي هدم الدار وهي جديدة قادر على أن يذهب بالإيمان من قلبي فما زال يفتش على الفقير إلى أن كان يوم الجمعة، وكان من عادته أن ينزل يوم الجمعة حتى يصلي ويطلع عند الشيخ، فلما رآه صاحب الدار بعد صلاة الجمعة تعلق به وصاح وبكى بكاء شديداً واجتمعت عليه الناس فجعل يقبل يديه ورجليه ويطلبه في الصفيح والعفو وأعطاه دراهم كثيرة، وأبى من قبول شيء. قال له: لا أقبل منك درهما واحداً إلا إن قبله الشيخ، أو قال إن أمرني الشيخ.

قال له: من شيخك؟ قال: أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي.

قال له: وأين هو؟ قال له: في جبل أيكليز.

قال: بفضلك إلا ما حملتني إليه فمشي معه فدخل على الشيخ بخلوته بعد أن إذن الفقير له فوجدوه، وهو جالس يقرأ القرآن فاستأذن على صاحب الدار، فأذن له الشيخ بالدخول، فدخل وقبل يديه وبكى وتضرع إليه.

قال له الشيخ: ما هذا البكاء! قال له: يا سيدي إن فقيرك هذا خدمني أياماً في دار كانت لي ولم أنصفه لما أراد الله تعالى به يكون، فأنصرف عني غير راض فوقع الدار، وتهدمت، فخفت على ديني أن ينهدم كذلك، وقد أعطيته دراهم كثيرة فأبى أن يقبلها.

وقال: حتى يأذن لي سيدي وقد جئت لوجه الله تعالى أن يقبلها مني ويرضي علي.

فقال له الشيخ: حين كان يطلب منك أجرته استهزأت بالفقراء وقلت له: انطحها بكبشتك، أما

علمت أن قدرة ربي عظيمة إنما إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

فقال: يا سيدي نتوب، وأنا أستغفر الله ولا أعود استهزئ بفقر أبدأ، وأشهدك وأشهد الله أن له في مالي مائة دينار، وأعطي صدقة ألف دينار، فكانت هذه القصة سبب اشتهار الشيخ في مدينة مراکش.

وقد قدمنا حكاية شيخ الشيخ أبي يعزى في القرن التاسع وأنه بلغ مقامه مع الله إلى أن استغاث به صاحبه وتوجه إليه على مسيرة يوم فوقعت داره كلها في الأرض ولم يستطع على بنائها حتى مات.

وكذلك سيدي أبو شعيب صاحب أزموور شيخ الشيخ سيدي أبي يعزى حين ضيق به وانهدمت القبة في قصر عبد المؤمن من غير سبب إلا تغير خاطره.

كما حكى: عن امرأة أتت إلى الجنيد وقد مات ولدها، فقال لها: اصبري واحتسبي فذهبت ورجعت مراراً فقالت لم يبق لي صبر، فقال: إن كنت صادقة فارجعي فإن ولدك قد رجع فذهبت ورجعت تحمده وتجازيه خيراً.

ف قيل لإمام الطائفة: من أين علمت هذا؟ قال: من قوله **Y** ﴿أَمِنْ يَجِبُ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ويكشف السوء.

فروى إنه يقال له: إن كنت صادقاً فإن دارك سترجع إلى هيئتها.

ويحكي عن يعقوب المنصور: إنه كان كثير التعظيم له كما قدمناه فيما نقله صاحب روض الرياحين، إنه حبس عليه زاوية للفقراء ورباطاً ومدرسة وزعموا أن ذلك كان باحواز جامع الكتبيين والله أعلم.

وقال الإمام التادلي في أصول مذهب أبي العباس: **T** حضرت مجالسه غير مرة فرأيت أصل مذهبه يدور على الصدقة، وكان يتأول الآية القرآنية والأحاديث النبوية إليها بمنزعه غريب علي عادهم في الاقتباس وكان يقول: من لم يفهم معنى الصلاة لم يصل، وإن أول الصلاة تكبيرة

الإحرام وذلك بأن ترفع يديك وتقول الله أكبر من أن أضن عليه بشيء وأنجل به، وأي شيء من متاع الدنيا في نفسه أكبر، فلم يحرم ولا كبر للصلاة، ومعنى رفع اليدين في التكبير: قد تخلت عن كل شيء لله Y.

ثم يتكلم على أجزاء الصلاة بهذه المعاني، وكان يتأول الركوع على المشاطرة والسلام من الصلاة على الخروج من كل شيء، وكان يقول سر الصوم أن بجوع وإذا جعت تذكرت الجائع وعلمت ما يقاسيه من نار الجوع فتصدق عليه، فإذا صمت ولم تعطف على الجياع ولا أحدث عندك الصوم هذا المعنى ما صمت ولا فهمت المعنى والمراد بالصوم.

والزكاة إنما فرضت عليك في كل عام لتدرب على البذل والعطاء وإلا ففي الأموال حق سوى الزكاة، وليس المراد: أن تعطي في وقت مخصوص وتمسك في غيره.

وفرض الحج سره: أن تبرز في زي المساكين مخلوق الرأس والشعث ولبس الأخلاق والتجرد من ثياب رفاهيتك والتذل لله Y وإظهار العبودية، وسر الجهاد بذل النفس في مرضات الله تعالى والتخلي له عن كل شيء وترك التعلق بأسباب الدنيا.

ومعنى التوحيد: توحد الله تعالى بالتعظيم دون أن تجعل معه إلهاً غيره من متاع الدنيا وكل ما استولى على الإنسان فهو إلهه.

قال Y: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

قلت: وهذا كله منزع معروف عند أهل الصفة يعرفه من مارس طريق القوم ولا ينكره إلا جاهل بأصولهم غير محقق بطريقهم، وليس هو من الشطحات ولا الطوام المحذر منها، ومذهب الاقتباس عند العلماء المحققين معروف مألوف وكما نوضحه في ترجمة أبي العباس المرسى وشيخه سيدي أبي الحسن بحول الله وقوته من تفسيرهما الآيات القرآنية ببعض ذلك.

وقال أبو يعقوب التادلي: قال: حدثني أبو علي عمر بن يحيى الزناتي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم الخزرجي، قال: بعثني أبو الوليد بن رشد من قرطبة قال: إذا رأيت أبا العباس السبتي بمراكش فانظر مذهبه وأعلمني به، قال: فقدمت مراكش فذهبت إلى أبي العباس السبتي ولازمته أياماً حتى حققت حقيقة مذهبه ومنحاه وحصلت على ما هو عليه فذهبت راجعاً إلى قرطبة، فدخلت على ابن رشد فأعلمته بذلك، قال لي: هذا رجل مذهبه أن الوجود يفعل بالوجود، وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة.

وروي أنه قال: لما حدثه بأخباره وأنه يقول: مَنْ يعطي كذا وكذا يكون له كذا وكذا فقال له: ما أراه إلا قدرياً ثم قال للرجل: دعني حتى أرى هذا الرجل.

وروي: إنه قدم مراكش وافداً علي يعقوب المنصور ونزل جوار الشيخ أبي العباس السبتي فذهب لأبي العباس السبتي، أنظر هل بقصد اتفاقي؟

ف قيل: ذلك لأبي العباس السبتي، قال: فقيه الأندلس وابن فقيهها يفتح الله في ضيافته وإذا بالحرّة زوجة يعقوب المنصور بعثت له خمسمائة دينار، فقال: لبعض أصحابه قم بنا حتى نزور هذا الفقيه واحمل الدراهم أو قال الذهب معك فلما بلغه سلم عليه وطرح المال بين يديه، وقال له: هذه ضيافتك. فقال لهم: من أنتم رحمنا بكم؟ فقال: عبيدكم أحمد السبتي فشكر سعيه، فزعموا أنه لما خرج، قال الفقيه: هذا رجل سحار أو كلام هذا معناه.

فروى: إن الشيخ أبا العباس السبتي أخذته الحمى في تلك الليلة، وقال لأصحابه: هذا رجل عاملناه بالخير فدعنا علينا بالحمى وزعموا فيما روي عنه أنه قال: اللهم سلط عليه الموت أو كلام هذا معناه، فضربه وجع في تلك الليلة فما أصبح حتى خرجت روحه ولكن الظن بالشيخين منا جميل ولا تظن في واحد منهما أنه يجب للآخر الهلاك؛ ولأن ذلك عالم من علماء المسلمين والشيخ من أئمة الصالحين، وإن كان روي: إن الحفيد هذا كانت فيه نزعة



اعتزالية فله تأليف عجيبة كبداية المجتهد، ونهاية المقتصد، والهداية وغيرهما، وأنه يُوفي عام خمس وتسعين هجرية، وبقي بقبره مائة يوم، وأتت أسلافه ونبشوا عليه وحملوه إلى قرطبة.

ومن عجيب الأمر أن موضع قبره فيما زعموا لما مات أبو العباس عام إحدى وسبعين وستمائة هـ، دُفن فيه وبقي بعد موت أبي الوليد الحفيد ست سنين، ولم يدفن فيه أحد حتى دُفن فيه الشيخ رحمه الله.

قال الشيخ الزيات فيما روي عن الثقات: إن أبا العباس السبت كان يسكن في ابتداء أمره بالفندق الذي بأجادير المعروف بفندق مقبل وكان يقرأ الحساب والنحو، وكان يأخذ على ذلك مرتباً، وكان له رسم في بيت المال مع طلبة الحضر فكانوا الغرباء الوافدين على مراكش من طلبة العلم يأوون إليه، فينفق عليهم جميع ما كان عنده وكان يلبس كساء من صوفٍ وسروالاً من صوفٍ، وكان ربما أمسك في يده سوطاً ويمشي في الأسواق يذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة في أوقاتها، وكان يأتي بالطعام على رأسه لأولئك؛ ليوفر عليهم أجرة الحمال، ولا ينغص عليهم.

قلت وليذل نفسه أيضاً ويهينها بامتهاها، قال: فبتنا عنده ليلة بالفندق فارتفعت أصواتنا بالذاكرة فاجتاز علينا حرس الليل، فسمعوا كثرة اللغط وارتفاع الأصوات بالذاكرة فقرعوا باب الفندق فاستجيب لهم، قالوا لهم: ما هذه البدعة؟ أما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل؟ فقعده اثنان من الحرس عند باب الفندق، ليحملونا عند الفجر لنقتل، فجاء القيم على الفندق فأخبرنا بذلك فأدركنا خوف عظيم وأيقننا بالهلاك، فأخذ الشيخ أبو العباس يضحك ويمزح على عادته ولا يبالي فلما كان عند السحر خلا بنفسه ساعة ثم جاء، فقال لنا: لا خوف عليكم قد استوهبتكم من الله Y وهذان الحرسيان الواقفان عليكم يقتلان غداً إن شاء الله تعالى، فقلنا: يا سيدي أليس الجزاء عندك على الأفعال من الخير والشر



وهما لم يعملوا ما يستوجبان به القتل وجزاؤهما أن يروَّعا  
كما روَّعانا؟ فقال: العلماء ورثة الأنبياء ترويعهم عظيم لا  
يقابله منهم إلا القتل.

فما زلت أحاوره وأراجعه في القول، وأقول كيف  
يُقتلان على ترويعنا إلى أن قال: فعقوبتهما أن يضربا كل  
واحد منهما مائة سوط، واجتاز بالليل عبد الله الخراز.

وكان صاحب الوقت بالجامع الأعظم فوجد حانوته  
مفتوحة ورأى الحرسين على القرب منها، فلم يشك في  
أنهما فتحاها، فحملا إلى جهة القصر عند طلوع الفجر،  
فقال لنا أبو العباس احضروا علي ضربهما كما أرادوا أن  
يحضروا علي قتلكنم، قلت: وهمة أبي العباس السبتي في  
مثل هذه كثيرة، ولهذا قالوا: الهمة للشيخ أبي العباس  
السبتي قل من يدركها من شيوخ المشرق والمغرب، كما  
أن مكاشفات الشيخ سيدي أبي يعزى قل من يتحف بها  
على كمالها كما كان هو.

قال أبو يعقوب التادلي: حدثني أبو يحيى أبو بكر بن  
مساعد وكان خاصاً بأبي العباس السبتي، قال: جاء بعض  
السلطين إلى أبي العباس وهو راكب، فقال له كلاماً  
معناه: إلى متى تشير ولا تصرح لنا علي الطريق، قال له:  
الإحسان، فقال له: بين لنا، فقال له: كلما أردت أن  
يفعله الحق معك فافعله مع عبيده، قلت: مصداقه  
الحديث: «الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أرفقهم  
بعباله» (٨٣).

وحديث: «الرحماء يرحمهم الرحمن» (٨٤).

وحديث: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ وَارْحَمَ مَنْ فِي  
الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ» (٨٥)، وفي هذا المعنى قيل:

ارْحَمْ بُنَيَّ جَمِيعَ      وَاَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بَعِينِ  
الْخَلْقِ كُلَّهُمْ      الرَّفْقِ وَالشَّفَقَةِ

ججج

ججججج

وَقُرْ كَبِيرَهُمْ وَاَرْحَمْ      وِرَاعٍ فِي كُلِّ خَلْقٍ  
صَغِيرَهُمْ      حَقَّ مَنْ خَلَقَهُ

ججججج

جججججج

وَيُحْكِي عَنْ الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ: لَمَّا احْتَضَرَ فِيمَا حَكَاهُ  
وَلَدَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ إِنَّهُ دَنَا مِنْهُ أَبُو يَعْقُوبَ  
الْحَكِيمُ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَوْصِنِي بِمَا نَفَعْلُهُ بَعْدَكَ،  
فَقَالَ لَهُ: لَيْسَ إِلَّا الْإِحْسَانُ وَلِسَانُهُ ثَقِيلٌ لَا يَكَادُ يَبِينُ  
لِلْكَلامِ، وَلَمَّا مَاتَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَرِثْهُ أَحَدٌ مِنْ  
أَصْدِقَائِهِ إِلَّا صَدِيقَهُ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ  
الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْحَكِيمِ، قُلْتُ: وَإِنَّمَا لَمْ يَرِثْهُ  
أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ لَصُعُوبَةِ طَرِيقِهِ؛ إِذْ هِيَ مَبْنِيَةٌ عَلَى الْبَذْلِ  
وَالْإِثَارِ الْكَلْبِيِّ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْلُكَهَا بَعْدَهُ وَاحِدٌ مِنْ  
أَصْحَابِهِ وَلَا فِي حَيَاتِهِ.

وَكَانَ هَذَا الْحَكِيمُ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَرَاكُشَ، وَمَاتَ  
بِهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ عَامِ خَمْسٍ وَسِتْمِائَةِ هـ مِنْ  
أَكْبَرِ أَصْحَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ وَفِيهِ يَقُولُ:

وَمُنْفَرِدٌ بِاللَّهِ هَامَ      فَلَيْسَ لَهُ أَنْسٌ  
بِحَبِّهِ      بِشَيْءٍ سِوَى الرَّبِّ

جج

تَفَرَّدَ فِي الدُّنْيَا  
لِطَاعَةِ رَبِّهِ  
جججججججج

فَأُورِدَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ  
بِلا رِيْبٍ  
جججججججج

وَأَثَرَ حَبِّ اللَّهِ      عجائب أسرار  
فانكشَفَ لَهُ      ثوابًا على الحُبِّ

جججج      جججج

فَمَنْ كَانَ فِي  
دَعْوَى الْمَحَبَّةِ  
صَادِقًا

تَجَلَّتْ لَهُ الْأَنْوَارُ مِنْ  
غَيْرِ مَا حُجِبَ

فَإِرْتَا حُ فِي رَوْضٍ وَلَذَّتْهَا أَشْهَى مِنْ  
الْمَعَارِفِ دَائِمًا الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

ججججج ججججج

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| تُخَاطَبُهُ الْأَحْوَالُ | فَيَفْهَمُ عَنْهَا         |
| مِنْ كُلِّ جَانِبٍ       | بِالضَّمِيرِ وَبِالْقَلْبِ |
| ججججججج                  | ججججججج                    |

يُكَاشِفُ بِالْأَسْرَارِ فَيَأْتِي عَلَيْهِ الْفَيْضُ  
مِنْ مَلَكُوتِهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ

**ج ج ج ج ج**

ومن عجائب أمر أبي يعقوب هذا: إنه كان كشيخه لا  
يمسك شيئاً، وكان الإيثار دثاره؛ بل شعاره وخليله، ثم إنه  
أصابته فاقة من توالى الأمطار، وكان يديم الصوم فذهن  
سراويله في سمن ورغيفين وأتى بذلك لداره وذهب  
ليصلي فأتى سائلاً وتكلم بالباب، فأخرجت زوجته  
الصحفة على عادته مع السائلين، فاستوعبها أكلاً  
فأدخلت الصحفة، فلما جاء أبو يعقوب من المسجد سألها  
عن الفطور فأعلمته بالقصة، فسهر من شدة الجوع؛ إذ  
تلك الليلة الثالثة الليالي لم يذق طعاماً، وكان بجواره بعض  
الأدباء ولم يكن يعلم حقيقة أمره وهو أبو علي الحسن بن  
حمادة الهسكوري.

فلما مرت على أبي يعقوب ساعة من الليل قرع باب داره فقام فخرج فإذا هو بأبي على الحسن الهسكوري واقفا بالباب، وبيده شمعة وخادم معهما مائدة وعليها ألوان من الطعام وخبز، فقال له أبو على: أريد أن تأذن لي بالدخول عندك فأدخله في بيته وقدمت المائدة.

فقال له أبو علي: صنعت الطَّبَّاحَةَ هذا الطعام فوجدته مرّاً، فخفت أن يكون مسموماً وأنت حكيم، فأردت أن تراه فإن كان جعل فيه شيء تحفظت من هذه الطَّبَّاحَةِ فذاقه أبو يعقوب فوجدته طيباً.

فقال لأبي علي: كُلْ من هذا، فأكل من جميع الصحيفة فاستطابه وتعجب من مرارته قبل ذلك.

فقال له أبو يعقوب: ما تمرر طعامك إلا من أجلي، فإني بقيت في جوارك جائعًا يومين وليتين وذكر له فاقته، فقام أبو علي من فوره إلى منزله وجاءه بقرطاسين فيهما دنانير، فقال له: خذ هذا الواحد، وتصدق عني بهذا الآخر؛ ليكون كفارة لما وقعت من التفریط في أمرك علي أني لم أعلم بحالك، فإذا في كل قرطاس عشرين دينارًا

وصار بعد ذلك من أصدقائه .  
وكان أبو يعقوب هذا كثير التأسف والتلهف على  
شيخه أبي العباس السبتي حتى مات بحبه وشوقه فهو معه  
كما قيل .

أَفِضْ إِلَيَّ فَإِنَّ      وَهَاكَ حُبُّكَ مِنِّي  
الرُّوحَ قَدْ رَهَقَا      سَابِقُ الرَّمَقَا

جج

ججج

لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي      عَلَى      الْخُدُودِ  
سَالَتْ مَدَامُهَا      لَذَابَ      الْقَلْبِ  
وَاحْتَرَقَا

ج

جججج

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا      لَيْتَ الْحَيِّبَ وَلَيْتَ  
بِالْقَلْبِ مِنْ أَلَمٍ      الْحُبِّ مَا خُلِقَا

ججج

ججج

كُنَّا كَغَصْنَيْنِ فِي      رَيْبِ الزَّمَانِ فَأَوْمَأَ  
أَصْلٍ فَخَانَهُمَا      الْبَيْنُ فَاغْتَرَقَا

ججججج

ججج

فَاصْفَرَّ عُودُهُمَا      وَأَسْقَطَ الْبَيْنُ مِنْ

مِنْ بَعْدِ خُضْرَتِهِ أَعْلَاهُمَا الْوَرَقَا

جججج جججج

لَيْتَ الْحَمَامَ الَّذِي أَوَّ الْغُرَابُ الَّذِي  
هَبَّ لِأُفْتِنَا نَادَى لِفُرْقَتِنَا

جججج جججج

أَوَّ الْغُرَابُ الَّذِي طَارَتْ عَلَيْهِ شَرَارُ  
نَادَى لِفُرْقَتِنَا النَّارِ فَاحْتَرَقَا

جججججججججج جججج

سَيَكْتُبُونَ عَلَى مَنْ لَمْ يَمُتْ عَاشِقًا  
بَابِ الْجِنَانِ غَدًا بِالنَّارِ يَحْتَرَقَا

جججججججججج جججججججججج

حَدَّثَ ابْنُ الزِّيَّاتِ عَنْ أَبِي يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُسَاعِدٍ بْنُ  
مُحَمَّدٍ اللَّمَطِيُّ قَالَ: مِنْ خَصَائِصِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ: إِنَّهُ  
مَا أُغْتِيبَ قَطٌّ فِي مَجْلِسِهِ.

وَلَقَدْ قُلْتُ لَهُ يَوْمًا: مَنْ أَشْعَرُ أَبُو حَبُوسٍ أَوْ أَبُو الْعَبَّاسِ  
بْنُ الْجَرَاوِيِّ؟

فَأَبَى عَنِ الْجَوَابِ، وَقَالَ لِي: أَتُرِيدُ أَنْ أُغْتَابَ النَّاسَ؟  
فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَوْ فَضَلْتُ أَحَدَهُمَا عَلَى  
الْآخَرِ وَهَمَّا حَاضِرَانِ لَعَزَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَفْضُولِ، وَالْغِيْبَةِ: هِيَ  
أَنْ تَذْكُرَ الْإِنْسَانَ فِي غِيْبَتِهِ بِمَا يَكْرَهُهُ إِذَا سَمِعَهُ، وَمَا سَمِعَتْهَا  
صَدَرَتْ قَطٌّ مِنْهُ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ شَعْرًا فِي الْغَزْلِ إِلَّا قَالَ

له: دعنا من هذا.

قلت: الحاصل إن أبا العباس أمة وحده، وقد انفرد بطريقته؛ لصعوبتها لا للجهل بها، فبناها على ترك الهوى في القول والفعل والحال مع الإيثار الكلي.

قال أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف الحسيني من أهل البيت عليهم السلام: قال: رأيت النبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، أريد أن أراك في كل ليلة في النوم.

قال لي: هذا لا يمكن لأني مطلوب بالمشرق وبالمغرب؛ فشكوت له حالتي وفقري، فقال لي: البخل أضربك فمر بنا أحمد بن دوناس، وكان من الإتقياء الأخفياء من أهل أغمات لا يمسك شيئاً، وربما تجرد من أثوابه، فيؤثر بها ويستتر بالأبواب فسلم علينا وانصرف، فقلت: يا رسول الله وهذا؟ قال لي: البخل أضرب به، فتحيرت لما أعرف من كثرة إيثاره، فقلت له: بين لي هذا البخل، فقال لي: لأقولن لك فيه قولاً لم ينقله إليكم علماؤكم: إذا خطر لأحد خاطر بالعطاء، ثم أعقبه خاطر آخر بالمنع فالتردد في الخاطر الأول بخل، قلت: هذا إشارة إلى قول أبي الحسن البوسنجي؛ وهو من أئمة هذا الشأن، وصدور الطريق أحد فتيان خرسان لقي من الأكابر أبا عثمان، وابن عطاء، والجريري، ومات عام ثمانية وأربعين وثلاثمائة هجرية.

قال: أو سألته عن أبي العباس السبتي وكنت سيئ الاعتقاد فيه؟ فتبسّم وقال لي: هو من السباق، فقلت له: بين لي، قال لي: هو ممن يمر على الصراط كالبرق الخاطف، فلما أصبحت وخرجت، فلقيت أبا العباس السبتي، فقال لي: ما سمعت وما رأيت، فقلت له: دعني، فقال لي: والله لا تركتك حتى أعرفني، فذهبت إلي حانوت ابن مساعد، فأنشأت أحدثه إلى أن قلت له: التردد في الخاطر الأول، فصاح وغشي عليه.

وقال: كلمة الصفا من المصطفى والحمد لله وكفي، وسلام على عباده الذين اصطفى، هكذا وجدناه في بعض النسخ على مناقب هذا السيد وصار متى تذكر هذا

الكلام غشي عليه.  
فالسخاء الحقيقي إذا أن تُعطي بالخاطر الأول، ولا تُميز  
لمن أعطيت ومهما ميزت فأنت متردد وذلك عين البخل  
وهو مذهب المحققين.

وحدث التادلي عن أبي الحسن علي بن محمد الصنهاجي  
قال: احتبس المطر في بعض الأوقات، فقال أبو الحسن  
الجنان لأبي العباس: أما ترى ما فيه الناس من احتباس  
المطر! فقال له: إنما احتبس بشح الناس، ولو تصدقوا  
لمطروا، فقل لأصحابك من الفلاحين: تصدقوا بمثل ما  
أنفقتم تمطرون، فقال له أبو الحسن: إنه لن يصدقني أحد،  
ولكن أمرني في خاصة نفسي فما تأمرني به أفعله، فقال  
له: تصدق بمثل ما أنفقت، فقال: إذا أمطرت تصدقت من  
الغلة أو قال من ثمن الغلة بمثل ما أنفقت فقال له: إن الله  
لا يعامل بالدين استسلفها، فاحتال فيها وتصدق بها كما  
أمره.

قال أبو الحسن: فخرجت إلى البحيرة التي كنت  
أعتمرها، والشمس شديدة الحر فأيست من المطر ورأيت  
جميع ما قد غرسته أشرف على الهلاك فأقمت ساعة، وإذا  
بسحابة قد أتت فأمطرت البحيرة إلى أن روت وبلت  
ثيابي، وظننت أن الدنيا كلها قد روت، فلما خرجت من  
البحيرة رأيت المطر لم يتجاوزها.

قال أبو يعقوب يوسف بن عمر المعروف بابن الزيات  
في تعريفه للشيخ وهذه القصة مشهورة صحيحة، سمعت  
أبا يعقوب وجماعة يحدثون بها.

واعلم حفظك الله تعالى: إن أبا العباس له همة عالية،  
وكان بقدرة العزيز الجبار تنفعل له الأشياء على مقتضى  
مراده، فكان يتعجب منه العدو، ويزيد في محبته الصديق،  
وسئل عن بدء أمره إلى نهايته بما تنفعل له الأشياء؟ فقال  
للسائل: يا هذا لا يعرف إلا بالعمل، ثم قال: أول أمرى  
كنت يتيما بمدينة سبتة، فكانت أمي تحملني إلى البرازين  
فأفر منهم إلى مجلس أبي عبد الله بن الفخار، فكانت  
تضربني فقال لها أبو عبد الله: لم تضربي هذا الغلام؟



فقلت له: إنه يتيم فيأبى أن يعمل شغله، فقال لي أبو عبد الله: يا بني لما لم تعمل ما أمرتك به أمك؟ فقلت له: إني أحب هذا الكلام الذي أسمعه منك، فقال لها: اتركيه وأنا أدفع قدر أجرته، وأدفع عنه للمعلم الذي يقرئه أجرته، فقرأت القرآن إلى أن حفظته، ثم قرأت كتاب الأحكام إلى أن بلغت عشرين عامًا فأتيت إلى إيكليز ومراكش في الحصار، قال ولده أبو محمد عبد الله بن أبي العباس فيما نقله عنه التادلي: سمعت أبي يقول: وصلت إلى إيكليز وأنا ابن ست عشر سنة.

ويُحكى عنه إنه قال: كثير ما يجري على لساني وقلبي قوله Y: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

فقلت: لعل هذا السبب أنا مطلوب بهذه الآية، فلم أزل أسأل وأبحث عنها في التفاسير إلى أن وقفت في غريب التفسير، وفيه أنها نزلت حين أخى النبي P بين المهاجرين والأنصار، وأنهم سألوا النبي P أن يعلمهم حكم المؤاخاة، فأمرهم بالمشاطرة، فعلمت أن العدل المأمور به هو المشاطرة.

ثم نظرت قوله P: «ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي» (٨٦).

وإنه قال ذلك صبيحة اليوم الذي أخى فيه بين المهاجرين والأنصار، وذكروا له إنهم شاطروا المهاجرين، فقال ذلك باثر ذلك، فقلت: إن الذي عليه هو وأصحابه هو الشطر والإيثار، فعقدت مع الله تعالى ألا يأتيني شيء إلا وأنا أشاطر فيه إخواني المؤمنين الفقراء، فأقمت على هذا عشرين سنة، فأثرتني هذا الحكم بالخاطر، فما أحكم بخاطري في شيء إلا صدق.

فلما أتت علي أربعون سنة، صار لي عقل آخر فرجعت إلى الآية أتدبرها، فوجدت العدل هو الشطر والإحسان ما

زاد عليه فنظرت نظراً ثالثاً، فعقدت مع الله عقداً ألا يأتيني قليلاً أو كثيراً إلا أمسكت منه الثلث وصرفت الثلثين إلى الله تعالى، فأقمت على ذلك عشرين سنة، فأثمر لي ذلك الحكم بالخاطر في الخلق بالعزل والولاية، فأولي من شئت وأعزل من شئت، ثم بعد كمال العشرين سنة نظرت أول فرض فرضه الله تعالى على العباد في مقام الإحسان فوجدت شكر النعمة؛ بدليل إخراج القطرة على المولود قبل أن يفهم ويعقل، فوجدت الأصناف الذين تُصرف عليهم الزكاة والصدقات ثمانية أصناف إلا أنها الصدقة الواجبة، ثم نظرت فوجدت سبعة أصناف آخرين أصرف إليهم الإحسان الزائد على العدل، وذلك أن لابني حقاً، ولزوجتي حقاً، وللرحم حقاً، ولليتامي حقاً، وللضيف حقاً وللغريب حقاً وللبيت الذي فيه حقاً.

فانتقلت إلى هذه الدرجة وعقدت مع الله Y أن كل ما يأتيني من قليل أو كثير أمسك منه سبعين حق النفس والزوجة، وأصرف خمسة أسباع على مستحقها فأقمت على هذه الحالة أربعة عشر عاماً، فأثمر لي ذلك الحكم في السماع، فمتي قلت يارب، قال لي: لبيك، ثم قال لي: والله إن بقي شيء يتم عمري، وهو أن تنقضي ستة أعوام تكملة العشرين عاماً.

قال الراوي: فأرخت ذلك اليوم، فلما مات حضرت جنازته وتذكرت التاريخ الذي كتبه وحققت العدد، فنقصت من الستة الأعوام المذكورة ثلاثة أيام خاصة فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة والله أعلم.

قال لي أبو العباس: كان ما يأتيني أقسمه على سبعة أجزاء، فأخذ سبعةً لنفسي والسبع الثاني لزوجتي على نفقتها، ومن في حكم ذلك غير باغ، ومملوك ومملوكة وعددهم اثنان وثلاثون شخصاً، فنظرت بمن أستجلب أرزاقهم، فإذا هم الأيتام المهملون الذين لا والد لهم ولا أم، فأخذت منهم كعدد من تجري عليهم نفقتي ممن تقدم ذكرهم، ولا يفقد أحد منهم بموت أو نكاح إلا عوضت منه غيره.

ثم نظرت في ذوي الرحم فإذا هم أربعة وثمانون شخصاً ولهم حقان: حق من الرحم، وحق المسكنة، أستجلب إرزاقهم، فالذين في كتاب الله Y وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهم الذين لا تمكنهم المسألة، فوجدتهم في ذرية علي بن يوسف وغيرهم الذين كانوا ملوكاً وصاروا فقراء، فأخذت من عددهم كعدد ذوي الرحم ومن فقد منهم أخذت عوضه غيره، فأنا أوذي هذه الحقوق أربعة عشر عاماً لا أنقص من ذلك شيئاً.

وهذا مذهبه T حتى لقي الله تعالى، وتأمل هذا مع مذهب الشيخ سيدي أبي يعزى الذي كان يأخذ في حرثه العشر، ويصرف التسعة أعشار للمساكين، فالفروع مختلفي الحال والأصول متفقة، وهو ترك الهوى وبغض الدنيا وكل علي بينة وبصيرة من ربه، وكل واحد منهما رزق من باب فلزمه، وأنت الزم محبتهم والتصدق فيهما مع التمسك بالكتاب والسنة وحسن الخلق مع السخاء، إن لم يكن كماله فطرف منه.

وقد صح: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (٨٧).

وقد صح: إن الصدقة تقي مصارع السوء، ومن تصدق في يوم لا تناله نكبة معتبرة، وحكاية محمد بن وضاح إمام الأندلس وعالمها في ذلك شهيرة.

فروى: إنه كان يوماً في مجلس تدريسه وأتاه رجل، فقال له: يا أبا عبد الله، إن ولدك مات، قد دهكت العجلة، فلم يلتفت لكلامه، واشتغل بقراءته فأتاه آخر، وقال له: البشارة إن ولدك سلم، قال له: قد علمت ذلك قالوا له: بم علمت ذلك؟ قال لهم: بحديث النبي P وذكر ما تقدم، وقد رأيته اليوم تصدق بصدقة، فعلمت أن العجلة لا تقتله أو كلاماً هذا معناه.

فروى: إنه لما أتت العجلة دهكت ثيابه وتخطته ولم

تصيه، وكان هذا الشيخ بنى أمره على الحديث المتقدم والآية الكريمة، وكل من أتاه أو سأله الدعاء دله على الصدقة، وإن لم يجد دله على قيام الليل وصيام النهار.

ومن عجيب أمر الشيخ: إنه لما كان في أموره ملامتي المذهب لم تقبله النفوس، فكان المنتقد عليه أكثر من المعتقد فيه وخصوصاً جماعة من الفقهاء، فيحكي: إنهم عملوا فيه عقداً فيما ظهر لهم والله أعلم بصدقهم ونياتهم، شهد فيه جماعة أنه زنديق فحملوه لملك المغرب في عصره أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، فلما رآه السلطان زعموا أنه بعث إلى القاضي وإلى الشهود الذين شهدوا في العقد، فقال القاضي: ما عندي ما أقول فيهم يعني: إنهم عنده ذوو عدل مزكين.

فروى: إن السلطان بعث إلى الشيخ أبي العباس، فامثل الأمر وطلع إليه وتصدق في طريقه بربع دينار، فلما دخل على السلطان، قام كل من في المجلس تعظيماً للشيخ فسلم عليه، فقال للسلطان: وما حاجتك يا أمير المؤمنين؟ قال: يا سيدي هؤلاء الفقهاء كتبوا كتاباً، وأردت أن يقرأ عليك وبحضرتك؛ لأن القاضي أجاز ما فيه، فقال الشيخ: على بركة الله، الذي كتبه يقرأه، فقرأه على رؤوس الأشهاد والمجلس عامر بالناس وإذا فيه كل ما كان من القبيح بزعمهم بدل بالمليح بقدره من يقول للشيء كن فيكون مليح، وكل كلمة باطلة انقلبت بضدها مثل الزنديق رجع صديق، والطالح صالح، ووجدوا فيه من الخير ما لا يصفه واصف.

فروى: إن القاضي دخله خجل عظيم، وأدركت السلطان هيبة وعلم أنه محمي محفوظ، وبقي كل من حضر وسمع الكتاب أولاً، ثم سمعه آخر متعجباً، وعلموا أنه آية من آيات الله، وأنه لا سبيل إليه، فقال الشيخ حينئذ: يا أمير المؤمنين هؤلاء ذكرونا بخير فجزاهم الله عنا خيراً، ثم انفض المجلس، فلما كان الشيخ في أثناء الطريق التفت إلى الخادم الرفيق له وقال له: كيف رأيت ربع دينار؟ كذب الجميع.

وروي في بعض هذه الحكاية: إن السلطان أدب الشهود وعزلهم عن الشهادة، وتاب القاضي واستغفر أنه لا يعترض في أمر الشيخ أبدًا، وحاصل أمر أبي العباس في هذا المعنى كله عجيب، وتأمل فيما تقدم أنه قال: أحكم بالخاطر وكلمها أردته كان، وإلى قوله أحكم في السماء، وقوله: أولي وأعزل فمن أحببته وليته ومن كرهته عزلته.

ولما كان ملامتي المذهب كان أكثر الناس يبغضه حتى من أصحابه الذين يخدمونه، وهو عالم بهم ويحلم عليهم ولا يكافأهم؛ بل يسامحهم ويحسن إليهم، فكان من خواص أمره أن الذي يكرهه ويبغضه ويقدر فيه يحسن إليه.

قال الشيخ التادلي: حدثني الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي قال: خدمت أبا العباس السبتى أربعة أعوام وأنا أعتقد فيه الكفر، فلما كان صبيحة يوم عرفة صليت الصبح في المسجد، فلما خرجت من المسجد لقيته فقال لي: ما هذا اليوم؟ فقلت له: يوم الإثنين، فقال لي: وأي يوم هو؟ فقلت له: يوم عرفة، فقال لي: أتريد أن تعرف اليوم؟ فقلت له نعم، فمشيت معه إلى باب الدباغين فوجدناه مغلقا فقال لي: إن كان معك شيء يمكنك الخروج عنه فامش معي، وإلا فارجع.

فقلت له: كل ما معي يمكنني الخروج عنه، وكانت معي سبعة دراهم ونصف درهم، فقال لي: ادفعها لأول داخل من باب المدينة واقصد بذلك وجه الله العظيم ولا تتغير، ولو وقعت بيد يهودي أو نصراني، فأول ما لقيت عند فتح الباب عجوز، فدفعت إليها ما كان عندي، وخرجنا إلى بحيرة الرقائق.

ثم ذكر حكاية عجيبة أضربنا عنها اختصارًا، فتاب الرجل من اعتقاده السيئ فيه بعد أن هم بقتله وحماهما الله تعالى، فعجائبه لا تتناهى، ولكن في أحواله قل من يصدقه فيها؛ لكثرة ما يلبس باله حتى لا يصدقه إلا صديقًا فتح الله له، فلذلك ظهرت بركاته وكرامته بعد مماته أكثر من حياته.



جججج

فعارضه أبو العباس قائلاً:

يا أخِي قَدْ تَرَى    واجعلُ الذِّكْرَ ثُمَّ  
الكتابَ دليلاً    السُّجودَ سبيلاً

جججج

جج

واطلُبَنَّ لِلإلهِ    بخضوعٍ يَـرَاكَ  
جَنَّةَ خُلدٍ    فِيهِ ذليلاً

جججج

جج

إِنْ أَرَدْتَ العِبَادَ    إِنَّ فَضلي لَنُ  
يَدْعُوكَ لِيلاً    يَكُونُ سُؤلاً

جججج

جج

أَسَعْفُ العَبْدَ    لَيْسَ فَضلي عَلَيْكَ  
بالإِجابةِ مِنِّي    عَـبـدي قَليلاً

ججججج

ججج

ويُحكي عنه ⚡: إنه كان كثيراً ما يلهج بهذه الأبيات وهي معروفة من زمن التابعين:

إِنَّ الزَّمانَ غداً عَلَيَّ    عِلْماً بِأَنَّكَ مَالِكي

فَزَادِنِي تَحْقِيقًا

ججججججج ججججججج

مَا مَسَّنِي ضُرٌّ لِأَجَلٍ إِلَّا عَبَّرْتُ بِهِ إِلَيْكَ

إِسَاءَاتِي طَرِيقًا

ججججججج ججججججج

فَاقْضِ الْقَضَاءَ إِنِّي وَجَدْتُكَ فِي

مَعَ الرِّضَا مَنِّي الْبَلَاءُ رَفِيقًا

بِهِ

ججججججج

ججججججج

وَيُحْكِي عَنْ وَلَدِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنَّهُ  
قَالَ: كَانَ الشَّيْخُ يَنْشُدُ:

إِنِّي آمَنْتَ طَوَارِقَ لَمَّا تَعَلَّقَ بِالْإِلَهِ

الْحَادِثَانِ جَنَانِي

ججججججججججج ججججججججججج

وَحَصَلْتُ فِي فِرْدَوْسٍ كَانَتْ تُرْشِدُ

نِعْمَتَهُ الَّتِي حَالِي وَجَنَانِي

ججججججججججج ج

فَلِذَاكَ أَوْرَثَنِي مَغِيبَ فَالْعِلْمُ عِلْمِي



سِرُّهُ وَالْيَانُ يَإِنِي

ج ج ج ج ج ج ج ج

ج ج ج ج ج ج ج

وَأُنْشِدْ أَبُو مُحَمَّدٍ أَيْضًا لِأَبِيهِ:

أَلَا يَا مُنِيبًا بَاتَ يَدْعُو إِلَهَهُ لَقَدْ هَاجَ لِي شَوْقُ

جججججججج إلى ذلِكَ الـوَرْدِ

ج ج ج ج ج

تَبَيَّتْ عَلَى قَطْعِ الْمَرَاجِلِ سَبَقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ

بِالتُّقَى فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

ج ج ج ج ج ج ج ج

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

وَمِثْلِي عَلَى فُرْشِ الْبَطَالَةِ فَيَا أُسْقَى مِنْ قُرْبِ

غَافِلٌ غَيْرِي وَمِنْ بَعْدِ

ج ج ج ج ج ج

**ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج**

أَنَا عَلَى الْفِرْدَوْسِ فِي جَنَّةٍ وَيَحْظَى بِهَا ذُو الدَّمْعِ

العُملَا سَكْبًا عَلَى الخَدِّ

ج ج ج ج ج ج ج

ج ج ج ج ج ج ج

وَيُحْكِي عَنْهُ ٢: إنه جاء في ليلة ممطرة فغلبه البرد فغطوه بكل ما أمكن من لحاف وغيره، فلم يرفع عنه ذلك البرد، فلما اشتدَّ به البرد قام من فراشه، ومشى في الدرب الذي

هو فيه، وكل باب مر به قرعه، فلا يستجيب له أحد إلى أن قرع باب دار فاستجاب له أهلها، فعلم أنهم لم يناموا لمكابدة البرد، فقال لهم: ما لكم لا تناموا؟

فقالوا: يا شيخ ابتلت أثوابنا بالمطر فنحن نجففها، فقال: من هاهنا غلبني البرد، فقال الشيخ لبعض أصحابه: احموا لهم اللحاف فتغطوا به، ودخل أبو العباس فراشه فجعل ما كان عادته يتغطى به، فنام وذهب عنه ألم البرد.

وكان من عادته ٢: لا يتغذى ولا يتعشى إلا إذا لم يجد من يستحق ذلك الطعام وإلا دفعه له، وطوى هو أو يفتح الله من فضله، فروي: إنه لما أوتي ليلة بعشاءه فلم يستطبه، فقال لأهله: لعلكم قليتم حياتي، فقالوا: لا والله قال لهم: لعله بقي أحداً في الدار بلا عشاء، فلذلك لم يطب لي هذا الطعام، فحلفوا له أنه ما بقي أحد إلا وقد أكل، فقال لهم: فتشوا، فلما ذهبوا لباب الدار وجدوا امرأة مسكينة لم تتعش فدفع إليها عشاءه فأكلته.

وروى ابن الزيات عن أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي قال: جلست مع أبي العباس في جماعة من المريدين وقد احتبس المطر، فمر الصبيان بنا وهم يستغيثون ويسألون المطر.

فقبل لأبي العباس: أما ترى ما أصاب الناس من القحط والجفاف قهلاً أستسقيت لنا؟ فقال: قوموا، فخرجنا من باب الدباغين ومعنا أبو يعقوب الحكيم، وجماعة من المريدين والشمس شديدة الحرارة، فقال لنا أبو العباس: من كان معه شيء فليصدق به.

فقلت له: أمّا أنا فليس عندي شيء وإن أمرتني أن أتى بشيء فعلت، فقال: لا وإنما أمرت من حضر عنده شيء الآن، وكان معنا رجل شديد الفقر يعرف بالطراز، فقال: ليس عندي غير ثمن درهم أعدته للزيت، فقال له: تصدّق به، ففعل، فقال له أبو العباس: في هذا جاء الخبر: «سبق درهم مائة ألف درهم» ٨٨.

قال: فلقينا أبا عبد الله محمد بن يوسف بن جذع الجذامي نزل عن دابته، وسلم على الشيخ، فقال لنا: إلى أين خرجتم؟ قلنا له: خرجنا نستسقي فضحك بنا وقال: صدقتم هذا الشيخ الأحمق ارجعوا، فقلت له: أما أنا فلا يمكنني الرجوع، فتقدم أبو العباس وهو ينظر إلى السماء ويحرك شفثيه، ثم قال لنا: قولوا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فما زال الخلائق يرزقون بها، فكنا نقول ذلك ونرفع به أصواتنا وأقمنا على ذلك ساعة، ثم قال لنا: بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم.

فضحك ابن الجذع وقال: هذا والله هو الحمق، يقول لكم هذا والشمس شديدة الحرارة! فقلت: أما أنا فلا أكذبه لما أعلمه من أحواله وهمته، فأخذت نعلي بيدي، فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وانملت الأمطار، فبقى ابن الجذع متعجباً، فقال لأبي العباس: اغفر لي يا سيدي فإني أتوب إلى الله تعالى مما ظننت بك، فقال له: لن تقبل توبتك هكذا حتى تتصدق بشيء، قلت: وهذا معروف من علو همتهم رضي الله عنهم وصدق خواطرهم، كما اتفق لإمام الطائفة خيرون النساج، وأبي يزيد مع الذي قال له: احتاجت الناس للمطر، فقال للخديم: أصلح الميزاب، فما استكمله حتى نزلت الأمطار. وهمة أبي العباس في هذا شهيرة إلى يومنا هذا، وأما قسمهم على الله في ذلك فكثير مما تواتر عنهم في ذلك، ومن غريب أحواله وصدق خاطره وعلو همته لما قال لابن الجذع: لا بد أن تتصدق، أخرج خمسة دنانير، وقال: دفعتهم هذه الخمسة دنانير لي امرأة من كرائم بني مردنيش؛ ليدعي لها أن يجيب الله لها الصلاة.

فقال أبو العباس: ما خرجت إلا لأخذ مائة دينار، ولكن هذه الخمسة تدخر فربطها في عمامته وانصرف ابن الجذع إلى المرأة وأعلمها بالقصة، وقال لها: إني دفعتهما للشيخ، فدفعت إليه مائة دينار، وقالت: ادفعها إلى الفقيه أبي العباس يضعها في موضعها فجاء بها ابن الجذع إلى الشيخ، فقال: إنما طلبت هذه المائة لصبية بكرأ قبضت لها

جدتها نقدها من زوجها، فأكلته لحاجتها، فطولبت بالنقد لتجهيزها به، فشكت إلي، وعلمت صدقها، فخرجت أستسقي ليفتح الله لها في مائة دينار، فدفعت إلى العجوز مائه دينار، وقال: جهزي حفيدتك بالمائة دينار، وخذي هذه الخمسة دنانير انتفعي بها، فقال ابن الجذع لأبي العباس: عسى أن تعلمني من أين علمت أن المطر ينزل حين أخبرتنا بذلك؟

فقال: مرت ريح باردة في خدي، فلما وجدت بردها دفعت بصري إلى السماء، فرأيت سحابة بطرف جبل درنو، فعلمت أنها سحابة مطر.

قلت: لما وقع بقوة العزيمة صدق الخاطر بنزول المطر، فألقى في خلده علماً ضرورياً أن ذلك كائن الساعة، فوجد العلامة والأمانة، فقال ما قال من غير اختيار منه وإلا فشأنهم كتم الأسرار.

واعلم أن هذا الشيخ في همته وصدق خاطره وكثرة كراماته لا يحيط به الحصر، ومع هذا فكراماته بعد الموت أكثر.

قال أبو العباس بن الخطيب: سمعت أبا العباس أحمد بن عاشر الأندلسي بمدينة سلا عام ثلاث وستين وسبعمائة هجرية سأل بعض الفقهاء، فقال له: هل تنقطع الكرامات بموت الولي؟ قال: فأنكر عليه سؤاله، فقال: لا تنقطع الكرامات بموت الولي، ثم قال: انظر إلي السبتي، قال أبو العباس: يشير إلى الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش، وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات.

وقد أسلفنا عن ابن الخطيب: إنه سمع يهودياً يلجأ ببركاته، وينادي باسمه عند أمر أصابه من المسلمين، فسأله عن ذلك فأخبر: إنه وجد بركته في غير ما موطن تقدم بقية حكايته فيما سلف.

قال الشيخ ابن الخطيب هذا: ولقد وقفت على قبره مرات وسألت الله في أشياء فيسر لي في ذلك منها: سألت

الله أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به، وأن ييسر عليّ، فهم كتب عينتها فيسر الله عليّ ذلك في أقرب مدة، وكان السبتي آية من آيات الله في أحواله، ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس، وكان أصل مذهبه الحض على الصدقة، وكان أمره عجباً في إجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر.

وكان السبتي آية في المناظرة، وأوذى كثيراً جداً، فكان يصفح ويتجاوز، وقال في موضع آخر: روضته الآن مائدة من موائد الحق يجتمع فيها إلى الألف من الذهب، قلت: تغير الحال في ذلك اليوم، وذهبت بقدرة الله منه البركة، وإن كانت بركة الشيخ في ذلك ظاهرة، والسبب: إنه تولى أمرها من له شرطة من أرباب الدولة، فصار يصرف ذلك على غير وجهه وفي غير محله؛ لئلا ينزع من يده، وما من شيء فسدت أصوله إلا ذهبت البركة من فروعه وإن كان قائم العيش.

ويحكى عن الشيخ أبي العباس رحمته: إنه كان انتسب إليه رجل وشيخه فيما رويته جماعة من أصحابه، وكان اسمه عيسى بن شعيب، فزوجه الشيخ ابنته فأدركه إعجاب في نفسه وظن أنه زاد على مقام الشيخ، فما زال يسعى في تغيير قلبه، وسافر من مراکش، وترك ابنة الشيخ مهملة استخفافاً بحقها واستحقاقاً لحالها، فجاءت إلى أبيها فيما روى التادلي، فقالت له: يا أبت إن زوجي غاب عني فما أفعل؟ فقال لها: ليس بزواجك، فاعتدى فإنه مات الآن.

قال أبو يحيى أبو بكر بن مساعد اللمطي: فأرخت اليوم الذي قال فيه الشيخ: ما قال، وجاء بعد ذلك خبره إنه مات في قرية الحدادين في ذلك اليوم.

قال بعض من تعرض لكرامات الشيخ: إن ذلك الزوج ما زال يعدوا عليها ويضربها، وتغضب إلى أبيها وتشتكي عليه، فيردها إليه إلى ذات يوم أتت إليه وشكت عليه علي عادتها، فبقى الشيخ يلاطفها فبكت وصاحت وقالت: والله ما بقي لي إلا أن أرمي نفسي في هذا البئر وأستريح، وأما هذا الرجل لا يزول عن فعله القبيح أبداً، ثم إن

الزوج لما أتى إلى المنزل سأل عنها، فقيل له: ذهبت إلى دار أبيها فاستحى وقال: لا يليق بي إلا أن أغيب رأسي حتى يذهب غيظ الشيخ وأجد خاطره.

فروى: إنه خرج للغابة لبعض الأماكن من أحواز مراکش، ولما قالت البنت ما قالت، ذهبت بسرعة إلى البئر، قال لها: ارجعي وصاح عليها فرجعت إليه حتى تسمع كلامه، فقال لها: إذا كان عند العصر فاعتدي عدة من مات عنها زوجها.

فروى: إنه خرجت عليه اللصوص فقتلوه في وقت العصر الذي قال الشيخ وذلك من قوة همته وصدق خاطره.

ولقد حدثني من يوثق بقوله عن سيدي عبد العزيز بن عبد الحق: إنه اعتدى بعض الظلمة على بعض أصهاره. واسمه محمد بن يوسف في الموضع المعروف بالكلامي فخرج الشيخ وقت الظهر على الفقراء، وهم ما بين متوضئ وراكع وجالس ذاكر، فنادى على الفقراء، فقال: قولوا آمين يأتينا خبر محمد بن يوسف غدا في هذا الوقت، فلما كان الظهر والناس يتوضئون، وجاء خبر ذلك الرجل: إنه قتل بالأمس في الوقت الذي تكلم فيه الشيخ والفقراء نسأل الله السلامة.

ويحكى عن الشيخ أبي العباس: إنه وردت قافلة من تونس أو وهران بتجارة وافرة، فأخذوا منها ما يجب على عادة الملوك من العوائد، فلما قضوا مرغوبهم واشتروا ما هو نافذ في بلادهم، قام بعض الظلمة فسعى بهم إلى السلطان، وقال لهم: إنهم أخفوا الكثير من أموالهم ولم يظهروها، فأمر عليهم أن يحبسوا حتى يؤدوا وربما حبس بعض كبار القافلة، فقيل لبعضهم: لو ذهبت إلى الشيخ أبي العباس لو جدتم بركته فإن همته عالية، فذهب الرجل فسلم عليه وسأله في الدعاء أن يخلصهم الله، فقال له: وأين الفتوح؟ فأعطاه عشرة دنانير.

فرد بعض المنتقدين على الشيخ وقال: أخسرتم دراهمكم أعطيتموها لرجل مهبول، أو قال: أحرق فأفسد عقائد

بعضهم، وقال بعضهم: نحن فعلنا وقصدنا الله، ثم إنهم كلموه مراراً وهو في ذلك كله يسكت عليهم، وقنطوا ولحقت الضيعة دوابهم وتذكروا فيما بينهم كلام المنتقدين في الشيخ، فقال لهم بعض المنتقدين: كم دفعتم للشيخ؟ قالوا: عشرة دنانير، قال لهم: انصرفوا، فلما ذهبوا مشى وحده للشيخ فوجده نائماً تحت شجرة تين، وكان ذلك زمن الحر، وكان وقت الظهر، فجلس بإزائه حتى استيقظ من نومه فلما رآه، قال له: أنت الوهراني؟ قال له: نعم يا سيدي قال له: ما زلت من غير سراج؟ قال له: نعم لقد والله وضعناها هنا.

قال: لقد زلتم من بالي وقام وعليه سروال وسلهام صوف وفي يده عصا فوثب في الهواء وضرب بالعصا، وقال: الساعة تسرح أهل وهران، فما كان إلا قليلاً بقدر ما يتوضأ فيه الإنسان وإذا بمنادي طفق المدينة يا أهل وهران: الذي بقى هنا إلى العصر تلحقه العقوبة الشديدة.

فروى: إن سبب ذلك أن السلطان كان نائماً في قبه مع بعض نسائه، وإذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ وهو في مئزر صوف، فضرب بها على بطنه، وقال له: سرح أهل وهران، وغاب في أسرع من لمح البرق فأصابه وجع شديد لو دام عليه لقتله، فبعث السلطان في الحين إلى حاجبه أن يسرح أهل وهران ولا يُبقي منهم أحداً.

واعلم أن مثل هذه الهمم لهم كثيرة ولولا الاختصار لأتينا من ذلك بعجائبهم وما يقع موقع العيان كقصة بن مرزوق مع يغموراسن وأبي الحسين النوري وسيدي على بن حرزهم وغيرهم كثير.

وحدث أبو يحيى أبو بكر بن مساعد عن محمد اللمطي، قال: أصاب الناس قحط بمراكش، فدخلت مع أبي العباس دار الإشراف، وكان النظر فيها لأبي بكر بن يوسف الكومي.

وكانت بينهما محبة فسلم عليه أبو العباس وأشار إلى السماء ففهم منه تصدقوا؛ ليمطر الناس أو قال: ليستقي الناس، فقال له أبو يحيى: إن الله غني عنا، فولى أبو العباس



وهو يقول: سبحان الله، هذا الرجل عزل نفسه، ثم قال لي: أرخ هذه الساعة أو قال: هذا اليوم، فبعد ثلاثة عشر يوماً ورد من إشبيلية أبو محمد بن عبد الصمد بعزل أبي بكر بن يوسف عن دار الإشراف.

قال ابن مساعد: فقلت للشيخ من أين علمت ذلك؟ فقال لي: قل الله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُفَقِّهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

قلت: وهذه المهمة في التولية والعزل هي: التي كانت شعاره حتى لقي الله بها.

وما زال اليوم يقصدونه الناس بمثل هذه فيخلصون ويتصلون بمشاربهم كما أحبوا كرامته من الله تعالى، يختص الله برحمته من يشاء.

وكنت مرة في ضيق وشدة فأخذتني سنة، فرأيتُه واقفاً قدامي فأخذ بيدي فإذا أنا واقف وعتاب عن بصري في أقل من طرفة عين، وفرجت عني تلك النكبة في الحين والساعة.

وكان بعض الثقات يحدثني عن شيخنا سيدي أبي الحسن البزوي: إن بعض رؤوس المملكة ممن له السطوة الكاملة والكلمة النافذة، تجرأ على بعض المنتمين لزاويته فلاطفه بكل وجه فلم يزد ذلك إلا فظاظة وجراً، ففعل الشيخ حضرة عظيمة على عادته في محبة النبي ﷺ، ثم ختم بأن استغاث بالشيخ في بعض ذلك.

وَأَصْرُخْتُكَ يَا لِلضَّعِيفِ مَا

أَبَا الْعَبَّاسِ أَعْجَلْهَُا

جججججج

جججججج



عَرَّجْ عَرَّجْ يَا ودَعُوْثُكَ

عِزَّ الْفُقَرَاءِ اسْتُجِبْ لَهَا

جججججججج جججججججج

فنزلت بذلك الرئيس علة أتت عليه.

وذكر التادلي بذلك عن أبي بكر بن مساعد قال: خرجت مع أبي العباس ومعنا رجل ثالث، فأتينا إلى باب بحيرة الناعورة وكان مغلقا، فلما وصل إليه أبو العباس انفتح له، فدخلنا البحيرة فظننا أنه فتح لنا رجل كان خلف الباب، فنظرنا يمينا وشمالا فلم نر أحدا فتعجبنا من ذلك، فالتفت إلينا وقال: أتعجبون من انفتاح الباب ولا تعجبون من السحابة التي استدعتها حتى أطلتني؟ فرفعنا رؤوسنا فرأينا سحابة فوق رؤوسنا تظلنا.

وكان شيخنا أبو العباس الذرعي رحمه الله يحدثنا أيام قراءتي للقرآن عليه والرسالة وغير ذلك أنه عزم مرة على الخروج من تعليمه للطلبة والصبيان، قال: فرأيت رجلا لم يسمهم لنا أتوا وأنزلوني من الدكان الذي كنت عليه، وإذا بأبي العباس عليهم واقف فانتهرهم وزجرهم وقال لهم: ما لكم وإياه؟ نحن الذي وضعناه هنالك فلا سبيل لأحد عليه.

ثم أنه قال لي: اجلس يا بني هذا موضعك أو قال: هذا مقامك، وما زال الشيخ بقدرة الله يروم الخروج من الحصار مرارا، فلم يساعده الحال حتى مات كما قال له الشيخ حين قال له: هذا موضعك، وكان رحمه الله مهما وقعت له ضيقة يقف عليه ويقول له: المخرج لك من تلك المسألة كذا وكذا.

قال أبو يحيى بن مساعد: جئت مع أبي العباس في جماعة إلى باب الدباغين، وهو مغلق ونحن خارج الباب، فقال للبواب: افتح لنا فأبى، فقال لي: أعطه درهم فأبى، فولى أبو العباس مغضبا وهو يتكلم، فرأيت صبيا صغيرا رفع

العمود فانفتح الباب، فقال أبو العباس: إن هذا الباب يموت، فأقام الباب ثلاثة أيام فمات.

وقال ابن مساعد: أنا رأيت ذلك الصبي رفع العمود وهو صغير لا يستطيع رفع ذلك العمود لثقله، وما أدري كيف كان أمره؟ ولكن تحقق عن همة الشيخ في ذلك.

وكان ما جال في خاطره شيء أو تهمهم به إلا كان يصير في الوقت كما أخبر بذلك عن نفسه.

وقد قدمنا أن أحوال أبي العباس كلها عجائب، وأوصافه كلها غرائب إلا أنه أول مذهبه وآخره مبني على الصدقة لا بد أن تقدم.

قلت: والصدق والمحبة والتسليم لا بد أن تبرز بالجميع مع دوام الاستقامة ولزوم الكتاب والسنة، ومن صدق في ذلك نالته مادته على كل حال بفضل الله وكرمه.

قال: أبو يعقوب التادلي رحمه الله تعالى: حضرت غير ما مرة مجلس أبي العباس وسمعت احتجاجه على منازعه، فكان يقول: أصل الخير في الدنيا والآخرة: الإحسان وأصل الشر في الدنيا والآخرة: البخل.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى \* وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٥-١١].

وقال جاكيا عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ \* وَمِنْ خَلْفِهِمْ \* وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ \* وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

وفي الحديث: «الأكثرون هم الأخسرون ورب الكعبة إلا من قال بماله هكذا وهكذا» ٨٩.

ومن هذه الجهات الأربع، ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى <sup>٩٠</sup> بالبخل فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ  
أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا  
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿يونس: ٨٨﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ  
فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون،  
فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

وقال تعالى في وصف الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَحْ نَفْسِهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾  
[القلم: ١٧] إلى تمام القصة.

وقال ٧: «اتقوا النار ولو بشق تمر» (٩٠)، فلم  
يذكر وقاية النار إلا العطاء.

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ  
عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله:  
﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ  
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ  
ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ  
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ  
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قلت: ومن تأمل كلامه بالمعيار وجد كلامه كله على  
حقيقة مذهبه هذا بلا إشكال ولا شك ولا ريب إلا من  
طبع الله على قلبه أو جاهل للحق متجاهل أو منحرف  
عن الحق ارتكب الأباطيل، ولما كان أمره بني على

الصدقة، وترك البخل والشح وهما أصل هلاك بني آدم كما قال (٧): «دب إليكم داء الأمم قبلكم الشح والبخل» (٩١).

فهذا كان أصل مذهبه وقد أكمل الله لما فيه مرغوبه فكان في السخاء لا يشق غباره ولا تجهل آثاره.

فما زال بذلك حتى أخبر عن نفسه، وقد تقدم فكان يحكم بالخاطر ويولي ويعزل، وكان تاجراً لله بين خلقه.

ويُحكى عنه: إنه كان ينادي على ذلك في الأسواق، ويجلس حيث أمكنة الجلوس ولا يبالي بالسوق ولا بالأزقة ولا غير ذلك ولا عليه في نفسه، ولا يبالي بمن تكلم فيه؛ بل الغالب أنه يعاملهم بالعفو والصفح حتى كأنه لا علم لديهم وهو يسمع فيهم؛ بل ربما أحسن إليهم غاية الإحسان.

ويُحكى عنه: إنه مر يوماً في وسط المدينة وهو ينادي: أين من يعامل الله تعالى الدينار بعشرة والعشرة بمائة؟ فكان أهل مراکش إذا سمعوا ذلك يحمقونه وربما سموه بغير هذا كالطرمون وغير ذلك من الأسماء، وهم يتضحكون منه ويتغامزون عليه وهو عندهم متغافل؛ لصدقه مع الله تعالى، فاجتاز يوماً في طريقه على حانوت خياط.

فقال له بعض الصناع: يا سيدي إن أعطيتك ديناراً تعطيني عشرة قال له: نعم، فتكلم مع الخياط، فقال له: اليوم ما نحسبهم إلا عندي، قال له: نعم وقت الظهر إن شاء الله تعالى يكونون عندك، فناوله الخياط الدينار، وذهب الشيخ فأعطاه لمستحقه، فتكلم بعض المتقدين، وقال للخياط: ما أنت أول ما فعل به هذا، فما زال به إلى أن ندم الخياط في إعطائه للشيخ الدينار، ثم جعل يخاطب نفسه: أنا هو المهبول الذي كان ديناري بيدي وأعطيته لرجل مهبول وغير ذلك من القول.

وزادوا عليه أصحابه حتى كاد يبكي، فلما سمع آذان

الظهر نزل من الحانوت وبقى متحيراً ولم يهن له أن يشتغل بصنعتة، فدخل بعض ديار الوضوء ليتوضأ فبينما هو يتفكر وهو جالس على السنداس، فنظر في الكشق فرأى خيوطاً حمراء وصفراء وخضراء، فمد يده لينظر ذلك حتى تلوث يده، فلما أخرجهم وجد فيهم خريطة، فغسل يده والخريطة وتوضأ وخرج وفتحها، فإذا فيها عشرة دنانير ذهباً ففرح فرحاً شديداً كاد أن يذهب عقله، وصلى صلاة الظهر.

وطلع الحانوت واجتمع أصحابه يسخرون منه ويضحكون ويقولون له: قد اتصلت بعشرة دنانير، وقال لهم: لا تقولوا إلا خيراً فلما رأوها سلّموا وشرعوا يشنون على الشيخ خيراً ويقولون: هو ولي الله وكل واحد يقول من كلام الإحسان، ثم إن الشيخ اجتاز عليه على عادته ينادي الدينار بعشرة والعشرة بمائة وفضل الله لا يحصى فسمعه الحياط فنزل إليه وقال: يا سيدي إن أعطيتك عشرة دنانير تعطيني مائة، قال له: نعم والضامن ثقة.

قال مولانا Y: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال Y: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، فالله Y يا بني هو الذي يعطيك، وإنما أنا دلال خير، وواسطة بين الخلق وخالقهم أدلهم على فضله وإحسانه، قال له: يا سيدي أنا الذي أعطيتك بالأمس الدينار.

فقال له الشيخ: وكيف رأيت فعل الله معك؟ قال: يا سيدي والله لقد أعطيت ذلك كما وعدتني إلا أنني لم أتصل بهم إلا بعد قنطرة يدي وقذارتهم، قال له: إنما ذلك من نجاسة نيتك لما تلوثت، ولو كانت نيتك طيبة لوجدتهم في مكان طيب، قال له الحياط: يا سيدي أشهد الله وأشهدك أنني تائب لله Y، ثم أعطاه العشرة دنانير واعتمد على الله وصدق بموعده الشيخ.

فقال له: إذا كان وقت الظهر تعطى المائة دينار قبل الصلاة، فانصرف الشيخ وصرف الدنانير على مستحقيها،

وإذا برجل من أكابر التجار كان مصاحباً لبعض القواد  
الظلمة، وكان التاجر يعامله، فوقع بينهما وحشة  
وعداوة عظيمة، فسعى به الظالم لمن يريد حتفه أو إتلاف  
ماله، فندم التاجر وخاف خوفه كله، وكان يدبر كيف  
يكون أمره؟ ومن يكون واسطة بينهما حتى يصطلح معه  
لئلا يهلكه، فذله بعض أصحابه أن يعطيه مائه دينار،  
ويحملها إليه تكون صلحاً بينه وبين الظالم، فعد المائة  
دينار، وجعلها في قرطاس بإزائه، فبينما هو كذلك وإذا  
بهااتف مزعج في قلبه يقول: أحمل المائة دينار وأعطيها أول  
رجل يلقاك، فخرج ووقف بالباب، وإذا بالخيّاط جائزاً  
فقال في نفسه: هذا خياط كأنه استحقّره أن يكون أهلاً  
للمائة دينار، فلم يعطه فدخل لداره بالقرطاس، وإذا  
بهااتف تقوى عليه: إعطِ المائة لأول من تلقاه فخرج  
أيضاً، فرأى الخياط وعجب من ذلك، وقد سمع الهااتف  
وهو يقول: أعطيها لأول من يلقاك والله يكفيك، ثم قال:  
سبحان الله فنأدى الخياط فأجابه، فقال له: أخبرني  
بقصتك ولا تكتم عني شيئاً من أمرك، فإني أراك طالعاً  
وهابطاً ولا هنالك قرار.

فقال له: اتركني يا الله ولا تسألني، قال له: سألتك بالله  
إلا ما أخبرتني، وتقوى ظنه فيه أنه هو المخاطب بإعطاء  
المائة.

فقال له الخياط: سألتني بالله وأنا أخبرك، دفعت للشيخ  
أبي العباس عشرة دنانير عملت لله فيها، فواعدني بمائة  
دينار قبل صلاة الظهر، فانا أمشي وأجئ إلى ميعادة، فلما  
سمع التاجر مقالته بكى، وقال له: صدقت يا أخي هات  
يدك، فمد الخياط يده فأعطاه القرطاس، ودخل التاجر  
فتوضأ ولبس ثيابه وخرج لصلاة الظهر، فلما سلم الإمام  
نادى المؤذن الصلاة على الجنائز، فخرج التاجر للصلاة  
على الجنائز، فلما نظر إلى الجنائز رأى بعض غلمان ذلك  
القائد وقوفاً عند الجنائز، فالتفت عن يمينه فرأى سيدي  
أبي العباس السبتي ؑ قال له: أدفعت المائة دينار للخياط،  
قال: نعم يا سيدي فزاد تعجبه، فقال: شيع إذا جنازة



صاحبك، فإن الله قد كفاك شره وحق به مكره.  
قال أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال: سمعت  
أبا العباس السبتي في آخر عمره كثيراً ما يتلو هذه الآية:  
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾: أي  
وأقطع، ﴿أَعْنَدَهُ عِلْمَ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾.

إن الصواب ما يفعل.  
قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ  
الَّذِي وَفَّى﴾، ﴿أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ  
لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٤، ٣٩] أي أعطى إلى  
آخر الآية.

قال أبو يعقوب التادلي وسمعتة يقول: الأمر كله إنما  
يدور على العطاء والبذل، وما تصدقت قط بصدقة لوجه  
الله تعالى إلا بربع درهم، وإنما تصدقت لأجازي، وما  
تصدق لوجه الله تعالى العظيم خاصة إلا سيدنا ومولانا  
محمد  $\text{p}$  وغيره من الأنبياء الذين لم ينالوا من الدنيا إلا  
البلاء، وكان يقول: «كل من قال: إن الله تعالى لا  
يجازي على الصدقة فقد وافق اليهود على الفرية على  
الله تعالى فإن اليهود قالوا: يد الله مغلولة: أي لا  
يجازي ولا يشب» (٩٢).

فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ  
أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ  
يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا  
وَكُفْرًا وَآلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي  
الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْذِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]  
وكان يقول في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ  
كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ  
بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ  
الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ  
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا

جَبَاهُهُمْ وَجَنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

يقال: كويت هذه المواضع؛ لأن الغني إنما يعرض عن المساكين بوجهه، ثم يجيئه ثم يوليهم ظهره، فعوقب في هذه المواضع بالكي بالنار على الإعراض بها عن الفقير. وكان ٣٥ بلغ في هذا الأمر الغاية فأكرم بالحكم، فكان يحكم بالخاطر ويولي ويعزل.

حدث أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصار قال: حدثني أبو يعقوب الحكيم قال: خرجت مع أبي العباس السبت من باب الدباغين، وقد أوقد فرن الجيار والرياح جوفية تهب بالدخان إلى جهتنا، فقال لي أبو العباس: أي ريح تريد أن تهب؟ فقلت: الريح الشرقية، فقال: تهب الآن، قال: فهبت علينا فردت الدخان إلى جهة أخرى.

قال بعض العلماء: كان أبو العباس مع جلالته قدره يقول: إني لم أبلغ في هذا الشأن درجة الصديقين لكن أرجو الله في إبلاعهما.

قال أبو يحيى ذكريا بن مساعد بن محمد اللمطي: سمعت الشيخ أبا العباس يقول: والله ما بلغت بعد درجة أبي الحسن البوسنجي قلت أبي الحسن البوسنجي تقدم ذكره، وكان يقول: من تردد في الخاطر الأول ولو مرة أو مرتين، فهو بخيل حتى يعطى ولا يبالي بمن أعطى، ثم قال: وإنما أنا مؤمن تاجر شحيح، وإنما أفعل لأجازي، فقال له رجل وأنا حاضر: مالك لا تتكلم على الصلاة، قال: إنما تكلمت على العلة العظمى التي عمتنا وهو البخل، ثم قال بعد كلام بإعطاء الشطر تكون الوقاية من النار.

قال ٧: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (٩٣) الحديث.

وبإعطاء الثلثين تحكم في المخلوقات؛ كالإستسقاء، والولاية، والعزل، ودخول الجنة وأمثال هذا، وإعطاء خمسة أسباع يستجاب لك، وتكون الكائنات طوع



يديك بقدرة العزيز العليم، حتى لا تحب شيء إلا كان.  
قال ابن مساعد: وانتهى أمر الشيخ أبي العباس إلى إعطاء تسعة أعشار وأمسك لنفسه العشر، فقد أخذ لنفسه الواجب للمساكين، وأعطى المساكين ما يجب له وهو المالك، وبهذا فسرهُ أيضاً صاحب التشوف، قلت: وهذا كان حقيقة مذهب الشيخ سيدي أبي يعزى في إعطائه تسعة أعشار من زرعه ويكتفي هو بالعشر كما قدمناه من رواية أبي عمران موسى بن محمد محطى العبدوسي، فكانت لهذه السادات بها جاهدوا كمال التصرف في الكائنات.

وحاصل هذين الشيخين سيدي أبي يعزى، وسيدي أبي العباس أنهما من عجائب الزمان، ولنقتصر هاهنا إذ الشيخ لا تحصى عجائبه في كل وقت وزمان، ولنرجع لإكمال بعض أصحاب الشيخ أبي مدين صاحب الشيخ سيدي أبي يعزى وإن كان أصحابه كثيرة، فما كملت بركاته إلا غلبه، ولا أشرقت أسرار أنواره على أحد كما أشرقت عليه.

فمنهم: الشيخ الفقيه الإمام العالم الصالح أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي مع قلعة بن حماد ذكر في فهرسته: إنه لقي الشيخ أبا مدين، فأخذ عنه، وقرأ (عليه) كتاب «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» (٩٤) من فاتحته إلى خاتمته

قراءة تفقد وتفهم بداره ببجاية سنة إحدى وثمانين وخمسمائة هـ، قال: قيدت كلامه عليه أول يوم من غير أن أعلم أحداً بذلك، فلما كان اليوم الثاني قال لي الشيخ أبو مدين: لا أريد أن يقيد عني شيئاً مما أقوله على هذا الكتاب، فعلمت أنه كاشفني في فعلي.

ومن أصحاب الشيخ أبي مدين: الشيخ الصالح أبو المكارم سيدي بلال وكان مختصاً بخدمة الشيخ سالكا على طريقته من التوكل والزهد والورع، وسكن بعد

موته عبّاد تلمسان؛ لجاورة الشيخ وقيامًا بما بقى من حق  
المودة والخدمة كما قيل:

خَلِيلِي هَلْ بِالشَّامِ تَبْكِي عَلَى نَجْدٍ  
عَيْنٌ حَزِينَةٌ لَعَلَى أَعْيُنِهَا

جججججج جججججج

قَدْ أَسْلَمَهَا مُطَوَّقَةٌ وَرُقَاءُ بَانَ

الْبَاكُونَ إِلَّا مَزِينَهَا

حَمَامَةٌ جججججج

جججججججججج

وهكذا ينبغي الوفاء بالعهد أن يُلازم الحب الربع بعد  
الارتحال.

ويُسائل بلسان الحال المنزل والأوطان، والتسلي  
بالآثار عند عدم النظر إلى الأحباب والأخيار، والتنغصص  
بالعيش عند فرقة الأصحاب لا ابتلائنا الحق بفرقة الأحباب  
أمين إنه هو التّوَاب الجوّاد الكريم الوهّاب، ولازم الشيخ  
بلال قبر الشيخ حتى مات، فدُفن بجانب قبره.

قال ابن الخطيب: وغلب عليهما بألواح لئلا يُدفن  
معهما أحد، وممن أخذ من بلال هذا الإمام بن مرزوق  
الولي الزاهد التقى الورع، جد البيّنة المرزوقية، وكان  
مصاحباً لبلال أبي عبد الله بن اللجام وهو: محمد بن عليّ،  
وكانت أسباب الشيخ بعد بلال بيد ابن اللجام، وهي  
المرقعة التي نُزعت عنه بعد وفاته ومنسأته والمظل وقدميه  
أعني نعليه.

قال صاحب النجم: وكان أبو عبد الله بن اللجام على الحالة المستحسنة، فلأزمه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق، وهو صدر المرازقة ووسيلتهم. وتخرج به جماعة كثيرة؛ كأبي سالم إبراهيم بن علي الخياط، وكان هذا الخياط آية من آيات الله في إغاثة الملهوف، فلا يقصده أحد للتوسل إلا وقف معه، ولا يعجز أصلاً حتى أنه ربّما دخل عليه ملوك زمانه مرات عديدة، فكانوا يعظمونه ويستحسنون حسن ملاطفته في شفاعته.

وكان الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق صاحب خمول وصيام وقيام، لا يفتر من الذكر والقيام، فألفه بعض مؤمني الجان، فكان يقوم قيامه ويصوم بصيامه، وربّما ينام الشيخ أول الليل، فإذا زاد على المعتاد أيقظه رفيقه وصاحبه ذلك الجن، فيقرع عليه قرعاً خفيفاً في باب بيته، ويقول: يا أبا عبد الله هذا وقتنا فلا يزال يصلي معه حتى يفرغ.

ثم لما أراد الله اشتهاره وظهوره، كان رجل يتردد إليه من البادية ويخدمه بمرافق البادية من جبل بني ورنيد، فتوفي الرجل وخلف ولداً وزوجة، فكان يترددان إليه وترك لهما مالا عريضاً، فسعى قوم من قبيلتهم بالولد لوزير السلطان يغمراس جد بني زيان المعروف بيغمور بما يوجب سفك دمه، فأخذ ماله ظلماً وسجن الولد، وجاءت الوالدة أمه تشتكي إلى الشيخ، فدعا لها بالخلاص قالت له: يا سيدي خديمتك وابن خديمتك لا أريد منك فيه دعا، وإنما أريد أن تبعث إلى السلطان في تسريح ولدي، فقال لها: مالي والسلطان، ومن أين أعرفه أو يعرفني؟ إنما أشفع فيه إلى مالك الملوك، وقاهر الجبابرة، وكاسر الأكاسرة المتصرف في الجميع كيف يشاء من قدرته سبحانه لا إله غيره.

قال: فلم يرضها ذلك، وكان آخر النهار، فباتت في

داره، فلما كان نصف النهار سمعوا ضجة عظيمة، وقارعاً يقرع الباب، وينادي أين سيدنا أبو عبد الله بن مرزوق؟ قال: ففتح الشيخ الباب وخرج إليهم، فوجد الوزراء وحُجَّاب السلطان وفتيان الدار، وكبراء الدولة ومعهم ولد المرأة، فلما رأوه نزلوا وقبلوا يديه، وقالوا له: يا سيدي السلطان يقبل يديك، ويسلم عليك، ويقول لك: ادعوا لي، وإن أذنت لي في الوصول إليك، ويقول لك: اعذرنا في جهلنا بقدرتك، وإن مثلك بين أظهرنا، ونحن لا نعرف قدره قال لهم: ومن أنا حتى يُقال له بهذا، ولعل السلطان وهم بي، فقالوا له: يا سيدي بينما هو نائم، وإذا رجل واقف عليه وقال له: قم فانطلق الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق.

قال: فاستيقظت وأنا مفكر فيما رأيته، ثم عدت للنوم، فوقف لي ذلك الواقف بعينه وقال لي: ألم أقل لك: قم فانطلق الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق، فاستيقظت وأنا مفكر فيما رأيته، ثم عدت للنوم، فوقف لي ذلك الواقف بعينه، وقال لي: ألم أقل لك قم، فانطلق الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق، فاستيقظت متحيراً، فسألت من حضري عن هذا الاسم؟ فلم أعرف به، فعدت لنومي، فوقف لي ثلاثة محربة، وقال لي: لئن لم تطلق الآن هذا الرجل الذي تكلم فيه، هذا الولي وإلا طعنك بهذه الحربة، فاستيقظت مزعوراً وأمرت بالأبواب، ففتحت واستدعانا، فسألنا بعد أن عرفه بعض الحرائر بمكانه، فعرفه منا من عرفك وسألنا عمن هو من جهتك في السجن؟

فعرّفناه بهذا الشاب، فدعا به السلطان ووجهه إليك، وقال لك: إن كان هو هذا وإلا عرفنا من هو؟ فقال لهم: نعم، فصاح بوالدته فأعتنقت ولدها، وذهب حزنها وبؤسها، فأعْتَذِرَ لهم الشيخ وقال لهم: هذا خاطر هذه العجوزة، وأما أنا فليست هناك، وسرح السلطان كل من كان في السجن تعظيماً لحق الشيخ، ثم إن السلطان طلب

على لقائه فامتنع من ذلك بالكلية، وقال: أنا لا أمشي إليه ولا أقبل أن يصل إلي، ولعل لهذا أمراً ووقتاً آخر، فكان هذا سبب اشتهاؤه، وصار يغمر أسن يطرز بها مجالسه، وكان هذا سبب دفنه بجواره حين لم يحمد ملاقاته، وله كرامات شهيرة أضربنا عنها إختصاراً، وتوفي عام إحدى وثمانين وستمئة هجرية.

وأما حفيده خطيب الخطباء، فكانت وفاته عام إحدى وثمانين وسبعمئة هجرية. ودُفن بين ابن القاسم وأشهب.

وأما حفيدهما المعروف: بابن يحيى، وهو شيخ سيدي الثعالبي وغيره، فتوفي عام اثنين وأربعين ثمانمئة هجرية، لله الأمر من قبل ومن بعد والبقاء لله وحده لا شريك له، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم. وكان من أشياخه: الإمام الأوحى سيدي أبي عبد الله بن عرفة المتوفى عام ثلاثة وثمانمئة هجرية في جمادى الآخرة.

وله التآليف العجيبة التي لم يؤلف مثلها، ويكفي في ذلك مختصره الكبير وغيره (٩٥).

ويحكى عنه: إنه لما وقف على قول إمام الزاهدين وسيد العارفين: أبي علي الفضيل ابن عياض فيما رواه أبو الطاهر السلفي عن الثقات: إن جماعة وردت على باب الفضيل ابن عياض، قال: فاستأذنوا عليه فلم يأذن لنا، فقال لنا بعض الأدباء: إنه لا يخرج إليكم إلا إذا سمع قراءة القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤدب صيت من أهل الأصوات الحسان بتلاوة القرآن، فقلنا له: اقرأ فقرا ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

ورفع بها صوته، فأشرف علينا الفضيل من أعلى غرفته، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول:

بَلَّغْتُ الثَّمَانِينَ بِمَاذَا أُوصِلُ  
أَوْ جَزَّتْهَا وَانْتَظِرْ

جججج جججج

أَتَانِي ثَمَانُونَ وَبَعْدَ الثَّمَانِينَ  
مِنْ مَوْلَاهُ مَا يَنْتَظِرُ

جججججج جججججج

عَلَّتْنِي السُّنُونُ  
فَابْتَلَتْنِي

جججججججج

قال: ثم ختمته العبرة فتواری عنا إلى منزله قال:  
فتممه الشيخ علي بن حشرم.

عَلَّتْنِي السُّنُونُ فَرَّقَتْ عِظَامِي  
فَابْتَلَتْنِي وَكُلَّ الْبَصْرِ

جججججججججج جج

قال الشيخ الإمام الشهير آخر المجتهدين سيدي محمد بن أحمد بن عرفة لما وقف على هذه الأبيات، فيما رواه صاحب النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، وفيما رواه عن شيخه أبي عبد الله بن العباس قال: أنشدني شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق، قال: أنشدني شيخنا سيدي محمد بن أحمد بن عرفة الورغمي التونسي

مولدًا وقبرًا لنفسه:

بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ بَلْ وَهَانَ عَلَى النَّفْسِ  
جَزَتْهَا ذَوْقَ الْحَمَامِ

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

وَأَحَادَ عَصْرِي وَعَادُوا خِيَالاً  
مَضُوا جُمْلَةً كَطَيْفِ الْمَنَامِ

ج ج ج ج ج ج ج

ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج

ومن أصحاب الشيخ سيدي أبي مدين: الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله البوني، وكان من الأكابر، روي: إنه خرج من بلد العناب؛ لزيارة الشيخ أبي مدين لما تناهى إليه من أخباره ببلد بحاية، فقال له الشيخ الصالح الولي الشهير المنقطع إلى الله سيد عصره، وإمام أهل دهره، قسوة الزاهدين، ومحبوحة العارفين، أبو مروان اليحصبي: سلم لنا على الشيخ أبي مدين وقل له: يدعو لي، قال: فلما وصلت إليه وجدت عليه ثياباً حسنة رفيعة برائحة المسك والطيب، وهو على حالة تشبه حالة الملوك، فسلمت عليه، وجلست بين يديه، فقلت له: يا سيدي يسلم عليك سيدي أبو مروان اليحصبي ويقول لك: ادع لي.

قال: نزع الله من قلبه حب الدنيا، قال: فتعجب من هذه، وقلت: سبحان الله! تركت الشيخ أبا مدين في غاية من الزهد والتقشف والإقلال ونبت الدنيا جملة، وهذا الشيخ فيما رأيت من التمتع، ويدعو له بهذه الدعوة، قال: فلما قضيت زيارتي وودعته، ورجعت إلى بلدي،

وقصدت الشيخ أبا مروان، فوجدته بمرقعة ويده قصبة يصيد الحوت، فسلمت عليه، فقال لي: رأيت الشيخ أبا مدين، فقلت له: نعم، وأخبرته بما وقع، فأخذ القصبة وكسرها، ورمى بالسنارة، وقال لي: قال الشيخ الحق: واعلم إن الانصاف حلية ذووي العفاف، ولا بد من استعماله بالأوصاف، ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل.

ومما يقرب من هذا: إن الشيخ الفقيه أبا عبد الله الكومي كان من أهل الدين والصلاح، وأرباب الصدق، والعدالة، وإنه خرج ذات يوم في القافلة؛ لزيارة أبي عبد الله البقوري، فدخل عليه فلم يجد عنده شيئاً من متاع الدنيا إلا كتبه، وهو جالس بينهم وعليه مرقعة كما قدمنا، والعرق يقطر من جبينه؛ لقوة الحر، ثم أخرج لي خبز شعير غير منخول، وملح جركيس، ثم خرجت من عنده فتركته جالساً على التراب؛ إذ لم يكن عنده ما يفترش، ولا ما يلتحف به فيح الحر.

ثم قصدت زيارة ابن البنا بالريحانة أو قال: بدرب الريحانة، فلما نقرت الباب وإذا بجارية خماسية، فقالت لي: من تكون؟ قلت لها: قولي الشيخ الكومي، فأعلمته، فأذن لي في الدخول عنده، فوجدته في قبة رياضه الذي أحدث بناؤه مراکش، وعليه ثوب كتان من عمل تونس، وفي القبة أقطعة ومخاديد وعليها ستور حسان، فسلمت عليه وجلست، فنادى الخادم وأشار إليها، فقدمت آنية بالسكر وأخرى بالبطيخ مقشور، فقال لي: أدن فدنوت، واشتغلت بالأكل، وخطر على بالي سبحان الله، كيف تركت البقوري! وكيف وجدت هذا الرجل! فإذا هو بادرني قبل إكماله كل واسكت، ودع عنك الفضول، لو كان البقوري في مثل هذا المقام وأنا في مقامه، لأختل كل واحد منا، ولكن المولى عالم بمصالح العباد، يُقيم كل واحد بما يصلح ويليق به.

قلت كما صح في الأثر: «من عبادي من لا يليق



به» (٩٦).

وروي: «مَنْ لَا يَصْلَحُ بِهِ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَكُفْرٌ، وَمَنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُ بِهِ إِلَّا الْمَرَضُ» (٩٧) الحديث بكماله.

ولهذا كان أنس بن مالك يقول: إنا ممن لا يصلح بنا إلا الغنى.

وروي: «يا جبريل أيقظ فلاناً الثلث الآخر، فإني مشتاق إليه، وأنم فلاناً، فإني مشفق عليه».

ومن أصحاب الشيخ أبي مدين  $\text{رحمه الله}$ : الستة رجال الذين رافقوا أبا عبد الله المهدوي؛ ليكمل تربيتهم، وهم:

الشيخ الإمام عليّ النفطي، والشيخ أبو عبد الله الحمداني، وأبو محمد طاهر الجروغي، وابن هراس، وأبو معروف محفوظ بن جعفر، وأبو إسحاق سالم التباسي.

فلما وصلوا جعلوا أبا محمد طاهر يحبس دوابهم، وكان أصغرهم سناً، وأكبرهم همة، وأحسنهم خلقاً وتواضعاً.

فقال أحدهم لخدام الشيخ أبي مدين: أين للشيخ؟ وهل عليه من إذن في هذه الساعة؟ وإذا بالشيخ تكلم من داخل رافعاً صوته مع الذي حبس البهائم، واتفقت لهم مع الشيخ كرامات أضربنا عنها إختصاراً، وكانت بين الشيخ أبي محمد عبد العزيز المهدوي وبين الشيخ أبي مدين مكاتبات ومراسلات، كتب إليه أبو محمد عبد العزيز مرة كتاباً فيه أبيات هذا مطلعها:

شُعَيْبُ وَلِيِّ اللَّهِ سِرُّهُ أَبُو مَدَيْنٍ مُغْنِي الْأَنَامِ

عِبَادُهُ بِفَخْرِهِ

ج

جج

(٩٦)

((٩٧)).

فِيَا جَنَّةَ الْمَأْوَى وَيَا وَيَا نَاشِرًا عُلْمَ  
عَالِمِ الْهُدَى إِلَهُ بِأَمْرِهِ

ججج

ججج

حَضَرْتَ وَلَمْ تَحْضُرْ وَمَا كُنْتَ فِي كُلِّ  
وَغَبْتَ وَلَمْ تَغِبْ الْأَجَانِبِ طَوْرِهِ

ججج

جججججج

فَنُورُكَ نُورُ اللَّهِ يَهْدِي أَحَدًا فِي النَّاسِ إِطْفَاءً  
لَهُ وَهَلْ نُورُهُ

جججججج

ججج

جججججججج

وكتب إليه الشيخ أبي مدين ٢ جواباً عن كتابه من  
بعض فصوله:

أَيُّهَا بَعْدُ... فَإِنَّهُ مَنْ أَتَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ  
حَقَّ التَّوَكُّلِ كَفَاهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِهِ بِجَاهِهِ، وَمَنْ شَكَرَهُ  
وَالَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ، وَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ  
وَجَلَاءَ بَصْرِكَ فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا خَيْرَ لِمَنْ لَا  
خَشْيَةَ لَهُ.

وَمِنْ فُصُولِهِ: ضَاقَ صَدْرِي حِينَ أَتَيْتُ الْمَرَكَبَ وَلَمْ نَرِ  
لَكَ فِيهِ كِتَابًا، فَرَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ وَأَنْتَ تَقُولُ لِي: إِنْ كُنْتَ  
تُرِيدُ سَلَامَكَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا تَسْلَمْ عَلَيَّ وَلَا تَسْلَمْ عَلَيْكَ،  
وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْآخِرَةَ فِسْلَمْكَ يَلْغِي، وَإِنْ لَمْ تُكَاتِبْنِي  
وَسَلَامِي يُبَلِّغُكَ وَإِنْ لَمْ أَكَاتِبْكَ، فَزَالِ عَنِ قَلْبِي كُلُّ مَا

كنت أجده من القبض، فالله سبحانه لا يقطعك عني نومًا  
ولا يقظة وأنشد:

حَدَّثِكُمْ أَنَسُ قَلْبِي      فَإِنَّ قَلْبِي فِي أَعْظَمِ  
لَسْتُ أَتْرَكُهُ      الشَّغْلِ

ج

ج

لَوْ لَا هَوَاكُم لَكَانَ      لَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِلْمِ  
النَّاسِ فِي غُمَةٍ      وَلَا عَمَلٍ

جج

ججج

لَكُمْ سَجَايَا وَأَخْلَاقٌ      يَا شَمْسُ فِي مِلَّةِ  
مُطَهَّرَةٍ      الْإِسْلَامِ وَالْمِلَلِ

جججج

جججج

مَاذَا أَقُولُ وَمَا      حَسَنَاءُ تُغْنِي عَنْ  
أَلْقَوْهُ مِنْ سَكَّرِ      التَّفْصِيلِ وَالْجَمَلِ

جج

جججج

لَا تَنْكُرُوا أَنَّ يَفُوقَ      يَحْيَى الزَّيَّارَةَ  
النَّاسَ بَعْضَهُمْ      وَالْمَسْكَ الشَّهَادَةَ

لِي

ججج

ججججج

## جججج

والمَرْءُ فِي قَبْضَةٍ تَجْرِي عَلَى مَا جَرَا  
الأَقْدَارِ مُوقِدَةً فِي اللُّوْحِ وَالْأَزَلِ

## جججج

## ججج

ومن أصحاب الشيخ أبي مدين  $\tau$ : أبو الزهد ربيع الأنصاري البجائي، وكان في بدء أمره كاتباً عجيباً لصاحب بجاية، فاستفاد مالا جزيلاً، فلما أراد الحق خلاصه من ورطات الدنيا، فتح له أبواب التوبة، وسهل عليه الأعمال الصالحة.

قال أبو عبد الله بن رشد السبتي: كان أبو الزهد ربيع الأنصاري كاتباً لعامل بجاية، فاستفاد معه مالا، فرأى الليلة في النوم القيامة قد قامت، وإنه أمر به إلى النار فسأل الملائكة المكتنفين له: لماذا أمر لي إلى النار؟ فقالوا له: بسبب ما اكتسبته من المال، فلما انتبه تصدق بجميع ما اكتسبه من ذلك، ولم يبقَ لنفسه شيئاً، وتاب إلى الله  $Y$ ، ولازم العبادة والقراءة، واحترف بالخياطة، وضاق به الحال من كثرة استغراقه في العبادة والقراءة.

ثم إنه دخل يوماً على والدته وأعلمها بضيق الحال، فقالت له يابني: أعرف داراً لأبيك غصبت له وهذا رسمها فأخرجته له، وقالت له: أطلبها، فقال: لا بد أن أسأل العلماء، فسأل علماء بجاية فكلهم أذنوا له في الطلب، فقال في نفسه: إني استفتيت فقهاء الدنيا، ولا بد أن أستفتي فقهاء الآخرة، قال: فسرت إلى الشيخ أبي مدين  $\tau$ ، فوجدته في مسجد أبي زكريا النواوي بحوبة اللؤلؤة من بجاية وسألته، فقال لي: استفت ربك فسكت عنه، ثم قمت إلى صلاة الصبح، قلماً كان في الركعة الثانية عرضي على شبه سنة خفيفة، فسمعت من يقول: اطلب حقاً واجباً، فأتممت الصلاة مع الإمام، وجلست بمجلس الشيخ؛ لاستماع الذكر.

فلما انصرف الناس أقبل عليّ الشيخ أبو مدين ٢  
بوجهه وقال لي: أفتاك ربك؟ فقلت له: أفتاني يا سيدي،  
وهذا من كراماته ٢.

قلت: إذا صح الأثر: «استفت قلبك وإن أفتوك  
ثلاثاً» ٩٨.

لعل الشيخ على ذلك دليلاً.

وروى التقوي: ترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس.

وروى التقوي: ترك ما حاك في الصدور ولولا  
الاختصار، لأتينا في هذا الباب بما يثلج الصدور، وقد  
أفت العلماء في حقائق التقوى والورع، وهو الوقوف عند  
اشتباه الأمر، وكما صح في الأثر: «الحلال بين والحرام  
بين، وبينهما أمور متشابهات متى تركها استبرأ لدينه  
وعرضه» ٩٩ الحديث.

وروي: عليك بالذي لا شرك فيه، ورؤي: الإثم ما  
حاك في الصدور.

واعلم أن كرامات الشيخ سيدي أبي يعزى ٢ لا  
تتحصر. ومادته حياً وميتاً لا تنضب.

وكذا سيدي أبي مدين ٢ إذ من بركته يُغترف، وأكرمه  
الله مع قوة مادته بزيادة المعارف والحقائق، وفصاحة  
اللسان في اللقاء حياً وميتاً، وأما الشيخ سيدي أبي العباس  
السبتي ٢ فلا يكفي فيه أسفار؛ لكثرة كراماته بعد مماته  
أكثر من حياته كما قدمنا.

وإنما سقنا هذا النذر من كراماته لما بينه وبين الشيخ  
سيدي أبي يعزى من المواصلة، كما قدمنا إنه كان يلتقي  
معه عند الشيخ سيدي أبي بكر محمد بن عبد الله المعارفي  
المعروف: بابن العربي الأندلسي رضي الله عنهم أجمعين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
تسليماً كثيراً.

## الباب السابع

في اتصال نسبتنا بالشيخ الإمام القدوة سيدي  
أبي يعزى وتحقيق سلسلتنا به وإلى النبي ﷺ  
وكذا سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي  
الحسن الشاذلي رضي الله عنهم

واعلم أن لنا مع الشيخ اتصال نسب من وجوه شتى  
ولكن أقواها وجهان.

**الأول:** الطريقة الحرارية الجزولية الساحلية، فهذه  
الطريقة التي أظهرها في المغرب بعد أن دراستها الشيخ  
الإمام القدوة فريد دهره ووحيد عصره وهو: سيدي أبو  
عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، وأخذ عنه جماعة لكن  
المشهور بعوالمها، وتحقيق معارفها ومعالمها سيدي أبو  
محمد عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي المعروف  
بالحراري، فعنه انتشرت وبه انتظمت.

وقد أدركنا الكثير ممن أدركه وأخذ عنه، لكن أقوى  
مادتنا وأول من لقينا في سلكه وفي طريقه دخلنا سيدنا  
ومولانا شيخ الطريقة، وإمام أهل الحقيقة أبو الحسن  
سيدي علي بن إبراهيم التادلي منشأ وداراً وقبراً ومزاراً  
المتوفى عام خمسة وسبعين وتسعمائة هـ، إلا إنني لم  
أدركه إلا في آخر عمره ثلاث مرات:

المرّة الأولى: ورد علينا لمنزلنا وأنا صبي في جماعة من  
الفقراء، وهم يذكرون الله.

المرّة الثانية: وهي التي قصدته فيها بنية الإقتداء به،  
سرت إليه في المحرم عام خمس وسبعين هجرية.

المرّة الثالثة: في ربيع النبوي، ورأيت به بجملة من الناس،  
ولم يمكن لأحد الجلوس لكثرة الجموع والزوار فأنا فيه  
كما قيل:

جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ ذِي السَّعْيِ وَلَكِنْ جِئْتُ فِي

خَيْرٍ ————— الزَّمَنَ الْآخِرَ

ثم استأثر الله به في النصف من شعبان ليلة الإثنين من العام المذكور، أتانا بحبره ونحن بمراكش مشغولون بالقراءة، وكنت كثيراً ما ألزم زيارة الشيخ فريد الزمان في المعارف والشطحات لما له من قوة محبته الجمال، وكان آية الله في ذلك يتكلم بها ولا يبالي، وحفظه الله؛ لقوة صدقه مع كثرة الأضداد والحاquدين.

و كذا أخوه سيدي أبو محمد عبد الله بن حيس رحمه الله تعالى، كان يجلني كثيراً ويقول لي: يا بني. إن هذه الطريقة ستحيا بك في الصدر الأول، وتبين معالمها أو كلاماً هذا معناه في كلام كثير قاله لي، ثم إني لازمت شيخنا الإمام الأوحّد أبا العباس أحمد بن علي الدرعي رحمه الله تعالى، وكان ممن جمع الله له العلم والعمل والحال والمقال مع كمال الخمول حتى ختم الله له بذلك.

وكان سبب ارتحالي إليه قصة عجيبة أضربنا عنها اختصاراً، فبوقت ما التقينا به قال لنا: على بركة الله كل

ما قصدتم، قضى لكم وأنت في بلادكم، وكان الأمر كذلك بارتحالنا في الحين، وأما والدي رحمه الله، فقد لقي شيوخ المغرب الذين أخذوا عن سيدي عبد العزيز الحراري، ولم يقتد منهم إلا القليل وكذا أصحاب سيدي محمد بن سليمان الجزولي كسيدي الحارثي الذي كان بمكناسة الزيتون، وسيدي محمد بن عيسى الفهري، وسيدي الصغير السفياي وغيرهم، إلا أن قوة مادته على سيدي المسناوي رحمه الله.

وقد أدركت الكثير من أصحابه، وسيدي عياد بن عبد الله، وكان من تواضعه رحمه الله أنه لا يدعى الشيخوخة. وإنما يقول: أنا خديم ولا زال علي ذلك حتى لقي الله Y، وكان والدي رحمه الله آية من آيات الله في الإخبار بالكوائن المستقبلية، كان يراها في الحين، ولا زال علي ذلك حتى في مرض موته، وكان والده يحبه على سائر أولاده، وكان شيخه سيدي عبد العزيز الحرار وله معه أخبار عجيبة، وكذا مع سيدي علي المسناوي وله معه أحوال عجيبة أضربنا عنها اختصاراً.

وتوفي والدي رحمه الله عام أربع وثمانين من هذا القرن العاشر من ذي القعدة والله أعلم.

وتوفي والده المجد والله أعلم عام سبع وعشرين من هذا القرن يعني بالقرن العاشر، وتوفي الشيخ المحقق الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي سعيد بن أحمد الحاجي النزازي عام ثلاثة وأربعين من المحرم بعد وقعة بوعقبة بأيام قلائل، وله في ذلك حكاية غريبة أضربنا عنها اختصاراً.

وكنت أراه كثيراً في النوم، وربما أراه في شبه السنة، فكان يدلنا علي ما أصنع وأقر، أو من أصحب حتى كأنه معي حي، وتوفي شيخ الجماعة أبو محمد سيدي عبد العزيز عام أربعة عشر هـ من هذا القرن والله أعلم.

وأما أبو عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي توفي عام سبعين من القرن التاسع بعد أن مشى فيما زعموا إلى طنجة، فلقي امرأة صالحة، وقالت له: يا محمد أين تريد



لأهل المغرب بك حاجة؟ فأت مدينة فاس فألفَ فيها كتابه دلائل الخيرات، وقد أوقفني بعض الأخيار علي السارية التي كان يكتب بها في جامع القرويين، ثم ارتحل إلى مراکش، فلقي سيدي عبد العزيز وهو صبي، ففترس فيه الولاية، وله ناصية لصغره علي عادة الصبيان، فقال له اختباراً، وأراد أن يقف علي حقيقة ظنه: ما اسمك؟ قال له: عبد العزيز، قال له: يا بني: أنا ضيفك لله، قال: علي بركة الله تعالى قم معي لأبي، فأتى والده وكان يسكنون بالقصور من مراکش.

فقال: يا أيت هذا الفقير قال لي: أنا ضيفكم فقال له: مرحباً يا بني بضيف الله نكرمه الله تعالى، فلماً أصبح ارتحل إلى الساحل، فلقي شيخه الذي أخذ عنه، وهو أبو عبد الله أمغار من أحفاد بني أمغار أهل عين القرية المعروفة، فهم يتوارثون الصلاح كما يتوارث الناس المال، فبقي بالساحل أربع سنين، ورده فيها سلكتان من دلائل الخيرات، ومائة ألف بسم الله الرحمن الرحيم، وسلكتة يحتمها كل ليلة، وربع سلكتة من القرآن أيضاً إلى أن أذنه في الخروج إلى الخلق؛ بل كلف عليه ذلك، فظهر في رباط فجسده رئيسها، أو خاف منه على عادة أبناء الدنيا خوفاً ممن يزاحمهم على دنياهم.

فبعث إليه أخرج عني أو أخرج عنك، فقال له الشيخ: أنا الذي أخرج عنك ولكن حتى أنت علي أثري، فكانت أول كرامة ظهرت له، فسلط الله عليه ولد أخيه عزله من الإمارة، وتحيل في قتله فيما زعموا، ونزل سيدي محمد بن سليمان بالموضع المعروف بـ(أفغال)، فبقي ما يقرب من سبع سنين حتى توفي فيه.

قال سيدي أبو العباس زروق: كنت خادماً للفقراء بزاوية أبي قطوط بفاس علي يد شيخنا سيدي أبي عبد الله الزيتوني، فورد علينا الصغير السُفياني في جماعة من الفقراء أصحاب الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي، فأخبرونا بموته وصح عندنا ذلك.

قال الصغير: مات في صلاة الصبح إمّا في السجدة

الثانية من الركعة الأولى، أو في السجدة الأولى من الركعة الثانية، وقلنا له في آخر تلك الليلة الناس يذكرون فيك شأن الفاطمي، أو ما في معنى هذا فخرج وقال: ما يدور إلا من يقطع رقابهم الله يسلب عليهم من يقطع رقابهم، وكرر الدعاء مراراً، فكان ظهور دعوته في عمرو المغيطي المعروف: بعمر بن سليمان السيف المتسلط قال: بلغني ليلة: إن الفقيه أبا عبد الله الغوري جاءه سؤال في شأنه، فبادرت إليه أن أراه فقال لي: خرج من يدي، فقلت له: ما مقتضاه؟ قال: مداره أنه يقول أحكام القرآن والسنة ارتفعت، ولم يبق إلا ما قال له قلبه قال: أبو العباس زروق.

وشاع من أمره أنه يقول: إنهم وارث النبوة، وإنه له أحكام تخصه كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وإن الخضر حي ونبى، وإنه يلقاه ويأخذ عنه؛ بل يدعي ذلك من هو دونه من تلامذته، وقال بعض أهل الصدق والعدالة في الأخبار: رأيت في حياة الشيخ يأتيه بالواح فيها كلام كثير منسوب إلى الخضر، فلا يقول له شيء في ذلك، غير إنه أثني عليه مرات كثيرة قال: وكان افتتاح أمره إنه كان منتصراً للشيخ في الذين سموه إذ سمى بعض الفقهاء، ولم يزل بهم حتى قتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة، ويقتلهم عيها، فنصره الله عليهم، ثم يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه، وسمّاهم بالجاحدين وسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم.

وقال أبو العباس زروق كلاماً كثيراً في عمرو المغيطي أضربنا عنه اختصاراً، ومات عام تسعين من القرن التاسع.

وكان اللذان قتلاه امرأته وربيبه، وبقي سيدي محمد بن سليمان في تابوت في تازروت الذي جعله فيه عمرو المغيطي إلى سبع وأربعين وتسعمائة، ثم نقله السلطان أحمد إلى مراكش من تازروت ودفنه بروقة أبي عبد الله البقوري المتقدم الذكر، وأخذ كما تقدم عن الشيخ الساحلي عن الشيخ الساري أبي عثمان سيدي سعيد الهرتاني عن الشيخ

أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي عن الشيخ الإمام الهندي  
عن سيدي عنوس البدوي عن سيدي القرافي عن سيدي  
أبي عبد الله المغربي عن الشيخ الإمام الكبير القدر والمقام  
الجامع الفرد أبي الحسن الشاذلي عن الشيخ العارف المحقق  
أبي محمد سيدي عبد السلام بن مشيش عن بعض أهل  
الصدق والعدالة: بأنه ابن مشيش بالميم، لقب به في  
صغره: بابن منصور ابن إبراهيم الغماري الحسيني  
الادريسي المالكي الصوفي عن الشيخ العارف الشريف أبي  
محمد عبد الرحمن المدني العطار المعروف بالزيات نسبة  
سكناه بحومة الزياتي، ويعرف بالزيات عن الشيخ تقي  
الدين الفقير بالتصغير الصوفي العراقي عن الشيخ الإمام  
فخر الدين عن الشيخ نور الدين أبي الحسن علي عن  
الشيخ تاج الدين عن الشيخ شمس الدين الذي كان  
بأرض الترك من بلاد العجم عن الشيخ زين الدين  
القزويني عن الشيخ أبي اسحق إبراهيم الموصلي عن الشيخ  
أبي القاسم أحمد المرواني عن الشيخ القطب أبي محمد  
سعيد عن الشيخ أبي محمد فتح الله السعودي عن الشيخ  
سعد الدين الغزواني عن أبي محمد جابر بن عبد الله عن  
أبي علي الحسن وكنيته الصحيحة: أبو محمد الحسن  
السيبط الشهير: بابن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء  
عن جده سيد المرسلين، وتخرج علي يد والده باب مدينة  
العلم.

قال الشيخ السكندري: اعلم أرشدك الله أني ظفرت  
بهذه السلسلة، واتصالي بعد الفحص الكبير، وجدتها منقولة  
عن سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله صاحب الشيخ  
سيدي أبي العباس المرسى.

ومطابقا لقوله: إن طريق العطار المدني الزيّات متصلة  
بالأقطاب، ففي هذا إشعار بصحة هذا الطريق، وإتصال  
سلسلتها، وإن كنت لم أجزم فيها سوى بالشيخ الشاذلي،  
وشيخه ابن مشيش، وشيخه العطار الزيّات المدني، ثم  
بالحسن بن علي، فمجموعها علي قسمين: منهم: ما هو  
قطعي، ومنهم: ما هو ظني، أما قولهم فيها فلان الذي لم

يُدرِك له شهرة، فحيث ما وجدت ذلك ها هنا فاعلم إنني نقلته وألفيته كذلك فحكيتُه علي ما وجدته، قلت: ولما كان أمرها كذلك أوردتها تبرُّكا.

والطريقة الأخرى المقطوع برجالها الثقات ها نحن نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى، إذ طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي على وجهين: صحبة ولبس خرقة من غير اقتداء وهي الأقدم، إذ هو  $\tau$  لبس الخرقة الصوفية من شيخه الأول، وهو: الشيخ العارف القدوة أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن بن حرازم، ويعرف أيضاً: بابن حرزهم تلميذ الشيخ الصالح العارف أبو محمد صالح بن ينصار بن غفیان الدكالي صاحب رباط آسفي تلميذ الشيخ القدوة العارف الكبير السيد الإمام التقي الورع الهمام سيدي أبي مدين.

قال: السكندري وهذه الطريقة هي: لبس الخرقة والصحبة من غير اقتداء طريقة الشيخ سيدي الشاذلي، ونسبته لسيدي عبد السلام بن مشيش اقتداء به، وعول في الطريقة عليه، وإن طريقة الشاذلي من جهة سيدي عبد السلام قدوة وصحبة، وليس فيها خرقة البتة من جهة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن حرازم بالصحبة واللباس فقط لا بالإقتداء، فمن قال طريقة الشاذلي الخرقة، فمن جهة من حرازم المذكور، وأيضاً شيخه الأول الذي صحبه، ولم يقتد به، ومن قال هو لبس في طريقة الخرقة يعني من جهة شيخه الثاني ابن مشيش الذي اقتدى به ولم يلبس منه خرقة.

واعلم أن الشيخ أبا محمد بن حرزهم المعروف: بابن حرازم لبس الخرقة من شيخه أبي محمد صالح وصحبه واقتدى به، ولبسها الشيخ من شيخه الذي صحب واقتدى به سيدي أبي مدين شعيب الأنصاري الإمام المشهور الأندلسي القطياني.

واعلم أن سيدي محمد صالح من أهل السير منهم من ينسبه لسيدي أبي مدين من غير واسطة، ومنهم من ينسبه له بالواسطة، فصفي الدين يعني: أبي منصور.

قال عنه في رسالته: إنه صحب الشيخ أبا مدين وعلى هذا الصفي الورنيدي، وقال الشيخ أبو بكر بن أبي العباس أحمد بن القسطلاني: إنه صحب الشيخ أبا محمد عبد الرزاق ابن أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجزولي المصري الأسكندري المالكي الأشعري، وكانت وفاته عام اثنين وتسعين وخمسمائة المدفون الإسكندرية.

وقال: التادلي لما عُرِف بالشيخ أبي محمد عبد الرزاق قال: وهو شيخ العبد الصالح أبي محمد صالح قال الشيخ أبو العباس بن عبد الخطيب وأخبرني غير واحد: إن الشيخ أبا محمد صالح لقي أبا مدين وأخذ عنه، وهو والله أعلم صحيح؛ لأنه كان معاصراً معه، وملازمته للخير قديمة، قلت: ولأنه ثبت في كرامته أنه قال: كنت بين يدي الشيخ أبي مدين عام ستين وقال لي: قم يا صالح إئتنا بعنب من البستان، والحكاية تقدمت في باب الكرامات وتاريخها في ستين والله أعلم.

وقال بعضهم: يصح أن يكون أخذ عنه، ولكن بواسطة في الابتداء، ودلني على صحبتي له أن الفقيه القاضي الشهير أبا العباس أحمد بن محمد الغبريني البجائي ذكر في عنوان الدراية: إنه أخذ علم التصوف عن الشيخ الفقيه الصالح الولي أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي عن الشيخ أبي محمد صالح عن أبي مدين عن سيدي أبي يعزى، وتوفي الغبريني عام أربعة وسبعمائة ببجاية.

قال: أبو العباس الغبريني، وأخبرني الشيخ بن أبي القاسم هذا: إنه خدم الشيخ أبا محمد صالح بالمغرب بزاولته برباط السبع مدة.

منها: أربعة أعوام على صفة المحرم قال: وإزاره في وسطى وشملة على كتفي.

قلت: وهذا هو الجهد في مخالفة النفس وقوة العزم. قال: ابن الخطيب: وكان ابن القاسم هذا إماماً في التوحيد، وقبره بقلعة حماد يزار.

وقال: الشيخ السكندري: سئل تاج العارفين أبو العباس أحمد المليقي السكندري صاحب تاج الدين بن عطاء الله عن الجمع بين هذه الاختلافات، فقال: صحب الشيخ أبا محمد صالح الشيخ عبد الرزاق في حياة الشيخ أبي مدين فرأى الشيخ عبد الرزاق من طريق الكشف: إنه من أصحاب شيخه أبي مدين، فتوجه إليه وصحبه، واقتدى به، ولازمه إلى حين وفاته.

قلت: لما أتى الشيخ أبو محمد صالح مجلس الشيخ عبد الرزاق فسأله واختبره، فوجده في حاله أقوى منه، فقال له: يا بُني: إنك صاحب همة عالية، ولا يليق بتربتك إلا شيخنا أبا مدين فتوجه إليه، ونحن شركاء في الخير، فانتفع بصحبتهم معاً، وكان يقول لكل واحد منهما شيخي.

وأما سيدي أبو مدين فقد لبس الخرقة، وصحب أكابر رجال التصوف الزهاد، وأهل الورع والاجتهاد كأبي عبد الله الدقاق، والسجلماسي، وأبي الحسن علي السلوي، وشيخ العصر وأعجوبة الدهر سيدي أبي يعزى، فقد صحبه كما قدمنا وألبسه الخرقة سيدي آل النور بن ميمون الهزميري.

قال السكندري: ويُقال: إنه من ذرية لقمان الحكيم صحب أبا يعزى، واقتدى به، ولبس الخرقة من شيخه الشيخ الأكبر أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي صاحب أزمو.

كما قدمنا: إنه لقي الشيخ أبا بكر بن العربي، ولبس منه الخرقة، وهو صحب واقتدى بشيخه الولي الكبير أبي محمد سيدي عبد الله بن وكريس الدكالي المعروف بأبي النور وهو صحب واقتدى ولبس الخرقة من الشيخ الولي أبي محمد عبد الجليل ابن ويجلان يقال: ويجلام، وهو صحب واقتدى ولبس الخرقة من الشيخ أبي الفضل الجوهري سيدي عبد الله المصري الشهير الذكر، وهو صحب واقتدى ولبس الخرقة من أبيه بشر بن جهكام، وهو صحب واقتدى بالشيخ القدوة أبي الحسن النوري، وكان مصاحباً لأبي القاسم الجنيد إمام الطائفة، وكاناً



مترافقين في طريق شيخهما السري السقطي، وصحب السري كما قدمنا معروف الكرخي، والكرخي داود الطائي أبا محمد حبيب العجمي، وحبيب أبا سعيد الحسن البصري وكل شيخ من هؤلاء الشيوخ لبس الخرقة من شيخه المذكور معه.

واقتردي به ولبس الحسن البصري الخرقة من أبي الحسن على بن أبي طالب هو أبو الحسن المشهور الإمام الشكور، قالوا: البسه سيدنا ومولانا محمد .p

قال: السكندري أعلم ان الشيخ أبا مدين صحب شيخه سيدي أبا يعزى، كما تقدم واعتمده وعول عليه وصحب غيره أيضاً، وهم جماعة من العلماء والأولياء وأخذ العلوم الشرعية عنهم.

## فصل

اعلم أن سيدي أبا مدين له من الشيوخ: أبو يعزى قدوة وتصوفا وخرقة وصحبة، وأبو عبد الله الدقاق، وأبو الحسن السلوي تصوفا وصحبة فقط، وأبو الحسن بن حرازم، وأبو الحسن بن غالب، وابن الصباغ في العلوم الشرعية ورواية الحديث.

وأما الطريقة الأخرى التي من جهة عارف وقته وسيد عصره وإمام من أتى بعده وهو: سيدي أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي مولده بحضرة فاس يوم الخميس عند طلوع الشمس الثاني والعشرين من المحرم عام ستة وأربعين قال رحمه الله تعالى: أخبرني بذاك جدتي أم البنين الفقيهة، وكانت من الصالحات، قرأت على سيدي أبي محمد عبد الله بن المعطي العبدوسي الشهير هو وجده في العلم والعمل، وهو أقوى من جده في العمل، وجده أقوى منه في العلم.

وقد قلنا: إنه كان شيخ الفقهاء والصوفية قال: ثم توفيت أُمِّي يوم السبت ثالث يوم ولادتي عن ثلاث وعشرين سنة، ثم توفي والدي يوم الثلاثاء سادس يوم ولادتي عن سبعة عشر سنة، فأوصى بثلاث ماله للمؤذنين

بجامع الأندلس، وأوصى لأمه بماله تكون مشرفة عليه، قال: جدتي: فقلت: يا بني: أوصيت بالثلث للمؤذنين، وأوصيت لوالدتك بالإشراف، وهي مبذرة قالت: قال لي: أما ما أوصيت به للمؤذنين فقد اشتريت به قصراً في الجنة، وأما والدتي فعلمت أنها مبذرة، وأن ولدي يفسد ما تركت له من المال، أردت أن استرضيها بذلك، وأما ولدي هذا فقد جعلته وديعة الله.

قالت: ثم نظر إلي وهو في آخر الرmq قال: استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، ومات في حينه، وقالت أيضاً وقال ولدي: هذا توكلت به على الله، قال: والله ما انتفعت بشيء من ماله معتبر، ولا أحوجني الله Y لشيء أبدلاً إلا تيسير ولو مائة دينار إلا يسرت من وجه عزيز جلال، والحمد لله على ذلك.

وكانت جدتي تُغذي بالجزوز تضعه مع التين وتطعمني إياه، ولم أَرْضع إلا تسعة أشهر، والسبب في ذلك: إن أعطته لمرضعة بحقها، فبلغها عنها: إنها قالت: هو يتيم شريف، وأنا أربيّه لوجه الله، فربته على يديها، وحدثت عن المرضعة: إنها لم تجده ليلة في موضعه، ووجدته في الموضع الذي كان فيه نوراً، قال: فالله أعلم أن ذلك عناية، قال: ولقد حججت أول حجة بمائة وسبعين ديناراً ما أعلم منها يوم خرجت أو قال: يوم عزمت درهماً واحداً أملكه، ولا يوم خرجت من البلد إلا حماراً، وكذلك في الحجة الثانية إلا حماراً وكثبات لم يعد ذلك على في شيء، ولقد تزوجت خمسا من النساء كلهن على الفتح من أول الأمر إلى آخره.

ويجري على يدي من الأرزاق لكثير من الناس ما لا أحصى، فله المنة والشكر على تمام النعمة، وكان الوالد سماني محمداً، فلما توفي نقلتني جدتي لاسمه أحمد، فجمع الله لي بين الإسمين الشريفين، واخترت أحمد؛ لثلاثة أوجه أحداها: لألفي به وجريانه علي عند جدتي التي كنت أسكن إليها؛ ولأنها أوفق بي مع أنها عالمة صالحة، الثاني: نويت ذلك، فرأيت أنه لم يتغير في السنة العامة؛ بل هو باق



على أصل الوضع بخلاف الاسم الآخر، فإن العامة غيّرت حركاته، ولو أن رجلاً تمسك بوضعه الأول كفروه وبدعوه، والأسماء معتبرها باللفظ، وذكر أوصافاً غريبة في تربيته أضربنا عنها اختصاراً.

قال: لما دخلت في المكتب، كتب لي الفقيه سورة ألم نشرح في كفي الأيمن بالعسل فلعقته، فكنت أحفظ القرآن، واهتديت إلى المكتب، فما هربت منه قط، ولا أعلم أنني لم أحفظ لُوحى إلا يوم واحد.

الثانية: ما لعبت في المسجد قط، ولا جريت فيه إلا يوماً واحداً، فأصابني حبة في إبهامي حتى تدودت وانشنت، ثم جرى من سنتي: إنه ما وقعت في ذنب إلا عوقبت به في الحين، وكنت مرضت بمصر أربع مرات، وكل مرة أبقى فيها أربعة شهور، وفي كل مرة لا أبرأ حتى أدوم على أكل الزيتون الأسود لا تقوى بغيره.

وكان آية الله في الحفظ والاتقان والغيرة الكاملة قلت: فاذكر سلسلته إلى الشيخ أبي مدين، وشيخه سيدي أبا يعزى، وسيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أبا الحسن الشاذلي، وتحقيق اتصالنا بهم، حقق الله القصد بذلك آمين.

والتعريف ببعضهم على وجه الاختصار، ولا بد أن أطنب في بعضهم لما فيه من المصلحة، فأقول: والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل

فأما شيخ شيوخنا سيدي أبي العباس زروق  $\tau$  إمام وقته، وسيد من أتى بعده فتوفي عام تسعة وتسعين ليلة الأحد لثمان وعشرين خلون من صفر وثمانمائة بمصر، أو بذات الرمال وهي من أطراف برقة، وقبره بها مشهور يزار ومقام شريف، فهو أخذ عن الشيخ الإمام الحافظ أبي الخير شمس الدين محمد السخاوي أبي زيد عبد الرحمن بن عمر القباب عن تاج الدين بن عطاء الله عن الشيخ أبي العباسي المرسى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي عن سيدي أبي عبد الله محمد بن علي بن حرازم عن الشيخ الإمام سيدي أبي محمد صالح عن شيخه سيدي أبي مدين عن

شيخه سيدي أبي يعزى عن شيخه سيدي أبي بكر بن العربي عن سيدي طاهر بن زيان أحد أركان هذه الطريقة عن سيدي علي بن حرازم عن شيوخ سيدي أبي يعزى كما ذكره عن سيدي أبي حامد الغزالي، وقد أخذ أيضاً عن سيدي علي بن حرازم عن عمه وشيخه أبي محمد بن حرزهم، وهو قد أخذ عن الغزالي، كما ننبه عليه إن شاء الله تعالى عن شيخه إمام الحرمين أبي المعالي  $\tau$  عن شيخه أبي طالب المكي، وأخذ أبو المعالي أيضاً عن الأستاذ أبي القاسم القشيري، وأخذ أبو طالب عن إمام الطائفة وانتمى لابن سالم، وإمام الطائفة عن السري عن الكرخي عن الطائي عن حبيب ابن العجمي عن الحسين البصري عن أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن سيد المرسلين  $\rho$ .

واعلم أن أبا العباس زروق أدركنا جماعة أدركوه، ورأوا من رآه كالشيخ التقي الحاج الرحال، وسيدي أبي محمد يعزى الجزولي، وقد لقي سيدي الخطاب الذي أخذ عن الشيخ زروق، وكذا الشيخ الحافظ المقرئ التالي لكتاب الله  $Y$  أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشريف أدرك الخطاب، فحدثه بكثير من غرائب الشيخ زروق، والذي لقيه وأخذ عنه، ولقيناه هو أبو عبد الله سيدي محمد بن علي الحزوي الطرابلسي المستغامي.

وكذا لقي شيخه سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني قال: كان ينزل ببلدنا ويقيم بها الأيام العديدة، وكان كفيفاً مقعداً.

وكانت والدتي تخدمه في ضرورياتها، وربما تسمعه يتكلم ويخاطب، ولا يرى عنده أحد، وربما سأله فيقول لها: طائفة من الجن المؤمن، أو قال من صبيان الجن.

وللشيخ أبي العباس زروق شيوخ شتى في الظاهر والباطن؛ لكن معتمدة من المغاربة: سيدي أبي عبد الله القوري الإمام الشهير بالأنزّه واسمه: محمد بن قاسم وكان آية الله بمدينة فاس شيخ الجماعة حفظاً وإتقاناً وإدراكاً واستحضاراً للنوازل وقضايا التواريخ، وقال أبو العباس

زروق: والإمام ابن غازي مجلسه كثير الفوائد ومليح الحكايات، وله قوة عارضة، ومزيد ذكاء مع نزاهة وديانة، وحفظ مروءة وكان يُلَازِم قراءة المدونة ينقل عليها كلام المتقدمين والفقهاء والموثقين، ويُطرز ذلك بحكاياتهم ومولدهم ووفاتهم، والتنقيح على أبنائهم، ويشبع الكلام في الأحاديث التي ينزعون بها في الانتصار لمذهبهم، فكان مجلسه نزهة للسامعين.

وتوفي رحمه الله عام اثنين وسبعين من القرن السابع ومولده في أوائله بمكناسة الزيتون، ودفن بباب الحركة من مدينة فاس.

والشيخ الصالح العالم مفتي المسلمين: أبو محمد سيدي عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي قال: حملت إليه وأنا رضيع، ولم أزل أتردد إليه في ذلك السن؛ لكون جدي كانت تقرأ عليه مع أخته فاطمة وأم هاني، وكانتا فقيهتين صالحتين قطب في السخاء، وإمام في نصيح الأمة، أمات كثيراً من البدع الكائنة بالمغرب، وأقام الحدود والحقوق، وتولى في آخر عمره خطابة جامع القرويين نحواً من سنتين ثم توفي سنة تسع وخمسين وثمانمائة.

وأما عُمدته في شيوخ المشرق: فالشيخ الإمام الصوفي المحقق أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي المصري الدار والوفاء، آية الله في المعارف والحقائق وتوآليفه في ذلك عجيبة منها: صدور المراتب، ونيل الراغب، ومنها: بداية العقول ونهاية النقول، وكلامنا في هذا الشأن عجيب، توفي عام خمس وتسعين من القرن التاسع.

ومن أشياخه: سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني، وله مغربات وحكايات أضربنا عنها اختصاراً؛ كآبي عبد الله بن زمام، وسيدي أبي عبد الله السنوسي، وأبي سالم سيدي محمد ابن إبراهيم التازي الوهراني وغيرهم مما يقرب من ثلاثين شيخاً.

والذي كان عُمدته في شيوخ المشرق: الشيخ الإمام الحافظ الورع الأنزه الأنقي العلامة تاج المحدثين وإمام المستندين، فجر الدين، وشمس العارفين: أبو عمر عثمان

ابن محمد بن محمد المصري، تُوفي أوائل القرن العاشر بعد وفاة أبي العباس زروق، وكان قد أجاز شيوخ المغرب في زمانه علي يد أبي العباس المذكور: كالشيخ الإمام الحافظ المساور الناقد: أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن الغازي العثماني المكناسي، والشيخ الأنزه المحصل جامع أشتات الفتاوى: أبي العباس أحمد ابن يحيى الونشريسي صاحب المعيار المقرب وإيضاح المسالك وغيرهما من شيوخ فاس.

فكان أبو العباس المذكور واسطة بينهم وبينه، وحق له ذلك، وقد نظم الشيخ الفاضل أبو المكارم سيدي طاهر بن زيان نزيل طيبة المدينة المشرفة المجاور بها أربعين سنة قال: ٧

الحمد لله الذي هدانا مذاهباً وطرقاً حسناً

ج

ججج

ودين خير الخلق قد صلى عليه ربنا

هـ\_\_\_\_\_دانا اجتبان\_\_\_\_\_ا

ججج

ج

طريقنا للشاذلى وأنه محرر مهذب

تنسب\_\_\_\_\_ب

ج

وهو رسمى ومعنوى وهاهنا فلنذكر

الرسمي\_\_\_\_\_ي

ججج

جج

والمعنوى واحد في عن واحد إلى النبي  
الأقطاب والأصحاب

ج

والسند الرسمي وشاذلى قل ومدني  
زروقى جج

ج

فأروه عن زروقنا عن السخاوى عن  
الشهاب القباب

ججج

ججججج

عن ابن عبد البر عن ابن عطاء شيخ  
تاج الدين التمكين

جج

ججج

عن شيخه المرسى الشاذلى ذوى الطريق  
عن الشيخ الكبير المستنير

جج

جججج

عن شيخه ابن بن علي الإمام المهتد

حـرـزهم محمد ججججججج

جج

عن شيخه أعني أبي محمد ويدعي

الإمام الناصح صـالـح

جج

جججج

عن شيخه القطب أبي يعزى صاحب

أبي مدين عن السر الحسن

جج

جججج

عن شيخه الشيخ ابن حرازم عن ابن

على المغربي العـربـي

جج

جججج

عن شيخه عبد الله عن شيخه الزكى أبي

الغـزالي المعـالي

جججج

عن شيخه مؤلف طالب علي المكي

القــــــــــــــــوت أبي جج

جج

عن الجنيد وهو عن  
ســــــــــــــــرّى عن شيخه الكرخي  
عن الطائي

جججججج جج

عن شيخه حبيب  
الرضــــــــــــــــي عن ذي المعالي حسن  
البــــــــــــــــصري

جججججج جججج

عن الشهاب التقى  
العلــــــــــــــــي حيدرة على المكي  
ججج

جج

عن النبي المصطفى  
محمــــــــــــــــد سيد كل أحمر  
وأــــــــــــــــسودا

جججججج جج

صلى عليه ربنا تعالى  
ما أفل البرق وما  
تــــــــــــــــالاً ججج





مثل هذا وكتبه كلها نافعة وخصوصاً كتاب «التنوير للمريد السالك الخائف والمحقق المنتهي العارف».

وكذلك كتاب: «اللطائف لصاحب الجمال ومن هو متحل بحلة الكمال» وعلى منواله «تاج العروس» ١٠٠ وكتابه «مفتاح الفلاح» يصلح للسالكين خصوصاً، وكتابه: «الكلام المجرد في الاسم المفرد» يصلح لصاحب التوجه وهو T.

كما قال في حكمه: مَنْ أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته، وحليت إليهم إشارته فلم يسمع فيها إلا القبول التام والمحبة له العام وما ذلك إلا لما انطوى عليه صاحبه من علي المقام.

وأما شيخه أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي السكندري المرسي المتوفى عام خمسة وثمانية وستمئة كان آية الله في الحقائق والمعارف ولم يوجد مثله قبله وقد شهد له الشيخ أبو الحسن بأكبر المقام وكذا غيره ممن كان في زمانه، وقد استوفى ما يستحقه تاج العارفين في أوصافه في لطائفه.

لكن نذكر هنا من أوصافه نبذة لطيفة محبة لقاصد هذه الطريقة الشريفة، فمن وصايا الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي على محبته والتزام مذهبه وطريقته.

قال زكي الدين الأسواني T: قال لي الشيخ أبو الحسن الشاذلي T: يا زكي عليك بأبي العباس فوالله ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء إلا وقد وصله إلى الله Y، يا زكي عليك بأبي العباس فوالله ما من ولي كان أو سيكون إلا وقد أطلعه الله عليه أو قال أظهره الله عليه، يا زكي أبو العباس هو الرجل الكامل.

وكان يقول: الولي إذا أراد أغني، وقال له الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت، وقال له أيضاً: يا أبا العباس فيك ما في الأولياء وليس في الأولياء ما فيك رضي الله عنهما، وقال T: لو

فاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما أعددت نفسي من المستلمين، وكان يقول: ماذا أصنع بالكيمياء؟ لقد أدركت أقواماً يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فتشمر زمانها للوقت، فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء، قلت: هؤلاء هم الكيمياء؛ بل هم أفضل لمن عثر عليهم. وكان يقول: والله ما تطالع كلام القوم إلا لنرى فضل الله علينا يعني: لما يجري قلبه من التحقيق.

### ومن بعض كراماته وفراسته:

قال ولده جمال الدين: نزل به ضيف، وقال في نفسه أشتي من ينهني قبل الفجر بمنزلة، ويأتيني بإبريق من ماء سخن، ويأتيني بسراج ويرني محل الطهارة، قال: فبينما أنا قبل الفجر إلا وطارق يدق الباب فخرجت، فإذا هو الشيخ فقال لي: الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا إبريق ماء سخن وهذه شمعة تعالي حتى أريك محل الطهارة.

وروي عنه  $\tau$ : لما قال تاج الدين لبعض أصحابه: أريد أن يجعلني الشيخ في باله أو قال: في خاطره فبلغه ذلك فقال له: لا تطالبوا الشيخ أن تكونوا في خاطره؛ بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خواطركم فبقدر ما يكون عندكم تكونون عنده، ثم قال له: أي شيء تريد؟ والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا، قال: فلما أثبت على قوله ليكونن لك شأن فكان من فضل الله سبحانه ما لا ننكره.

ومن عجائبه أنك لا تتحدث معه في علم إلا ويتحدث معك فيه وكانت كتبه في أصول الدين: الإرشاد والتقريب، وفي الفقه: الرسالة والتهذيب، وفي الحديث: المصاييح لأبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي، وفي التفسير: كتاب ابن عطية، وأما علم التصوف فهو قطب رحاها وشمس ضحاها.

قال الشيخ: تقول إذا سمعت كلامه هذا كلام من هو مطلع على غيب الله فهو بأخبار أهل السماء أعلم منه بأخبار أهل الأرض، وقال فيه شيخه أبو الحسن أبو

العباس: بطرق أهل السماء أعلم منكم بطرق أهل الأرض فلا تسمعه يتحدث إلا على العقل الأكبر وشأن القبضتين ودوائر الأولياء ومقامات الموقنين وإمام المقربين عند العرش وعلوم الأسرار وامداد الأذكار ويوم المقادير وغير ذلك من الأسرار العجيبة والعلوم الغريبة، وقد زهد في أبناء الدنيا ورئاستهم حتى أنه مكث بالإسكندرية ست وثلاثين سنة فما رأى موليكها ولا أرسل إليه وطلب منه ذلك المتولي ملاقاته فأبى  $\tau$  من ذلك حتى أنه قال له زكي الدين الأسواني متولي الإسكندرية: يؤثر الاجتماع بك تأخذ بيده فتكون شيخه، فقال: يا زكي لست ممن يلعب به مع الله إنما ألقى الله ولا يراني ولا أراه فصدق الله قصده لقوة همته وعظيم عزيمته، وهكذا شأن ذوي الهمم العالية.

قال التاج: لقد كان يأتيه متول النظر وناظره مشيد الدواوين به فليلة إتيانهم يغلب عليه القبض ولا ينبسط في الكلام كعادته في عدم حضورهم أنه خرج من الدنيا وما وقع لبنة على أخرى، ولا حجر على حجر، ولا اتخذ سبتاناً، ولا استفهم سبباً من أسباب الدنيا قلت: كانوا لله حقاً فكان بهم لطيفاً ولهذا قالوا أربعة من الشيوخ: خرجوا من الدنيا ولم يدخلوا في أسبابها فكفاهم الله من جميع همومها وأبوابها سيدي أبو مدين وسيدي أبو العباس المرسى وسيدي أبو عبد الله الهزميري وصنوه.

أمّا أبو مدين لما قيل: ألا تتسبب؟ قال: نحن ضيفان الله والنبي  $\rho$  قال: «الضيافة ثلاثة أيام» (١٠١).

ومولانا قال: في اليوم ألف سنة فنحن في ضيافته في الدنيا، وما بقي يكمله لنا في الآخرة.

وأمّا أبو العباس المرسى لما قيل له ألا تتسبب؟ قال: للناس أسباب وسببنا الإيمان والتقوى.

قال مولانا  $\gamma$ : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأما الصنوان فقالا: نحن في دار الضيافة استحيينا منه أن ندبر معه وهو يدبر علينا وقد أمرنا بخدمته وتكفل لنا بقسمته.

قال Y: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال Y: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وكان أبو العباس أراد صاحب الأمر بالإسكندرية أن يحاسبه ويعين أصحابه ويوسع عليهم، فقال: حتى أشاور أصحابي، فلما شاورهم رأى منهم ميلاً لذلك فقال لهم: اللهم أغننا عنهم ولا تغننا بهم وكان T مع حفظه للتفسير واتقانه للمعاني ربما فسره على مذهبهم الاقتباسي.

يُحكى عنه T قال في قوله Y: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

قال: سمي خليلًا؛ لأنه تخالل سره محبة الله تعالى.  
وقال الشاعر:

قد تخللت مسلك وبذا سمي الخليل  
الروح مـني خلـيلاً  
ججج

وإذا ما نطقت وإذا ما صمت  
كنت [حكيمًا] كنت العليلاج

قال T عند قوله Y: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٦]. بمقتضى قوله حسبي الله قلت.

ويصح أن يكون وفى لله في كل ما اقتضاه منه حق

العبودية فكان مستسلماً إليه في جميع الأحكام فلماً أتاه جبريل قال: أليس لك مني حاجة؟ قال: أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى.

وكذا في ولده فاستسلمه للقربان فلما علم صدقه فدي بالقربان فلماً تحقق صدقه بالامتحان جعل للناس إماماً. وروى: إنه امُتحن بأربعين آية فوفى فيها بحقائق الصدق.

وروي عنه  $\tau$  أنه قال في قوله  $Y$ : ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] من طاعتهم ومن أعمالهم التي قاموا فيها في ليلهم ويشهدونها في نفوسهم. قال تاج الدين في لطائفه: دليل ما قال الشيخ  $\tau$ : إن الله وصفهم قبل ذلك بقوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

ثم قال: وبالأسحار هم يستغفرون فلم يتقدم في ليلهم ذنوب يكون استغفارهم منها وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي  $p$ : «كان إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً» (١٠٢). قلت: وعلى هذا توأطأت المحققون من أهل هذا الشأن الاستغفار من رؤية الأعمال، بل ومن كل شيء دونه يتوبون بكرة وعشيا.

وكلما رأوا من أعمالهم لا يعدون له بحسنة يقولون الخالص من الأعمال مرفوع من القلوب فلا نراه فكان شأنهم التحقق في العبودية والقيام بأوصاف الربوبية والفرار من الحظوظ النفسانية وكتاب تاج الدين استوفي جميع ذلك على الجملة والتفصيل فهو مشتمل على دواوين التصوف الكبار وقد قرئ بين يديه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

قال  $\tau$ : بقرة كل إنسان نفسه والله يأمركم بذبحها، ومعنى كلام الشيخ أن بني إسرائيل لما وقع القتل فليلهم: اذبحوا البقرة، واضربوا الغير بقلبها أو بلسانها، فأخذ

منه ٢ أن الإنسان إذا قيّد نفسه بقيود الشرع حتى لا يكونوا لها نزوع ولا روغان ولا اتباع الهوى في الرخص، ولازم الذكر باللسان والمراقبة بالجنان فإن الله يحيي قلبه بالعرفان لما أحيا هذا الميت، والبقرة التي ذبحت لها سر عجيب وكرامة استودعها الله واستودع ولده فحفظه فيها أضربنا عن بيان ذلك اختصاراً ومذهبهم رضي الله عنهم عدم المساكنة لشيء من الأشياء كائن ما كان من حال أو من مقام.

يحكي عن محيي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي قال: كنت وصاحب لي بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط وهناك مسجد تأوي إليه الأبدال، فرأيت أنا وصاحبي رجلاً قد وضع حصيراً في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الأرض وجعل يصلي عليها فجئت أنا وصاحبي فوقفنا تحته وقلت:

شُغل المحبُّ عن في حب من خلق

الحبيب بسرّه الهوى وسخره

جججج

ججج

العارفون عقولهم عن كل كونٍ

معقولة ترتضيه مطهرة

جججج

جج

فهم لديه مكرمون أسرارهم محفوظة

وعنده ومحررة

ججج

ججج

قال: فأوجز في صلاته.  
وقال: إنما فعلت هذا لهذا المنكر الذي معك وأنا أبو  
العباس الخضر ولم أكن أعلم أن صاحبي ينكر كرامات  
الأولياء، فالتفت إلى صاحبي.  
وقلت: يا فلان أكنت تنكر كرامات الأولياء؟  
قال: نعم.

قال: قلت فما تقول الآن.  
قال: فما بعد العيان بيان.  
قلت: وهذا المسجد ما زالت آثار جدرانها يأوي إليه  
الصدّيقون.

يقال له: مسجد تاتوريت  
وكتب الشيخ أبو عبد الله بن النعمان ؑ للشيخ تاج  
الدين بن عطاء الله يوصيه بصحبة الشيخ أبي العباس  
والقيام بالصدق في خليفته وهذه قطعة مطلعها:

عطاكَ إله العرش سررتُ به في  
شيخك أحمد الصحب فالله أحمدُ

جججج جججج  
ووارثُ علمٍ وذاك قطب  
الشاذلي حقيقة فاعلموه وواحدُ

جججج جججج  
ويحكى عن الشيخ أبا العباس المرسى قال له شيخه أبو  
الحسن: إنك لبست اليوم ثياب البدلية حين مجيئهم الحجاز  
فكتب إليه في ذلك المعنى:

فيا رب بلغني إلى على ذلك الوجه

باب قدوتي الجميل تحييتي

جججج

جججججج

بها خلوة للشيخ أقبل أقدامًا سعت نحو

أعظم خلوة خلوة

جج

جججججج

وصحح لي عقدي وأخرج من ضيق

وعهدي ونيتي الضلال إلى الهدى

جججججج

جججج

بتلقينه الأذكار في وأشرقت الأنوار في

كل زورة كل وجهه

جججج

جج

فلا تسألوا يا قوم وأبصرت ما أبصرت

عن تلكم التي من ذلك الذي

جججججج

جججججج

ولكنني إن بحت أنوح عليها ولا أبوح



بجـت بعـبرتي ببعـــــــــضها

جججج ج

تصرف في سير فسبحان من أعمى  
القلوب بهيئي القلوب عن الذي

ججج جج

ومن الذي رُبِّي فأكرم به من حضرة  
بحضرة شيوخه بعد حضرتي

جج

عدت حلة الأبدال وكان جديراً في  
أول ســـــــــفرتي الجديد بحلة

جج جج

فلا وقفه للركب في كذلك قال الشيخ  
عام وقفتي وهو مسافر

جج جججج

أفي الوقت رباني علا في العلا أعلى  
كأحمد الذي مقام الأجابة

ججج

جج

فصلى عليه الله ما إلى قبره بعد القيام

لاح سائر بحججتي

ججججج

ج

وروى الإمام تاج الدين عن الإمام العارف نجم الدين بن عبد الله الأصبهاني نزيل مكة قال: قال لي شيخ صحبته وأنا ببلاد العجم: إنك ستأتي القطب بديار مصر فخرجت من بلدي قاصداً لذلك وأنا في بعض الطريق وإذا بجماعة من الشطار فأمسكوني.

وقالوا: هذا جاسوس فكتفوني ثم تشاورا فيّ فقال بعضهم: نقتله.

وقال آخر: لا تقتلوه فبتُّ مكتوفاً ففكرت في أمري.

وقلت: خرجت من بلادتي أريد من يعرفني الله تعالى والله ما جزعي من الموت، ولكن كيف أموت قبل أن أنال ما قصدت وقد عملت أبحاثاً ضمنت فيها شعراً لإمرؤ القيس:

وقد أوطأت وقد أتعبتُ

نعلي كل أرضٍ نفسي باغترابِ

جج

ججججج

وقد طُوفتُ في رضيتُ من

الآفاقِ حتى الغنيمَةِ بالإيابِ

جج

ججججج

قال: فما استتممت الإنشاد إلا وأنا أرى رجلاً كثر  
اللحية طاهر الهيئة انقض علي كالبازي إذا انقض على  
الحجلة فحل وثاقي.

وقال: قم يا عبد الله وأنا مطلوبك ثم إني قدمت ديار  
مصر فسألت عنك.

ف قيل لي: ها هنا رجل يقال له أبو العباس المرسى،  
فذهبت إليه فإذا هو الرجل الذي حل وثاقي.

وقال لي لما وقع بصره علي: لقد أعجبتني تضمينك ليلة  
أسرت وقوله وذكر الآيات إلى آخرها.

قال: لما سافرت للديار المصرية وصحبت الشيخ  
لحقتني فاقة شديدة في الطريق فقال لي: يا أحمد إن الله  
خلق آدم بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة نصف  
عمره وهو خمسمائة سنة ثم أنزله إلى الأرض لا لينقصه  
وإنما أنزله ليكمل به الله لقد أنزله قبل أن يخلقه فقال: ﴿إني  
جاءل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠].

وإن آدم كان يعبد الله بالتعريف فأنزله إلى الأرض  
ليعبده بالتكليف حتى يستكمل فيه العبوديتين عبودية  
التعريف وعبودية التكليف، ولذلك استحق أن يكون  
الخليفة وكذلك كنت أنا في سماء المعارف، فأنزلت إلى  
مقام تعب النفس والتكليف، فلذلك تستحق أن تكون  
خليفة.

وروى ياقوت العرشي فيما نقله ابن الصباغ وكان من  
أصحاب الشيخ قال: كنت أتعبد في مسجد خارج  
الإسكندرية فبقيت فيه مواصلاً فأصابني الجوع، فدخلت  
الإسكندرية قاصداً للشيخ، فوجدت في طريقي درهماً،  
فأردت أن أشتري به خبزاً وإداماً فرأيت في السوق زبياً  
طيباً و كنت أعلم أنه يحبه؛ لأنه من بلاد الأندلس وهو  
كثير ببلاده فاشتريت زبياً وأثرته على نفسي، وقصدت  
إليه فوجدته جالساً في القلعة؛ لأنه كان يسكنها بعد  
الشيخ.

قال: فوضعت الزبيب بين يديه وجلست ساعة وأردت

أن أقوم.

فقال لي: اجلس فجلست وإذا برجل وصل بمائدة فيها كبش سمين ورقاق طيبة.

فقال: هذا فتوحك لما آثرتني علي نفسك وأنت جائع فكل فأكلت وحدي حتى امتلأت ثم أمر الفقراء بأكل ما بقي.

ثم قال: ارفع الزبيب وتصدق به فإنه لا تباح لنا اللقطة. واعلم أن هذا الشيخ حقائقه ومعارفه وكراماته ومكاشفاته وأسراره لا يحيط بها الحصر كالبحر الذي لا تعد أمواجه.

وأما شيخه الذي أخذ عنه فهو الإمام الأوحى سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عرف بالشاذلي.

وكان مولده ٢٠ بالمغرب من جبل عمارة سنة إحدى وسبعين وخمسائة، وعمره حينئذ خمس وثمانون سنة.

ويُحكى عنه فيما رواه ابن الصباغ في درايته قال: لما وصلت الديار المصرية وسكنت فيها قلت: يا رب أسكنني في بلاد القبط وأدفن بين الفراعنة.

فقال لي: يا علي تدفن في أرض بكر ما عُصي الله عليها قط.

قال: أبو العزائم ماضي بن سلطان وكان خاصاً بخدمة رضي الله عنهما لما توجه في السفرة التي توفي فيها كنت تزوجت امرأة من أهل الإسكندرية وكانت حاملاً، فجعلت تبكي وتقول: كيف تتركني على هذه الحالة؟

فأتيت الشيخ وأعلمته بأمرها، فقال لي: أدعها إلي فأتيت بها عليه فلما دخلت عليه، قال لها: يا أم عبد الدائم

اتركي لي ماض يسافر معي وأرجو لك من الله.  
فقالت له: يا سيدي السمع والطاعة فدعا لها وانصرف  
فلما كان بعد أيام ولدت ولطف الله بها وعاملها ببركة  
دعاء الشيخ، فسمت الولد عبد الدائم كما قال الشيخ  
وكان مبارك الأحوال فلما تجهزنا للسفر.

قال لنا الشيخ: احملوا معكم فأسأ ومسحة فإن توفي منّا  
أحدٍ واريناه في التراب ولما يكن له من ذلك عادة متقدمة  
في جميع سفراته وحجاته فكان ذلك منه إشارة لوفاته  
رحمه الله تعالى.

قال صاحب الدرة: وحدثنا الشيخ الصالح شهاب الدين  
أبو عبد الله ولد الشيخ قال: كان عندنا شاب يقرأ معنا  
القرآن وتربى معنا يتيماً لا أب له وأمه في الدار عندنا،  
فلما أراد الشيخ السفر أمرنا أن نتحرك معه بجميع الأهل  
والأولاد فتشوق إلى السفر معنا.

فقال: املوه معكم فجاءت أمه، وقالت: عسى أو لعل  
أن يكون نظر كم عليه.

قال لها: يكون نظرنا عليه إن شاء الله تعالى إلى حميثاء.  
قال: فسافرنا فلما دخلنا البرية مرض الشيخ ٢ ومات  
الشاب قبل أن يصل إلى حميثاء بمرحلة فأردنا أن ندفنه.  
فقال لنا: املوه إلى حميثاء فلما وصلنا غسلناه وصلى  
عليه ودفناه وكان أول من دفن بها، وتوفي الشيخ في تلك  
الليلة.

قال: وكان قد جمع أصحابه في تلك المشية فأوصاهم  
بأشياء وأوصاهم بحزب البحر، وقال: احفظوه لأولادكم؛  
لأن فيه اسم الله العظيم الأعظم وهو مما أتخف الله به  
الشيخ في ذلك السفر كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وخلا بسيدي أبي العباس وحده وأوصاه بأشياء  
واختصه بما اختصه الله به من البركة وقال لهم: إذا أنا مت

فعليكم بأبي العباس المرسى فإنه الخليفة من بعدي وسيكون له بينكم مقام عظيم وهو باب من أبواب الله سبحانه.

قال ولد أبو عبد الله: فلما كان بين العشاءين ناداني يا محمد املاً لي إناء من هذا البئر.

فقلت: يا سيدي ماؤها مالح زعاق والماء عندنا عذب.

قال: اثنتي منها فإن مرادي غير ما أنت تظن.

قال: فأتيته بإناء ملأته من البئر فشرب منه وتمضمض ومج في الإناء.

ثم قال لي: رده إليها فرددته إليها فحلا ماء البئر وعذب وكثر بإذن الله تعالى.

قال: وبات تلك الليلة متوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى ذاكراً اسمه يقول: إلهي إلهي إلى السحر فلما كان السحر سكن فظننا أنه نام فحركناه فوجدناه مات، فاستدعينا سيدي أبي العباس فغسله وصلينا عليه ودفناه بحمىء.

قال صاحب الدرة: ببرية عذاب في وادٍ على طريق الصعيد وقد شربت من مائها وزرت قبره، ورأيت له بركات نفعا الله به في الدنيا والآخرة.

قال: لما دفنوه اختلفوا في الرجوع والتوجه إلى الحجاز.

قال لهم أبو العباس: الشيخ أمرني بالحج ووعدني بكرامات ورأينا أسراراً وبركات كما قال الشيخ أبو العباس، ورجعنا صحبتة بعده، وظهر من بعده ظهوراً عظيماً، وظهرت له بركات كثيرة.

قال الشيخ: قلت إلهي متى يكون اللقاء؟

قيل لي: يا علي إذا وطأت حصيراً فحينئذ يكون اللقاء.

وقال: رأيت أني أدفن إلى دير جبل بإزائه بئر قليلة الماء مالحة يكثر ماؤها ويعذب.

قال الشيخ ابن الصباغ في دُرته: وحدثني الشيخ الفقيه

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرافع رحمه الله تعالى، قال: لما توجه الشيخ أبو الحسن الشاذلي للحج في سفرته التي توفي فيها.

قال: في هذا العام أحج حج نيابة، فمات قبل أن يحج فلما رجع أصحابه للديار المصرية سألوا المفتي عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالته، فبكى.

وقال لهم الشيخ: والله أعلمكم بموته وما عندكم به خبر، وأعلمكم أن الملك هو الذي يحج نائباً عنه؛ لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَاصِدًا لِلْحَجِّ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَحْجَ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَكِّلُ مُلْكًا يَحْجُ عَنْهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَائِبًا عَنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١٠٣).

وقال صاحب الدرّة: حدثني قاضي القضاة عماد الدين بالإسكندرية.

قال: توفيت امرأة بالإسكندرية وكانت مسرفة علي نفسها، فرؤيت على حالة حسنة، فقيل لها: ما فعل الله بك؟

قالت: مات الشيخ الصالح أبو الحسن علي الشاذلي ودفن بحصيرنا فغفر الله لكل من مات اليوم من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فغفر لي من أجله تعظيماً له وإكراماً لحقه، فلما قدم الحجاج، وأخبروا بوفاته فأذا التاريخ في ذلك اليوم.

وصفته  $\tau$  كان أديم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، فصيح اللسان، عذب الكلام، وكان يقول إذا تكلم واستغرق في الكلام: ألا رجل من الأخيار يحمل عنا هذه الأسرار، هلموا إلى رجل صيره الله بحر الأنوار.

وقال ٢ ليلة لأصحابه: أخذت ميراثاً من رسول الله ٣  
ومكنت من خزائن السماء فلو أن الإنس والجن يكتبون  
عني إلى يوم القيامة لكلوا، أو قال: مللوا.

روى عنه ٢: إنه دخل في هذه الطريقة وهو صغير  
وكان باحثاً على أكابرها يقتدي بهم، فدخل تونس وهو  
صبي وتوجه إلى الديار المصرية، وحج حجاً كثيرة  
ودخل العراق وهو يبحث عن الصديقين.

وروى عن صاحب الدرة قال: قال لي الشيخ أبو  
الحسن: لما دخلت العراق واجتمعت بالشيخ الصالح أبي  
الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله وكان مطلبي على  
قطب الزمان فقال بعض الأولياء أتطلب على القطب  
بالعراق وهو ببلادك أرجع إلى بلادك تجده فرجع إلى بلاد  
المغرب إلى أن اجتمع بأستاذه الشيخ العارف أبي محمد  
عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني.

روى: إنه كان يظهر له بالليل عموداً من نور، فقيل له:  
ذلك نوره وما زال يظهر له إلى أن بلغه.

قال رحمه الله تعالى لما قدمت على الشيخ وهو ساكن  
بمغارة برابطة بأعلى الجبل اغتسلت في عين بأسفل ذلك  
الجبل، وخرجت من علمي وعملي وظلعت إليه فقيراً وإذا  
به هابطاً إلي وعليه مرقعة وعلى رأسه قلنسوة من خوص.  
قال لي: مرحباً يا علي بن عبد الله بن عبد الجبار فذكر  
نسبي إلى رسول الله ٣.

ثم قال لي: يا علي طلعت إلينا فقيراً من علمك  
وعملك، فأخذت غني الدنيا والآخرة فأخذني منه الدهش  
فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله علي بصيرتي.

ورأيت له خوارق عادات، فمنها: أني كنت يوماً بين  
يديه وفي حجره ابن صغير له فخطر ببالي أن أسأله عن  
اسم الله الأعظم.

وفي بعض الروايات قلت: ليت شعري! هل يعلم هذا  
الشيخ اسم الله الأعظم، فإذا بالصبي وثب من حجره  
وحبس بطوقي.



وقال: يا أبا الحسن ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم، وإنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم يعني: إن سر الله مودع إليك أو قال: في قلبك. قال: فتبسم الشيخ، وقال: تفرس فيك ولدي وفي رواية أجابك عني ولدي.

قال: وكان إذ ذاك خليفة الزمان وصاحب الوقت. ثم قال لي: يا علي ارتحل إلى إفريقية واسكن بها بلدة تسمى شاذلة فإن الله Y سيسميك الشاذلي وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتي عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل إلى الديار المصرية وبها ترث رتبة القطبانية.

فقلت له: يا سيدي أوصني. فقال: يا علي الله الله والناس أمسك لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التماثل من قلبهم وعلبك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عندك أن تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك وقد تم ورعك، وقل: اللهم ارحمني من ذكرهم ومن العوارض من قلبهم، وبجني من شرهم، واغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم إنك على كل شيء قدير. ويحكى عنه أنه قال: دخلت مدينة تونس وأنا شاب صغير فوجدت بها جماعة شديدة والناس يموتون فيها بالأسواق والطرقات.

فقلت في نفسي: لو كان عندي ما أشتري به خبزاً لهؤلاء الجياع لفعلت فألقي في سري خذ ما في جيبك فحركت جيبى، فإذا فيه دراهم فأتيت إلى خباز بباب المنارة.

فقلت له: عد خبزك فعده عليّ، وأخذت الخبز فناولته للناس فتناهبوه وأخرجت الدراهم فناولتها الخباز فنظرها فإذا هي زيوف.

وقال: هذه مغاربة وأنتم من المغاربة تعلمون الكيمياء فأعطيته  
برنسي وكرزيتي

رهناً في ثمن الخبز، وتوجهت إلى جهة الباب وإذا برجل وقف عند الباب.

يقال: يا علي أين الدراهم؟ فأعطيتها له فhezها ثم ردها إلي.

وقال: ادفعها إلى الخباز فإنها طيبة فأخذت برنسي وكرزيتي، ثم طفت على الرجل فلم أجده فبقيت أياماً حائراً في نفسي فأردت معرفة الرجل ثم إني دخلت لجامع الزيتونة عند المقصورة في شرقي الجامع، فركعت تحية المسجد وسلمت فإذا بالرجل عن يميني، فسلمت عليه فتبسم.

وقال لي: يا علي أنت تقول لو كان عندي ما أطعم به هؤلاء الجوعاء لفعلت تتكرم على الله الكريم في خلقه لو شاء لأشبعهم وهو أعلم بمصالحهم منك.

فقلت: بالله عليك يا سيدي من أنت؟

قال: أنا أحمد الخضر كنت بالصين.

فقل لي: أدرك وليي علياً بتونس فأتيت مبادراً إليك، فلما صليت الجمعة نظرت إليه فلم أجده.

وحكى عنه الشيخ الصالح أبو فارس سيدي عبد العزيز بن قنوح في فضائل سيدي أبي سعيد الباجي قال عن الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي: دخلت تونس في ابتداء أمري وقصدت جملة من المشايخ وكان عندي شيء أحب أن أعرضه على من يبين لي ما فيه يعني كانت له أحوال ومنازلات، وأحب أن تلقيها علي ذي بصيرة يشرح لي الحال.

قال: فلم أجد فيهم من يشرح حالي حتى دخلت على الشيخ الصالح أبي سعيد الباجي فأخبرني بحالي قبل أن أتيه له وذلك مرغوبي، فتكلم على سري فعلمت أنه ولي الله ولازمته وانتفعت به كثيراً.

قال ابن قنوج: سمعت منه هذا مراراً.

قلت: كراماته في الحقيقة تأدياً لكي يرجع إلى الحق

على كل حال وهكذا سنة الله مع أحبائه فحفظهم في اللحظات والخطرات ويتولاهم بلفظه فيخلصهم من الورطات.

قال ت: كنت في ابتداء أمري أطلب علم الكيمياء وأسأل الله.

فقال لي: الكيمياء تجدها في بولك، اجعل فيه ما شئت تجده كما شئت، فجئت فلساً وطفيته فيه فعاد ذهباً فرجعت إلى شاهد عقلي.

فقلت: يا رب سألتك عن شيء فلم أصل إليه إلا بمحاولة النجاسة.

فقال لي: يا علي الدنيا قدرة فلا تصل إليها إلا بالقدارة.

فقلت: يا ربي أقلني منها.

فقال لي: احم الفلس يعود كما كان.

ورأيت في بعض كرامات الشيخ أنه قيل له: احمي الفلس وبُل عليه يعود كما كان وفيه تنبيه وإشارة، ومعناه: اجعل الدنيا هكذا.

وقد حكى عن بعض المتوكلين أنه أراد أن يختبر نفسه في التوكل، فنام في طريق الأسد فلما أتى إليه شمه ثم رفع رجله، فبال عليه وتركه ومضى.

وقال في نفسه: الحمد لله الذي لم يرضك إلا لبوله.

وهكذا شأن الصديقين لهم أفهام خفية لا يفهمها إلا ذو النفس الزكية وما زال الشيخ أبو الحسن ملازماً للشيخ الباجي وكان شيخ الجماعة وكان ذا كرامات كثيرة أدرك الكثير من أصحاب أبي مدين، وكانوا يعظمون قدره وينوّهون باسمه، توفي رحمه الله عام ثمانية وعشرين وستمائاً وقبره مشهور بالمرسى خارج تونس.

وقال السكندري: وكان له حظ وافر في العلوم وكان أخذها عن شيوخ المغرب كتباً منها: كتابه «النحو المجلد» للزجاجي، وفي «التفسير» المهدوي وابن عطية،

وفي الحديث «الموطأ» و«المصابيح»، وفي الفقه «رسالة ابن أبي زيد» و«التهذيب» للبرادعي، وفي التصوف «الإحياء» و«القوت» وكتاب «الختم» للحكيم الترمذي، و«الحقائق» للسلمي حتى كان يدعو للمناظرة. وكان كثير السياحات بقي ما يقرب من عشرين سنة.

قال: كنت في سياحتي عشرين سنة فأتيت إلى غار لأبيت فيه فسمعت فيه حس رجل.

فقلت: والله لا أشوش عليه في هذه الليلة، فبت علي فم الغار فلما كان عند السحر سمعته يقول: اللهم إن قومًا سألوكم إقبال الخلق عليهم، وأنا أسألك إعراضهم ولا تسخر لي منهم أحد واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك، ثم خرج فإذا هو أستاذي. فقلت له: سمعتك تقول البارحة كذا وكذا.

فقال: يا علي أيهما خير لك؟ تقول: كن لي أو سخر لي قلوب عبادك فإنه إذا كان لك كان لك كل شيء. ورؤي أنه قال: كنت كثيرًا ما أتردد هل ألزم البراري والقفار للتفرغ للعبادة والدعوات والأذكار؟ أو ألزم المدائن والحضر لطلب العلم والأثر؟ فأتيت إلى الشيخ فلم أدركه إلا ليلاً لا أدخل عليه حتى يصبح فسمعته يدعو بهذا الدعاء.

فقلت: يا نفسي من أي بحر يغترف هذا الشيخ؟

فلما دخلت عليه قلت له: كيف أصبحت؟

قال: أشكو إلى الله برد الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار.

قلت: أمّا شكواي: أي من حر التدبير؛ فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأمّا شكواك أنت فلم أفهمه.

قال: خشيت أن تشغلني حلاوتهما عن الله Y.

قال جماعة ممن تعرض لكرامة هذا الشيخ: لما توجه إلى إفريقية بأمر أستاذه نزل بشاذلة ما شاء الله تعالى، ووصل

إلى تونس من جهته فصل العيدين ولقي بها خطاباً من شاذلة فخرج معه متوجهاً إليها فنسي الخطاب حاجة في السوق، فرجع قاصداً إليها وترك الحمار عنده.

فلما توجه حدثته نفسه والشيطان أن هذا الرجل غريب يهرب بالحمار وتبقى في عدمه على ما به من الفقر فناده الشيخ.

وقال له: يا بني خذ حمارك معك وأنا انتظرك حتى تعود إلى ليلا لئلا أهرب لك بالحمار على زعمك فبكى الخطاب.

وقال: والله ما اطلع على هذا أحد إلا الله Y فعلم بولايته فجعل يقبل يديه، ويسأله الدعاء ثم انصرف لحاجته، وعاد إليه فحلف له أن يركب فركه وأردفه خلفه.

فقال له: والله ما كان الحمار يحملني إلا بعد جهد لضعفه وقلة علفه.

قال: فمشينا نحو الميل، ونزل الشيخ وإذا نحن نزلنا بلدة شاذلة.

قال: فدخلت هيئته وعلمت أن الله طوى لنا الأرض ببركته ثم هجمت عليه.

وقلت: يا سيدي إني مبتلى بالفقر والفاقة وأحتطب وأبيع فما أصل للقوت إلا بعد جهد جهيد، وكان في طرف كمة شعيراً اشتراه بقصد قوت العيال وعلف الحمار.

فقال له: هات ذلك الشعير فحملة من طرفه وأدخل يده فيه.

وقال له: اجعل ذلك الشعير في موضع أو قال: في قفة وأغلق عليه لا يطلع عليه أحد غيرك وكل منه، ما بقيت تشتكي الفقر أبداً، واسأل الله يغنيك ويغني ذريتك.

قال ابن الصباغ: فلم يرى من ذريته فقيراً إلى الآن.

قال: فجعلت أدخل يدي وأخرج وأتصرف، وحرثت

على الحمار وزرعت منه فوجدت صابة كثيرة وحليت عليه، وكيّلته فوجدته على نحو ما كان فلما دخلت عليه قال لي: لو لم تكله لأكلت منه ما دام عندكم.

وأول من صحب الشيخ بشاذلة الشيخ الصالح الولي الناصح أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهل شاذلة وكان يحضر بتونس مجلس الشيخ العارف أبي حفص عمر الجاسوسي؛ وهو مشتمل في خلقان من الثياب. فكان الشيخ يقول فيه: العوالي في الحوالي فأخذت بيده يوماً.

وقلت له: يا سيدي أتحذك شيخي.

فقال لي: يا بني ارتقب أستاذك حتى يصل من المغرب شريف حسني من كبار الأولياء وهو أستاذك وإليه تنسب وكان يرتقب كل من يرى من الفقراء المغاربة ويصحبه حتى قدم الشيخ شاذلة، فاجتمع به وكان ذلك إكراماً به وسابقة خير له فصحبه ولازمه وتوجه معه إلى جبل زغوان وتعبد معه فيه وجاهد معه دهرًا طويلاً

وروي له كرامات وبركات وآيات حتى أذن للشيخ في النزول، فمما روي عنه من الكرامات ٢.

قال: قرأ يوماً على جبل زغوان سورة الأنعام إلى أن بلغ: ﴿وَإِنْ تَعَدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

أخذه حال عظيم فجعل يكررها ويتحرك ويتمايل يمينا وشمالا، فكل ما مال إلى جهة مال الجبل معه حتى سكن فسكن الجبل معه.

وسئل أبي محمد الحبيبي عن بعض كرائم الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي ٢ قال: رأيت منه أشياء كثيرة وتساءلتهم ببعض ذلك أقمت معه بجبل زغوان أربعين يوماً أفطر على العشب وورق الشجر حتى تجرحت أشداقي.

فقال لي: يا عبد الله كأن اشتهيت الطعام يا سيدي نظري إليك يغنيني عنه.

قال: غداً إن شاء الله أهبط إلى شاذلة تلقانا في الطريق كرامة.

قال: فهبط في صبيحة غد، فلما استوينا في بسيط الأرض قال: يا عبد الله إذا أخرجت الدابة عن الطريق فلا تتبعني.

قال: فأصابه حال عظيم، وخرج عن الطريق حتى بعد عني فرأيت طيوراً أربعة علي قدر البلادجة، فنزلوا من السماء وصفوا على رأسه ثم جاء كل واحد منهم كأنه يحدثه ثم صاروا ومعه طيور كثيرة علي قدر الخطاطيف، وهم أيضاً يحفون به إلى الأرض إلى عنان السماء ويطوفون حوله ثم غابوا فرجع إلى.

وقال: يا عبد الله هل رأيت شيئاً فأخبرته بما رأيت.

قال لي: أمّا الطيور الأربعة فمن ملائكة السماء السابعة أتوا إلى يسألوني عن علم فأجبتهم عنه.

وأمّا الطيور التي على شكل الخطاطيف فأرواح الأولياء أتوا إلى متبركين يقدومنا وأقام بجبل زغوان زمناً طويلاً، ونبتت له عين بحري بماء عذب وله هناك مغارة كان يسكنها ويسمع من أسفل الجبل الأذان عندها في أوقات الصلاة فيصعد الناس إلى هناك ولا يجدون أحداً، وذكروا أن أصحابه من عمار الجن ما زالوا هناك.

قلت: جبل زغوان معظم الآن عند أهل تونس محبة في الشيخ سيدي أبي الحسن.

وروي ابن الصباغ وسيدي عبد النور وغيرهما أنه لما بلغ الكتاب أجله قيل له: اهبط إلى الناس ينتفعون بك.

قال: فقلت: يا رب أقلني من الناس فلا طاقة لي بمخالطتهم.

فقيل لي: انزل فقد أصحابك السلامة ورفعنا عنك الملامة.

فقلت: يارب أتكلي إلى الناس آكل من دريهماتهم؟

فقيل لي: أنفق يا علي فأنا المليء إن شئت من الجيب



وإن شئت من الغيب، فدخل مدينة تونس، وسكن بمسجد البلاط وصحب بها جماعة من الفضلاء منهم: أبو الحسن علي بن مخلوف الصقلي، وأبو عبد الله الصابوني، والشيخ أبو محمد عبد العزيز الزيتوني، وخديمه أبو العزائم ماضي بن سلطان، وأخوه أبو عبد الله بن سلطان، وأبو عبد الله بن الخياط كلهم أصحاب كرامات وآيات وحقائق ومعارف نفعا الله بهم.

وأقام بتونس إلى أن اجتمع عليه خلق كثير وسمع به الفقيه العالم المشاور أبو القاسم بن عبد البر وكان إذ ذاك قاضي الجماعة، فزعموا أنه أصابه منه حسد فتوجه إليه ينازعه فلم يقدر على التمكين منه.

فقال للسلطان: إن هاهنا رجلا من شاذلة سراق الحمير يدعي الشرف وقد اجتمع عليه خلق كثير، ويدعي أنه الفاطمي ويشوش عليك في بلادك.

قال الشيخ: قلت: يا رب سميتني بشاذلي.

فقال: يا علي ما سميتك بشاذلي وإنما أنت الشاذلي بتشديد الذال المعجمة، يعني: لخدمتي ومحبي.

وكان السلطان أبو ذكريا رحمه الله قد جمع بين ابن البراء وجماعة الفقهاء والشيخ في القضية وجلس السلطان خلف حجاب وسألوا الشيخ عن نسبه مرارا والشيخ يجيبهم عنه والسلطان لم يتحدث بل يسمع لجميع ذلك وتحدثوا معه في أنواع العلوم والشيخ يفيض عليهم ويجيبهم بأحسن جواب والسلطان يسمع لجميع ذلك حتى أسكتهم وما استطاعوا أن يجيبوه في تلك العلوم الوهبية والشيخ يتكلم معهم في العلوم الكسبية ويشاركهم فيها.

قال السلطان لابن البراء: هذا رجل من أكابر الأولياء ما لكم به طاقة.

قال: والله لئن خرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك، ويخرجني من بينهم، فإنهم مجتمعون على بابك.



قال: فخرج الفقهاء، وأمر الشيخ بالجلوس.  
فقال الشيخ: لعل أن يدخل علي بعض أصحابي فدخل  
عليه بعض أصحابه.

فقال: يا سيدي الناس يتحدثون في أمرك ويقولون:  
يُفعل فيك كذا وكذا من أنواع الأدب وبكى بين يديه.  
قال: فتبسم الشيخ.

وقال: لولا أني أتأدب مع الشرع لخرجت من هاهنا.  
ومن هاهنا فما أشار إلى جهة بيده إلا انشق الحائط.

قال: قال: اتني بإبريقى ووسجادي وسلم لي على  
أصحابي وقل لهم: ما يغيب عليكم إلا اليوم خاصة وما  
يصلي المغرب إن شاء الله إلا معكم، فأتوه بما أمر وتوجه  
إلى الله سبحانه.

وقال ٧: فهمت أن أدعو على السلطان.

ف قيل لي: لا يرضي لك أن تدعو بالجزع من مخلوق  
فألهمت أن أقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

أسألك الإيمان إيمانًا يسكن به قلبي من هم الرزق  
وخوف الخلق وأقرب مني بقدرتك قربًا تتمحق به عني كل  
حجاب محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل  
رسولك ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوه  
وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة  
الأحياء، كلا إني أسألك أن تغيبني بقربك حتى لا أرى  
ولا أحس بشيء ولا ببعده عني إنك على كل شيء قدير.

ويحكى: إنه كانت عند السلطان جارية من أعز نسائه  
عليه فأصابها وجع فماتت من ساعتها، فعظمت مصيبة  
السلطان من أجلها فغسلت في بيت سكنه، واشتغلوا  
بدفنها فنسيت الجمرة في البيت فلهبت النار ولم يشعروا  
حتى احترق كل ما في البيت من الفرش والثياب والكتب  
وغير ذلك من الذخائر التي ورثها عن آبائه وأسلافة فعلم  
الملك أنه أصيب من قبل هذا الولي، فسمع بذلك أخو

السلطان أبو عبد الله اللحياني وكان خارج المدينة فأتى مبادراً إليه وكان كثير الاعتقاد في الشيخ والزيارة.

وقال: لأخيه ما هذا الأمر الذي أوقعت فيه ابن البراء لقد أوقعك والله في الهلاك وكل من معك فأتى الشيخ.

وقال: يا سيدي أخي غير عارف بمقدارك وجعل يقبل يديه ويسأله الصفح عنه.

فقال له الشيخ: والله ما يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكيف يملكها الغيرة؟ وكان ذلك في الكتاب مسطوراً، وخرج أبو عبد الله في صحبة الشيخ إلى داره، فأقام بها أياماً ثم باع داره وربعه الذي بناه بمسجد البلاط وأمر أصحابه بالنقلة إلى المشرق ووجه إلى ابن البراء تراني أوسع لك مدينة تونس.

وحدث ابن الصباغ أن الشيخ أبا العزائم ماضي بن سلطان خديم الشيخ.

قال لي: لقي الشيخ يوماً ابن البراء فسلم عليه الشيخ فأعرض عنه ابن البراء ولم يرد U، وإذا بالفقيه أبي عبد الله بن الحسن صاحب السلطان، فلما رأى الشيخ ترجل عن بغلته وبادر إلى الشيخ وجعل يقبل يديه ويسأله الدعاء فدعا له الشيخ وانصرف.

فلما دخل الدار قال: خُوطبت الآن في هذين الاثنين.

فقل لي: يا علي وُسم بالسعادة عبد عرف الحق وتواضع لأهله وإن عمل ما عمل ووُسم بالشقاوة عبد جحد الحق، وتكبر على أهله وإن عمل ما عمل.

قال: فسمع من الشيخ أنه دعا عليه ولا ذكره بشيء حتى كان بعرفة.

قال: أمّنوا على دعائي فإني الآن أمرت بالدعاء على ابن البراء.

فقال: اللهم طوّل عمره ولا تنفعه بعلمه وأفتنه بولده واجعله في آخر عمره خديماً للظلمة فأجيب بقدره السميع

العليم في جميع ذلك، فأطال الله عمره وفتنه بولده فكان يشرب الخمر ويضرب العود وهو في العلو والشيخ والده في السفلى أو لم يقدر له على شيء إلا إذا سمع فعله يقول: مسكين محمد لا يشتغل إلا باللهو، وأما علمه فكان من أعلم علماء إفريقية فلم ينتفع بذلك نسأل الله السلامة.

وأما خدمته للظلمة فكان جعل على ديوان النصاري يتكلم برطانتهم والله أعلم بما كان من خاتمته، نسأل الله حسن العاقبة.

ولما توجهت للمشرق من تونس سمع السلطان بذلك فتغير لخروجه من بلده توجه إليه من يرده.

قال: ما خرجت إلا بنية الحج إن شاء الله تعالى، ونرجع فلما توجهت إلى المشرق، ودخلنا الإسكندرية عمل القاضي ابن البراء عقداً بالعدول وشهادتهم أن هذا الواصل إليكم قد شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم فأمر سلطان أن يعقل بالإسكندرية فأقضي بها أياماً، وكان السلطان رمي رمية على أشياخ القبائل قدم من أهل ذلك الاقليم يعرف بذلك الاسم فلما سمعوا بالشيخ أتوا إليه يطلبونه في الدعاء لهم.

قال: غداً إن شاء الله نسافر إلى القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم.

قال: وسافر الشيخ وسافرنا معه وخرجنا من بين السدرة والجنادة الذين يحفظون والوالي، ولا يدخل أحد ولا يخرج حتى يفتش فما كلمنا أحد ولا علم بنا ولما وصلنا القاهرة أتينا القلعة فاستأذن علينا السلطان.

قال: وكيف أمرنا أن يعقل ويحبس بالإسكندرية؟ فدخل على السلطان والقضاة والأمراء فجلس معهم ونحن ننظر إليه.

فقال له الشيخ: ما تقول أيها الشيخ؟

قال: جئت أشفع في القبائل.

قال له: اشفع في نفسك هذا عقد بشهادة فيك وجهه ابن البراء من تونس بطامته فيه ثم ناوله إياه.

قال الشيخ: أنا وأنت والقبائل في قبضة الله، وقام الشيخ فلما مشى قدر عشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق فبادروا إلى الشيخ يقبلون يديه ويرغبونه في الرجوع إليهم.

قال: فرجع وحرّكه بيده فتحرك، ونزل من على كرسيه وجعل يستحله ويرغبه الصفح، ثم كتب إلى قائده وعامله بالإسكندرية أن أرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذ منهم، وأقمنا عنده في القلعة واشتهرت بنا الديار المصرية إلى أن طلعنا إلى الحج فرجعنا إلى مدينة تونس، وسكن الشيخ بداخل الباب الجديد ببطحاء الشريعة داراً تفتح للجوعى، وأقام بها الإمام، وأرث مقامه من الأندلس أبو العباس المرسى.

فقال: رفعت لي منذ أعوام عشرة وما ردّني لهذه البلاد إلا أنت أو كلاماً هذا معناه وهو في ذلك الزمان شاب صغير فربّاه وسلّكه وسافر معه إلى المشرق.

وروي: لما رآه قال له: لقد عثرت على خليفة الزمان وكان رأى رؤية في سبب لقائه به أضربنا عنها اختصاراً فما زال الشيخ به حتى قال: منذ خمسة وعشرين عاماً ما حجت عن الله طرفة عين، ولو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، ولو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوا إليها ولو حبواً.

قال تاج الدين بن عطاء في «لطائفه»: قال الشيخ أبو العباس المرسى: لما نزلت مدينة تونس حين أتيت من الأندلس وأنا إذ ذاك فسمعت بذكر أبي الحسن الشاذلي. وقال لي رجل: تقضي بنا إليه.

قلت له: حتى استخير الله تعالى فنمت فرأيت في تلك الليلة كأنني أصعد إلى رأس جبل، فلما علوت فوقه رأيت هناك رجلاً عليه برنس أخضر وعن يمينه رجل وعن

يساره رجل فنظرت إليه.  
فقال لي: عثرت على خليفة الزمان.  
قال: فانتبهت فلما كان بعد صلاة الصبح آتاني الرجل  
فسرت معه، فلما دخلنا على الشيخ رأيته على الصفة التي  
رأيته عليها فوق الجبل.  
فقال لي: عثرت على خليفة الزمان ما اسمك؟ فذكرت  
له اسمي ونسبي.  
فقال لي: رفعت لي منذ عشرة أعوام.  
قال ٢: رأيته رسول الله ﷺ فقال لي: يا علي انتقل إلى  
الديار المصرية تربى بها أربعين صديقاً وكان في زمن  
الصيف وشدة الحر.  
فقلت: يا رسول الله الحر شديد.  
فقال لي: الغمام يظلكم.  
فقلت: يا رسول أخاف العطش.  
فقال: السماء تمطر كم كل يوم أمامكم.  
قلت: هذا هو الإذن الصحيح والخصوصية الكاملة.  
قال: فوعدني في طريقي بسبعين كرامة.  
قال: فأمر الشيخ أصحابه بالنقلة وسافر متوجهاً للديار  
المصرية، وكان ممن صحب في سفره الشيخ الصالح الولي  
أبو علي السماط نفعا الله بهما في الدنيا والآخرة.  
وحدث صاحب الدرة عن أبي عبد الله الناسخ، قال:  
توجهت صحبتهما في خدمة الشيخ أبي علي بن السماط  
فلما وصلنا إلى مدينة طرابلس.  
قال الشيخ أبو الحسن: نتوجه على طريقة الوسطى.  
واختار الشيخ أبو علي طريق الساحل؛ قال: فرأى  
الشيخ أبو علي النبي ﷺ فقال لي: يا علي أنت ولي الله،  
وأبو الحسن ولي الله، ولم يجعل الله لولي علي من  
سبيل فامش على طريقك التي اخترت وتمشي على طريقه  
الذي اختار.

فقال: فافترقنا إلى إن اجتمعنا بقرية الإسكندرية.  
قال: فلما صلينا الصبح توجه الشيخ أبو علي إلى خباء  
الشيخ أبي الحسن فدخل عليه وجلس بين يديه وتأدب  
معه أدباً ما اعتاده منه وتحدث معه بكلام ما فهمنا منه  
كلمة فلما أراد الانصراف.

قال له: يا سيدي هات يدك أقبلها، فقبل يده،  
وانصرف وهو يبكي فتعجبنا من حاله.

فلما كان في أثناء الطريق التفت إلى أصحابه، وقال:  
رأيت البارحة رسول الله ﷺ وقال: يا علي كان أبو  
الحجاج الأقصري بالديار المصرية وكان قطب الزمان  
مات وأخلفه أبو الحسن علي الشاذلي أو قال: أخلفه الله  
بأبي الحسن.

قلت: وشيخ الشيخ أبي الحجاج الأقصري أبو محمد  
عبد الرزاق بن إسماعيل بن محمد الجزولي عن أبي مدين  
عن الشيخ أبي يعزى.

وصحب أيضاً أبا الحجاج الشيخ سيدي عبد الرحيم  
عن سيدي أبي مدين أيضاً.

واعلم أن الشيخ أبا علي بن السماط من أئمة هذا  
الشان؛ وهو من شيوخ الشيخ الصالح الفقيه الورع الشهير  
أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المرجاني  
القرشي.

واسمه: أبي علي يونس بن علي بن السماط المهدوي  
أخذ عن شيخه أبي البركات طاهر المروني عن شيخ  
الشيوخ أبي مدين عن الشيخ سيدي أبي يعزى، وتوفي أبو  
علي بن السماط عام ستة وثمانين وستمائة بعد وفاة أبي  
العباس المرسي وتوفي أخوه الذي كان وارثه عام إحدى  
وتسعين وستمائة.

وقد رأيت علي أبي علي بن السماط ديواناً اشتمل علي  
مراتبه هو وصنوه فيه عجب عجب العجائب وعبرة لأولي  
الآل باب.

ثم قال: فلما وصلنا إلى الإسكندرية وخرج الناس

يتلقون الراكب رأيت الشيخ يضرب بيده على مقدم  
الرحلي ويقول وهو يكي: يا أهل هذا الإقليم لو علمتم  
من قدم عليكم في هذا المقبل؛ لقبّلتهم أخفاف بعيره،  
قدمت عليكم والله البركة.

وقال أبو عبد الله محمد الناسخ أيضاً: كنت أمشي  
خلف الشيخ أبي الحسن وهو راكب في محارة فرأيت  
رجلين يمشيان تحت ظل المحارة.

فقال أحدهما للآخر: يا فلان رأيت فلاناً يسيء معك  
العشرة وأنت محسن له.

فقال له: هو من بلدي وأنا أقول كما قال المجنون  
الشاعر:

رأى المجنون فجرّ له من

في البداء كلباً الإحسان ذيّلاً

ججج

جججج

فلامؤه على ما وقالوا لما منحت

كان منه الكلب نيلاً

ججج

جججج

فقال دعوا الملام رأته مرةً في حي

فإن عيني ليلي

ججج

جججج

قال: فأخرج الشيخ أبو الحسن رأسه من المحارة.  
وقال له: أعد مقالتك يا بني فعاد فتحرك الشيخ في  
المحارة، وقال:

دَعُوا      رَأْتُهُ مَرَّةً فِي  
المُلَام      حَيَّ لَيْلَى  
فَإِنَّ عَيْنِي      جَجَج  
ج

وجعل يكررها مراراً ثم رمى غفارة زبيبة قال: خذها يا بني، والبسها فإنك أولى مني بها جزاك الله يا بني عن حبس عهد العهد خيراً.

قال أبو عبد الله الناسخ: فأشرت إليه. وقلت له: ناولنيها فأخذتها وقبّلتها ثم عمدت إلى دراهم كثيرة ناولتها له.

فقال: والله لو ملأتها لي ذهباً ما بعتهأ به هذه والله ذخيرة حصلت عندي لأجعلها في كفني والله ما أنا أمشي تحت ظل هذه المحارة إلا لعل الله أن يرحمني بما أسمع من أذكاره، واعلم أن الرحمة تنصب عليه فلعلني أنال منها شيئاً فعلمت أنه أعرف به مني.

قال الشيخ أبو الحسن ⚭: لما قدمت على الديار المصرية.

قيل لي: يا علي ذهبت أيام الحن وأقبلت أيام المنن عشر العشر اقتداءً بجدك سيد المرسلين ρ، وكان مسكنه ⚭ بالإسكندرية بـرج من أبراج السور حبسه السلطان عليه وعلى ذريته.

قال صاحب الدرة: دخلت عام خمسة عشر وسبعمائة في أسفله ماجن كبير ومرابط للدواب وفي الوسط منه مساكن للفقراء وجامع كبير وفي أعلاه عليّة لسكناه أو لعياله وتزوج هناك، وولد له أولاد.

منهم: شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي، وأبو عبد الله شرف الدين محمد، أدركته بدير منصور قاطناً بها.

ومن البنات: زينب ولها أولاد أدركت بعضهم، وعريفة



الخير أدر كتبها بالإسكندرية.

قال ابن الصباغ: لا أعرف غير هؤلاء.

واعلم أن هذا الإمام له كرامات لا تحصى وآيات عظيمة وأما كلامه في الحقائق فهو البحر المحيط بحدث عنه ولا حرج حتى أن الكثير ممن يمارس الحقائق أنكره لعدم معرفته بتلك المسالك من الصالحين فضلاً عن غيرهم.

قال تاج الدين في «لطائفه»: أخبرني الفقيه العارف مكي الدين الأسمر قال: سمعت مخاطبة الحق.

فقلت له: يا سيدي كيف كان ذلك؟

قال: كان في الإسكندرية بعض الصالحين، وصحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي ثم كبر عليه ما سمعه من العلوم الجليلة والمخرقات، فلم يسع ذلك عقله فانقطع عن الشيخ أبي الحسن فأتى ليلة من الليالي وأنا أسمع أن فلاناً دعانا في هذا الوقت بست دعوات، فإن أراد أن يستجاب له فلو آل الشيخ الشاذلي دعانا بكذا وكذا حتى عدت الست دعوات.

قال: ثم انفصل عني الخطاب إلى المتوسط في ذلك الوقت فعرفت الوقت الذي كان ذلك الرجل دعاً فيه ثم أصبحت فذهبت إلى ذلك الرجل.

فقلت له: دعوت الله البارحة بست دعوات بكذا وكذا إلى أن اعتدت له الست دعوات.

فقال لي: نعم.

فقلت له: أتريد أن يستجاب لك؟

فقال: ومن لي بذلك؟

فقلت له: قيل: إن أراد أن يُستجاب له فليوال الشيخ الشاذلي.

وهذا الأسمر اسمه عبد العزيز بن منصور.

وكان من الأبدال وله كرامات ومعارف وحقائق فهو من أصحاب الشيخ سيدي أبي الحسن رضي الله عنهم.

قال الشيخ أبو العباس المرسى: يوماً إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيئاً فمكثت على ذلك سنة.

ثم قال لي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبلن من أحد شيئاً، فكان إذا اشتدت عليّ الوقت أخرج إلى ساحل البحر بالإسكندرية، فالتقت ما يرميه البحر بالساحل من القمح حين يدفعه من المركب فأنا يوماً على ذلك وإذا عبد القادر النقادر، وكان من الأولياء يفعل كفعلى.

فقال لي: اطلعت البارحة على مقام الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي ٢.

فقلت له: وأين رأيته؟

فقال: عند العرش.

فقلت له: ذلك مقامك تنزل لك فيه الشيخ حتى رأيته، ثم دخلت أنا وهو على الشيخ فلما استقر بنا المجلس.

قال الشيخ ٢ رأيت البارحة عبد القادر في المنام.

فقال لي: أعرشي أنت أم كرسي؟

فقلت له: دع عنك ذا الطينة أرضية، والنفس سماوية، والروح كرسية، والقلب عرشي والسر مع الله تعالى بلا أين، والأمر يتنزل بين ذلك ويتلوه شاهد منه.

**قال التاج في لطائفه:**

وقدم بعض الدالين على الله إلى الإسكندرية، فقال الشيخ مكين الدين الأسمر: هذا الرجل يدعو الناس إلى باب الله Y، وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله.

وقال الشيخ أبا العباس المرسى: كنت مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي بالقيروان وكان شهر رمضان وكانت ليلة الجمعة وكانت ليلة سبعة وعشرين، فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه، فلما دخل الجامع أحرم ورأيت الأولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل،

فلما أصبحنا خرجنا من المسجد.

قال الشيخ: ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة وكانت ليلة القدر، ورأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: «يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس.

قلت: يا رسول الله وما ثيابي التي أمرت بتطهيرها؟

قال: إن الله خلع عليك خمس خلع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام فمن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قل ما يعصيه، أو قال: لم يعصه وإن عصاه اعتذر إليه، ومن اعتذر إليه قبل عذره.

(رفعتم معنى قوله Y: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤])

قلت: فهذا الإمام ممن خصَّ به الحقائق والمعارف، قل أن يوجد لغيره مثله لا من المتقدمين ولا من المتأخرين. وقد قال في مرضه الذي توفي فيه: أتيت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد.

وكذلك تفسيره في الاقتباس على مذهب أهل المعاني والإشارات؛ فهو ذلك عجب العجائب.

قال الشيخ أبو العباس المرسى صليت خلف الشيخ أبو

الحسن الشاذلي ط الصبح، فقرأ بسورة الشورى يعني:

﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ [الشورى: ١، ٢].

قال: فلما انتهى إلى قوله Y: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِثَاءً﴾

قال: قال أبو العباس: خطر ببالي أنها الحسنات.

وقوله: ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]

خطر ببالي أنها العلوم.

وقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠]

علومًا وحسنات.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ لا

علم ولا حسنات.

فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعاني فقال: وجدت

فهمك في الصلاة.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ الحسنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ

الذُّكُورَ﴾ العلوم، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ العلوم

والحسنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

لا علوم ولا حسنات.

فعجبت من اطلاعه عليّ ومكاشفته لي.

فقال لي: أتعجب من ذلك فقد فهم فلان في الآية كذا

وكذا، وفلان كذا حتى عدّ الجماعة.

وقال T: يقول والله إنكم تسألوني عن المسألة ولا

يكون عندي لها علم فأرى الجواب مكتوبًا في الدواة

والقرطاس والحصير وربما أريته مكتوبًا في جبهة السائل.

قلت: وهذا فهم عجيب لا يدركه إلا الصديقون.

فقوله: (يهب لمن يشاء إناثًا) يعني: الحسنات يعني: إن

من الناس من ييسر الله Y عليه الأعمال الصالحات

والحسنات المقبولات المتصلة بالإخلاص والصدق وأعمال

المتقين، ومن الناس من ييسر الله عليه في العلوم المنقولة

والرواية الصحيحة والمعارف الموهوبة قاصداً بذلك وجه الله في التحقيق والتدقيق والتوجيه والتأويل، فاستغرق فيها زمانه وفني في ذلك عمره حتى أتاه اليقين، ومن الناس من خصه الله بالأسرار وحقق له العلوم والأعمال والأقوال والأفعال وتصحيح الأحوال والمعارف والأسرار فكان حجة الله على خلقه فحقق سنة نبيه، وفرض ربه، وقام بالحقيقة والشرعية ومن الناس من حرمه الله الوجوه الثلاث وهو في الحقيقة من ذي المثالات فلا علم ولا عمل ولا رجاء له ولا فعل إذا صدق الخوف والرجاء مقارنة العمل.

### وقال التاج في لطائفه:

أخبرني بعض أصحابه قال: قيل للشيخ أبي الحسن من شيخك يا سيدي؟

قال: كنت أنتسب للشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة من الأبحر؛ خمسة من الآدميين وخمسة من الروحانيين.

فالآدميون: النبي ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. والخمسة من الروحانيين: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، والروح.

وقال ت: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك.

ومن عجيب كراماته حزب البحر قال الشيخ شرف الدين داود الباخلي: أخبرنا شرف الدين ولد الشيخ سيدنا وقدوتنا ومولانا أبو الحسن الشاذلي قال: سافرنا مع الوالد في السنة التي توفي فيها وذلك أنه خاف الوقت، وسار الركب الذي يطلع في البرية.

فقال: انظروا لنا مركباً فلما يوجد إلا مركب لقسيس نصراني في بحر القلزم والذي يعرف ببحر المغناطيس.

قال: أكرّوه فأكرّوه وطلعوا فيه، وكانت فيه كنيسة فكان الشيخ في الكتيب فحصرهم الريح ولم يجدوه فبقوا على ظهر الماء جمعة أو جمعتين، وجبال القاهرة تظهر لهم.

فقال بعض أصحابه: سبحان الله، قال الشيخ: تحجون ونحن هاهنا محصورون.

قال ولد للشيخ: فرأينا في ذلك والله ما يقضي منه العجب وذلك أننا كنا ننظر جبل القاهرة والرياح ساكنة والشيخ داخل الكتيب، فاتاه النبي ﷺ فلقنه حزب البحر فخرج الشيخ من الكتيب.

فقال: أين صاحب المركب؟ فتكلم أحد ولدي القسيس.

قال: نعم يا سيدي، قال: افتح القلاع.

قال: وأين الريح هذا يردنا للقاهرة؟

قال: افتح الساعة يجيء.

وروي: قال: ما اسمك؟

قال: مهماز، قال: يا مهماز الخير.

وروي مضمار قال: يا مضمار البركة قال: ففتح القلاع، وإذا بريح قوية جاءت في الحال حتى قطعت الحبال التي كانوا رسوا بها فلم يبق على وجه البحر مركب، وبقي ذلك المركب يرتفع وينزل على ظهر الماء؛ وكأنه يطير طيرًا حتى كأننا ننظر إلى الطود العظيم البعيد، ففي الوقت بحوزه ويصير وراءنا ويقي العربان على البر بالجبل ينتظرون غرقنا؛ لتحقيقهم أن المركب لا يثبت على تلك الحالة، فلما جاء وقت العصر رأينا سوادًا وأثارًا فتبين ذلك لمن يعرف تلك البلاد، وإذا هي أخميم فلما وصلناها حط القلاع، ودخلنا بين المراكب والناس يتعجبون من السفر في تلك الريح الشديدة والسلامة مع ذلك، فخرج أهل البلد يلقون الشيخ وأسلم ولدي القسيس لما شاهدوا من عظيم قدرة الله، وعلموا أن ذلك كرامة صديق وأجلسه بين يديه فصار يتلون.

فقال لنا الشيخ: ذلك والذهب لعظم كبره، فدعاه الشيخ وقرأ عليه سورة المائدة فأسلم وشرح الله صدره، وسمي ذلك المركب باسم الشيخ.

قال ابن الصباغ: فلما أسلم ولدي القسيس بكى وهو يقول: يا ويحاه خسر أولاده في هذا السفر المشئوم والشيخ يقول له: بل رجحتهما.

قال: فلما كان تلك الليلة رأى الشيخ النصراني: كأن القيامة قد قامت ورأى الجنة والنار، ورأى أن الشيخ يقدم جماعة كبيرة إلى الجنة وأولاده صحبتهم فأراد أن يتبعهم فمنع.

ف قيل له: ما أنت منهم حتى تدخل في دينهم فلما أصبح أخبر الشيخ وشرح الله صدره للإسلام فأسلم، وقال له: ما رأيت أصحابي إلى يوم القيامة.

قال أبو العزائم ماضي بن سلطان خادم الشيخ: وجاء من النصراني ولي كبير من أكابر الأولياء وحج معنا هو وأولاده فكان صاحب زاوية ببلاد الصعيد وهو ممن ظهرت على يده الكرامات.

وقال ٢: ما قلته إلا عن رسول الله ﷺ لقنته تلقيناً. وقال لي: احتفظ به فإن فيه اسم الله الأعظم ولا قرئ لي في مكان إلا كان له أمناً.

قال أبو العباس المرسى: سافرنا مع الشيخ ٢ في السنة التي توفي فيها فلما كان عند أخميم.

قال لي الشيخ: رأيت البارحة كأني في جلبة، وأنا في البحر والريح قد اختلفت والأمواج قد تلاطمت والمركب قد انفتح، وأشرفنا على الغرق فأتيت إلى جانب المركب وقلت: أيها البحر إن كنت قد أمرت بالسمع والطاعة لي فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت قد أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم.

فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة فلما سافرنا وتوفي الشيخ ودفناه بحميشراء من صحراء عيذاب، ركبنا في جلبة فلما سرنا في وسط البحر، تلاطمت الأمواج، واختلفت الرياح، وانتفخت الجلبة وأشرفنا على الغرق ونسيت كلام الشيخ، فلما اشتد الأمر تذكرت ذلك فأتيت إلى جانب المركب.

وقلت: أيُّها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فالمِنَّةُ لله السميع العليم ولم أقل كما قال الشيخ بالسمع والطاعة لي، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر وهو يقول: الطاعة وسكن البحر وطاب السفر

قال الشيخ أبو العباس: كنت مع الشيخ أبي الحسن في بحر عذاب وكنا في شدة عظيمة من الريح وقد انفتح المركب.

قال الشيخ أبو الحسن: رأيت السماء قد انفتحت، ونزل منها ملكان.

أحدهما يقول: موسى أعلم من الخضر، والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى فإذا بملك نزل ثالثاً.

فقال لهما: والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدد في علم سليمان حين قال له: أخط بما لم تحط به علماً، فعلمت أن الله سلمنا؛ لأن موسى سخر الله له البحر وهذا فهم غريب، وسر عجيب لا يفهمه إلا عارف لبيب.

### قال تاج العارفين في لطائفه:

طريقته  $\tau$  تنتسب للشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام بن مشيش انتسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني قلت: وقد قدمناه في السلسلة الجزولية الحرارية الساحلية.

قال: ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

قال التاج في «لطائفه»: سمعت شيخنا أبا العباس  $\tau$  يقول: طريقتنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة؛ بل واحداً عن واحد إلى الحسن بن علي وهو أول الأقطاب وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يشهد إليهم الإنسان من كانت طريقته الخرقه فإنها رواية والرواية تتعين بتعيين رجال يسندونها وهذه هداية.

قلت: وقد اتصلت طريقتنا والحمد لله بجميع طرقهم من



الصحابة والقدوة والخرقة وتلقين وردهم والمصافحة بجميع شروطها عن أربابها أئمة هذا الشأن، وهذا الإمام ممن ينبغي الإطناب في التعريف به؛ إذ هو ركن من أركان هذا الطريق كالشيخ سيدي أبي مدين، وسيدي عبد القادر كما نبين ذلك فيما بعد وأنا فيه.  
كما قال:

وقد وجدتُ مكانَ      فإنَّ وجدتِ لِسَانًا  
القولُ ذا سِعةٍ      قائلًا فقلُّ

جججج

جججج

قال ابن الصباغ: حدَّثني مَنْ أثق به قال: في العام الذي حج فيه الشيخ، وظهرت آثار بركاته وتحقيق كراماته، حرك النظار السائر على أهل مصر، فاشتغل السلطان بالحركة عليهم فلم يجهز الجيش للركب فأخرج الشيخ خباه إلى البركة وأتبعه أناس، فاجتمع الناس بالفقيه القاضي المفتي عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام وسألوه عن السفر.

فقال لهم: لا يجوز السفر على الفرر وعدم الجيش.  
فأعلم الناس بذلك الشيخ أبا الحسن، فقال لهم: اجمعوني به.

قال: فاجتمع به في الجامع يوم الجمعة واجتمع عليه خلق كثير.

فقال له: يا فقيه أرأيت لو أن رجلاً جمعت له الدنيا كلها خطوة واحدة هل يباح له السفر في المخاوف أم لا؟  
فقال له: مَنْ كان بهذا الوصف فهو خارج عن الفتوى وغيرها.

فقال له: أنا بالله الذي لا إله إلا هو مَنْ جعلت له الدنيا خطوة واحدة إذا رأيت ما يخاف الناس منه أتخطى بهم حيث آمن، ولا بد لي ولك من المقام بين يدي الله

Y حتى يسألوني عن حقيقة ما قلت.

وسافر T فظهرت له في الطريق كرامات كثيرة منها:  
إن اللصوص كانوا يأتون إلى الراكب بالليل فيجدون  
عليهم سوراً مبنياً؛ كأنه مدينة فإذا أصبح يأتون إليه  
فيخبرونه ويتوبون ويسافرون معه للحج فلما رجع دخل  
أول الحجاج المشاة إلى القاهرة فأخبروا بما شاهدوا من  
مواهب الله تعالى.

قال: فخرج الفقيه عز الدين بن عبد السلام؛ ليلتقيه  
بالبركة وهي موضع خارج القاهرة على ستة أميال  
منها فلما دخل عليه.

قال له: يا فقيه والله لولا تأدبي مع جدي رسول الله P  
لأخذت الراكب يوم عرفة ونحطيت به إلى عرفة.  
فقال له المفتي: آمنت بالله.

ثم قال له الشيخ: انظر حقيقة ذلك، فنظر كل من  
حضر وصاح الناس وحط الشيخ بن عبد السلام رأسه بين  
يديه.

وقال له: أنت شيخ من هذه الساعة.

فقال له الشيخ: بل أنت أخي إن شاء الله، وله معه  
مواقف شريفة أضربنا عنها اختصاراً.

واعلم أن هذا الإمام له من الأصحاب وظهر عن  
الشيخ ذوي المكاثر على يديه كمثّل ما ظهر علي يد  
سيدي أبي مدين مع سداد طريقة وحسن سريرة، واتساع  
في المعارف.

ومنهم: من بقي بالمغرب، ومنهم: من هاجر معه إلى  
المشرق فإن الذي أقام بالمغرب كآبي الحسن الصقلي، وآبي  
محمد عبد الله الحبيبي، وآبي عبد الله بن سلطان، وآبي  
الحسن بن مخلوف، وآبي عبد الله محمد بن علي الخارجي،  
وآبي محمد عبد العزيز الزيتوني، وآبي العباس الصابوني،  
وآبي الحسن علي بن الحاج إقليمي، وآبي محمد عبد الله  
الفحام، وآبي عبد الله البيجائي الخياط، والذين هاجروا  
معه كآبي العباس المرسى، وآبي عبد الله الحاج القرطبي،

وأبي الحسن البيجائي، وأبي عبد الله البيجائي والوجيهاني  
والخراز

ومنهم: مَنْ صحبه من أهل الديار المصرية كالإمام  
مكن الدين أبي عبد الله بن منصور عُرِف بالأسمري،  
والشيخ عبد الحكيم، والشريف اللبوني، والشيخ عبد الله  
اللقاني، والشيخ عثمان البريجي، والشيخ أمين الدين  
جبريل.

قال تاج الدين في «لطائفه»: ولكل هؤلاء علوم وأسرار  
وأصحاب أخذوا عنهم.

قلت: وهذا بعض من كل، ونقطة من بحر، ونجم من  
سماء تحدث عن البحر ولا حرج.

وكان يقول: لكل ولي حجاب وحجابي الأسباب.  
وحدث ابن الصباغ عن أبي العزائم ماضي بن سلطان  
خديم الشيخ وله أسرار وأنوار وكرامات اكتسبها لخدمته  
للشيخ.

قال: كان الشيخ يبعثني من الإسكندرية إلى دمياط في  
بعض حوائجه، وكان عندنا رجل من أهلها فأراد السفر  
معي فلما توجهنا لباب السدرة أحد أبواب الإسكندرية  
أخرج إلى الرجل دراهم؛ ليشتري بها خبزاً وإداماً.  
قلت له: ما نحتاج إلى شيء.

فقال: نجد دكان فلان في الصحراء، أشار إلى دكان  
حلواني بالإسكندرية.

قلت له: إن شاء الله تعالى.  
وكنت مهما سافرت لا أحمل زاداً وكلماً أصابني  
الجوع أسمع كلامه من خلفي: يا ماضي أخرج عن يمينك  
تجد ما تأكل وما تشرب، فأجد طعاماً طيباً، وماء عذبةً  
بارداً.

قال: فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا وجدينا في السفر  
حتى تعالى النهار.

فقال لي: يا ماضي أطعمني فقد جعت وإذا بكلام

الشيخ على العادة: يا ماضي جاع ضيفك أخرج عن  
يمينك فخذ ما تطعمه.

قال: فخرجت عن يمين الطريق فوجدت مخفية مملوءة  
بكنافة سكرية ممزوجة بالمسك وماء الورد، فأكلنا حتى  
شبعنا فبكي الرجل وتعجبت.  
فقلت: أيما أطيب هذا الطعام أو ما أشرت إليه في دكان  
الحلواني؟

فقال: والله ما رأيت هذا ولا صنع منه في قصر ملك  
من الملوك، وأراد أن يرفع بقيته فمنعته وتركت الفضلة  
على حالها ومشينا يسيراً فعطشنا وإذا بكلام الشيخ.

يقول: يا ماضي اخرج عن يمينك تجد الماء، ففعلت  
فوجدنا غدير ماء عذب في الرمل فشربنا، واضطجعنا  
ساعة وقمنا فما وجدنا قطرة ماء.

فقال الرجل: وأين الماء الذي كان ها هنا؟

فقلت له: لا علم لي به.

فقال: والله لقد مكن هذا الشيخ تمكيناً عظيماً والله  
لرجعت إلى أهلي حتى أنال مما أنال هذا الشيخ أو أموت  
في الله، فجلى مروتته عندي ومشى في البرية وهو يقول:  
الله الله.

قال: فلما قضيت سفري فرجعت إليه فلمّا رأيته، قال:  
أي ماضي وددت ضيفك؟ قلت له: أنت الذي وددته  
وأطعمته الكنافة السكرية في البرية وأسقيته الماء العذب في  
الرمل.

قال لي: ذهب في الداهيين إلى الله تعالى.

وقال أيضاً أبو العزائم ماضي بن سلطان: حججت سنة  
من السنين فلما قضيت مناسك الحج وأتيت أطوف  
طواف الوداع، قام أهل مكة على من بقي فنهوهم في  
الحرم وكان عندي أمانات للناس فدخلت في الحجر  
ووقفت تحت الميزاب.

قلت: إن خرجت انتهيت، وإن جلست جلست بأموال

الناس فتحيرت في أموي وإذا بالشيخ لما ناديته واقف على باب الندوة يشير إلي، فبادرت إليه فولي خارجاً فاتبعته ولم أقدر على الوصول إليه حتى دخل للركب، فطلبت عليه فلم أجده، فلما دخلت الديار المصرية أتيت إليه فسلمت عليه فسألني عن الحال.

فقال: يا ماضي لما اشتد الحال عليك ناديتنا أتيناك، وخلصناك مما كنت فيه، واعلم أن هذا باب واسع الرحاب وعظيم الاسهاب وشيخه أبو محمد عبد السلام أمره كذلك قد تقدم بعض التعريف به وفاته عام ثلاثة عشر وستمائة.

وأما شيوخ الطريقة الأخرى التي نحن بصدددها فقد أخذها عن أبي عبد الله محمد بن علي بن حرازم وكان إماماً من أئمة هذا الشأن تركه والده صغيراً، فلذلك لم يسلك مع أكابر أصحاب والده كالتاودي المتقدم الذكر، وأبي مدين، وأبي محمد بسكر وإنما أدرك تلامذة أصحاب والده فكان أكبرهم أبو محمد صالح الحاج المبرور، فأخذ عنه وجد واجتهد حتى بلغ الغاية القصوى وطريقه كما قدمنا صحبة وخرقة وقدوة، ولم أقف على تاريخ وفاته والله أعلم، وقد تقدم التعريف بسيدي أبو محمد صالح وأبي مدين.

أما والده أبو الحسن سيدي علي بن حرازم فهو أبو الحسين علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم من أهل مدينة فاس، وبها مات آخر يوم أو يومين من شعبان عام تسعة وخمسين وخمسمائة قدم مراکش؛ بل كان يتردد بينها وبين حضرة فاس وكان فقيهاً مسلماً حافظاً لمسائل الفقه زاهداً في الدنيا.

يُحكى عنه أنه كان في التصرف على مذاهب الملامتية حدث عنه الثقات من العلماء أنه كان يقول: أعتكفت على قراءة كتاب الإحياء في بيت مدة عام، فجردت المسائل وعزمت على حرق الكتاب، فنمت فرأيت قائلاً يقول: جردوه وأخرجوه واضربوه حد الفرية، فضربت ثمانين فاستيقظت، فجعلت أقلب ظهري، وكنت أجد

الأم الشديد من ذلك الضرب، فتبت إلى الله من ذلك الاعتقاد ثم تأملت الكتاب ثانية، أو قال: تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة.

وقال أبو يعقوب بن الزيات: وحديثي بذلك غير واحد من الثقات وعن أبي محمد عبد الله بن عثمان عن أبي الحسن بن حرزهم.

وروي: إنه لما عزم على حرق الكتاب وكان مسموعاً بالمدينتين فأس ومراكش، رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي وحجة الإسلام، فنأولت رسول الله ﷺ كتاب «الإحياء».

فقال: انظر كتابي هذا، فإن كان شيء فتح علي فيه من بركاتك فنظر فيه.

فقال: لا بأس به ثم ناوله أبا بكر.

فقال: حسن يا رسول الله ثم ناوله عمر.

فقال: كذلك، ثم عثمان ثم علي وكلهم يشنون عليه، فقام حجة الإسلام.

فقال: يا رسول الله هذا خصمي أنصفي منه.

فقال: جردوه واضربوه حد الفرية.

قال: فضربت ثم استيقظت، فوجدت الأمل الشديد فمرضت المرض الشديد، وكنت أعاد من ذلك المرض ثم رجعت لتلك المسائل فشرح الله صدري فوجدتها كلها على الحق والصواب، فتبت إلى الله ﷻ ولم يزل أثر الضرب بظهره حتى مات فلما جرد وجد أثره لا يزال بظهره.

وروي: إنه لما مات أبوه تركه هو وأخوه وترك لهما مالا، فقام لورده من الليل فشغله ذلك عن ورده فلما أصبح قال لأخيه: اتني بالعدول أتصدق عليك بميراثي ونصبي من أبي فأبي عليه.

قال: إن لم تفعل تصدقت بنصبي فلما رأى منه العزم، وأحضر العدول، وخرج عن نصيبه إلى أخيه أبي القاسم

بن إسماعيل وقبل منه تلك الصدقة.  
وكان الشيخ أبو الحسن أدرك عمه الحاج فأخذ عنه  
طريقة التصوف وهو أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله  
بن حرزهم من أهل فاس وكان قد رحل إلى المشرق  
وانقطع بعد أن حج مرة بالشام، فلقى هناك حجة  
الإسلام فأخذ عنه طريقة التصوف ثم عاد إلى فاس  
فأخذها عنه أخيه أبو الحسن.

وحدثنا عنه: لما زار بيت المقدس انقطع بقرية قريبة منه  
للجد والعبادة، فبينما هو في مسجدها، وإذا بحجة الإسلام  
في تلك السياحة التي طاف فيها المشرق والمغرب دخل  
ذلك المسجد الذي كان فيه أبو محمد بن حرزهم مع  
جماعة من تلامذة، ورآه في ذلك المسجد في صحنه عريش  
عنب عجيب، فلما أدرك وظهر فيه الحصرم.

فقال لأبي حامد أحد تلامذته: اشتهينا نأكل من هذا  
العنب الذي هو في هذا الصحن فقال لهم: اسألوا إمام  
المسجد على من حبس عنب هذه الشجرة هل على الإمام  
أو المؤذن أو المسجد، أو على من حبس حتى يعلمكم؟  
فسألوه.

فقال: لا أدري على من حبس.  
فقال لهم أبو محمد: لي والله أعوام هنا ما تعرضت لها  
ولا أكلت منه ولا سألت عنه قط، فأخبروا حجة الإسلام  
بذلك فرجع على أصحابه بالتوبيخ.

وقال لهم: هذا مغربي له أعوام في هذا المسجد ولم  
يتعرض لهذا العريش وأعرف خبره وأنتم من ساعة واحدة  
لم تملكوا أنفسكم.  
وأنشدنا:





مكانك هكذا، ينبغي أن يكون المتعلم مع المعلم فأجابه الأمير إلى ذلك فنزل على سرير ملكه، فطلع عليه الشيخ فلازمه وأخذ بسلوك طريق الآخرة وأمره بالورع وضيق عليه المكسب فلم تتسع حالته فكلم أبو الحسن بعض التجار ممن يعرف طيب مكسبه فكان قوته عنده ويأكل من مكسبه لحسن سيرته ثم إن ذلك الأمير بعث إلى الصحراء، فجاء بمال موروث عن آبائه فأتسع عليهما منه قوتهما.

وله كرامات شهيرة منها: حديث التادلي وغيره أن الشيخ كان يقول غير مأموره هو يموت في العام الفلاني وفي ذلك العام نفسه مات، ولما كان اليوم الذي مات فيه أتى بعض أصحابه.

فقال له: قدّم لي من طعامك لآكل منه إنه حلال، فقدم له خبزاً ولبناً، ثم مر الشيخ إلى الحمام.

فقال: لخدمته لم يبق لي من خدمتي إلا هذا اليوم وهم يتعجبون من قوله، ثم خرج وأتى منزله ودخل بيته، ونام مستلقياً على فراشه فلما كان وقت الصلاة أتاه بعض تلامذته يوقظه إلى الصلاة فوجده ميتاً.

وكان يقول: رأيت ربي في النوم فسألته العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فأعطاني ذلك وأمنني.

وقد دعا لبعض أصحابه بذلك، فلم يرَ مكروهاً مدة حياته، وكان رجل عشاب ممن يتردد إلى مجلسه فخرج حتى أتى بالعشب في أوان الربيع، فأواه للبيت إلى رابطة بعض العباد فوجدهم في غاية الجد والاجتهاد فنام العشاب، فأيقظه بعض أصحابه.

وقال له: قم ولا تكن كحمارك تنام الليل كله غافلاً، فقام العشاب ليتوضأ ويصلي ويذكر الله Y، فلما خرج من الرابطة وجد الأسد عند العين فرجع مرعوباً فخرج صاحب الرابطة معه فتقدم إلى الأسد ومسك أذنه وبص له الأسد وضربه بقضيب كان بيده.

وقال له: ألم أقل لك لا تروع أصحابي؟ ففرّ الأسد

أمامه فتوضأ العشاب، وبات قائماً إلى الصبح وذهب إلى الشيخ ليخبره بالعجب الذي رأى من العابد مع الأسد، فلما دخل من باب المسجد ابتدأه الشيخ.

وقال له: أتيت تخبرني وتعرفني بصاحب الرابطة وما شاهدت من عجائبه مع الأسد فإنه أقام بمكان خال من الفتنة وظن أنه أتى بشيء فلو أقام بفاس حيث يعاين المفاجر الورق على العيون البلق لعلم وتحقق وهل يصير شيئاً أم لا.

وحكايته مع الذي آتاني بالكسوة من جزية الأندلس شهيرة، وقد أشرنا إليها فيما سلف حين أتى بها لأهله وكان أبو الحسن بن حرازم أخذ عن شيخ الإمام الأوحـد سيد أهل المغرب أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري، وكان أوحـد زمانه علماً وعملاً وحالاً صلباً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، وله مواقف شهيرة مع ملوك عصره، وكان ذلك سبب هجرته إلى البلاد المشرقية وله أنوار الفجر يطلع في ثمانين سفراً كل سفر منها يطلع في ألف ورقة ألفه في عشرين سنة، وله الأحكام على القرآن، وله «العارضة على الترمذي» وله «القبس على الممطاء»، وله «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١٠٥» إلى غير ذلك، وكتبه كلها مفيدة، ولما تلف له «أنوار الفجر» تلافاه بقانون التأويل فاخترته المنية قبل تخليصه وتلخيصه؛ فلذلك وجد فيه ما بعد عن الأفهام.

وروي: إنه أشخص لحضرة مراکش ثم انتقل لفاس قاصداً لبلاده زعموا أنه أطعمه بعض من رافقه وأظهر له أنه أراد القراءة عليه في ثمرة أكلها من ثماره.

فقال الشيخ له: أطعمتنا في ثمرة قتلك الله بقرة فزعموا أنه نطحته بقرة فقتلته، ومات برأس الماء الهليط على مدينة فاس التي شققها بينها وبينه اثنا عشر ميلاً وحمل على الأعناق إلى مدينة فاس فدفن بها، كما قدمنا في تاريخه عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة.

وأما عم الشيخ أبي الحسن بن حرزهم فقد أخذ أيضاً عن شيخه وجه الدين السهروردي، عن والده محمد عمورية، عن والده سعد الدين، عن والده الحسين، عن والده أبي النضر بن أبي القاسم، عن والده محمد وصحبه والده عبد الرحمن القاسم، عن محمد عن أبي بكر الصديق .<sup>٧</sup>

وهؤلاء البكريون يتوارثون الصلاح كما يتوارث الناس المال وجواهرهم في هذا الشأن شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي صاحب «عوارف المعارف»، وشيخه أبو النجيب، كما سنشير إن شاء الله إليه بعد هذا.

وله طرق أخرى على يد أبي العباس الدينوري عن الحبر سيدي إمام الطائفة عن السري إلى النسب المتقدم في أول السلسلة.

وألف أبو بكر بن العربي كتاباً في التصوف خصوصاً أسماه سراج المريدين حاملاً في أكثرهم الحديث؛ ولهذا قال أبو العباس زروق كتاب التصوف يميل إلى الحديث، فسراج المريدين، وكتاب التصوف للعباد فهو يدور على منهاج العابدين محلاً وكلاماً هذا معناه فإني نقلته بالمعنى.

ومن عجيب كراماته وصلابته في الحق كان يوماً جالساً فاجتاز به المتجرئين بزق من خمر مظهراً له فقال له: ما هذا الذي تحمل؟

قال له: زق من خمر لوالدته نصرانية كلفت عليه ذلك، وأمره الله بطاعتها.

وقال له: إن رسول الله ﷺ لعنه ولعن من حمله والمحمول له الحديث.

ثم قال: لعنه الله تعالى.

ثم قال لأصحابه: العنوا هذا، فإن رسول الله ﷺ لعنه فلعنوه.

فروى: إن لعنته سرت ذلك اليوم في البلد كله؛ كأنه يُؤدي بلعنة ذلك الرجل وهذا من قوة همته وصلابته في الحق، وله مواقف شهيرة في صنوف أهل البدع

ومناظرات.

وله مشايخ جليلة: كالإمام الطرطوشي الفهري، وأبي الوليد الباجي.

وممن أخذ عنه هذا الشأن: حُجة الإسلام وهو الإمام الشهير أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الملقب بحُجة الإسلام، وزين الدين الطوسي الفقيه الشافعي.

وقال بن خلكان: لم يكن في الطائفة الشافعية في آخر عصره مثله.

قلت: بل صحَّ عن الثقات: إنه آخر عمره رجع مالكيًا وعلى ذلك مات رحمه الله تعالى، وتوفي عام خمس وخمسمائة من القرن السادس.

وروي: عام ثلاثة عشر من القرن المذكور، لكن والله أعلم توفي عام خمس بقرية من عمل بغداد، وكان بها منفردًا للعبادة، ثم نُقل إلى بلاده بطوس عام ثلاثة عشر ووجد لم يكن به بأس.

كما قيل: كأنه قد أطرَح في قبره ولا بأس به، وهذا من إحدى كرائمه.

وقد صحَّ: إن شهداء أحد بعد ست وأربعين سنة، نُقلوا وهم رطب يثنون إذا ثنيتهم ويجلسون إذا أجلستهم كما هو معروف في صحيح التاريخ.

ومن عجيب إمام الطريقة المغربية أبي عبد الله الجزولي المتقدم: إنه بقي في التابوت الذي جعله فيه عمرو بن سليمان المغيطي سبع وسبعين سنة، وإنه على حاله كما هو ولم يتعد عليه التراب، وما ذلك على الله بعزيز.

وأعجب من هذا: إن عمرو هذا زعموا أنه وُجد كذلك ولعله أدركته بركة هذا الشيخ مع ما كان فيه والفضل بيد الله.

فروى: إنه قدم نيسابور من بلاده طوس مع جماعة من الشبان مهاجرون لأبي المعالي فانتفعوا بصحبته وهو من بينهم خصوصًا، وتخرج به في مدة قرية وصار من الأعيان

المشار إليهم في زمن أستاذه أبي المعالي.  
قال الإمام ابن خلكان صوفي ذلك الوقت: ولم يزل مع ذلك ملازمًا لأستاذه إلى أن توفي، فخرج حينئذ من نيسابور إلى العسكر ولقي به الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه، وكان بحضرة الوزير جماعة من الفقهاء الأفاضل فجرت بينهم مجادلة ومناظرة في أيام متوالية، فأظهر عليهم فيها حجة الإسلام، واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان.

ثم فوَّض إليه الوزير تربية المدرسة النظامية في بغداد فجاءها وباشِر إلقاء الدرس بها وذلك في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وأربعمائة بعد وفاة شيخه بست سنين وأعجب إليه أهل العراق، وارتفعت عندهم منزلته، ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج، فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وانتقل إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة، وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة، ثم قصد مصر والإسكندرية مدة.

يقال: إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف صاحب مراکش لما بلغه عنه وعن أصحابه من قوة الدين والجهاد في سبيل الله وأنهم أتوا من الصحراء بإسلام جديد ودين قويم وعز في الله متين، فبلغته وفاة يوسف بن تاشفين على رأس خمسمائة فصرف عزمه عن تلك الناحية، ثم عاد إلى وطنه طوس واشتغل بنفسه.

وقد صنف الكتب المفيدة في عدة فنون نيف عن الستين تأليفًا: كالوجيز والوسيط والبسط وأنفسهما في التصوف إحياء علوم الدين فلم يوجد في الإسلام مثله لا قبله ولا بعده، وقد تقدم كلام الشيخ سيدي أبي مدين قدس سره؛ إذ قال: نظرنا كتب التصوف من زمن أويس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت مثل «الإحياء» للغزالي، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور والتدريس بها، فأجاب إلى ذلك

بعد تكرير المعاودات ثم ترك ذلك أيضاً وعاد إلى وطنه ونزل بيته، واتخذ جارات للصوفية ومدرسة للمشغلين بالعلم.

وروي أيضاً: إنه ألزم التدريس أيضاً بالمدرسة النظامية ببغداد فأجاب إلى ذلك ثم انقطع للعبادة فكان أخوه مجد الدين أبو الصبوح أحمد بن محمد بن محمد الغزالي نائباً عنه في التدريس، وكان واعظاً مليح الوعظ حسن المناظرة صاحب كرامات وإشارات كان فقيهاً غير أنه غلب عليه الوعظ وأنوار المشاهدة ولا زال بالمدرسة النظامية بعد موت أخيه أبي حامد، واختصر كتابه «الإحياء» في مجلد سماه «لباب الإحياء»، وله تصانيف أخرى كالذخيرة في علوم البصيرة وبوارق الإمام في تكفير من يحرم السماع وحصن الحصين على كلمة لا إله إلا الله، وطاف البلاد كأخيه وخدم الصوفية وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة وله مع أبي النجيب عبد القادر السهروردي عجائب أضربنا عنها اختصاراً، توفي سنة عشرين وخمسمائة ولما مات حجة الإسلام، تمثل الفقيه إسماعيل المالكي بعد وفاته.

يقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبتُ لبصري وكنْتُ أرى أبكى

وهو عليه ميتٌ دماً وهو غائبٌ

جججججججج جج

على أنها الأيام قد عجائب حتى ليس

صرت كلها فيها عجائبٌ

ج

ج

وتقدّم أن الشيخ الشاذلي كان يقول: إذا عرضت لكم

إلى الله حاجة فتوسلوا فيها بالإمام الغزالي.  
حدّث صاحب النجم عن أبي علي الصوفي أنه قال:  
دخلت مدينة بغداد فوجدت الإمام أبا حامد الغزالي شيخ  
الوقت أستاذ الجماعة، وكان يحضر مجلسه في المدرسة  
النظامية أكثر من خمسمائة رجل كل رجل صاحب رداء  
وعمامة، ورأيتهم إذا خرج من مجلسه يمشون خلفه من  
المدرسة إلى منزله حفاة تعظيماً له وإكراماً فعجبت من  
عظيم حاله.

حدّث صاحب النجم أيضاً أن سبب تركه للتدريس  
يعني المرة الأخرى التي عليها مات كان يوماً يعظ الناس  
في مجلسه، فدخل عليه أخوه المذكور الشيخ أبو الصبوح.  
فأنشد بين يديه:

أَخَذْتُ                      وخلفك الجهدَ

بأعضائهم إذا              إذ تسرعُوا

وفُوا                      جج

جج

وأصْـبَحْتَ              وتسمع وعظاً

تَهْدِي ولا              ولا تسمَعُوا

تَهْتَدِي              جج

جج

فِيَا حَجَرَ              تسنّ الحديدَ

الشجر حتى              ولا تقطَعُوا





جججج

جججج

قلت: وهذا بعد ما كان يجالسه، ويحضر في دروسه العامة، ثم ما كان من قضاء الله Y اتفقت جماعة من علماء المغرب على حرق كتابه.

قال صاحب النجم: فحرق ما وجد منه في رحبة الجامع من الباب الغربي من جامع علي بن يوسف، وكان ذلك سنة ثلاثين وخمسمائة من تولية علي بن يوسف.

وروي: إنه لما بلغ الخبر أبو محمد البلجي الرجراجي الساكن بأغمات، استعظم الأمر غاية، وسأل عن أولئك الذين أفتوا بحرقه فما ذكر له أحد إلا دعا عليه، فما مر عليهم شهر من الزمان حتى لم يبق أحد من أولئك المفتين إلا وماتوا على أسوأ حال وعوقبوا بأنواع العقوبات.

وحكى جماعة عن أبي الفضل: إنه كتب للسلطان على بن يوسف يعرفه بالشيخ الغزالي، وبعلو مقامه، وأنه يحسن به الظن لئلا يهلك، وصرح في الفقهاء الذين أفتوا بحرق الكتاب، وحمل عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ\* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

وحكى جماعة عن أبي الفضل أيضاً: إنه سئل عن تلك الأيمان التي حلفوا بها أن الأحياء ليس عندهم، فأجاب أنها لا تلزم.

وروي: إنه استنسخ كتاب «الإحياء» في ثلاثين جزءاً، فكان يعتكف عليه في رمضان يقرأ كل يوم جزءاً قراءة تحقيق وتدقيق وتفهم، فما يتم رمضان حتى يحتمه.

وكان يقول: وددت أن لا أطالع مدة حياتي غير كتاب «الإحياء».

وحدث صاحب النجم عن بعض الصالحين قال:

دخلت على أبي الحسن بن حرزهم أعوده من مرض أصابه.

فقال لي: هلا سألتني عن مرضي هذا؟  
فقلت له: إني استحييت أن أسألك ولكن ما عندك قال: لما اعتكفت على كتاب الإحياء لأبي حامد، وجدت فيه أشياء تحتمل البحث والنظر وقوي عزمي على التعرض للنقد عليه فيها والكلام معه في مقتضياتها.

فبينما أنا نائم ليلة عزمي على ذلك وإذا برسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه فتعرضت له ﷺ، وأصحابه محدقون به وفيهم أبو حامد الغزالي، فلما وقع بصر الغزالي علي قال: يا رسول الله، صلى الله عليك هذا الرجل ابن حرزهم يقدح في كتاب «الإحياء»، ويريد أن يكتب عليه.

قال رسول الله ﷺ: اضربوه حدَّ الفرية، فضربوني وقد أصبحت مريضاً من ألم ذلك الضرب، وإن أثر الشيطان لظاهر على ظهري فأدخل يدك تجدها.

قال صاحب الخبر: فأدخلت يدي ولمست ظهره فبان أثر ذلك؛ قال صاحب النجم.

ومن تمام الحكاية: إن أبا الحسن بن حرزهم كان بعد ذلك يقول: قد شرح الله صدري لفهم تلك المسائل، وبان لي فيها وجه الصواب، وإنها موافقة للشرع أو قال: للكتاب والسنة فالحمد لله قلت، وهكذا سنة الله مع أحبائه إذا أرادوا أن يقعوا في مكروه، وأخبار هذا الإمام ومآثره لا تحصى.

يُحكى عن بعض أئمة غرناطة وكان في القرن السابع: إنه ألف كتاباً منفرداً في كراماته سماه كتاب «المحامد» في أخبار الشيخ أبي حامد.

ويُحكى عن أبي بكر بن العربي رضي الله عنهما أنه قال: لما أردت وداع شيخني أبي حامد الغزالي. فقلت له: يا سيدي أوصني.

قال لي: إِيَّاكَ وتضييع الزمان في مواصلة الإخوان، ومطاولته الأقران، فدع عنك كل مواصلة، وجانب كل مقاوله تجر إلى مطاوله، وأخزن من لسانك وكن مُقبلاً على شأنك عارفاً بأبناء زمانك.

وروي ٧: إنه توفي بعد صلاة الصبح.

وروي: إنه توضأ وصلى الصبح.

وقال: عليّ بأكفائي فأخذها وقبلها ومسحها على عينيه ووجهه.

وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك.

وروي أنه قال: مرحباً بالقدوم على الملك، ثم مدّ رجله، واستقبل القبلة.

وروي: إنه مات وسنّه ستون سنة.

وروي: خمس وخمسون سنة.

ومن مروياته عن النبي p: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه فقيه، يعني: إن من لم يكن كذلك فهو معرض للهلاك إما بالتقريط أو الإفراط وخير الأمور وسطها.

وقال أبو عبد الله الفاسي في صفة وفاة أبي حامد الغزالي غير هذا: أضربنا عنه اختصاراً وقد أودعنا ذلك في كتابنا مطالع الأنوار السنية على الحكم.

وأما شيخه أبو المعالي فهو عبد الملك بن الشيخ تقي الدين أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الفقيه الشافعي الملقب بضياء الدين المعروف بإمام الحرمين.

قال ابن خلكان: فهو أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق أجمع على إمامته والمتفق على غزارة مادته وتفننه في الأصول والفروع والأدب وغير لك، وكان والده من أئمة الدين علماً وعملاً وعبادة، ورزق من التوسع في العبارة وتحقيق المعاني والإشارة ما لم يرزق غيره وتفقه في صباه علي والده، وكان يعجب به

في طبعه وجودة قريحته، ويظهر عليه من مخايل الإقبال، فأتى عليه بجميع مصنفات والده، وتصرف فيها حتى زاد عليه في التحقيق والتدقيق، ولما توفي والده أقعد مكانه للتدريس وإذا فرغ منه ذهب إلى الأستاذ أبي القاسم الإسكافي المعروف بإسحاق الإسفرائيني والبيهقي حتى حصل عليه علم الأصول، ثم سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء، ثم خرج إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين وبالمدينة يدرس وبقي؛ ولهذا قيل له إمام الحرمين. وكان يجمع طرق المذهب، ثم عاد إلى نيسابور في أوائل ولاية البارسلان، والوزير يومئذ نظام الملك بنى له المدرسة التنظيمية بمدينة نيسابور، وتولى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة.

وظهرت تصانيفه وحضر دروسه الأئمة من الأكابر، وانتهت إليه رئاسة الأصحاب وفوض إليه في أمور الأوقات، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مراجع وسلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة. وصنف في كل شيء فمن تصانيفه: «نهاية المطلب في دراية المذهب».

قال ابن خلكان: ما صنف في الإسلام مثله.

قال أبو جعفر الحافظ: سمعت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم الشيرازي يقول للإمام: يا معيد أهل المشرق والمغرب أنت اليوم إمام الأئمة، وسمع الحديث من جماعة كثيرة من العلماء وله إجازة من الحافظ أبي نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء.

ومن تصانيفه: «الشامل في أصول الدين»، و«البرهان في أصول الفقه»، و«تلخيص التقريب والإرشاد»، و«العقيدة النظامية»، و«مدارك العقول».

قد اختارته المنية قبل إتمامه وكذا كتاب تلخيص نهاية المطلب، وغنية المسترشدين، وكان إذا شرع في علوم الصوفية أبكى الحاضرين ولم يزل على طريقة مرضية من

أول عمره إلى آخره.

قال ابن خلكان: أخبرنا بعض المشايخ: إنه وقف على حلية أمره في بعض الكتب أن والده الشيخ أبا محمد رحمه الله تعالى كان في أول أمره ينسج بالأجرة، فاجتمع له من كسب يده شيء، اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح، ولم يزل يطعمها من كسب يده أيضاً إلى أن حملت بإمام الحرمين وهو مستمر على تربيتها، فلما وضعت أوصاها أن لا تمكن أحداً من إرضاعه، فاتفق أنه دخل عليها يوماً وهي متألمة والصبي يبكي وقد أخذته امرأة من جيرانهم، وشغلته بثدييها فوضع منها قليلاً، فلما رآه الشيخ شق عليه ذلك وأخذه إليه ومسح على بطنه ونكس رأسه وأدخل إصبعه في فيه، وما زال به حتى قاء ما رضع فكان يقول: يهون علي أن يموت ولا يفسد طبعه برضاع غير أمه.

ويُحكى عن إمام الحرمين: إنه كان ربما يلحقه فتور في بعض مجالس المناظرة.

فيقول: هذا من بقايا تلك الرضعة.

ومولده في الثامن عشر من المحرم سنة تسعة عشر وأربعمائة، ومات عام ثمان وسبعين وأربعمائة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

وله شيوخ عدة في التصوف وكلهم أئمة أعلام وسادة كرام، فمنهم: الحافظ أبو نعيم صاحب حلية الأولياء، وكان من أعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات الزاهدين، وُلد في رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في صفر، وقيل: في جمادى من عام ثلاثين وأربعمائة.

ومن شيوخه: الإمام الحافظ الجامع أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي الصوفي.

قال ابن خلكان: كان علامة في الفقه والتفسير والأصول والحديث والأدب والشعر والكتابة، وجمع بين

الشرية والحقية، وكان بخراسان من ناحية استواء من العرب الذين قدموا خراسان، وتوفي والده وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه، وكانت له قرية مستقلة الخراج بتلك الناحية، قرأ من الرأي أن يقدم نيسابور، فيقرأ من الحساب ما يحمي به قريته فقدمها على هذا القصد، فاتفق حضوره مجلس أبي علي الدقاق، وكان إمام وقته وسيد عصره علماً وعملاً وحالاً ومقاماً فاعجبه كلامه وثنا عزمه الذي أتى به علي أن يلزم هذا الإمام، ويأخذ عنه طريقه وسلك طريق الإرادة.

فلما رآه أبو علي الدقاق أعجبه وتفرس فيه مخايل الصدق فأقبل عليه فخدمه، وكان توجه إليه بهمته وأمره بالاشتغال بالعلم.

وسار يحضر مجلس الإمام أبي بكر بن فورك فحصل عنه علم الأصول في أقرب وقت وكان صادق القريحة، ويخرج إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي وشرع في الفقه وفرغ في أقرب مده من تعليقه، ثم تردد إلى أبي إسحاق الإسفرائيني، وقعد يسمع درسه.

فقال له أبو إسحاق: هذا العلم لا يحصل بالسماع، فسرد عليه كل ما سمعه منه في تلك الأيام، فعجب من حفظه وإتقانه.

وقال له: أنت أذن لك أن تطالع مصنفاتي، وجمع بين طريقه وطريق الإمام ابن فورك ثم نظر كتاب أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني؛ وهو مع هذا يحضر مجلس شيخه أبي علي الحسين بن علي الدقاق، فالتحف عليه برداء همته، فكان من أمره ما كان فزوجه ابنته مع كثرة أقاربها وبعد وفاة أبي علي سلك سبيل المجاهدة والتجريد، وأخذ في التصنيف فصنف التصنيف الكبير قبل سنة عشر وأربعمئة وسماه التيسير في علم التفسير، وهو من أجل ما صنف، وأجود التفاسير وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الشيخ الإمام أبو محمد الجويني والد الإمام أبي المعالي المتقدم وأبو العباس أحمد بن الحسين البيهقي، فسمع منهما الحديث ببغداد

والحجاز، وكان له مع هذا في الفروسية واستعمال  
السلاح يد بيضاء.

وأما مجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها عقد لنفسه  
مجلس الإملاء في المدرسة سنة سبع وثلاثين وأربعمئة،  
وكان ينشد إذا رأى أهل المرضات، ولم ير منهم مخايل  
التحقيق فيرق عليهم لعدم صدقهم وربما أبكاه حاله  
فيقول:

لا والذي حَجَّتْ مُستقبلين الركنَ

قريش بيته من بطائحها

جججج

جج

ما أبصرت عيني إلا ذكرت أحبتي

خيام قبيلي بفنائها

جججج

جج

أما الخيام وأرى نساء

فإنها كخيامهم الحبي غير

نسائها

جججج

ج

ثم يقول: أما الهيئات والمرقعات فمعلومة، وأما القلوب  
فمنكودة وفي سنة سبع وثلاثين الذي عقد فيه المجلس،  
ألف رسالته المشهورة، فكان ظهورها باكورة الفتح  
وذكرته جماعة من أئمة العلم، فأثنوا عليه.

قال أبو الحسن علي في دمية القصر: بالغ في الثناء عليه.



قال في حقه: لو قرع الضمير بسوط تحريره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب.  
وذكره أيضاً أبو بكر الخطيب.

قال: قدم علينا سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وحدث ببغداد وكتبنا عنه، وكان ثقة حسن الوعظ مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي.

وُلد رحمه الله سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي صبيحة يوم الأحد قبل طلوع الشمس السادس عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة، وأخذ عن شيخه أبي علي الدقاق عن أبي القاسم النصراباذي عن الشيخ أبي طالب المكي إمام الطائفة عن السري إلى آخر السلسلة المتقدمة يلتقي فيه معه.

وأما شيخ الشيوخ أبو طالب المكي فهو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عطية يقال له: ابن عطية الله المعروف بالمكي.

وروي: إنه حدث عن علي بن أحمد المعيصي وأبي بكر المفيد وغيرهما.

وروي عنه محمد بن المظفر الخياط وعبد العزيز بن علي قال أبو طاهر محمد بن علي: كان أبو طالب من أهل الجبل، نشأ بمكة ودخل البصرة بعد وفاة شيخه أبي الحسن بن سالم فأنتهى إلى مقالته، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ ثم امتنع من الكلام على الناس.

قال أبو القاسم الأزهري وأحمد بن محمد العتيقي: مات أبو طالب المكي في جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

قال العتيقي: كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة له مصنفات، قال: كاتب هذا لطف الله به.

هكذا وقفت على اسم الإمام أبي طالب  $\tau$  في تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت وغيره ممن تعرض للتعريف به، وكذلك هو في النسخة التي وقفت عليها من



هذا الكتاب نقلناه من النسخة التي كانت بيده وعليه الكثير من خطه من أولها إلى آخرها.

أعني: الإمام العلامة العالم العلم الفرد فصيح اللسان والقلم أبا عبد الله سيدي محمد بن عباد الرندي الأندلسي الفاسي القبر والمزار؛ إذ هو إمام هذا الشأن وكان معتنياً بكتاب الإمامين أبي حامد: «الإحياء»، وأبي طالب: «القوت»، وما زال معتكفا عليهما حتى مات رحمه الله.

ونقلت من خط أبي عبد الله بن رشيد الخطيب ما نصّه، وجدت على نسخة عتيقة قديمة من كتاب القوت اسم مؤلفه.

قال: أبو طالب محمد بن عطية الله اليميني ثم المكي الملقب بالبصري.

وكان الشيخ الإمام سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول فيما نقله صاحب اللطائف: عليكم بالقوت فإنه قوت. وكان يقول: مَنْ أراد العلم فعليه بالإحياء، ومن أراد النور فعليه بالقوت.

قال صاحب النجم عن ابن خلكان: قال: سكن مكة فنسب إليها وأيد بحب الطاعة فأعين عليها.

قال ابن خلكان: هجر الطعام طلباً للحلال مدة كثير من الزمان مقتصراً على أكل الحشيش من الأرض والنبات المباح حتى اخضر جلده من ذلك، وتغيرت حالته نفعه الله بقصده ونفع به.

ومن مروياته: ما حُكي عن بعض المجاورين بمكة قال: كانت عندي دراهم أعتدتها للإنفاق في سبيل الله تعالى، فرأيت ذات ليلة فقيراً ذا سُمْت حسن يطوف بالكعبة قال: فكنت أمشي خلفه وأنا أتبعه من حيث لا يشعر فلما قضى طوافه وكمل سبعة أتى الملتزم بين الباب والحجر، فسمعتَه يدعو دعاء خفياً، فأصغيت إليه فإذا هو يقول: جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى؟

قال: فنظرت فإذا ثيابه رثة خلقة.  
وقلت في نفسي: ما أجد بتلك الدراهم خيراً من هذا،  
فذهبت إلى منزلي، وأتيت بالدراهم.  
وقلت له: رحمك الله أنت في هذا الموضع وعلى مثل  
هذه الحالة فلو أخذت هذه الدراهم لتستعين بها على  
عبادة الله تعالى ووضعتها بين يديه على الأرض، فنظر  
إليها وأخذ منها خمسة دراهم.

وقال: هذه نفقة ثوبان ونفقة ثلاثة أيام ثم لا حاجة لي  
بسائرهما فقام عني، وانصرف فلما كانت الليلة الثانية  
رأيت في الطواف وعليه ثوب جديد، فهجس في نفسي  
شيء وإذا به التفت إلي وأخذ بيدي فأطافني معه سبعة في  
كل شوط منها في جوهر من معادن الأرض من الياقوت  
والزبرجد تحت أقدامنا إلى الكعبين فيه ذهب وفضة  
وياقوت وجوهر لم يظهر للناس.

فقال لي: هذا كله أعطيناه وزهدنا فيه ونأخذ من أيدي  
الخلق أحب إلينا؛ لأنه أحب إلى الله Y وأيسر علينا في  
الحساب غداً.

قال صاحب النجم: حدثني صاحب مرآة الزمان عن  
أبي القاسم بن بشر.

قال: دخلت على شيخنا أبي طالب في وقت وفاته،  
فقلت له: أوصني.

قال لي: إذا علمت أن الله Y قد غفر لي، أو قال: ختم  
لي بخير، فإذا خرجت جنازتي فانثر علي السكر واللوز  
وقل: هذا للحاذق.

فقلت: ومن أين أعلم ذلك؟

قال: خذ بيدي عند وفاتي، فإذا أنا قبضت بيدي على  
يديك، فاعلم أن الله قد ختم لي بخير وإذا لم أقبض على  
يديك وتركت يدي من يدك فاعلم أن الله لم يختم لي  
بخير.

قال أبو القاسم: فقعدت عند رأسه وقت وفاته وأخذت

بيده فقبض على يدي قبضاً شديداً، فلما خرجت جنازته  
نثرت عليه السكر واللوز، وقلت: هذا للحاذق كما  
أمرني.

وكراماته كثيرة وأخباره شهيرة ولو لم يكن إلا قوته  
الذي عليه المدار في هذا الشأن حتى قال الشيخ الكامل  
الواصل أبو عبد الله بن عباد: القوت في التصوف كالمدونة  
في الفقه يحتاج إليها ولا يستغنى عنها وهي غنية أو كلاماً  
هذا معناه، فإن القوت كاسمه وقد أتى الإمام المذكور  
على الكتابين في رسائله الصغرى وأطنب بما لا مزيد عليه  
في ذلك.

وأما شيخه الذي انتهى إلى مقالته وهو أبو الحسن علي  
بن أبي عبد الله محمد بن سالم صاحب سهل بن عبد الله  
التستري راوي كلامه.

قال صاحب «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»: لا  
ينتمي إلى غيره من المشايخ وهو من أهل الاجتهاد  
وطريقته طريقة شيخه أو قال أستاذه: سهل وله أصحاب  
ينتمون إليه وإلى ولده أبي الحسن.

قلت: وأبو الحسن هذا ولد أبي عبد الله انتمى إلى  
الشيخ أبي طالب وله حال عجيب وسر غريب وكرامات  
وأسرار بركات، ولكن الذي عرف بأنه أخذ عنه، وقد  
أدركه صغيراً وهو إمام الطائفة على الجملة والتفصيل أبو  
القاسم الجنيد بن محمد القواريري، وكان أبوه يبيع  
الزجاج فمن ذلك قيل له القواريري، وكان فقيهاً تفقه  
على أبي ثور وكان يفتي في حلقاته.

وصحب السري خاله والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي  
القصاب  $\pi$  وكان من أكابر أئمة القوم وساداتهم، مات  
يوم الجمعة سنة سبع وتسعين ومائتين ودفن يوم السبت  
وقبره بالشونزية ببغداد ظاهر تغشاه الناس كثيراً ومعه  
جماعة من أصحابه وأشايقه.

قال صاحب «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»: قبره  
يزوره الخاص والعام وإليه المرجع في هذا الطريق وسئل

عن العارف.  
فقال: مَنْ نطق عن شرك وأنت ساكت.  
وقال: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن  
الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.  
وقال له رجل: مَنْ أصحب؟  
قال له: مَنْ تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك.  
وقيل له مرة أخرى: من أصحب؟  
قال له: مَنْ تقدر أن تنسى ما له وتقضي ما عليه.  
وقال: قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش  
من أفضل منهم يقيناً.  
وقال أبو عمرو الزجاجي: سألت الجنيد عن المحبة.  
فقال: أتريد الإشارة؟  
قلت: لا.  
قال: أتريد الدعوى؟  
قلت: لا.  
قال: فأني شيء تريد؟  
قلت: عين المحبة.  
قال: إن تحب ما يحب الله تعالى، وتكره ما يكره الله تعالى  
في عباده.  
وقال له رجل: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟  
قال: على زمان بسط ورث قبضاً، أو زمان أنسٍ أورث  
وحشة، فأنشأ يقول:

قَدْ كَانَ لِي مَشْرَبٌ وَكَدَّرْتُهُ يَدُ الْأَيَّامِ لَمَّا  
يَصِفُو بِرُؤْيَيْكُمْ ص\_\_\_\_\_فِي

جججج ج

قال أبو محمد الحريري: رأيت أبو القاسم الجنيد في المنام  
بعد موته.

فقلت له: ما فعل الله بك؟

فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات  
وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا  
ركيعات كنا نركعها في الأسحار.

قال T: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على  
رؤوس الملوك.

وسئل عن العارف.

فقال: لون الماء لون إنائه يعني: إنه يكون بحكم وقته.

قال T: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ وَيَسْتَرِيحَ لَهُ بَدَنُهُ  
وَقَلْبُهُ؛ فَلْيَعْتَزِلِ النَّاسَ، فَإِنَّ هَذَا زَمَانٌ وَحْشَةٌ، وَالْهَاقِلُ مِنْ  
اخْتَارَ فِيهِ الْوَحْدَةَ، فَإِنَّهُ مَا نَجَّى مِنْ نَجَا إِلَّا بِصِدْقِ الدِّجَانِ.

قال الله Y: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا  
ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨].

قال جعفر بن نصير الخلوي: قال لي الجنيد: اشترى لي  
التين الوزيري، ودفع إلي درهما قال: فاشتريته له فلما كان  
عند إفطاره أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى.

وقال لي: احمله، فقلت له في ذلك، قال: هتف بي  
هاتف في قلبي.

وقال: أما تستحي؟ تركت هذا من أجلي ثم تعود إلي،  
وأنشأ يقول:

نون الهوانِ مِنْ وَصْرِيْعُ كُلِّ هَوَى

الهوى مَسْرُوقَةٌ صَرِيعُ هَوَانٍ

جججججج جج

ورُوي: إن أبا العباس بن عطاء كتب إليه:

تضايقت الأحوالُ وَمَا ذاك مفهوم  
بي في محلِّها لَأَنِّي مُثْقَلُ

جج جج

فَلا الرِّيحَ في ولا الوجدَ من قلبي  
أبراجها مُستقرَّةٌ يقرُّ ويمهلُ

جججج جج

فأجابه الإمام الجنيد بقوله:

فلو نطقْتَ لي أليسَ فإني في ثوب  
الدَّهرِ خبرت الصبابةَ أرفلُ

جججج جججج

وما إنَّ لها علمٌ وَمَا ذاك مُبهمٌ بأني  
بقدري وموضع مُثْقَلُ

جج جج

واعلم أن هذا الإمام إليه المرجع في هذا الشأن علماً  
وعبادة وحالا ومأبأ، وما زال في الجِدِّ حتى خرجت

روحه، وانتقل من الدنيا إلى الآخرة.  
قال أبو بكر العطار: حضرت وفاة الجنيد ؓ مع جماعة  
من أصحابه، وكنا جماعة وافرة وفيهم أبو محمد الجريري  
وأبو العباس بن عطاء وهو مشغل بدرس القرآن والركوع  
والسجود.

قال الجريري: أفي هذا الحال لو رافقت بنفسك؟  
فقال له: يا أبا محمد ومن أولى مني بالجد وأنا الآن  
تطوى صحيفتي.

وفي رواية: حالة وصلت بها إلى الله تعالى في بدء أمري  
لا أفارقها حتى ألحق بالله تعالى.

قال الجنيد: يا أبا محمد لي إليك حاجة إذا متُّ  
فاغسلني، وكفني، وصل علي، فبكي الجريري وبكينا.  
ثم قال: وحاجة أخرى تتخذ لأصحابك الطعام والوليمة  
فإذا انصرفوا من الجنازة رجعوا إلى ذلك حتى لا يقع بينهم  
التشتت.

قال: فبكي الجريري بكاءً شديداً، ثم قال: والله لأن  
فقدنا هاتين العينين ما اجتمع منا اثنان أبداً.

قال أبو جعفر الفرغاني: فكان الأمر والله كذلك ما  
اجتمع منا اثنان بعد وفاته وإنما كان ذلك ببركة الشيخ  
ورؤيته.

وروي: إن الشبلي سأل الجنيد رضي الله عنهما، فقال:  
يا أبا القاسم ما حسنات الأبرار؟ قال: سيئات المقربين.  
ثم أنشأ يقول:

طُوارق أنوار فتظهر كِتمان

تلوح إذا بدت وتُخبر عن جمع

ججج

ججج

وتبيان إشكال وإعلان وجد  
وإفصاح مُهمِّل شاهد القرب بالمنع

ج جج  
قال أبو محمد الحريري: كان في جوار الجنيد رجلٌ مصابٌ.  
أو قال: مجنون في خربة، فلما مات الجنيد ودفناه  
ورجعنا من جنازته، تقدمنا ذلك المصاب.  
أو قال: المجنون وصعد موضعاً ربيعاً، وقال: يا أبا محمد  
أتراني أرجع إلى مكان الخربة وقد فقدت ذلك السيد؟  
ثم أنشأ يقول:

وآسفا من فراقِ هُم المصايحُ  
قــــــــــــــــوم والحــــــــــــــــصونُ

جج جج  
والودقُ والمزنُ والخيرُ والأمرُ  
والرواسي والــــــــــــــــسكونُ

جج ججج  
لم تتغير لنا حتى توفّتهم  
الليــــــــــــــــالي المنــــــــــــــــونُ  
جججج جج



فَكُلْ وَكُلْ مَاءٍ لَنَا  
جَمْرٍ لَنَا عِيُونُ  
قُلُوبُ جَج

جج

ثم غاب عنا، فكان ذلك آخر العهد به.  
وروي: ثم رمى بنفسه فما بلغ الأرض إلا بخروج روحه  
فما برحنا حتى دفناه بجنبه.  
وروي: إنه سُئل عن الخوف.  
قال: إخراج الحرام من الجوف، وترك العمل بعسى  
وسوف.  
قال: لو علم الله منك التحقيق لويسع عليك الطريق،  
ولو أشرت إليه في أول المصائب لأبر ذلك من لطائف  
العجائب.  
قال: ما من امرئ طلب أمراً بصدق وجد؛ إلا أدركه  
وإن لم يدرك الكل أدرك البعض وأنشأ يقول:

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاجَتْ فَالْصَدَقُ أَكْرَمُهَا

ججج تَنَاجَا

ج

الْصَدَقُ يُعْقَدُ فَوْقَ خَلِيفَةٍ بِالْصَدَقِ

رَأْسُ تَاجَا

جججج

جججج

والصدقُ يقدحُ في كلِّ ناحيةٍ  
زِنْدُهُ سِرًّا رَاجَا

ججج جج

وقال أبو العباس بن مسروق: مررنا على الجنيد رحمه الله في بعض دروب بغداد وإذا بقائل يقول:

مَنَازِلُ كُنْتُ تَهْوَاهَا أَيَّامُ كُنْتُ عَلَى  
وَتَأْلَفُهَا ————— الْأَيَّامُ مَنَصُورًا

جججج ججج

فبكى الجنيد بكاءً شديداً، ثم قال: يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس، وما أوحش مقامات المخالفة لا أزال أحن إلى حال بدايتي وجدة سعي وركوب الأهوال طمعاً في الوصول، وهما أنا في أيام القفرة أتأسف على أوقاتي الماضية.

وقال ٢: مَنْ لَمْ يَصِلْ عِلْمُهُ بِالْيَقِينِ وَيَقِيدَهُ بِالْخَوْفِ وَيَخُوفُهُ بِالْعَمَلِ وَعَمَلُهُ بِالْوَرَعِ وَوَرَعُهُ بِالْإِخْلَاصِ وَإِخْلَاصُهُ بِالْمُشَاهَدَةِ فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

وقال ٢: الْيَقِينُ أَنْ لَا تَهْتَمَّ بِرِزْقِكَ وَقَدْ كَفَيْتَهُ وَتَقَبَّلَ عَلَيَّ عَمَلُكَ الَّذِي قَدَرْتَهُ فَإِنَّ الْيَقِينَ يَسُوقُ لَكَ الرِّزْقَ سَوْقًا.

وقيل له: ما علامة العبد، قال: إن لا يشكوا أحداً ولا يؤذي أحداً حتى يشكوه ويترك التقصير في الخدمة ويترك التدبير في التقدير.

وسئل ٢: كيف الطريق إلى الله تعالى؟

قال: اترك الدنيا وقد نلت، وخالف هواك وقد وصلت.  
قال: أول ما يرى من الإخلاص في أحوال الأولياء

خلوص سرائرهم وهممهم وإرادتهم ثم خلوص أفعالهم فمن  
لم يخلص سره لا ينال الصفا فعلة.  
وسئل ٢ عن الإخلاص، فقال: فرض في مرض، ونفل  
في نفل.  
قيل: ما معناه والله إن الإخلاص في الأعمال المفروضة  
فرض ثم النوافل غير مفروضة فإذا دخل العبد فيها فرض  
عليه الإخلاص فيها وإلا فقد أشرك.  
وأنشد:

وإن امرءاً لم يصفُ لقي وحشة من كل  
لله قلبه ————— نظرة ناظرٍ

ج

جج

وإن امرؤاً لم يرتحل إلى داره الأخرى  
ببضاعة ————— فليس بتاجرٍ

جججج

جج

وإن امرأً ابتاع دنيا لمنقلبٍ منها بصفقة  
بدينه ————— خاسرٍ

ج

جج

وقال أبو الحسن علي بن منصور الدينوري: خرجت  
إلى بغداد ومعني شيء من الدنيا أريد أن أفرقه علي  
أصحاب الجنيد وسائر الفقراء ٢، فاوفينا بغداد ونزلنا في  
مكان واحد زماناً وكان معنا، فسرت إلى الجنيد لأسلم  
عليه، وأقضي حقه، فوجدته في منزله فباسطني بكلامه  
وحسن خلقه وكنت أختلف إليه على سائر الأوقات،

وأجالسه.

فلما كان ذات ليلة رأيت في المنام كأن الخليفة يدعوني إلى ضيافته، فتنبّهت وحدثت بما رأيت صاحبي.  
فقال لي: ننتظر تأويل رؤياك هذه فلما أصبحنا صلينا الصبح ونحن جلوس وإذا بالباب يدق، فقام صاحبي وفتح وإذا بالشيخ أبي القاسم الجنيد، فقمتم وسلمت عليه، وجلس عندنا ساعة، فتحدثنا وتذاكرنا بالعلم، ثم دعانا إلى دعوته في منزله.

ثم قال أبو الحسن علي بن منصور: فنظرت إلى صاحبي متبسماً.

فقال لي الجنيد: مما تبسمكما؟

فقلت له: رأيت البارحة في النوم كأن الخليفة جاءني يدعوني إلى ضيافته، وحدثت به صاحبي هذا.  
فقال لي: ننتظر ما يكون، فصلينا الصبح، وجلسنا ننتظر تأويل الرؤيا حتى أطرقت الباب، فلما دخلت وجلست ودعوتني تبسمت.

لذلك قال الجنيد: رأيت البارحة رسول الله  $\rho$  وأبو بكر  $\tau$  عن يمينه وعمر  $\tau$  عن شماله وعلي  $\tau$  وإذا برجلين دخلا، وجلسا بين يديه فادّعى أحدهما على الآخر بدعوا مطالبته لحق، فالتفت إلي النبي  $\rho$ .

وقال لي: يا أبا القاسم احكم بينهما، فسكت إعظاماً لرسول الله  $\rho$  واحتشاماً منه ومن أصحابه، فأعاد القول علي، فاحتشمت هيبة له وإجلالا، فأعاد القول علي، فأطرقت رأسي.

فقال في الرابعة: يا أبا القاسم احكم بينهما فقد وليتك الحكم بين الخلق، فانتبّهت وأنا مذعور فجئت إليكم أتسلي بكم.

وقيل له: متى يصفو العمل لله  $Y$ ؟

قال: إذا لم تمازجه الأدناس ولم تخالطه ملاحظة الناس.

قيل له: متى تصلح الوحدة؟

قال: إذا اعتزلت عن نفسك، ودخلت في حبسك،  
وأخذت في درسك ما جنيت في أمسك.

قيل له: متى تطيب الخلوة؟

قال: إذا كان لك جليسا وكان الجليس في الجلوس  
أنيسا.

وقال يوما لأصحابه: أتديرون أين يُذهب بكم؟ وتديرون  
لما خلقتكم؟ وإلى ماذا تصيرون؟ فاتقوا الله Y واحفظوا  
أوقاتكم وساعاتكم فإنها ذائلة عنكم غير راجعة عنكم  
والحسرة في فوقها على الغفلة فلو أبدل أحدكم ما بذل لم  
يرد وقتا فات، فأوصلوا أورادكم تجددوا منفعتها في دار  
الإقامة لا يشغلكم عن الله Y قليل الدنيا فإن قليل الدنيا  
يشغل عن كثير الآخرة.

قلت هذه من أحسن وصاياه T فإن الوقت إذا فات لا  
يرد أبدا بخلاف ما يؤدي فيها.

كما حكي ذلك في قصة داود الشهيرة حيث قال: ترد  
علي صفاء ذلك الوقت فأوحى الله إليه هيهات ما فات  
من الأوقات لا يرد، وأنشدوا:

أؤمل عطف فيا أمل في الدهر

الدهر بعد هل أنت كائن

انصرامه

جج

ججج

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري T: ذهبت طائفة من  
المشايع إلى أن الأوقات ليس لها بدل وأن من فاته وقت  
فلا يكون إليه وصول، وأنشدوا:

فخل سبيل العين فليس لأيام الصفاء

ويحك للبكى رجوع

ججج

ججج

ثم قال: ويحكى فيما رواه عن أبي علي الدقاق: إن داود  
١ لما تملأ بكأوه أوحى الله إليه: إلى كم تبكي إن كان  
هذا خوفاً من النار فقد أمنتك، وإن كان لطلب الجنة فقد  
بشرتك وإن كان للخصم فقد أرضيته عنك فزاد داود في  
البكاء.

وقال: إنما أبكي لما فاتني من صفاء ذلك الوقت فردّه  
علي، فأوحى الله إليه هيهات هيهات يا داود لا سبيل  
لذلك.

وقال قوم: يصح بفضل المولى ردّ ذلك.

وقال الأستاذ: ومن جميل سنته وجزيل كرمه إذا تغير  
لعبده وقت أو تكررت له حالة أو خاّنه زمان استبدل  
عبيه بوصال، وجدد له أيامه الدارسة وعاد عليه أوقاته  
الذاهبة كما قيل:

لئن درست آثار من الوصل ما شوقي  
ما كان بيننا إليكم بدارسٍ

ججج

وما أنا ممن يجمع بأحسن ما كنّا عليه  
الله بيننا ————— بـ آيس

جج

جج

وقد قال الحسن البصري: وما الذي يضحك أحدكم  
وما يدرية ولعل الله اطلع له على خائنة.  
فقال له: لا أغفر لك أبداً كما قيل: كيف السبيل إلى  
مرضات من غضب من غير جرم ولم أعلم له سبب كان

السائل خشي أن يكون مغضوباً عليه ولم يدر بماذا  
يسترضيه فأجاب بعض الأدباء بأن قال:

يكفي اللبُّ من فيعرف الكونَ  
التنبُّه أيسره والترتيب والسبب

ج ج ج ج

إنَّ السبيلَ إلى فما عليك له  
مرضاته نظرَ يرضى كما غضبَ

ج ج ج ج ج ج ج ج

ويُحكى عن إمام الطائفة: إنه رأى بعض أصحابه  
مهموماً متفكرًا.

فقال له: ما الذى أحزنك يا أبا القاسم؟

قال: فقدت أنيسي في الخلوة، وفقدت الإخوان الذين  
كنت أنس بهم دون هذا ما يهد البدن ويشغل القلب.

ويُحكى عنه  $\pi$  قال: صحبت خمس طبقات من الناس  
الأكابر أولهم: أبو الحسن البصري، والحارث المحاسبي وأبو  
جعفر القصاب وأبو يعقوب محمد بن الصباح ونظائرهم  
في السن والمكانة.

والطبقة الثانية: أبو عثمان الوراق وأبو الحسن ابن  
الكرنبي وأبو حمزة محمد بن إبراهيم وحسن السروخي  
ومحمد بن أبي الورد، ونظائرهم في السن والمكانة.

والطبقة الثالثة: أبو محمد بن وهب، وأبو جعفر يعقوب  
بن الزيات وسعيد الدمشقي البزار وحسين النجار  
ونظائرهم في السن والمكانة.

والطبقة الرابعة: أبو القاسم الواسطي وأبو عبد الله  
الباجيلي وأبو العباس الأدمي وأبو أحمد المغازي ومحمد بن

السماك وأبو بكر المخزومي وجماعة من نظائهم في السن والمكانة.

والطبقة الخامسة: في هذه التي نحن فيها ما رأيت منهم أحداً زاحمته حاجة عند صاحبه إلى حيث انتهينا بحثهم صاحبه إلا بنظر نقص في أحدهم وعلى هذا مضى أكابر أهل هذه الطريقة.

وقال τ: مَنْ عجز عن سبعة أشياء لم تصف له العبودية.

فأولها: معرفة الله Y، الثانية: معرفة نفسه، الثالثة: معرفة عدوه الشيطان، الرابعة: معرفة الخلق، الخامسة: معرفة دنياء، السادسة: معرفة آخرته، السابعة: معرفة الوقت وبه كمال المعرفة؛ لأن مَنْ لم يعرف وقته فات وقته والالتفات إلى ما مضى شغل عن ما آت.

قلت: فَمَنْ عرف ربّه أطاعه، وقام بحق أوصافه بقدر استطاعته، وخاف بغته مكره، ومن عرف نفسه قهرها حتى تنقاد لطاعة ربه، ومن عرف الشيطان وأنه عدو خالفه ولا يطيعه ففي طاعته سخط ربه، ومن عرف الخلق وأنهم على أغراضهم هي عنهم ابتغاء مرضات ربه، ومن عرف الدنيا وأنها أضغاث أحلام وأنها يغيضة الله نبذها وراء ظهره ورزقه منها يأتيه على رغم أنفها، وكل مَنْ فيها، ومن عرف آخرته وأنه ليس له فيها إلا ما سعي فيه في دنياء بادر قبل أن يفوته ومن عرف أن الوقت إن فات لا يرجع وأن الأيام مراحيل وأن ما من نفس مضى في غير طاعة ربه ذهب له فيه جوهر نفيس لا محالة حافظ على أوقاته إلا في حقها وهذا الإمام ممن اتفق على جلالته المتقدمون والمتأخرون، وله كرامات وآيات أضربنا عنها اختصاراً؛ إذ الجبل لا يحتاج إلى مرساة.

وأما السري فقد تقدّم التعريف به، وأمّا سيدنا الحسن بن علي τ فكنيته أبو محمد وُلد سنة ثلاث من الهجرة.

فلما سمع به ρ قال أبو الحسن علي: لما ولد الحسن أتانا النبي ρ فقال: «أروني ابني ما سيمتوه؟ قلنا: حرباً، قال:



بل هو حسن» (١٠٦).

وفي البخاري ومسلم: «انه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ» (١٠٧) قلت: وكذلك في خلقه.

وكان ٢ فيما نقل الإخباريون: من أعبد الناس، فكان من أحسن أهل زمانه كثير الصلاة والصيام زاهداً محباً في الفقراء وتواترت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن: «إن ابني هذا سيد عسى الله أن يبيقه حتى يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين» (١٠٨).

وتقدم برواية غير هذه وهي بمعناها على اختلاف الرواة.

قال صاحب النجم: تأمل هذا الفضل الذي خص الله به سيدنا الحسين فإنه لا أعظم قدراً ممن سمّاه النبي ﷺ سيّداً وكان من أزهد أهل زمانه وأورعهم، وقد توقّف في قتل البغاة الأشعث الكندي وهو الذي سمّته، وبقي ما يقرب من خمسين يوماً وهو يجري بالدم فهو ٢ ترك الملك والخلافة لله ﷻ ورغبة فيما عند الله

وروي لما قال له معاوية: يا ابن بنت رسول الله ﷺ بلغني أنك تطلب الخلافة.

قال له: والله لقد كانت بيعتي في جماهير العرب تحارب من حاربت وتسالم من سالت وتركت ذلك ابتغاء ما عند الله وكتبت في فضله وثوابه ثم صعد المنبر وقال في خطبته: الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا أولنا وحقن دماءكم بآخرنّا، ألا إن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون هو أحق به مني فلا ينبغي أن أنازعه فيه، وإن أكن أنا أحق به منه، فقد تركته لله ولإصلاح أمة محمد ﷺ ثم التفت إلى معاوية.

(١٠٦)

١٠٧)

(١٠٨)

فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] فكان الأمر كذلك.

وَمَنْ مروياته T عن رسول الله P فيما يروي الترمذي وأبو داود عن أبي الجوزاء قال: قال الحسن: «علمني رسول الله P كلمات أقولها في القنوت: اللهم أهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا تقضي عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت» (١٠٩) وكان T من أسخى الناس وأكرمهم.

وروي عنه: إنه خرج مرة بالحج هو وابن عمه عبد الله بن جعفر وأخوه الحسين وساروا على أرجلهم، فأتت رحالهم، فأدركهم حر القافلة، فاووا إلى خيمة عجوز. فقالوا لها: هل من شراب؟ قالت: إلا هذه الشاة فليحلبها أحدكم، ثم قالوا لها: هل من طعام؟

قالت: إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهب لكم منها ما تأكلون، فقام أحدهم فذبحها فطبخت منها، فأكلوا فلماً برد النهار، قالوا لها: نحن نفر من قريش، فإذا وردنا المدينة، أو قال: وردت المدينة إئتينا حتى نفعل معك خيراً.

فلماً أتى الشيخ زوج العجوز سألها عن الشاة فأعلمته بالقصة.

قال لها: ويحك ذبحت الشاة ولم تعلمي لمن؟

ثم أوى الحال العجوز والشيخ يبيعان الإبل والغنم في المدينة والحسن بباب داره وإذا بالعجوز فعرفها فنادها، وقال لها: تعرفي ضيفانك يوم كذا وكذا.

قالت له: بأبي وأمي أنت هو قال لها: نعم فأدخلها داره، واشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطها ألف دينار وبعثها مع أحد غلمانها إلى أخيه.

فقال لها: بكم وصلك أخي.  
قالت: بألف دينار وألف شاة، فأعطاهما كذلك، ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر، فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟

فقالت: بألفي شاة وألفي دينار، فقال لها: لو بدأت بي لأتبعتهما فأعطاهما مثل ما أعطوهما، فراحت بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار.

ومحاسنهم في الكرم لا تحدد ولهم فيه عجائب وكذا سلفهم رضي الله عنهم كزين العابدين علي بن الحسين وولده محمد الباقر، وكذا ولده جعفر بن محمد، وكذا ولده موسى الكاظم، وكذا ولده علي بن موسى الرضي رضي الله عنهم أجمعين.

وكانت وفاة سيدنا الحسن عام تسع وأربعين من الهجرة رحمه الله تعالى ورضي عنهم ودفن بباب الغرقد عند والدته.

وأما تحقيق المصافحة والخرقة والمشابكة وتلقين الذكر من طريقة الشيخ أبي مدين وأبي الحسن الشاذلي وأبي محمد سيدي عبد القادر الجيلاني.

قال أبو محمد طاهر بن زيان بن قائد الزواوي المغربي، نزيل طيبة المشرفة صلى الله على مشرفها وسلم: هذه أسانيد مباركة لثلاث خرق شريفة: الخرق الشاذلية، والخرقة المدينية، والخرقة القادرية، نتصل بها كلها إن شاء الله من طريق شيخنا سيدنا ومولانا وسيلتنا إلى ربنا في منقلبنا ومثوانا سيدنا الشيخ العارف الإمام الكامل الجامع الفرد الغيث النافع؛ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي ثم الفاسي الشهير بزروق  $\pi$  ورضي عنا به، وجدتها مع غيري من الأسانيد كالمذخرة لي في مدينة الرسول  $\rho$ ، فحصلت منها فائدة عظيمة وذلك أن شيخنا من المجاورين في الحرم الشريف النبوي منقطعاً إلى جوار النبي  $\rho$  فوق أربعين سنة أو أكثر فيما أخبرني.

وكان لا يدخل المدينة أحد من أولياء الله تعالى إلا

ويعرفه ويطلع عليه؛ لأن له في هذا الباب اقتراحًا وكثيرًا رأيت منه رحمه الله تعالى.

وله موضع يجلس فيه من الروضة الشريفة عند رأس النبي ﷺ مدة تزيد عن الثلاثين سنة، وذكر لي أن الشيخ الموتى نقله إليه من عند أحد الصحابة، ورأى النبي ﷺ وهو ملازم له مدة جوارهم للمدينة المشرفة إلى أن مات رحمه الله تعالى وهو الشيخ الصوفي الصالح سيدي أحمد بن موسى النبتي منسوبًا إلى نبتت قرية من قرى مصر.

قال لي رحمه الله تعالى: طلبت من الشيخ سيدي أحمد زروق أن يلبسني الخرقة على طريقة القوم. فقال لي: هات لي طاقة، فأتيته بها، قال: اكسنيها بيدك فكسوته إياها.

فقال لي: أما هذه والله لا رأيته، أو قال: ما تراها بعد فأتني بأخرى فأتيته بها.

وقال لي: اجلس فجلست بين يديه مستقبل القبلة وكان مستقبلًا قسمى الله تعالى فكساني ولم يذكر لي سندًا. قال: ما أدري ما تصرفه في حال كسوته؟

وقد كان عند الشيخ سيدي أحمد بن موسى النبتي أسانيد نحو السبع عشرة خرقة لبسها من شيخ من مشايخ أهل بلاد مصر معتبر مشهور؛ وهو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام مربي المريدين ومعين الطالبين وقدوة السالكين وكهف المساكين شيخ وقته وفريد عصره العالم الرباني: أبو الحسن علي بن الشيخ الإمام شيخ الحقيقة والشرعية وحفيد العالمين والمحقق في المهديين: أبو حفص عمر بن العالم الرباني أبي الحسن النبتي رحم الله سلفهم، وألحق به خلفهم.

ومدار هذه الأسانيد على الشيخ سيدي أبي حفص عمر ولد سيدي علي النبتي شيخ أحمد بن موسى المذكور ليس من كثير من الشيوخ هذه الخرق واشتهرت عنه بأسانيد حتى عن بعض من تشوف بالتصوف من علماء مصر الاعتبارين يدور إسناده عليه وهو على يد مجد الدين

صالح الزواوي.

قال سيدي طاهر، قلت: فلعل الشيخ سيدي أحمد زروق  $\tau$  اطلع عليها، فلبس من الشيخ سيدي أحمد بن موسى المذكور وكساه بسنده، فهي من رواية الأكابر إلى الأصاغر.

وكان الشيخ  $\tau$  يقول: ألبسته الخرقة كما ألبسني وحدثته بها كما حدثني بأسانيده عن شيخه الذي ينتمي إليه حتى صحح الشيخ الولي سيدي أحمد زروق رواية هذه الأسانيد كلها عن الشيخ النبتي الكبير في الباطن.

أوصل الشيخ المولى لتلميذه سيدي أحمد بن موسى المذكور بين طريق شيخه بإلباسه بسنده ولم يذكر له سنداً في الخرقة غيره وإن كان له أسانيد عديدة كتبت على طريقة شيخه أدباً مع شيخه إلى شيخه، فإنه عال المقدار في بلاد مصر وهذا من باب الأمانة والنصيحة وحفظ الأدب مع المشايخ فافهم.

وهذه النكتة تأملها لعل الله يثبت بهذه الأسانيد الوصل كل منها إلى طريق قويم وطريقة الشيخ المولى علي الصراط المستقيم؛ فتحصل له بذلك إن شاء الله النصيحة والإعانة والأدب والتسليم أمين يا رب العالمين.

يعني: من كان منهم ممن له أصل وقدم في طريق الشاذلية المنسوبة إلى السيد الإمام الكبير العالي المقدار الولي الشهير سندنا وعمدتنا سيدي أبي الحسن الشاذلي  $\tau$ .

والمدينة المنسوبة إلى شيخ المشايخ سيدي أبي مدين شعيب الأندلسي  $\tau$  دفين عباد تلمسان.

والقادرية المنسوبة لسيدنا العماد محي الدين أبي محمد سيدي عبد القادر الجيلاني، ثم الشافعي ومن حصل به الفخر في زمانه لكل مشايخه والأصحاب فضلاً عن سواهم.

قلت: وفي الحقيقة كلهم طريقة واحدة؛ إذ سلسلة سيدي أبي الحسن متصلة بسلسلة سيدي أبي مدين

وسيدي أبي مدين سلسلته متصلة بسيدي عبد القادر نفعنا الله بهم وحصل قصدنا فيهم، وأمدنا من أنوارهم وحشرنا في زمركم آمين.

ثم قال سيدي طاهر بن زيان ؑ؛ لأن شيخنا ؑ شاذلي طريقة ومديني سلوكا وقادري حقيقة.

فلهذا اقتصرنا في هذا الثبوت على أسانيد هذه الخرق الثلاث دون ما سواها والله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه يتولى المتعلقين بها، والمنتسبين إليها بحفظه ورعايته وصونه وكلاءته آمين.

وقد أذنت لكل أخ في الله تعالى لقيني وصافحني مصافحة السلام، وأحب التعلق بي والاستعانة علي سلوك طريق المولى سيدي أحمد زروق ؑ أن يروي هذه الأسانيد أسوة بالشيخ من الطريق المذكورة.

ويقول: أذن لي ظاهر في لبس الخرقة وإلباسها ولكن بشرط لزوم التقوى والبراءة من الدعوى؛ بل يكون كواحد من الفقراء لا يرى له عليهم فضلا أبداً وإن كان قد رأى الشيخ أو ولده أو سيدي يحيى بن علي ؑ، وتعلق بطريقتهم فليلبسها وليلبس غيره منها ما يؤيد على الشرط المذكور متعلقا بما شاء من الأسانيد وإن كان لم يرنى ولكن رأى من رأى الشيخ من الأصحاب أو من رأى من الإخوان والأحباب فليلبسها وليلبسها قائلاً أيضاً أذن لي فلان من الرائيين لي أو ممن رأى الشيخ المولى سيدي أحمد زروق ؑ ورضي عنا به، ولبسه من الشيخ الصالح البركة المجاور لحرم رسول الله ﷺ أبا العباس أحمد بن موسى النبتي رحمه الله تعالى ورضي عنه.

والخرقة التي يلبسها القوم رضي الله عنهم ويكسونها هي: طاقية أو قلنسوة أو ثوب أو عمامة وترخى عذبتها من جهة اليسار أو بين كتفيه سواء الثوب للملبس أو اللابس فشرط أن يكسوه الملبس بيده.

ويقول: بسم الله كسوتك أو ألبستك خرقة التصوف، وإن صافحه بعد ذلك أو لقنه الذكر فحسن التلقين مع

المصافحة أو بدونها كله واسع.  
يقول الملقن للملقن: قل كلما أقول ويغمض كل منهما  
عينيه ويرفع صوته في توسط قائلًا: لا إله إلا الله فيقول  
كقبوله ثم يعاود فيعود أو يقولها الملقن ثلاثاً نسقاً فيتبعه  
والله أعلم

### وصفة المصافحة ثلاث:

الأولى: أن يضع باطن كفه الأيمن على باطن كفه الأيمن  
ويشبك الإبهام بالإبهام من غير عقد الأصابع.  
الثانية: أن يشبك الإبهامين مع عقد أصابع كل واحد  
على صاحبه.

الثالثة: أن يعقد المصافح فقط يده على يد المصافح  
ويشد عليه إعلماً بالتوثق من الدين وفي كل هذه  
الصفات إشارة إلى ذلك.

### سند الطريقة الشاذلية:

حدّثني الشيخ الصالح المصطفى البركة المجاور سيدي أحمد  
بن موسى النبتيني بجميع ما ذكر من لبس الخرقة وتلقين  
الذكر والمصافحة والمشابكة.

قال: ألبسني الشيخ الولي العارف أبو العباس سيدي  
أحمد زروق، أو قال: الشهير بزروق.

قلت: قال ٢: كان أحد أجدادي أزرق العينين فمرت  
على أعقابها ولم يكن الشيخ أزرق العينين فافهم ذلك.

قال: ألبسني الشيخ زروق كما ألبسته عن شيخه الشيخ  
العلامة القدوة البركة أبي الحسن علي ابن سيدي الشيخ  
العارف بالله أبي حفص عمر بن علي النبتيني ٣.

قال: ألبسني الخرقة، وأرخى لي العزبة والدي أبو حفص  
عمر المذكور، ولقني الذكر وصافحني وشابكني.

قال: ألبسني ولي الله العارف بالله مجد الدين أبو محمد  
صالح الزواوي.

قال: ألبسني الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن  
مخلص الطيبي رحمه الله.



قال: ألبسني الحافظ علم الدين.  
قال: ألبسني السيد الشريف زين الدين أبو بكر المغربي  
والسيد الشريف أبو عبد الله محمد بن الشيخ سيدي أبي  
الحسن الشاذلي.

قال: ألبسني الشيخ الإمام النافع العارف الخاشع الغوث  
الفرد الجامع أبو الحسن علي ابن عبد الجبار الشريف  
الحسني الشهير بالشاذلي، وهو لبس الخرقة تبركا من أبي  
عبد الله محمد بن علي بن حرازم، وهو لبسها من الشيخ  
أبي محمد صالح وهو لبسها من الشيخ أبي مدين، وهو  
لبس من الشيخ سيدي علي بن حرازم، وهو لبس من  
العالم العلم أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري المعروف  
بابن العربي المالكي، وهو لبس من حجة الاسلام أبي  
حامد الغزالي، وهو لبس من أبو طالب محمد بن علي  
المكي، وهو لبس من أبي عثمان المغربي، وهو لبس من أبي  
عمرو بن محمد بن إبراهيم الزجاجي، وهو لبس من شيخ  
طوائف الصوفية أبي القاسم الجنيد.

وسياتي رفع سنده إلى سيدنا علي بن أبي طالب.  
قال أبو محمد طاهر بن زيان: فمن سيدي أبي الحسين  
الشاذلي إلى هنا أو قال: إلى منتهى هنا يسمى بسند التبرك  
كما سبقت الإشارة إليه، وهو لبس الخرقة تبركا وله سند  
آخر يسمى بسند الإرادة.

وأشار فيه سيدي أبو العباس المرسى  $\tau$  من قطب عن  
قطب إلى الحسن بن علي.

قال: وهو أول الأقطاب وسند الإرادة هو: إن الشيخ  
سيدي أبي الحسن الشاذلي تلقى الذكر، وتلقنه من الشيخ  
أبي محمد عبد السلام بن مشيش بالعصر والصحة، وهو  
تلقى الذكر وتلقنه من الشيخ الشريف أبي زيد عبد  
الرحمن الزيات المدني، وهو تلقى الذكر، وتلقنه من شيخه  
تقي الدين الصوفي المعروف بالفقيه بالتصغير، وهو تلقى  
الذكر وتلقنه من شيخه فخر الدين وهو تلقى الذكر،  
وتلقنه من شيخه تاج الدين محمد وهو تلقى الذكر،



وتلقّنه من شيخه شمس الدين بأرض الترك، وهو تلقى  
الذكر وتلقّنه من شيخه القطب الغوث زين الدين محمد  
القزويني، وهو تلقى الذكر، وتلقّنه من شيخه أبي إسحاق  
البصري، وهو تلقى الذكر وتلقّنه من شيخه أبي القاسم  
المرواني، وهو تلقى الذكر وتلقّنه من شيخه فتح السعود،  
وهو تلقى الذكر، وتلقّنه من شيخه سعيد الغزواني، وهو  
تلقى الذكر، وتلقّنه من شيخه أبي محمد جابر، وهو تلقى  
الذكر وتلقّنه من شيخه السيد الشريف الشهير الحسن بن  
علي بن أبي طالب، وهو من أبيه أبي الحسن، وقد أخذ  
ذلك كله عن رسول الله ﷺ وفي بعض الروايات يقولون:  
عن جبريل عن رب العالمين.

### وأما سند الطريقة المدنية:

قال أبو محمد طاهر بن زيان: حدّثني الشيخ شهاب  
الدين أبو العباس أحمد بن موسى النبتتي المجاور بطيبة  
المشرقة بعد أن البسني الخرقة، وأرخى لي العذبة، ولقني  
الذكر.

وقال: ألبسني الشيخ الولي العارف الكامل أبو العباس  
أحمد زروق بالمدينة المشرقة علي الوصف الذي تقدّم من  
الاستقبال إلى القبلة بعد ما البست، كما ألبسني أبو  
الحسن علي بن أبي حفص عمر المذكور.

قال: ألبسني الشيخ والدي أبو حفص عمر.

قال: ألبسني الشيخ العارف بالله السيد الشريف مجد  
الدين أبو محمد صالح.

قال: ألبسني الشيخان الجليلان محمد بن محمد بن  
مخلص الطيبي وأحمد بن أيّدمر.

قال: ألبسني شرف الدين بن العادلي.

قال: ألبسني الشيخ كمال الدين أبو عبد الله محمد بن  
الحسن بن عبد الولي البكري الشافعي الفيومي.

قال: ألبسني السيد محمد بن السيد الحسيب بن السيد  
الشيخ الشهير الولي الكبير أبي محمد عبد الرحيم القناوي  
عن الشيخ برهان الدين إبراهيم الفاروقي.

قال السيد محمد: ألبسني والدي السيد الحسن.  
قال: ألبسني والدي الشيخ الشريف عبد الرحيم  
القناوي.

قال الشيخ الفاروتي: ألبسني الشيخ القطب الحجاج  
أحمد الأقصري وسيدي عبد الرحيم القناوي المذكور.  
قال: ألبسنا الشيخ عبد الرزاق بن إسماعيل بن محمد  
الجازولي.

قال: ألبسني القطب الغوث الغيث أبو مدين سيدي  
شعيب بن الحسين، وقد ثبت أن الشيخ عبد الرحيم  
القناوي المذكور لبس أيضاً من الشيخ أبي مدين بعد لبسه  
من الشيخ عبد الرزاق فيكون السند أعلاً بدرجة.

وقد تقدم رفع سند سيدي أبي مدين في سلسلة الشاذلي  
إلى الجنيد رضي الله عنهم وها هنا نذكر قول الشيخ  
سيدي أبي مدين: ألبسنا الخرقة الشريفة شيخي وقدوتي  
أعجوبة الزمان سيدي أبي يعزى وآل النور، ومعناه  
بالعربية: صاحب النور.

قال: ألبسني الشيخ أبو شعيب أيوب بن سعيد  
الصنهاجي.

قال: ألبسني الشيخ عبد الجليل.

قال: ألبسني الشيخ أبو الفضل الجوهري.

قال: ألبسني والدي أبو عبد الله بن الحسين الجوهري.

قال: ألبسني أبو الحسين النوري المعروف بـ ابن  
البغوي.

قال: ألبسني الشيخ أبو الحسن السري السقطي.

قال أبو محمد طاهر بن زيان: وبأعلا من هذا لبس  
الشيخ أبي مدين أيضاً من الإمام أبي بكر الطرطوشي عن  
الساشي عن الشبلي عن الجنيد عن السري.

قلت: قد تقدم في أثناء الكتاب أن الشيخ سيدي أبا  
يعزى لقي الإمام ابن العربي، وأخذ عنه وكذا سيدي علي  
بن حرازم وسيدي أبو مدين هذا، لقي الشيخ الطرطوشي

فيكون قد أدرك شيخ الشيوخ، وقد شارك الإمام ابن العربي في الأخذ عنه.

قال الشيخ أبو الحسن النوري وأبو القاسم الجنيد: ألبسنا الخرقة أبو الحسن السري.

وقال أبو القاسم: ولبست أيضاً الخرقة من أبي جعفر الحداد، انفرد بها جماعة عن النوري.

قال: أمّا السري فلبس من أبي محفوظ معروف الكرخي، وهو لبس من مولانا علي بن موسى الرضا، وهو من أبيه موسى الكاظم، وهو من أبيه جعفر الصادق، وهو من أبيه محمد الباقر، وهو من أبيه زين العابدين علي بن الحسين، وهو من أبيه حسين بن علي، وهو من أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

قلت: وهو فيما قالوا: لبس علي بن أبي طالب من رسول الله ﷺ ولبس معروف الكرخي أيضاً من داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ فيما ذكروا.

وأما أبو جعفر الحداد شيخ الجنيد، فإنه لبس الخرقة أيضاً من أبي عمر الاصطخري عن شقيق بن إبراهيم البلخي، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد الراعي، عن أويس القرني عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وهما عن رسول الله ﷺ.

قلت: هذه الخرقة المباركة يعتنون بها شيوخ المشرق كثيراً وأهل المغرب إنما يعتنون بالصحبة والاقتداء والملاقة، وهي: وإن كان في حديثها لين فلا ينبغي أن يستحقر بأدب من آداب القوم وهي كالعهد عن هذه الطائفة يراعي حقها وحق من أخذت عنه، وهي على قسمين: خرقة التبرك، وخرقة العهد.

أمّا خرقة التبرك: فتلبس وتعطى لكل من طلبها كائناً من كان على وجه البركة وهو من يفعل في نفسه ما شاء ولكنه ينبغي له أن يراعي بها حق الأدب.

وأما خرقة العهد: فلا يلبسها إلا من دخل في الطريق

وكان في عقد أهلها أو سلك مسلکهم على النهج القويم والصراط المستقيم ١١٠.

واعلم أن الشيوخ المتأخرون يعتنون بهذه الخرقه كثيراً كالشيخ الإمام سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أبي النجيب السهروردي، وسيدي أبو الصبوح أخو الغزالي وسيدي شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي.

واعلم أن هذا الطريق إنما بنيت على الصدق والتسليم، وقد اتفقت لأبي النجيب مع أبي الصبوح فيها غريبة أضربنا عنها اختصاراً أعني: في لبس الخرقه.

### وأما سند الطريقة القادرية:

قال الشيخ أبو محمد سيدي طاهر بن زيان بن قائد: حدثني الشيخ شهاب الدين أحمد ابن موسى رحمه الله تعالى.

قال: ألبسني سيدي أحمد زروق ٢ نحو لباسي من أستاذي سيدي علي بن عمر النبتقي نحو لباسه من أبيه سيدي عمر المذكور نحو لباسه الشيخ محي الدين أبي محمد أبي محمد صالح الزواوي.

وقال: ألبسني الخرقه القادرية الشيخان الجليلان محمد بن مخلص الطيبي وأحمد بن أيدير قال: ألبسنا شرف الدين العادلي.

قال: ألبسني الشيخ الصالح ناصر السنة عبد الله بن شجاع الدين أبي القاسم بن إسماعيل بن محمد الفاروبي.

قال: ألبسني الشيخ جمال الدين أبو محمد يوسف بن محمد بن محمد بن نصر بن أبي القاسم المعدني.

قال: ألبسني الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي.

قال: ألبسني الفرد الجامع غوث الزمان أبو محمد سيدي عبد القادر الجيلاني.

قال: وبالسند المتقدم إلى شرف الدين بن العادلي.  
قال: ألبسني سراج الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن أحمد في يوم الأربعاء في مستهل ذو القعدة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة.  
قال: ألبسني والدي عبد الرحمن.  
قال: ألبسني والدي أحمد.  
قال: ألبسني والدي موسى العجيلي.  
قال: ألبسني الشيخ الكامل الواصل العارف المحقق سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه بالسند أيضاً إلى ابن العادلي.  
قال: ألبسني محمد الصالح.  
قال: ألبسني ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله العقبي.  
قال: ألبسني الشيخ تقي الدين أبو حفص عمر بن محمد بن مبارك بركات اليمن.  
قال: ألبسني والدي، قال: ألبسني العارف بالله أبو عمران موسى بن عمر المعروف بالدغيني.  
قال: ألبسني الأستاذ نور الدين أبو الغيث سعيد بن سليمان بن جميل شيخ مشايخ اليمن.  
قال: ألبسني الإمام القدوة علي بن أفلح.  
قال: ألبسني الشيخ الإمام شمس الدين أبو الحسن علي بن رجب الحذاب الذي بدأ التصوف في بلاد اليمن.  
قال: ألبسني قطب الأقطاب محي الدين سيدي عبد القادر الجيلاني وبالسند إلى سيدي صالح الزواوي.  
قال: ألبسني الشيخ موسى بن عبد الله الجيلي.  
قال: ألبسني السيدان الشريفان الجليلان أبو الحسن علي شاة وأخوه عبد القادر عماد الدين من ذرية الشيخ عبد القادر.  
قال: ألبسنا والدنا سيدي الشريف أبو المعالي خليل.

قال: ألبسني والدي أبو عبد الله محمد.  
قال: ألبسني والدي شرف الدين خليل.  
قال: ألبسني والدي عبد الوهاب.  
قال: ألبسني والدي عبد العزيز.  
قال: ألبسني والدي السيد الجامع بين الحقيقة والشرعة  
السيد علي الإطلاق سيدي محيي الدين عبد القادر  
الجيلاني.  
قال أبو محمد عبد القادر: ألبسني الخرقة الشريفة  
شيخني، وقدوتي العلامة أبو سعيد المبارك بن علي  
المخزومي.  
قال: ألبسني الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف  
القريشي الهكاري.  
قال: ألبسني الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الله  
الطرطوشي.  
قال: ألبسني الشيخ عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي.  
قال: ألبسني والدي عبد العزيز، قال: ألبسني أبو بكر  
دلف الشبلي.  
قال: ألبسني أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري  
البغدادي القبر والدر والمزار بأسانيده المتقدمة إلى الحسن  
بن علي، وبذلك السند إلى الحسن بن أبي الحسن البصري  
عن علي بن أبي طالب ؑ، وبالسند المتقدم أيضاً إلى أويس  
القرني.  
قال الشيخ أبو محمد طاهر بن زيان بن قائد: قد انتهت  
أسانيد الخرق الثلاث بأنواعها وطرقها للمشايخ الثلاثة:  
سيدي أبي الحسن الشاذلي، وسيدي أبي مدين، وسيدي  
عبد القادر.  
والحمد لله رب العالمين.  
قلت: تقدّم لنا غير ما مرّ أن هذه الطريق مبنية على  
الصدق والتسليم.

ثم قال أبو طاهر بن زيان المذكور: أجزت لكل أخ في الله Y ينتمي إلى طريقة الشيخ المربي سيدي أبي العباس أحمد زروق بمحبة أو انتساب أو صدق، ثم خصوصاً من يقرأ وظيفة إجازة تامة مطلقة عامة على شرطها المعروف ونسبها المألوف من إذن المجيز وأهلية المجاز بالشروط التي أشرط إليها في صدر هذا الثبت الملخص الملقب السائر في أسانيد الخرق المدخرة لطاهر من نسبة طريقة الشيخ سيدي أحمد زروق لسيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين، وسيدي عبد القادر رضي الله عنهم، وحقق استمدادنا منهم أمين.

والله ولي التوفيق والهداية، والتسديد والغاية إنه ولي ذلك والقادر عليه والسلام على من يقف عليه من أهل الله ورحمته وبركاته انتهى كلامه كله بألفاظه إلا القليل.

## فصل

اعلم حفظك الله تعالى أن إتصالنا بهذه الخرق الثلاثة، ونسبتنا لهذه السادات رضي الله عنهم تتصل بها من وجوه عديدة وقد قدمنا في أثناء هذا حقيقة انتسابنا إليهم من الطريقة الجازولية والزروقية والذي لقينا منهم.

وأما لبس الخرقه فالذي أكرمنا بها علي يديه فالأخ في الله والصدیق من أجله الحاج المبرور المجاور أبوه محمد سيدي عبد الله بن محمد الوردی، لقانا الحق به جل وعلا إكراماً وإفضالاً، فألبسني الخرق الثلاث والمصافحة المعمرية بالإسناد الصحيح والمشابكة، وتلقين الذكر، وكذلك المصافحة المروية عن الهزميري عن الخضر عن النبي p، وكذلك الطريقة الفتحية والرفاعية وكان ذلك الاتفاق برباطة الشيخ الغار في باب أغمات من مراکش يوم السبت السادس عشر من شهر محرم عام سبع وثمانين وتسعمائة.

قال الشيخ أبو محمد طاهر: وإن كان هذا من عمل الرواية فللقوم من هذه الطائفة به عناية، فإن الإسناد ما زال ولا يزول وربما يوصلون للمريد بذلك أسراراً توجب له أنواراً.

قال العالم الرباني محمد بن أسلم: قُرْبُ الْأُسْتَاذِ قُرْبٌ إِلَى اللَّهِ .Y  
وقال أبو محمد طاهر:

شَابَكُتْهُمْ تَبَرُّكًا إِذْ شَابَكُوا كَفًّا عَلَيَّ  
بِأَكْفِهِمْ كَرِيمَةً

جج

جججج

وَلَرَبِّمَا يَكْفِي آثَارَهُمْ وَيَعْدُ  
الْلَيْبُ تَعْلًا ذَاكَ غَنِيمَةً

جج

ج

وقد قدمنا أن هذا شأن الفقراء والشيوخ بالبلاد المشرقية وأهل المغرب، إنما غالب أمرهم الصحبة الاقتداء حتى أن شيوخ المشرق ربما سافروا من أجل ذلك إلى البلاد البعيدة حرصاً منهم على الإسناد.

وقد قدمنا أن الشيخ سيدي أحمد زروق أتى بإجازة شيوخ مصر كالسخاوي ونظرائه في عصره إلى شيوخ فاس كسيدي محمد بن غازي وأصحابه.

وقد أجاز سيدي محمد بن غازي شيوخ تلمسان في عصره كما أجازهم الإمام ابن مرزوق وغيره رضي الله عنهم، وهذا معلوم عند أرباب هذه الصناعة وقد فعل كثير من ذلك أبو الفضل سيدي القاضي عياض مع الشيوخ الذين لم تمكنه رؤيتهم، فأجازوه بالكتب.

وكذا أبو الطاهر السلفي وغيرهم كثيراً فالتبرك بالصالحين والانتظام في سلوكهم من شأن ذوي الهمم من الصديقين العارفين.

وكذلك رَوَيْنَا عَنْهُ مِنْ طَرِيقَةِ سَيِّدِي أَبِي فَارِسٍ عَبْد



العزيز بن عقيل البسكري وقد لقي سيدي طاهر بالمدينة المشرفة عام اثنين وأربعين وتسعمائة، وأجازه كل ما يحصله ويرويه من الكتب الحديثية وطريق القوم إجازة تامة مطلقة عامة.

وكذا عن الإمام اللقاني وشقيقه ناصر الدين والشيخ التتائي وإن كان من جملة من أخذ عنه الشيخ سيدي زروق، وكذلك طريقة سيدي فتح الله العجمي.

قال مجيزنا المذكور: وليست الخرق الثلاث المتقدمة أعني: الشاذلية والمدينية والقادرية من الشيخ العالم العامل المجاور حرم رسول الله ﷺ الذي جاوره نحو من أربعين سنة.

قال: حدثني بذلك وقد كان مكفوف البصر وبعد أن فارقه ردَّ الله عليه بصره ببركة رسول الله ﷺ الذي جاوره، وهو: الشيخ جمال الدين محمد بن محمد السخاوي القاهري الدار الشافعي المذهب، لبست عنه الخرق الثلاث المذكورة بالحرم الشريف النبوي وذلك بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء خاتم شهر الله شوال سنة خمس وسبعين وتسعمائة عند باب الرحمة، وصافحني وشابكني ولقني الذكر، وأرخى لي العذبة، وأجازني في كل ما يحصله ويرويه تبركا، وأذن لي في لباس غيري ومصافحته إياي.

كما لبس عن شيخه سيدي طاهر عن سيدي أحمد النبتيني عن سيدي أحمد زروق ٢٠ قال: وجد بخط سيدي أبي العباس أحمد زروق ٢٠.

قال: كيفية أخذ العهد أن يذكر الشيخ آداب التوبة وحقيقتها ثم يضع يده اليمنى فوق باطن يد التائب اليمنى ويعرفه بأن الشيخ والمريد شريكان في عقد التوبة لأمر الله الجميع بقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

ثم يغمض الشيخ عينيه ويسكت قليلاً لجمع همته معتقداً أن الله Y هو التواب والمتوب، وإنما هو آلة من

جملة الأسباب التي أجري فيها العادة في هداية غيره؛ بل وفي نفسه ثم يرفع صوته بالتعوذ والبسملة قائلاً بعدها: استغفر الله العظيم ثلاثاً.

ثم يقول: وأتوب إليه أو أسأله التوبة والتوفيق لما يحبه ويرضاه، ثم يصلي على النبي ﷺ ويقول: والحمد لله رب العالمين.

ويتبعه المريد في ذلك ثم يذكر الشيخ مشايخه ونسبته إليهم إن شاء، ويذكر سنده إلى النبي ﷺ وكذا عند ليس الخرقه وتلقينه الذكر أن يذكر الشيخ بمن يريد تلقينه شروط الذكر ومعنى ما يذكره.

ثم يقول له: قل وأنا أسمع لا إله إلا الله ثلاثاً بعد أن يقولها الشيخ ثلاثاً، والمريد يسمع وكل منهما رافع صوته وسطاً بذكره.

ويذكر: إن النبي ﷺ لقن علياً، وعلي لقن الحسن، والحسن حبيب العجمي وحبيب داود الطائي، وداود معروف الكرخي، ومعروف السري السقطي وسرياً الجنيد، والجنيد ممشاد الدينوري، وممشاد أحمد الأسود الدينوري، والأسود عموية السهروردي، والسهروردي ولده وجيه الدين وهو أخاه أبو النجيب، وهو لقن شيخ الشيوخ شهاب الدين أبا حفص عمر السهروردي صاحب العوارف وغيرها.

## فصل

تقدم أن الشيخ أبا محمد بن حرزهم شيخ الشيخ سيدي علي بن حرازم أنه أخذ عنه كما أخذ عن ابن العربي أنه أخذ عن شيخه وجيه الدين، وسلك علي يديه فنقد وقطع المقامات، وأنه نزل بقرية قريبة من بيت المقدس، وبها لقي حجة الاسلام وفيها اتفق له مع أصحابه وما تقدم وبعد ذلك عاد إلى فاس، ونشر بها طريقه وهدى الله به خلقاً كثيراً فكان ممن بحب علي يديه أبو الحسن علي ابن أخيه إسماعيل.

وأما الشيخ وجيه الدين فهو عمر بن محمد بن عمويه

أبو حفص السهروردي القرشي البكري التيمي، وليس هو: أبو حفص عمر بن محمد شهاب الدين صاحب العوارف.

وإنما هو: عم عمه أبو النجيب ضياء الدين.  
قلت: الشهاب شيخه أبو النجيب وهو: عمه وأبو النجيب شيخه وجيه الدين هذا وعلى يديه سلك وبه رقي.

وكان الشيخ وجيه الدين إماماً في طريق القوم وقدوة ربانياً، أخذ عنه القوم من الشام وغيرها والعراق، وانتشر أصحابه في الآفاق وأرسلهم قدماً في طريقه أبو محمد حرزهم شيخ أبو الحسن بن حرازم وعمه وابن أخيه أبو النجيب ضياء الدين عبد القاهر الذي كان يدعى في زمانه شيخ الشيوخ، وله تأليف عجيبة في أدب طريق القوم، ونستوفي ذكره عند ذكر الشهاب وجيه الدين له، رحل إلى الشام عدة وكان إمام وقته ووحيد عصره وله أحوال وكرامات أضربنا عنها اختصاراً.

وأما والده وشيخه وهو أبو عبد الله محمد وهو أيضاً له حال عظيم لقي شيوخ الوقت من الأبدال والعارفين، وتأدب بأدبهم، وتخلق بأحوالهم جامعاً بين العلوم والأعمال وهذه البيعة البكرية يتوارثون العلم والصلاح وطريقه إنما اشتهرت بسمرقند.

وأما أبو العباس الدينوري وهو: أحمد بن محمد أحد أعيان الطريق الأكابر أصحاب إمام الطائفة أبو القاسم الجنيد وهو الذي قعد في موضعه، وجلس على كرسيه بإشارة شيخه، واتفقت عليه أصحابه فأجلسوه عليه مات عام أحد عشر وثلاثمائة له أحوال عجيبة وكرامات غريبة، فمنها: إنه اعتكف بيت الله الحرام سنة كاملة ما أكل ولا شرب ولا نام، ولا استند ولا مد رجله حتى استوفاه.

ومنها: إذا كان في سماعه وفي المجلس شيخ من شيوخه لا يتحرك، فإذا قام من هناك أتاه وجدته فتحرك حتى يستوفي ما فاتته وهي: من عجائب كراماته.

ومنها: إنه بعد ما توفي بسنة اجتاز بعض الصديقين بقبره، فرآه وهو جالس يشير بأصبعه للتوحيد، وكم له من مثل هذا، وبها زال ملزماً لإمام الطائفة حتى دفنه وهو الذي غسله وكفنه وصلى عليه.

ومن كلامه: مَنْ استولت عليه النفس فهو أسير الشهوات محصور في سجن الهوى وحرم الله علي قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق ولا يستجلبه، وإن كثر توداده علي لسانه لقوله تعالى: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وكان يقول في رؤية الأصول: باستعمال الفرع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول وهو الحق ولا سبيل إلى مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع.

ولقد حكي عن بعضهم قال: كنت جالساً عند أبي محمد الجريري فجاءه رجل وقال: يا سيدي كنت علي بساط من الأنس، ففتح علي باب البسط فذلت ذلة فحجبت عن مقامي، أو قال: عن مكاني فدلني كيف الوصول إلى ما كنت فيه؟

قال: فيكي الجريري، وقال: يا أخي كلنا في قهر هذه الخطة ولكنني أنشدك أبياتاً تجد فيها جوابك، ثم أنشأ يقول:

قف بالديار فهذه تبكي الأحبة حسرةً  
آثـارهم وتـشوقاً

جج

جج

كم قد وقفتُ بربعها عن أهلها أو سائلاً أو  
مُستخبراً مُشفاً

ججج

ججج

فأجابني داع المحبة فارقْتُ مَنْ  
مُسرعاً تَهْوَى فعزَّ  
ججج المُلْتَقَا

ججج

وأما الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو طالب الخرقة بينه وبين إمام الطائفة المتقدم سرده.  
فأما أبو عثمان سعيد بن سالم المغربي أصله من القيروان من قرية من قراه، أقام بالحرم مدة وكان شيخ وقته، وكان قد صحب أبي علي بن الكاتب وحبيب المغربي، وأبا عمرو الزجاجي ولقي السهرجوري، وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري.  
وقالوا: كان يُقال له: فقيه المشايخ ولم ير مثله في علوم الحال وصدق الفراسة، ورد نيسابور وبها مات سنة ثلاث وسبعون وثلاثمائة، وسئل عن الاعتكاف.  
فقال: الاعتكاف هو حفظ الجوارح تحت الأوامر.  
وسئل عن قول النبي ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله، قال: البله في دنياهم الفقهاء في دينهم» (١١١).  
وقال: «من أثر صحة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب» (١١٢).  
ومن عجيب مكاشفته وفراسته: إنه كان يوماً جالساً مع صاحبه بن الكاتب فذكر حكاية ابن البرقي، وإنه لم اعتل وحمل له أبو عبد الله الرازي دواء في قدح.

فقال له: حَدَّثَ في المملكة حدثٌ فلا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو.

فورد الخبر بعده بأيام أن القرمطي دخل مكة ذلك اليوم، وقتل ما وجد من الحجاج في بيت الله الحرام، ورماهم في بئر زمزم حتى ملأه بالقتلى، وضربوا الحجر الأسود، وقلعوه وقلعوه، وحملوه إلى بلادهم وبقي عندهم ما يقرب من العشرين سنة حتى افتدي منه بما يقرب من ثلاثين ألف فرد إلى مكانه.

فلما ذكرت الحكاية قال بن الكاتب: هذا عجيب.

قال أبو عثمان: ليس بعجيب، قال لهم حينئذ: أي شيء خبر مكة اليوم؟

فقال له: ترى الطلحيون يتحاربون وبني الحسين، ومقدم الطلحيون أسود علي رأسه عمامة خمرء وعلي مكة عيم علي قدر الحرم، فكتب أبو علي بن الكاتب إلى مكة، فوجد الأمر كما وصف أبو عثمان.

وأما أبو عمرو الزجّاجي فهو محمد بن إبراهيم نيسابوري الأصل صاحب الجنيد والنوري وأبا عثمان الجيري وأبا محمد ورويم، ودخل مكة وجاور بها أربعين سنة ما تطهر فيها قط إلا خارج الحرم الشريف إكراماً واحتراماً، وكان شيخاً بها وكان الإمام الكتاني والسهرجوري والمرتعش وغيرهم، ويجتمعون بمجلسه، ويقعدون خلفه وله صدر المجلس وإذا تكلموا في شيء من الحقائق رجعوا كلهم إلى قوله.

وكراماته وفضائله أكثر من أن تعد أو تحصى كذا قاله حجة الإسلام في مناقبه وعجائبه.

وحجّ قريب ستين حجة، ومن كلامه: مَنْ جاور بالحرم ثم تعلق قلبه بغير الله فقد ظهر خسارانه، مات بالحرم سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

ومن غر مناقبه: إن بعض العجم السالمين الصدر باسطه بعض أصحابه.

فقال: إن حججت فلا تذهب حتى يعطيك الشيخ

براءتك بأنك أديت مناسك الحج فذهب على نيته إلى الشيخ.

وقال له: يا سيدي أديت المناسك فأعطني براءتي أنصرف إلى بلادي فإن أصحابك دلوني عليك لاأخذ منك البراءة.

فعلم الشيخ أنهم مازحوه، فقال له الشيخ: اذهب إلى ذلك الموضع، وأشار له إلى الملتزم، وقل: يا رب أعطني براءتي.

قال: فما لبسنا إلا قليلاً حتى أنصرف الرجل ويده قطعة قرطاس مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم براءة فلان بن فلان من النار كذا ذكرها حجة الإسلام والأستاذ.

وأما الأستاذ أبو قاسم القشيري الذي كان أخذ عنه أيضاً أبو المعالي، وقد تقدم أنه أخذ عن جماعة أقوالهم الذي كان فتحه على يديه أبي علي الدقاق، وأخذ الدقاق عن الشيخ الإمام أبي القاسم إبراهيم بن محمد النصر باري شيخ خراسان في وقته نيسابوري الأصل والمولد والمنشأ.

وكان حافظاً أنواعاً من العلوم وكتب الأحاديث الكثيرة وعلم التاريخ دون ما كان مختصاً به من علم الحقائق.

قال حجة الإسلام: وكان أوحد المشايخ في زمانه علماً وعملاً وحالاً صحب أبا بكر الشبلي، وأبا علي الروزباري، وأبا محمد المرتعش والمشايخ بنيسابور، ثم خرج في آخر عمره إلى مكة فجاور بها سنة ست وستين وثلاثمائة، وتوفي بها سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ومن كلامه: أصل التصوف الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشايخ ورؤية أعداء الخلق أنهم في قبضة الله وحسن صحبة الشرفاء والقيام بخدمتهم واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ما ضل أحداً في هذا الطريق إلا بفساد البداية، وما وصل إلى غايتها إلا

بتصحيح البداية، ومن لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا.

لأن مولانا يقول: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وسئل عن المحبة، فقال: المحبة على قسمين: محبة تُوجب سفك الدماء، ومحبة تُوجب حقن الدماء.

قيل له: إنهم قالوا: ليس لنا في المحبة شيء.

قال: صدقوا ولكن لي حسراتهم فيها أنا ذا أحترق فيه، ثم قال: المحبة مجانبة الشكوى على كل حال. ثم أنشأ يقول:

وَمَنْ كَانَ فِي طَوْلٍ فَإِنِّي مِنْ لَيْلِي بِهَا

الهُوَى ذَاقَ سَلْوَةٍ غَيْرِ ذَائِقِ

جج

ججج

وَأَكْثَرَ شَيْءٍ نَلْتُهُ مِنْ أَمَانِي لَمْ تَصْدُقْ

وَصَلَّاهَا كَلَمْحَةٍ بَارِقِ

جج

ج

وأما شيخه فهو: أبو بكر الشبلي، واسمه دلف بن جحدر، وقيل: أبو جعفر، ويقال اسمه: جعفر بن يونس وهذا مكتوب على قبره.

كذا نسبه حجة الإسلام خراساني الأصل بغدادى المولد والمنشأ، ويقال: مولده يسر من رأى باب في مجلس خير النساج، وصحب أبي القاسم الجنيد ومن في عصره من المشايخ.

وكان في بدء أمره حاجباً للموفق، ثم فتح الله عليه فكان أَوْحَدَ زَمَانِهِ عِلْمًا وَحَالًا وَظَرْفًا وَكَانَ فِي بَدءِ أَمْرِهِ



فقيهاً عالماً على مذهب دار الهجرة، وكتب الحديث الكثير وكان في آخر عمره ينشد:

وكم من موضعٍ لُكْتُ بهِ نكالا في  
لو متُ فيه العــــشيرة

ججج

ججج

عاش سبعةً وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودُفن ببغداد بمقبرة الخيزران وقبره شهير، ولما تاب أتى الموضع الذي كان والياً عليه، وقال: اجعلوني في حل، فأني كنت والياً عليكم.

ومجاهداته في بدايته لا تحد وكان يكتحل بالملح حتى عمشت عيناه؛ لكي يتعود السهر وقال: اطلع الحق علي. وقال لي: مَنْ نام غفل، ومَنْ غفل حجب، وكان يقول: تسعة في ألف سنة فضيحة.

وكان في بدايته يحمل حزمة قضبان، ويدخل سرّياً، فإذا غفل أو سها أو أخذ النوم كسر على نفسه قضيباً، وربما تفنى القضبان قبل أن يأتي الليل فيضرب بيده على الحائط وربما ضرب بما ضرب برأسه، وكان ينشد:

عجبا للمحبِّ فالنوم على كل

كيفَ ينامُ محبُّ حرامُ

ججج

ججج

وقال أبو بكر البزار: سمعت الشيلي يقول: ما أحوج الناس إلى سكرة، فقلت: يا سيدي: أي سكرة. فقال: يفنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأحوالهم وأفعالهم، ثم أنشأ يقول:

وَتَحْسِبُنِي حَيًّا وَإِنِّي  
لَمَيِّتٌ ۚ وَبَعْضِي عَلَى الْهَجْرَانِ  
يَكِي عَلَى بَعْضِي

## ج ج ج

قال خير النساك: كُنَّا في المسجد وإذا بالشبلي جاء وهو في سكره فنظر إلينا، ولم يكلمنا وهجم على الجنيد وهو في بيته جالساً مع زوجته وهي مكشوفة الرأس فهمت تغطي رأسها، وتستر.

فقال لها: لا عليك ليس هو هنا فصعق على رأس الجنيد، وقال:

عَدُوْنِي الْوِصَالُ      وَرَمَوْنِي بِالصَّبْرِ  
وَالْوِصْلُ عَذْبٌ      وَالصَّبْرُ صَعْبٌ

## ج ج ج

زَعَمُوا حِينَ فَرَطَ حَبِّي لَهُمْ  
عَاتَبُوا أَنْ جُرْمِي وَمَا ذَلِكَ ذَنْبُ

## ج ج ج

وَحَقُّ الْخَضْوَعِ      مَا جَزَاء مَنْ يَحِبُّ  
عِنْدَ التَّلَاقِ      أَلَّا يَحِبُّ

## ج ج ج

قال: ثم ولّى خارجاً فضرب الجنيد برجله على الأرض وهو يقول: هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك وخر مغشياً عليه.

قال: ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة، ولا للمحب شكوى، ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار، ولا للمخلوق من الله فرار.

وسئل عن قوله Y: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة هذا معناه.

قال أبو محمد الهروي: كنت عند الشبلي في الليلة التي مات فيها فكان طول ليلته ينشد:

كُلُّ يَتٍ أَنْتَ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى  
سَـاَكُنُهُ السـَـرْجِ

جج

ججج

وَجْهَكَ الْمَأْمُولُ يَوْمَ تَأْتِي النَّاسَ  
حُجَّتُنَا بِـالْحَجِّجِ

ججج

جج

وله شطحات معروفٌ بها، وطوام وأحوال لا يأتي عليها الحصر.

قال يوماً في مجلسه: أليس أن الله Y يقول: «أنا جليس من ذكركي» (١١٣)، فما الذي استفدتم من مجالسة الحق، وأنشد:

ذَكَرْتُكَ لَا أَنْيَ وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ

نَسِيْتُكَ لِحَّةً ذِكْرَ لِسَانِي

ججج

ججج

وَكِدْتُ بَلَا وَجَدٍ وَمُدَامٌ عَلَى الْقَلْبِ

أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى بِالْخَفَقَانِ

ج

فَلَمَّا رَأَى الْوَجْدُ شَهْدَتَكَ مَوْجُودًا

أَنَّكَ حَاضِرِي بِكُلِّ مَكَانٍ

جج

جج

فَخَاطَبْتُ مَوْجُودًا وَلَا حِظُّ مَعْلُومًا

بَغَيْرِ تَكْلِمٍ بَغَيْرِ عِيَانٍ

ج

ج

وأوصافه كلها عجائب وغرائب ومن لم يعرف حاله ومقامه يظنه مجنوناً ويظنها شطحات وطوام وأوصاف شيخه إمام الطائفة تقدمت.

وأما أبو النجيب ضياء الدين عبد الله القاهر تلميذه وولد أخيه الذي هو جوهرة السهرورديين وزبدتهم، وإن كانوا كلهم أعلاماً وسادات كراماً فأبو النجيب كان إمام وقته معظماً عند الطائفة وكانت الغاشية تمشي بين يديه ولبس الطيلسان وكان له القبول عند العلماء والصالحين والأمراء، وكان الناصر لدين الله العباسي يعظمه كثيراً وهو والشيخ الجيلاني.

وكان هو يعظم الشيخ سيدي عبد القادر كثيراً وكان السلطان الناصر العباسي يبعثه إن كان صالحاً أو أمراً، فيمشي فيه، فيقضيه توفي عام اثنين وستين وخمسمائة.

وأماً ولد أخيه هذا فهو: أبو حفص عمر السهروردي إمام وقته وسيد عصره لم يكن في آخر عمره في العراق مثله ممن جمع بين الحقائق والشرائع.

قال صاحب اختيار الرفيق في طلب الطريق في التعريف به هو: عمر بن محمد بن عموية السهروردي شيخ شيوخوا ومن عليه في طريق التصوف اعتمادنا وإليه رجوعنا يكتنى: أبا عبد الله لم يكن في آخر عمره مثله.

تخرج به خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، وكان شيخ وقته في علم الحقيقة وطريقة التصوف ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة، وإليها انتهت الرئاسة في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الله تعالى والزهد في الدنيا.

وُلد بسهرورد، وقدم بغداد في صباه وصحب عمه أبا النجيب وغيره من المشايخ وعلى يد عمه تخرج، وسلك طريقة الرياضة والمجاهدة، وحصل من العلم ما لا بد له منه ثم انقطع عن الناس ولازم الخلوة، فاشتغل بإدامة الصيام والقيام والذكر وتلاوة القرآن إلى أن أذن له في الخروج على عادة الصديقين عند علو سنه، فظهر للناس، وشرع يتكلم عليهم، وعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على شاطئ دجلة، وكان يتكلم على الناس بكلام مفيد بغير تدويق ولا تنميق.

وحضر عنده خلق كثير، وظهر له قبول عظيم من الخاص والعام، واشتهر وقصده المريدون من سائر الأقطار، وظهرت ببركات أنفاسه على خلق كثير من العصاة، فتابوا وأنابوا إلى الله Y، وحسنت طريقتهم، ووصل به خلق عظيم إلى الله تعالى وله أصحاب وأتباع كالنجوم، ويعرفون أينما كانوا.

وروي: إنه كان يوماً على الكرسي، وهو: يعظ الناس

فاختطفه حال، فأنشد يقول:

لا تَسْقِنِي أن أشحَّ بها  
وَجَدِي فما على خِلاسِ  
عوَدت جج

جج

أنتَ ولا يَلِيقُ ججأن يَعبُرُ  
تَكرُّمًا النُّدْماءُ دونَ  
جججج الكأسِ

جج

قال الراوي: فتواجد الناس لذلك، وقطعت شعورهم،  
وتاب جمع كبير ممن حضر وكان كثير الحج، وربما حاور  
في بعض حجته.

ومن غريب: ما اتَّفَقَ له في آخر حجة حجَّها.

قال شرف الدين: وُلِدَ الشيخ ابن الفارض لما حجَّ  
الشيخ شهاب الدين السهروردي شيخ الصوفية، وكان  
آخر حجة سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكانت وقفة  
الجمعة.

وحجَّ معه خلقٌ كثيرٌ من أهل الصدق، ورأى كثرة  
ازدحام الناس عليه في الطواف وعند البيت والوقوف  
بعرفة واقتدائهم بأقواله وأفعاله.

وبلغه أن الشيخ ابن الفارض في الحرم فاشتاق إلى  
رؤيته، فقال في سره: أتراني أني عند الله كما أنا عند  
هؤلاء؟ أو قال: كما يظن هؤلاء القوم في، أو ذكرت في  
حضرة الحبيب في هذا اليوم أم لا؟

وإذا بالشيخ أبي حفص عمر بن الفارض انقض كالبار،  
وقال: يا سهروردي:

لك البشارةُ فاخلعْ ذكرتُ ثمَ فَمَا  
ما عليكُ فقدَ عليكُ من عوجِ

جججج

جججج

ثم غاب كالبرق، فصرخ الشيخ السهروردي، وخلع كل ما كان عليه، وخلع المشايخ والفقراء الحاضرين كل ما كان عليهم، وطلب المخاطب فلم يجده ولم يره أين رجع.

قال: هذه أخبار من كان في الحضرة الربانية، ثم اجتمع به بعد ذلك في الحرم، واعتنقا وتحدثا سرا زمنا طويلا. قال شرف الدين: واستأذن والدي أن يلبسني، وأن يلبس أخي عبد الرحمن خرقة التصوف على طريقه، فلم يأذن له.

قال له: ليست هذه طريقتنا، فلم يزل يعاوده إلى أن أذن له فلبست أنا منه وأخي عبد الرحمن، ولبس معنا في ذلك المجلس خلق كثير بحضرة والدي، قلت: لأن طريقة ابن الفارض صحبة من غير خرقة.

وسنذكر وصفه إن شاء الله تعالى بعد كمال حال هذا الشيخ، فكان الشهاب فيما ذكرنا مليح الخلق والخلق متواضعا كامل الأوصاف الجميلة والأخلاق الشريفة والأحوال الحميدة، تام المروءة عزيز النفس بالله ليس للمال عنده قدر، ولو حصل له ألوف كثيرة من المال أنفقها ولم يدخر منها شيئا، ومات ولم يخلف ولو كفه ولا شيئا من متاع الدنيا.

وقال محيي الدين بن النجاري في تاريخه: قال أنشدني شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي لنفسه:

تَصَرَّمَتْ وَحِشَةً وَأَقْبَلَتْ دَوْلَةً

## الليالي الوصّال

ج ج ج ج ج

وَصَارَ بِالْوَصْلِ لِي مَنْ كَانَ فِي

حَسْبُودًا هَجَرَ كَمِ رَسَالِ

ججج

وَحَقُّكُمْ بَعْدَ إِذْ فَيُكَلِّمُ مَا فَاتَ لَا

فعل ماضي      أبْـأَلِي

ج ج ج ج

على ما للورى وحُبكم في الحشا

حرام حلال

جـ جـ

أَحْيَيْتُمُونِي وَكُنْتُ وَبَعَثْتُمُونِي بغيرِ غَالِ

میتا جج

## ج.ج.ج.ج

تَشْرَبْتُ أَعْظَمِي فَمَا لَغَيْرِ الْهَوَىٰ



هَـوَاَكُم وَمَـالِ

جججج جججج

فما عَلَيَّ عَـادِم وعنده أعين الزلالِ

أجـاـجـا جج

جج

ثم أنه في آخر عموه أُقعد، فكان لا يقدر على القيام،  
ومع ذلك فما أخل بالأوراد وتلاوة القرآن، وضعف  
فانقطع في مجلسه إلى حين وفاته وتوفي رحمه الله تعالى ليلة  
الأربعاء مستهل المحرم سنة اثنين وثلاثين وستمائة ببغداد،  
وأخرجت جنازته إلى جامع القصر فصلى عليه هناك،  
وحمل إلى الوردية، ودفن في تربة له.

وكان ٢٠ أقعد ويحضر مع ذلك الجمعة في الجامع،  
فيرجع في صحبة، وكذلك المضي إلى الحج حتى لم يبق له  
متحرك من قوة الضعف.

وعَمُوية: بفتح العين المهملة وتشديد الميم المضمومة  
وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحت.

والسهروردي: بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح  
الراء والواو وسكون الواو الثانية في آخره دال مهملة،  
وهذه النسبة إلى سهرورد بلدة عند زبجان من عراق  
العجم.

وقال ابن ليون: نسب الشيخ هو شهاب الدين أبو عبد  
الله، ويقال: أبو حفص عمر ابن محمد بن عبد الله بن  
محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن القاسم بن النضر  
بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد  
بن أبي بكر الصديق البكري الشافعي وقيدته أبو الفضل  
عياض بن موسى في معجم شيوخ أبي علي الصوفي.

مولده في رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، ودخل بلاد الحجاز والشام والعراق وخراسان، ولقى المشايخ والعلماء، وأخذ عنهم، وكان دخوله بغداد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وأقام برباط المؤمنين، وأخذ في السلوك طريق العزلة سنة ست وستين وخمسمائة.

وكان سنه حين توفي اثنين وتسعين سنة وستة أشهر، وصلى عليه ابنه عماد الدين في جامع الخليفة، ودُفن في الجانب الشرقي من بغداد بمقبرة الوردية.

وقال: أمّا شيوخه الذين أخذ عنهم فقد أخذ عن عمه ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن محمد القدسي محمد السهروردي الصوفي عن أبي الفتح محمد بن سليمان بن عبد الباقي عن ضياء الدين أبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينه عن أبي زرعة طاهر بن الإمام أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الصوفي عن العالم رضي الدين أبي الخير أحمد بن إسماعيل القزويني عن سديد الدين أبي الفخر الهمداني عن الشيخ أبي محمد القاسم بن عبيد البصري، وكل واحد من هؤلاء الأعلام له معه عجائب وغرائب.

فأمّا أبو محمد القاسم: فكان من أجلة العارفين وأعيانهم المشهورين مبرزاً في علم الشريعة، مالكي المذهب إليه، انتهت علوم الفتوى بالبصرة وما يليها، وتخرج به خلق كثير وسار إليه شهاب الدين أبو حفص هذا.

فمرّ في طريقه بمواشي وأغنام وزروع ونخيل كثيرة.

قال: فكنت أسال عنها.

فيقال: هي للشيخ أبي محمد فخطر لي أن هذا حال الملوك، ودخلت البصرة وأنا أتلو سورة الأنعام.

فقلت: أي آية انتهيت إلى دار الشيخ أقرأها فهي حالي فكانت:

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فخرج الخادم على الفور قبل أن أستأذن عليه، فدخلت.

فقال لي ابتداء: يا عمر كل ما رأيت على الأرض فهو على الأرض، وليس في قلب ابن عبيد منه شيء.

قال ابن القسطلاني: وكان شهاب الدين عديم النظير في جميع الفنون المختلفة.

قال: ورؤي عن الشيخ الزنجاني عن أبي العباس النهرندي عن أبي عبد الله محمد بن خفيف عن أبي محمد رويم عن أبي القاسم الجنيد، ورفع السند إلى رسول الله ﷺ.

وأما لبسه للخرقة، فقال ابن ليون: لبسها عن عمه ضياء أبي النجيب، وأبو النجيب لبسها من عمه وجيه الدين عمر بن محمد بن عبد الله، وجيه الدين لبسها من الشيخ فرج الزنجاني، ولبسها الزنجاني من أبي العباس النهرندي، والنهرندي لبسها من أبي عبد الله بن خفيف، وابن خفيف من أبي محمد رويم، ورويم من أبي القاسم الجنيد، ثم رفع السند إلى علي بن أبي طالب ؑ فقد تخرج به جماعة كثيرة.

وأخذ عنه أخيار فمنهم: الإمام أبو بكر محمد بن الإمام أبي العباس القسطلاني ومحيي الدين أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقبة الأنصاري الشاطبي، وضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عمر القسطلاني إمام المالكية بالحرم الشريف.

وسمع منه أمين الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن أبي جعفر بن علي بن طلحة الأنصاري وأبو العباس أحمد الشريشي الفيومي صاحب الرائية وغيره كثير.

وكان إماماً في هذا الشأن غير مرافع راسخ القدم فيه، له تأليف حسنة منها: «عوارف المعارف» وهو أشهرها.

وأملى في آخر عمره كتاباً في الردّ على الفلاسفة، وقعد في خلوته كعادة الصوفية وكانوا يحكون غرائب مما يظهر عليهم في الخلوات، وما يجدونه فيها من الأحوال السنية الخارقة للعوائد.

وكان مشايخ الطريق في عصره يكتبون إليه من البلاد فكتب إليه بعضهم: يا سيدي إن تركت العمل أخلدت إلى البطالة، وإن عملت دخلني العجب فأيهما أولى؟ فكتب: اعمل واستغفر الله ولا تترك العمل فذلك مراد اللعين.

وأماً حاجبه الذي وقعت له معه النازلة في الحرم الشريف وهو: أبو حفص عمر بن الفارض، ويقال كنيته: أبو القاسم عمر بن علي السعدي.

وكانت ولادته سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة وبها توفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة، وجاور بمكة عشرين سنة.

قال: كنت كثير الساحة في الجبل المقطم آوي إليه، وأقيم به في مدة السياحة ليلاً ثم أعود إلى والدي لأجل بره ومراعاة قلبه.

وكان والدي حينئذ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل فيجد سهروراً بالرجوع إليه ويلزمه بالجلوس معه في مجالس الحكم، ومدارس العلم ثم اشتاق إلى التجريد وأستاذ والدي إلى العودة في السياحة، وما برحت أفعل ذلك إلى أن سئل والدي أن يكون قاضي القضاة الحنفية، فامتنع وعزل عن الحكم، وانقطع إلى الله Y في جامع الأزهر إلى أن توفي رحمه الله تعالى، فعدت إلى التجريد والسياسة وسلوك طريق الحقيقة، فلم يفتح عليّ بشيء فحضرت يوماً من السياحة إلى المدينة، ودخلت المدرسة السيوفية، فوجدت شيخاً بقالا على باب المدرسة يتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي غسل يديه ورجليه ومسح رأسه ثم غسل وجهه.

فقلت له: يا شيخ أنت في هذا السن في دار الإسلام على باب المدرسة وبين فقهاء الإسلام وأنت تتوضأ

وضوءٌ خارجاً عن الترتيب الشرعي، فنظر إليَّ.  
وقال لي: يا عمر أنت ما يفتح عليك بمصر وإنما يفتح  
عليك بالحجاز بمكة شرفها الله Y فاقصدها فقد آن لك  
وقت الفتح.

فعلمت أنه من أولياء الله Y وأنه يتسّر بالمعيشة،  
وإظهار الجهل بغير ترتيب الوضوء فجلست بين يديه.  
وقلت له: يا سيدي أين أنا وأين مكة، ولا أجد ركباً  
ولا رفقة في غير أشهر الحج؟

فنظر إليَّ وأشار قال: هذه مكة أمامك، فنظرت فرأيت  
مكة شرفها الله فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي أنظر إليها  
إلى أن دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين  
دخلتها وترادف عليَّ، ولم ينقطع ثم شرعت في السياحة  
في أودية مكة وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً  
ونهاراً قال ولده شرف الدين، وإلى هذا أشار في القصيدة  
التائية اللطيفة في قوله فيها:

وَجَنَّبَنِي حَبَّكَ وَصَلْ      وَجَنَّبَنِي مَا عَشْتَ قَطْعَ

مَعَاشٍ—ري      ع—شيرتي

ججج

ج

وَأَبْعَدَنِي عَنْ أَرْبَعٍ بَعْدَ      شَبَابِي وَعَقْلِي

أَرْبَعٍ—ع      وَارْتِيَا حِي وَصَحْتِي

ججج

ججج

فَلِي بَعْدَ أَوْطَانِي      وَبِالْوَحْشِ أَنْسِي إِذْ

سَكُونِي إِلَى الْفَلَاحِ      مِنَ الْإِنْسِ وَحَشْتِي

جججج

جج

قال ت: وأقمت بواد كان بينه وبين مكة مسيرة عشرة  
للاراكب المجد، فكنت أتى منه كل يوم وليلة أصلي في  
الحرم الشريف الصلوات الخمس ومعى سبع عظيم الخلقة  
يصحبني في ذهابي وإياي، وينخ لي كما ينخ الجمل،  
ويقول لي: يا سيدي اركب فما ركبت قط.

وذكر من هذا عجائب وغرائب أضربنا عنها اختصاراً  
وهي أيضاً خارجة عن أطوار العقول وكان يعرف من  
الحبة أسراراً.

قال ولده شهاب الدين: إن الشيخ والدي في غالب  
كان باهتاً وبصره شاخص لا يسمع من يكلمه ولا يراه  
فتارة يكون واقفاً، وتارة يكون معتدلاً، وتارة يكون  
مستلقياً على ظهره مسجياً كما يسجى الميت، وتمر عليه  
عشرة أيام متواصلة، وما قرغ من ذلك وأكثر وهو على  
هذه الحالة لا يأكل ولا ينام ولا يتكلم ولا يتحرك، فهو  
كما قيل:

ترى المحبين في كفتية الكهف لا

بيوتهم صرعى يدرون كم لبثوا

ججج

ججج

والله لو حلف صرعى من الحب أو

العشاق أنهم موتى لما حنثوا

جج

ججج

قوم إذا هجروا من ماتوا وإن وصلوا

بعد ما وُصلوا معشوقهم بُعثوا

جج

قال: ثم يستفيق وينبعث من هذه ويكون أول كلامه: إنه يملي من القصيدة نظم بسلوك ما فتح الله عليه، وما زال على حاله ذلك حتى لقي الله Y، وحتى أنهم يظنون في بعض الأحيان أنه مات، ودخل عليه بعض الصديقين في حال وجده ذلك، فوجده مسجى فلما رآه وشهد حاله أنشأ يقول:

أُمُوتُ إذا فكم أحياء عليكم  
ذكرته ثم أحياء وكم أُموتُ

جج

جج

وحُبُّك ساكنٌ وقد نسجت عليه  
في وسطِ قلبي العنكبوتُ

جج

فوثب الشيخ واقفاً، وقال له: أعدّها، قلت: وهو معتنق له فسكت الرجل شفقة عليه وسأله أن يرفق بنفسه، فقال له: إذا ختم الله بغفرانه فكل ما لقيته فهو سهل. ويحكى عنه: إنه مرَّ يوماً بقصار وهو يضرب بثوبه على حجر يقصره ويقول:

قَطع قلبي هذا قلما يصفوا وينقطعُ

ججج

المقطعُ

ججج

فصرخ صرخة عظيمة وقف، ثم اضطرب اضطراباً شديداً وسقط مغشياً عليه، ثم فاق ولم يزل إذا يذكر البيت فيغشى عليه حتى يُظن أنه مات، ثم يفيق ويتكلم بالأسرار العجيبة التي لا تكاد تُسمع من أحدٍ من العالمين. وحاصله هو: أحد عجائب الزمان ولم يفهم كثير من الناس كلامه، فلذلك تلونت بالألسن وديوانه في المحبة والأذواق شهير.

## فصل

ينبغي لنا أن نختم هذا الباب بأوصاف الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، وذكر أحواله؛ لأنه من شيوخ الشيخ سيدي أبي مدين رضي الله عنهما، ولما بينه وبين الشيخ سيدي أبي يعزى.

وإنما أخرناه لما بدأنا هذا الكتاب بأوصاف الشيخ سيدي أبي يعزى ونختم بأحوال سيدي عبد القادر والله يختم لنا بنحواتم السعداء وكل من قال أمين.

وقد قدمنا أن الشيخ أبا مدين التقى مع الشيخ سيدي عبد القادر في الحرم الشريف وقد أعلمه كثير من الحديث أنه ألبسه خرقة التصوف، وأودعه الكثير من أسرارهِ وحلاه بملايس أنوارهِ، فهو: الشيخ الإمام الحافظ الحجة الهمام جمال الدين أبو محمد سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسي بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وحشرنا في زمرة القريشي الهاشمي كان يقال له: سبط أبي عبد الله الزاهد الصوفي، وكانت أمه من الصالحات أخبرت أن الشيخ لا يرضع ثديها في نهار رمضان، وأن الهلال غم لأول ليلة من رمضان.

فقلت: لم يلتقم الثدي اليوم ولدي، ثم اتضح أنه رمضان فكان هذا أول كرامة اشتهرت عنه وعرف بها وشاهدها الجم الغفير.

وروي بن بادس والوريندي وصاحب الروض وغيرهم: إنه قيل للشيخ علي ماذا بنيت أمرك؟ قال: على الصدق



وما كذبت قط ولو في المكتب.

وذكروا عنه: إنه خرج يوم عرفة وهو صبي صغير يشبع البقر، فالتفت إليه بقرة وقالت له: يا عبد القادر ما لهذا خلقت؟

فرجع فرعاً مذعوراً وصعد على السطح، قال: فرأيت الناس وقوفا بعرفة فقلت لأمي: هبيني لله تعالى، وأخبرتها بما رأيت فدفعت لي أربعين ديناراً من إرث أبي قسمت بيني وبين أخي وأذنت لي وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي.

وقالت لي: خرجت عنك لله Y فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة فسافرت.

ومولده رحمه الله تعالى سنة سبعين وأربعمائة ومات عام إحدى وستين وخمسمائة وعمره إحدى وتسعين سنة أو ما يقرب من هذا، وأمه اسمها فاطمة، وكنيتها أم الخير.

وكان رحمه الله تعالى نحيف البدن ربعة عريض الصدر واللحية طويلها أسمر مقرون للحاجبين ذا صوت جهير وسمت بهي وقدر علي وعلم وفي.

قال بعض تلامذته: كأن شيخه أبو محمد عبد القادر يلبس لباس العلماء ويتطليس ويركب على البغلة والغاشية بين يديه، ويتكلم على كرسي عال وكان في كلامه سرعة وجه، وأطلع على الكرسي وهو ابن أربعين سنة، وبقي عليه خمسين سنة يعظ الناس ويقرأ عليهم التفسير والحديث والتصوف والنحو والأصول.

وروي: إنه لما ودعته أمه وخاطت له الدنانير في دلقه تحت إبطه سار من بلده جيلان في قافلة صغيرة تطلب بغداد.

قال: فلما كنا بين همدان وبسطام، خرج علينا ستون فارساً، فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد منهم، فاجتاز بي واحد منهم وقال لي: يا فقير ما معك؟ فقلت له: أربعون ديناراً.

فقال لي: وأين هي؟ قلت: في دلقي تحت إبطي، فظن

أني أستعزى به فتركني وانصرف ومر بي آخر، فقلت له مثل ذلك الأول، وأجبت بجواب الأول، وانصرف وذهبا عند مقدمهم وأخبراه بما سمع مني.

فقال: علي به، فأوتي بي إليه وإذا هم على تلٍ يقتسمون أموال القافلة.

فقال لي: ما معك يا فقير؟

وروي: يا عجمي، قلت: أربعون دينار، قال: وأين هي؟

قلت: محاطة في دلقي تحت إبطي، فأمر بدلقي ففتق فوجد فيه الأربعين ديناراً.

فقال لي: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: أُمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهداً، فبكي المقدم، وانتحب طويلاً، ثم قال: أنت لا تخون عهد أمك وأنا اليوم لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يدي.

فقال له أصحابه: وأنت كنت عندنا مقدماً في قطع الطريق، وأنت الآن مقدماً في التوبة، فتابوا كلهم على يدي، وردوا على القافلة جميع ما أخذوا منها، فهم أول من تاب على يدي.

قلت: فالصدق هو أساس هذا الطريق ولذلك قالوا: لله في الأرض سيف ما وقع على شيء إلا وقطعه يعني: الصدق، وقد ملكت به القلوب الأريية وزهقت به النفوس المطمئنة وبلغت به أقصى المقامات العلية.

ويحكي عن أبي عمرو الزجاجي المتقدم شيخ الحرم: إنه لما توفيت والدته ورث منها داراً باعها بخمسين ديناراً، وخرج به للحج فلما كان في البادية خرج عليه لص على فرس فصاح عليه، فوقف له فقال له: من الذي معك؟

قال: فقلت: لا يُنجيني إلا الصدق، فقلت: خمسين ديناراً، فقال: ناولنيها فأعطيتها له فعدّها، فوجدّها كما قلت له.

فقال: يا هذا لقد ملكني صدقك وأنا تائب إلى الله تعالى

خذ دابتي هذه، واركبها وأنا أذهب حتى أُرِدَ المظالم  
والحقك بيت الله على الأثر.

فقلت: ما لي بدابتك حاجة فألح عليّ فركبتها، فوافاني  
بالموسم فلازميني حتى مات، وكم من مثل هذا.  
وحكي عن خادمه أبي السعود قال: سمعت الشيخ عبد  
القادر يقول: أقمت في صحاري العراق.

وروي في صحاري بغداد وخرابه خمس وعشرين سنة  
متجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفون تأتيني طوائف  
من رجال الغيب، ومن الجن المؤمن أعلمهم الطريق إلى  
الله تعالى، فرافقني الخضر أو قال: صاحبي.

وما كنت أعرفه قبل ذلك في أول دخول للعراق  
فاشترط عليّ أن لا أخالفه، وقال لي: اقعد هاهنا حتى  
أتيك، فجلست في المكان الذي أجلسني فيه ثلاث سنين  
يأتيني في كل سنة مرة، ويقول لي: اقعد هاهنا حتى أتيك،  
وكأنت الدنيا تأتيني بزخارفها وشهواتها في صور مختلفة  
فينجيني الله تعالى من الالتفات إليها.

قلت: وما زالت الأخيار تتمثل لهم الدنيا على أوصاف  
شتى وتقدم في ترجمة أبي عبد الله القرشي وأنه تمثلت له  
ولغيره كثيراً من أرباب هذه الطائفة وخصوصاً لأهل  
الصدق منهم.

وقال: كانت تأتيني الشياطين في صور شتى مزعجات  
مفزعات، فيقويني الله تعالى عليها، وتتصور إلى نفسي في  
صور، فتارة تتضرع إلي فيما تريده، وتارة تحاربني  
فينصرني الله عليها.

قلت: وهذا أيضاً كثير منهم.  
واعلم أن هذا فوق أطوار العقول، وإنما تشاهده أرباب  
الصدق في المجاهدة كما اتفق للإمام أبي عبد الله الهزميري  
وأبي عبد الله السنائي.

وقال: وما أخذت نفسي في حال البداية لطريق من  
طرق المجاهدة إلا لازمتها وأخذت بكلتا يدي، وأقمت  
زماناً في خراب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدة، فكنت

أمكث سنة آكل المنبذات، ولا أشرب الماء وسنة أشرب الماء ولا آكل المنبذات، وسنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام.

قلت: المدائن التي قال: كانت في العصر الأول دار ملك الفرس وفيه فيما زعموا كان مقر ذي القرنين لما رجع من طوافه للبلدان وإيوان كسرى وهو المعروف بالمشور عند أهل المغرب، والذي تجلس فيه الملوك.

قال: ثم نمت ليلة في إيوان كسرى، وكانت ليلة باردة احتلمت فذهبت إلى الشط فاغتسلت فنمت ثم احتلمت ثم اغتسلت، فاغتسلت تلك الليلة أربعين مرة، ثم صعدت إلى أعلى إيوان كسرى خوف النوم.

قلت: هذا كله من باب خرق العوائد، ولما قواه الحق، وأعانه فاختبره فيما به خوله فوجده صادقا، فجعله قدوة وإماما.

قال Y في قصة الخليل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وكذلك من اختاره الله من هذه الأمة لا بد من اختباره وامتحانه قال الله Y: ﴿الْمُحْسِنَاتُ لِلنَّاسِ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١]. وقال Y: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨].

وقال Y: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] ثم وعد بفضله أن من جاهد بصدق المجاهدة أن يفتح له حق المشاهدة. قال Y: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٢٩].

قال: وأقيمت في خراب الكرخ سنين لا أقات فيه إلا بالبردي ويأتيني رجل في كل سنة بجبة صوف، ودخلت في الفيافي، وانفردت هنالك حتى استرحت من دنياكم وما كنت أعرف إلا بالتخارس والجنون والبله، وكنت

أَمْشِي حَافِيًا فِي الشُّوكِ وَغَيْرِهِ وَمَا هَالَنِي شَيْءٌ إِلَّا رُكْبَتَهُ،  
أَوْ قَالَ: سَلَكْتَهُ، وَلَا غَلَبَتْنِي نَفْسِي فِيمَا تُرِيدُهُ، وَلَا أَعْجَبَنِي  
شَيْءٌ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا.

قَالَ أَبُو السَّعُودِ: فَقُلْتُ لَهُ: وَلَا حِينَ كُنْتُ صَغِيرًا قَالَ:  
وَلَا حِينَ كُنْتُ صَغِيرًا.

وَيُحْكِي عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَجْلِسُ فِي الْخُرَابِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَلَا أَوِي إِلَى بَغْدَادٍ وَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ تَأْتِينِي صَفُوفًا رِجَالًا  
وَرُكْبَانًا بِأَنْوَاعٍ مِنَ السَّلَاحِ وَأَقْبَحَ مِنَ الصُّورِ يَقَاتِلُونِي  
وَيُرْمُونِي بِشَهَبٍ مِنَ النَّارِ، فَأَجِدُ فِي قَلْبِي تَثْبِيثًا لَا يَعْبُرُهُ  
وَأَسْمَعُ مُخَاطَبًا مِنْ بَاطِنِي يَقُولُ لِي: قُمْ إِلَيْهِمْ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ  
قَدْ تَثْبِتْنَاكَ تَثْبِيثًا وَآيَدُنَاكَ بِنَصْرِنَا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَهْمُضَ إِلَيْهِمْ  
وَيَفْرِي مَيِّنًا وَشِمَالًا وَيَذْهَبُوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ يَأْتِينِي بِالرَّجْمِ، وَيَقُولُ لِي: اذْهَبْ  
مِنْ هَاهُنَا وَإِلَّا فَعَلْتُ بِكَ وَقَعْلًا وَلِحَذَرِي تَحْذِيرًا كَثِيرًا،  
فَالْطَّمْهُ بِيَدِي فَيَنْفِرُ مِنِّي فَأَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَيَحْتَرِقُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ.

وَأَتَانِي مَرَّةً شَخْصٌ كَرِيهٍ الْمَنْظَرِ مِنْتَنَ الرِّيحِ وَقَالَ لِي: أَنَا  
إِبْلِيسُ أَتَيْتُكَ أَخْدَمُكَ فَقَدْ أَعْيَيْتَنِي وَأَعْيَيْتَ أَتْبَاعِي، فَقُلْتُ  
لَهُ: اذْهَبْ فَضْرَبْتَهُ بِيَدِي فَوْقَ رَأْسِهِ فَغَاصَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ  
أَتَانِي مَرَّةً ثَانِيَةً وَبِيَدِهِ شَهَابٌ مِنْ نَارٍ يَقَاتِلُنِي بِهِ فَأَتَانِي رَجُلٌ  
مُثْلُكُمْ رَاكِبٌ عَلَى فَرَسٍ أَشْهَبَ وَنَاوَلَنِي سَيْفًا فَنَكَصَ إِبْلِيسُ  
عَلَى عَقْبِيهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ مَرَّةً ثَالِثَةً جَالِسًا بِالْبَعْدِ مِنِّي يَبْكِي وَهُوَ  
يُحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقُولُ: قَدْ آيَسْتُ مِنْكَ يَا عَبْدَ  
الْقَادِرِ، فَقُلْتُ لَهُ: اخْسَأْ يَا لَعِينٍ فَإِنِّي لَا أَزَالُ حَذَرًا مِنْكَ.

فَقَالَ: هَذَا أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ كَشَفَ لِي عَنْ  
أَشْرَافِكُ كَثِيرَةٍ وَمَصَائِبَ وَحَبَائِلَ نَصَبَهَا حَوْلِي.  
فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَشْرَافُ؟

قَالَ: هَذِهِ أَشْرَافُ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْطَادُ بِهَا مِثْلَكَ فَتَوَجَّهْتَ  
فِي أَمْرِهَا سَنَةً حَتَّى تَقْطَعْتَ كُلَّهَا، ثُمَّ كَشَفَ لِي عَنْ  
أَسْبَابِ كَثِيرَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْرَهَا، فَتَوَجَّهْتَ إِلَيْهَا سَنَةً أُخْرَى  
حَتَّى تَقْطَعْتَ كُلَّهَا وَانْفَرَدْتَ عَنْهَا، ثُمَّ كَشَفَ لِي عَنْ

باطني فرأيت قلبي منوطاً بعلائق كثيرة.  
فقلت: ما هذا؟

فقال: هذه إرادتك واختيارك فتوجهت في أمرها سنة  
حتى تقطع جميعها وتخلص منها قلبي ثم كشف لي عن  
نفسي فرأيت أدرانها باقية وهواها حيلة وشيطانها ماردًا،  
فتوجهت في ذلك سنة أخرى حتى تقطع جميعها وتخلص  
منها قلبي، ثم كشف لي عن نفسي، فتوجهت في قمعها  
فقمعت أذاها، وقتلت هواها، وسلم الشيطان عند ذلك  
وصار الأمر كله لله Y.

فبقيت وحداني والوجود كله خلفي وما ووصلت إلى  
مطلوبي بعد فاجتذبت إلى باب التوكل؛ لأدخل منه على  
مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب  
التسليم؛ لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته،  
ثم اجتذبت إلى باب القرب؛ لأدخل منه على مطلوبي فإذا  
عليه زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الغنى؛ لأدخل منه  
على مطلوبي فإذا عليه زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب  
المشاهدة؛ لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة  
فجزته؛ ثم اجتذبت إلى باب الفقر؛ لأدخل منه فإذا هو  
خال فدخلت.

وإذ أنا رأيت فيه كل ما تركت وفتح لي منه الكنز  
الأكبر، ورأيت فيه العز الأعظم، والغنى السرمدي،  
والحرية الخاصة، ومحقت البقايا ومحيت الصفات.

قلت: هذا باب الذل والافتقار والمسكنة دخل منه  
جماعة الأكابر كأبي يزيد البسطامي من المتقدمين،  
وسيدي أبي الحسن الشاذلي من المتأخرين، وعلى هذا بني  
مذهب الشاذلية كما نبه على ذلك صاحب الحكم  
المرضية.

وقد حكى عن شيخ شيوخنا أبي عبد الله: إنه وقع له  
مثل هذا الذي قال الشيخ T.

ويُحكى عن سيدي عبد القادر T: إنه لما كان في  
النزع قال: أنزلوني عن فراشي، فأنزلوه ووضع خده في

التراب وقال: هذا هو الحق. ۞  
واعلم أعزك الله: إن بالذل والافتقار وحقيقة الاضطراب  
يبلغ المرء منه، ويتحقق في إرادته، ويتحقق في  
عبوديته ١١٤.

قال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فنودي  
عليّ يا أبا يزيد خزائننا مملوءة بالعبادة، فإن أردتنا فعليك  
بالذل والافتقار.

قال صاحب الحكم: «تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه،  
تحقق بذلك يمدك بعزته، تحقق بفقرك يمدك بغناه، تحقق  
بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته،  
وما من عارف حقيقي إلا وتراه مضطراً أبداً».

قال صاحب الحكم أيضاً: «العارف لا يزال اضطرابه،  
ولا يكون مع غير الله قراره».

ويُحكى عنه: إنه كان في بدء أمره بقي عشرين يوماً  
طاوياً قال: ما وجدت ما أقتات به ولا وجدت مباحاً،  
فخرجت إلى إيوان كسرى وخراب بغداد أطلب مباحاً،  
فوجدت هناك سبعين رجلاً من الأولياء كلهم يطلبون ما  
أطلب، فقلت: ليس من المروءة أن أراهمهم، فرجعت إلى  
بغداد فلقيني رجل أعرفه من بلد أهلي وأعطاني قطعة من  
ذهب وقال لي: هذه بعثت بها أمك إليك فأخذت منها  
قطعة تركتها لنفسى، وأسرعت بالباقي إلى خراب  
الإيوان، وفرغت القطعة.

أو قال: القراريط كلها على أولئك السبعين، فقالوا: ما  
هذا؟

فقلت: قد جاءني هذا من عند والدتي وما رأيت أن  
أختص به دونكم ثم رجعت إلى بغداد، واشتريت بالقطعة  
التي لي طعاماً وناديت الفقراء فأكلنا جميعاً ولم يبق عندي  
من تلك القطعة أو قال: القراريط شيء.

قال صاحب النفحات القدسية: تفقه الشيخ عبد القادر



بأبي الوفاء (١١٥) وعلي بن عقيل (١١٦) بعد أن أتقن القرآن وسمع الحديث على ابن الطيوري، وقرأ الأدب على أبي زكريا ويحيى بن علي التبريزي وصاحب أكابر شيوخ الصوفية، وأخذ الطريق عن أبي الخير حماد الدباس وكان يتحامل عليه كما قدمناه قبل هذا الباب ويعنفه ويقول: إنما أؤذيه لأمتحنه، فأراه جبلاً لا يتحرك، وتقدم ما كان الشيخ سيدي أبو يعزى يمتحن به سيدي أبي مدين وتغافله عنه وعدم الإقبال عليه ومنعه من الطعام وغير ذلك، ولبس الخرقة من القاضي أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي الفقيه.

## فصل

إسناد الخرقة التي لبسها سيدي أبي مدين من الشيخ سيدي عبد القادر عن المخزومي عن أبي الحسين علي بن يوسف الهكاري عن الفرغ الطوسي عن أبي الفضل التميمي اسمه عبد الواحد بن عبد العزيز عن أبي بكر الشبلي عن أبي القاسم الجنيد إمام الطائفة وباقي النسب ظاهر.

وقد تكرر في هذا الكتاب وكذا من طريقة علي بن موسى الرضا، ومن جهة معروف الكرخي عن موسى الكاظم وعن جعفر عن محمد الباقر عن زين العابدين عن الحسين الشهيد عن أبيه علي رضي الله عنهم أجمعين.

واعلم أن لبس الخرقة ما زالت الأختار من أكابر العلماء يعتنون بها ويلبسونها تبركاً بالأختار وما من سيد من السادات العلماء والعارفين أهل الحق والعدالة المعتبرين إلا وجدت له في ذلك نسبة وسنداً ولا ينبغي أن يستهان بأداهم وما به اعتنائهم، ولا يعترض عليهم في جميع أحوالهم كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الخاتمة.

قال ابن بادس: كان الشيخ ط يشتغل بالفقه ويخرج إلى

(١١٥)

(١١٦)



الصحراء ويجلس في الخراب ليلاً ونهاراً، ويلبس الصوف ويمشي حافياً ويقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس المطروح، وكان إذا فتح عليه في الصحراء يهيم على وجهه، فمن رآه في سكره ظنه مجنوناً أو معتوها وحمل للمارستان مرات عديدة ظناً منهم أنه مات.

فلما جعل على المغتسل فاق من سكره، وأحواله كلها عجيبة وتقدم ما قاساه سيدي أبي يعزى في سلوكه وما كان يقتات به سنة، وما كان قوته بعد ظهوره واستقراره بموضعه.

قال الشيخ عدي بن مسافر<sup>(١١٧)</sup>: طريقة الشيخ سيدي عبد القادر الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح، واتحاد الباطن والظاهر وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضرر والقرب والبعد.

قلت: أما قيامه تحت الذبول تحقيقاً لقوله Y: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فمن حكم كتاب الله فهو ذاك الذي قال الشيخ. وأما موافقة الظاهر الباطن تحقيقاً لقوله Y: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

وهو معنى استواء الظاهر والباطن والإحسان أن تكون السريّة خيراً من العلانية والعلانية موافقة للكتاب والسنة في الأقوال والأفعال والحركات.

وتقدم مذهب سيدي أبي العباس السبتي في ذلك وما كان يوجه به الآية الكريمة.

قال ابن بادس والوريندي صاحب الروض: أقام الشيخ سيدي عبد القادر يصلي الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة.

قلت: وهذه كانت سنة السلف المتقدمين من المكين والمدنيين والكوفيين والبصريين والشاميين منعنا من سردهم الاختصار.

قالوا: وكان يدخل خلوته بعد العشاء، ولا يخرج إلا عند الفجر.

ويُحكى عنه: إنه لما أكمل الحق تربيته أضيف إلى مدرسة شيخه وأستاذه أبي سعيد المخزومي مع ما حولها من الأماكن والمنازل ما يزيد على مثلها، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم وعمل الفقراء بأنفسهم فكملة المدرسة، وكان الفراغ منها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتصدر بها للفتوى والتدريس والوعظ والتذكير، وقصدت المدرسة بالزيارة والندور، واجتمع عنده بها من العلماء والفقهاء والفقراء والصلحاء جماعة من آفاق البلاد فحملوا عنه وسمعوا وانتهت إليه تربية المريدين.

ومن غريب ما اتفق له أنه جاءت فتوى من بلاد العجم بعد أن عرضت على فقهاء العجم والعراق وعلمائهما فلم يتضح لأحد من الفريقين جواب شافٍ.

وهي: ما تقول السادات العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد له أن يعبد الله عبادة يتفرد بها عن جميع الناس في الوقت، فماذا يفعل من العبادات؟

فلما عجزت الفقهاء فيها أتوا بها إلى الشيخ لعل أن يجدوا فيها فرجاً، فأوقع عليها في الحين، فقال لهم: ينحلي له المطاف، ويطوف به سبعة، وينحل من يمينه فيما بات المستشفى ببغداد وخرج من فوره، وتقدمت أوصاف سيدي أبي مدين في الفتاوى التي كانت ترد عليه من الطيار وغيره، وكذا فتاوى سيدي أبي الحسن الشاذلي، وأنه كان يرى الجواب في الدواء والحصير وأبي الحسن بن غالب وأبي زيد الهزميري رضي الله عنهم وأرضاهم ورضي عنا بهم.

ويُحكى عن ولده موسى قال: سمعت والدي، يقول: يعني سيدي عبد القادر خرجت في بعض سياحتي إلى

البرية، ومكثت أياماً لا أجِدُ ماءً، فاشتد بي العطش فأظلمتني سحابة فنزل عليّ منها شيء يشبه الندى، فرويت منه، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدأت لي منه صورة منها ومنها نُوديت يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات.

أو قال: ما حرّمته عليّ غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم احسباً يا لعين فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة صارت دخاناً ثم خاطبني.

وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك وبحكم ربك وفقهك في أحوال منازلتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة كثيراً من أهل الطريق نحو السبعين عابداً.

أو قال: عالماً، فقلت: لربي الفضل والمنة، ف قيل للشيخ: كيف علمت أنه الشيطان؟

قال: بقوله: لقد حللت لك المحرمات، قلت: وكلامه أيضاً بالحروف والأصوات وأنه سمعه من جهة والصورة الظاهرة والحق ليس كمثله شيء إلى غير ذلك مما يفي عند الصديقين العارفين.

ولما سُئل عن الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية قال: الوارد الإلهي لا يأتي باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط واحد ولا وقت مخصوص والطارق الشيطاني بخلاف ذلك.

قلت قد بينا تفصيل الخواطر في كتاب لب الباب، وكذا الواردات في كتابنا مطالع الأنوار السنية. وهذا المختصر لا يحتمل التطويل، ولذلك أضربنا عن ذلك اختصاراً.

قال صاحب الحكم: قلّ ما تكون الواردات الإلهية إلا بغة صيانة لها أن يدّعيها العباد بوجود الاستعداد.

وقال أيضاً: الوارد يأتي من حضرة قهار ولأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمهغه.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾

[الأنبياء: ١٨].

وقال: متى وُردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤].

وقال أيضاً: تنوعت أجناس الأعمال؛ لتنوع واردات الأحوال، ويحكي عنه T: إنه كان مجلسه لا يجلو من أن يسلم فيه يهودي أو نصيري وممن يتوب من أهل الزلات وأصحاب الجرائم والفساق.

وروي: إنه أتاه راهب فأسلم على يديه في المجلس، ثم نظر إلى الناس الذين في المجلس وقال لهم: إني رجل من أهل اليمن، وإن الإسلام وقع في قلبي وقوي عزمي على أني لا أسلم إلا على يد أحسن أهل اليمن في ظني فجلست مفكراً فغلب علي النوم فرأيت عيسى بن مريم U يقول لي: يا فلان اذهب إلى بغداد، وأسلم على يد عبد القادر، فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

وروي: إنه أتاه مرة أخرى ثلاثة عشر رجلاً من النصاري، فأسلموا على يديه في مجلس وعظه.

وقالوا: نحن من نصارى الغرب وأردنا الإسلام وترددنا على يد من نسلم ومن نقصد فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نرى شخصه: أيها الركب إن أردتم الفلاح اتتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر، فإنه يوضع في قلوبكم الإيمان ببركاته ما لا يوضع فيها عند غيره من سائر الناس أو قال يثبت في قلوبك الإيمان ببركاته.

ويحكي عنه T: إنه لما أشرقت عليه الأنوار وظهرت عليه الأسرار قامت عليه العامة ومن لا خلاق لهم علي عاداتهم بالتعصب بالجهل والحمية، فصار إلى بيت الله الحرام وحبس بخلقتي الكعبة، وأنشد البيتين المعروفين له وسندكرهما بعد هذه.

فلما هز الباب اهتزت الأخشاب أعني: جبلي مكة

فتداركه الله بلطفه، وتذكر ما وقع لجده سيد المرسلين مع أهل مكة حين أتاه جبريل مع ملك الجبال.  
وقال: يا محمد إن الله أمرني بالسمع والطاعة لك، فإن أذنت لي أن أطبق عليهم الأخشبين أعني: أهل مكة.  
أفعل؟ قال: لا ولكن أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، فطلب الشيخ سيدي عبد القادر الإعانة من الله واستغفر وكف الله عنهم أيدي الناس ولجم الله ألسنتهم، وقصر عما كانوا هموا به.

وروي: إنه كان في خلوته وليس معه أحد وقد غلق عليه بابها وليس فيها ما يفترش وقد غفر وجهه ويديه بالتراب، وإذا بشخص معه في خلوته من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً عليه أنوار تلوح ومسك يفوح.  
قال له: من أنت يا أخي؟ ومن أين دخلت علي وبابي مسدود؟

فأخذ بيده وضمه إليه، وجعل رأسه على ركبتيه، فجعل يمسح التراب على وجهه فقال له: أنا الدين وأنت محي الدين فجزاك الله خيراً أيها الصديق الودود، حفظتني، ورعيت قدرتي أمرت أن لا أزال معك إلى يوم القيامة.  
ويحكى عنه: إنه جلس يوماً علي منبره، وغلبت عليه أنوار الجمال، وما اختصه به الحق من الكمال ونسبته إلى سيد الأولين والآخرين فقام وشطح وترنم لما جرى على خاطر من الفرح، وأنشد:

مَا فِي الصَّبَابَةِ مِنْ هَلٍّ إِلَّا وَلِي فِيهِ الْأَلَدُ

مَسْتَعَذِبُ الْأَطْيَبِ

ججج

ججج

أَوْ فِي الْوَصَالِ مَكَانَةٌ إِلَّا وَمَنْزِلَتِي أَعَزُّ

مَخْصُوصَةٌ وَأَقْرَبُ

جج

جج

أَنَا بَلْبِلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلَأُ طَرَبًا وَفِي الْعِلْيَاءِ

دُوحَهَا بَادِي أَشْهَبُ

ججج

ججج

أَنَا مِنْ أَنْاسٍ لَا يَخَافُ رَيْبَ الزَّمَانِ وَلَا يَرَى

نَزِيلَهُمْ مَا يَرْهَبُ

ججج

ججج

قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَجْدٍ عُلُوبَةٌ وَبِكُلِّ عِزٍّ

رَتَبَةٌ مُوَكَّبٌ

ج

جج

أَضْحَى الزَّمَانُ كَحَلَةٍ تَزْهَوُ وَنَحْنُ لَهَا

مَرْقُومَةٌ الطَّرَازُ الْمَذْهَبُ

جج

جججج

غَرُبَتْ شَمْسُوسُ أَبَدًا عَلَى أَفْقِ

الْأَوَّلِينَ وَشَمْسُنَا الْعُلَا لَا تَغْرِبُ

ججججج

ج

فَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ السُّلْطَانِ  
الْعَبَّاسِيِّ فَقَالَ لَهُ: عَنْ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ أَفْتَخِرُ بِنَسَبِهِ وَإِنَّهُ  
انْتَسَبَ لِلْمَقَامِ الْأَعْلَى، وَإِنَّهُ قَالَ: غَرَبَتْ شَمْسُ الْأَوَّلِينَ  
الْبَيْتِ.

فَزَعَمُوا أَنَّهُ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ مَذْعُورًا خَوْفًا عَلَى عَادَةِ  
الْمُلُوكِ مِمَّنْ يَزَاحِمُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ أَوْ يَنَازِعُهُمْ فِي مَلِكِهِمْ  
فَاسْتَشَارَ بَطَانَتَهُ وَأَصْحَابَهُ وَحُجَّابَهُ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ  
بِإِخْرَاجِهِ مِنْ بَغْدَادَ فِيمَا زَعَمُوا فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فَخَرَجَ  
الشَّيْخُ.

قَالُوا: مِنْ يَوْمِهِ بَلَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ الرِّصَافَةَ وَهِيَ  
قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخٍ وَفِيهَا مَدْرَسَةٌ  
الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَفِيهَا مَدْفُونٌ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ ذُرِّيَةِ مُوَلَانَا  
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؑ، وَيُقَالُ: هُنَاكَ وَرَدَتْ عَلَى الشَّيْخِ  
أَحْوَالٌ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ التُّرَابِ وَجَعَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَدَمَعَتْ  
عَيْنَاهُ، وَأَنْشَدَ:

أَظْمَأُ وَأَنْتَ الْعَذْبُ وَأُظْلِمُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ

فِي كُلِّ مَوْرِدٍ نَصِيرٌ

ججججج

ججججج

فَعَارٌ عَلَى حَامِي إِذَا ضَاعَ فِي الْبِيدَاءِ

الْحُمَى وَهُوَ قَادِرٌ عَقَالٌ بِعِيرٍ

ججججج

ججججج

قَالُوا: فَغَشِيَ عَلَيْهِ.

وَرُوِيَ: إِنَّهُ وَقَعَ حَرِيقٌ بِبَغْدَادَ وَلَا قَدْرَ أَحَدٍ عَلَى إِطْفَاءِ  
تِلْكَ النَّارِ حَتَّى احْتَرَقَ عَدَدٌ كَثِيرٌ، وَأَنَّ النَّاصِرَ خَرَجَ

بنفسه.

قال الشيخ أبو الحسن المقدري الشطنوفي المصري: فقدم الصالحين والعلماء أمامه كسيدي ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي وجماعة من المعتبرين. فلما لحقوا الشيخ سأله في الصفح، والرجوع إلى مدينة بغداد حينئذ وقد ألف أبو الحسن هذا ثلاث مجلدات في مناقب الشيخ عبد القادر.

وقال ابن بادس: كان الشيخ في بعض مجالسه ربما يضيق المجلس ويخرج للفصل خارج البلد ويقف الركبان محتفين بالمجلس كالسور نحو السبعين ألفا.

ويُحكى: إنه كان في بعض الأحيان تدركه خطفات وجذبات فينطق بشطحات لقوة الوارد.

قلت: وهذا لا بُدَّ منه بكل محقق إلا أنهم في ذلك على قدر القوة والضعف متفاوتون.

قالوا: وكان يقرأ الحديث والتفسير طرقي النهار والقرآن بالقراءة بعد الظهر والفقہ والنحو والأصول.

وروي: إنه زار قبر الشيخ الإمام أحمد بن حنبل فوق على بعضهم سنة فشاهده خرج من قبره وضمه إلى صدره وألبسه خلعة.

وقال له: قد أفترق إليك في علمي الشريعة والحقيقة، وكان يتطليس ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة والحاشية بين يديه يمثلون أوامره، وإذا مر الجمعة بلا سؤال وقف أهلها يسألون الله به حوائجهم.

قال: كنت لا أرى الخلق ولا يرون فأراد الله منفعتهم على يدي.

ويقال: إنه تاب على يديه من اليهود والنصارى نحو الخمسمائة، وأما غيرهم فأكثر من مائة ألف، ومن عادة أهل بغداد إذا ظهر عالم أو عارف أو صالح لا بُدَّ أن يمتحنوه ويختبروه كما فعلوا مع الإمام البخاري، والإمام الشيخ أحمد بن حنبل، وإمام الطائفة.



فلما اشتهر أمر الشيخ سيدي عبد القادر قال سيدي أبي الحسن المصري وابن بادس والورنيدي وصاحب الروض. اجتمعت مائة من الأكابر من بغداد وأذكيائهم ورتبوا مائة مسألة من أنواع الفنون ومرادهم يعجزوا الشيخ بذلك، فلما حضر المجلس أطرق الشيخ برأسه فرأى بعض أهل المكاشفة بارقة نور خرجت من صدر الشيخ ومرت على صدور المائة فلا تمر على صدر أحد منهم إلا بهت واضطرب، ثم صاحوا ومزقوا لباسهم وكشفوا رؤوسهم وانضموا إليه فوق الكرسي وضج المجلس وارتجت بغداد، ثم جعل يضم الواحد منهم بعد الواحد، ويقول: مسألتك كذا وكذا وجوابها كذا حتى أتى على الجميع.

وروي: إنهم قالوا: فقدنا جميع ما نعرفه من العلوم، حتى كأنه نسخ منا فلما ضمنا إلى صدره رجع إلى كل واحد منّا ما كان يعرفه ويعلمه، وذكر لنا أجوبة ما نعرفها.

وروي: إنه حضر مجلسه يوماً أبي الفرج الجوزي، ففسر الشيخ آية من القرآن وذكر فيها وجوهاً إلى جنب أبي الفرج من يسأله: أتعرف هذا القول؟

فيقول: نعم إلى أن بلغ أحد عشر وجهاً يعرفها أبو الفرج.

ثم قال: زاد الشيخ حتى انتهى إلى أربعين وعزاً كل وجه لقائله، فاشتد تعجب أبو الفرج من قوة علم الشيخ.

ثم قال: نترك القول ونرجع إلى الحال لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاضطرب المجلس اضطراباً كثيراً.

ويقال: إن أبا الفرج خرق ثوبه، وخرج هائماً على وجهه للصحراء، وكان في أول حاله حنبلي، ثم رجع لمذهب الشافعي.

قلت: وأكثر شيوخ الطريق إلا حجة الإسلام كما قدّمنا فإنه رجع في آخر عمره إلى المذهب المالكي كما أخبر ذلك تلميذه ابن العربي

قال ابن بادس وجماعة ممن تعرض لكراماته: وكانت

الفتاوى تردُّ عليه عقب القراءة فيجيب عليها من غير مطالعة، فتعرض على علماء العراق، فيعجبون من صوابها أكثر مما يتعجبون من سرعة جوابها.

وقال ٢: كنت إذا وُلِد لي مولود أخرجته من قلبي فإذا مات لا يؤثر في حاله، ولا يقطع وعظه، فإذا فرغ من غسله وكفنه أدنوه فقام يصلي عليه.

وتقدم في ترجمة سيدي أبي مدين حيث خضع برقبته فقال: إن الشيخ عبد القادر قال في هذه الساعة: «قدمي على رقبة كل ولي» ١١٨.

ويذكر: إن أبا العباس أحمد الرفاعي كان يتكلم وإذا به قد خضع برقبته ساعة، ثم عاد لكلامه فلم افترق المجلس سأله بعض الصديقين عن سبب ذلك.

فقال له: إن الشريف الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني قال: إن قدمي على رقبة كل ولي غير حمدان، فطأطأت الأرض في مشارق الأرض ومغاربها إلا عبداً حبشياً قال: لا أعرف إلا الله تكبراً منه، فسلب والعياذ بالله من علمه وعمله ومات كافراً.

ويُحكى عن الشيخ سيدي أبي يعزى: خضع في تلك الساعة برقبته.

وروي: إنه ظهر بين يديه في تلك الساعة وكلمه بالزناتية.

قال له: ولا أنا؛ لأنهم قالوا: استثناه الشيخ. وتقدم في ترجمة الشيخ سيدي أبي يعزى أن كل واحد منهما كان يثني على صاحبه.

وأما أبو العباس الرفاعي فكان كثير التعظيم للشيخ سيدي عبد القادر، وهو: الشيخ أحمد بن علي عرف بابن الرفاعي، وكانت له أحوال عجيبة وهو لم يعقب ولداً عقب أخوه.

إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَامَ قَلْبِي      أَنْوَحُ كَمَا نَاحَ الْحَمَامُ  
بِذِكْرِكُمْ      الْمَطْوِ

## جج

## ج ج ج ج ج

وَفَوْقِيَ السَّحَابِ      وَتَحْتِ بَحَارِ الشَّقِيقِ  
تُمْطَرُ الْهَمَّ وَالْأَسَى      كَادَتْ تُدْفِقُ

ج

## ج ج ج

سَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ تَفَكُّ الْأَسَارَى دُونَهُ  
بَاتَ أَسِيرُهَا وَهَوَّ مُوثَقٌ

## جج

## ججج

فَلَا هُوَ مُقْتُولٌ فَفِي الْقَتْلِ رَاحَةٌ      وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فُيُعْتَقُ

## ج ج ج

## ج ج

وما زال على تلك الحال إلى أن تُوفي عام ثمان وسبعين وخمسائة يوم الخميس ثاني العشرين من جمادى الأولى.  
قلت: وكان بينه وبين الشيخ أبي مدين مودة ومواصلة.  
يُحكى عن سيدي أبي مدين: لما طرح لهم ذات ليلة طعام وكان عليه زبد، فقيل: ذلك للشيخ.  
فقال: إن أحمد الرفاعي هذا أخذ يُياسطنا وأبي مدين بإفريقية، والشيخ أحمد الرفاعي ببطائح العراق، قاله صاحب النجم وغيره ممن تعرض لكرامتهما.  
وما أحسن قول الإمام العلامة ابن بادس في الثناء على هذا الإمام في سنيته:

وتُبجِّلِي قَائِدًا فَذَاكَ وَمَنْهُ أَسْتَمِدُّ فِي  
قُطْبِهِمُ الْإِضَاءَةِ وَالْفَقِيسِ

جج

ججج

وَفِي الْمُهْدِ أَنْوَارُ التَّدْنِي يَقْضِي يَوْمًا  
الْعَنَاءَةَ أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَسِّ

ججج

ججج

وَوَفِي بَعْدِ الْأَمْرِ فِي إِلَى حَالَةٍ عَزَّتْ عَنْ  
الصَّدَقِ فَارْتَقَى الْخَلْقِ وَالْأَوْسِ

ججج

ج

تَضَلَّعَ مِنْ عِلْمٍ تَدَرَّعَ مِنْ عِلْمٍ  
الْحَقِيقَةِ بَعْدَمَا الشَّرِيعَةِ بِالتَّرْسِ

جج جج  
وأضحى أمير له الحكم والتّصريف  
الأولياء بعصره في المنح والحسّ

ج ج  
وأما شهادة شيوخ العصر له والذين قبله والذين بعده،  
فهذا ممّن تواترت به الأخبار ولم يبلغ أحد في الثناء على ما  
بلغ هذا الإمام.

وكذا الشيخ سيدي أبو يعزى وعلى منوالهما سيدي  
أبي العباس، كما تقدّم، ولهم أيضاً مواصلة الإخوة من  
طريق أبي علي الصوفي فإنه لقي حجة الإسلام ببغداد،  
وأبو علي من شيوخ أبي الفضل، وأبي العباس بن العريف،  
وأبو الفضل كما تقدّم ممّن أخذ عن الإمام ابن العربي،  
وأبو عبد الله بن الفخار من شيوخ الشيخ سيدي أبي  
العباس السبتي، وهو قد قرأ على أبي الفضل وقد تقدّم هذا  
مستوفياً.

قال أبو بكر بن هواره فيما نقله صاحب الروضة وابن  
بادس: سيظهر ببغداد، أو قال: بالعراق رجل شريف  
أعجمي اسمه: عبد القادر في القرن السادس يفوق الأولياء  
والعلماء وكوشفت بمقامات الأولياء، فإذا هو صدرهم،  
أو قال: صدرها وكوشفت بمقامات العلماء، فإذا هو  
كوكبهم وكوشفت بمقامات المقربين، فإذا هو عالمهم  
وكوشفت بمقامات الأقطاب، فإذا هو قطبهم.

ثم قال: وسيظهره الله تعالى مظهراً لا يظهر فيه في زمانه  
أحد غيره، وهو ممّن يُقتدى به في أقواله وأفعاله إلى يوم  
القيامة.

وله كرامات شهيرة أضربنا عنها اختصاراً (١١٩).

ويكفي قصته مع المرأة التي أتت إليه وقالت له: إن ولدي غرق ولم يبق لي صبر إن قدرت أن تغثني، وإن لم تفعل فأنا أشكوك إلى الله ورسوله يوم القيامة، إذا أتيتك ملهوفة فلم تغثني، فروي: إنه أخرجه حياً وما ذلك على الله بعزيز.

ومن عجب أمره: إنه كان في بدايته من اللصوص الكبار يقطع الطريق إلى أن سمع امرأة وهي تقول لزوجها: انزل بنا هاهنا لئلا يقطع علينا ابن هوارة فلتعظ بكلامها وبكي وتاب إلى الله Y ولم يعرف شيخاً يسلم نفسه إليه. فرأى النبي P ومعه أبو بكر فقال: يا رسول الله صلى الله عليك التبسي خرقه.

فقال له: أنا نبيك وهذا شيخك وأشار لأبي بكر الصديق فألبسه ثوباً وطاقية.

وأمدَّ يده على ناصيته ورأسه، وقال له: بارك الله فيك. فقال النبي P: بك تحيي سنن الطريق، أو قال: أهل الطريق من أمتي إلى يوم القيامة بالعراق بعد موتها ويقدم منار أرباب الحقائق بعد درسها وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة.

وقد هبت نسمات الله بظهورك وأرسلت نفحات الله بقيامك، فانتبه من نومه، فوجد الثوب والطاقية عليه بأعيانهما، وكأنما نودي في الأفاق: إن ابن هوارة وصل إلى الله Y فأهرعوا إليه وتردد الخلق عليه وهو بقدره العزيز العليم أول من ذل الأسود والحيتان لأهل البطائح، وله دعوة مستجابة وحكايته في زلزلة واسط شهيرة.

وممن شهد للشيخ عبد القادر الجيلاني: أبو محمد الشنبري، وكان من الأولياء الأعلام انتهت إليه رئاسة هذا الشأن فيما حاكاه ابن بادس، والوريندي، وصاحب الروض، وصاحب حرز الاتقياء.

وصحب بعد شيخه ابن هواره (١٢٠): أبا الوفاء شيخ

الشيخ سيدي عبد القادر، وكان كثير التواضع شديد الحياء، واشتهر ذكره في الآفاق يقصده الزوار من كل إقليم، وكان متبعاً لأداب الشرع وأحكامه مقتفياً لآثار المتقين، وكان في بدء أمره يقطع الطريق مع أصحاب له بالبطائح، فأخذوا قافلة وقتلوا ما قتلوا واقتسموا من انتهبوا، ثم صاروا.

فلما جاءوا زاوية الشيخ ابن هواره قال لأصحابه: اذهبوا، أما أنا فقد أخذ الشيخ ابن هواره بمجامع قلبي فلم أستطع أن ألتفت يمينا وشمالا.

فقالوا له: ونحن معك، وإذا بالشيخ خارج تلقاهم.

فقالوا: يا سيدي الحرام في بطوننا والدماء في سيوفنا. فقال لهم: زروها فقد قبلتم على ما فيكم فتابوا وتولي الشيخ ابن هواره سياسة الشيخ الشنبكي ثلاثة أيام، ثم قال له في اليوم الرابع: سر إلى موضع كذا وادعو الله عز وجل فقد صرت شيخا مكملًا، فقبل له: بما وصلت إلى الله تعالى في ثلاثة أيام؟

قال: تركت الدنيا في اليوم الأول، وتركت الآخرة في اليوم الثاني، وطلبت الله في اليوم الثالث طلباً مجرداً عمن سواه فوجدته.

واشتهر وظهرت بركاته.

وذكر صاحب حرز الأتقياء: إنه سئل عن الشيخ أبو العباس الرفاعي.

فقال: كل السيوف تُغمد إلا سيف الشنبكي. ويحكى عنه أيضاً: إنه مرَّ على قوم بأيديهم أواني الخمر.

فقال: اللهم طيب عيشهم في الآخرة، فصارت أواني الخمر ماء صافياً زلالاً، وألقى الله عليهم الخشية، فصاحوا وتابوا وكسروا الآلات.

قلت: ومن المشهور أن أبا يزيد إتفق له في الزهد كما وقع للشننكي.

فقال: لما سئل عن أي شيء هو الزهد، إنما بقيت ثلاثة أيام زهدت اليوم الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، والثالث فيما سوى الله، وفي الرابع همت فيه.

وقيل لي: يا أبا يزيد لا تقوى معنا.

فقلت: هذا الذي أريد.

وروي عنه: إنه قال: سمعت ذلك في المنام، فسمعت قائلاً يقول لي: وجدت وحرت ومات رحمه الله عام إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وستين وقيل: غير ذلك.

ومن كلامه: إن في الليل شراباً لقلوب لأهل المعرفة، فإذا شربوا لطارت قلوبهم حباً في الملكوت حباً لله <sup>Y</sup> وشوقاً إليه؛ فلذلك يقطعون ليايهم إذا أظلمت عليهم ألا وإن الناظرين إليه لا إلى غيره ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة وأنشد:

غَرَسْتُ الحَبَّ فَلَا أَسْأَلُو إِلَى يَوْمِ

غَرَسًا فِي فُؤَادِي التَّنَادِ

جججج

جججج

جَرَحْتُ القلبَ فَشَوْقِي زَائِدٌ

مَنْي بِاتِّصَالِ وَالْحَبُّ بَادٍ

ج

ج

سَقَانِي شَرِبَةً أَحْيَا بِكَأْسِ الحَبِّ مِنْ

فُؤَادِي بَحْرِ الوُدَادِ



ج ج ج ج ج  
فلولا الله يحفظُ لهام العارفون  
عارفيه بـكل واد

ج ج ج ج ج  
وله شأن عظيم وليس هذا محل بسطه.  
ومن كلام الإمام الشنكي: مَنْ رأيتَه يدَّعي مع الله  
حالاً يخرجُه عن حدِّ علم الشريعة فلا تقربن منه، وذكر  
كلاماً معروفاً لأبي الحسن النوري، فلا أدري أهو بنفسه  
أم أَلهمه الحق إليه؟ والله أعلم.

وهو مع عظيم مقامه كان كثير الثناء على الشيخ  
سيدي عبد القادر، ويقول: وهو سلطان الأولياء وقبيلة  
الشنابكة فرقة من الأكراد السودان.

وقال أيضاً في سيدي عبد القادر: سيسري ذكره في  
مشارك الأرض ومغاربها، وهو مَن يباهي به رسول الله ﷺ  
يوم القيامة.

ومن شهد للشيخ سيدي عبد القادر: الشيخ أبو محمد  
عزاز بن مستودع من أئمة هذا الشأن رفيع القدر وذكره  
صاحب حرز الأتقياء، وابن بادس، وصاحب الروض،  
قالوا: وهو مَن انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في زمانه،  
ويلقب بالباز الأشهب، وكان جميل الصفات كامل  
الأدب كثير الحياء عاقلاً متبعاً لأحكام الشرع كثير  
المجاهدة مداوماً عليها لطيف المعاني.

له كرامات:

حكوا عنه: إنه مرَّ يوماً بأسدٍ أعيا الناس، وتضرروا منه،  
وقد افترس شاباً وقسم ساقه نصفين، فصاح عليه وحدفه  
حصاة قدر الفولة فمات مكانه، ثم مسح على ساق

الشاب فأنجبر في الحين؛ كأنه لم يكن به بأس.  
وله كلام علي طريق العرفان أضربنا عنه اختصاراً.  
وكانت الجن تكلمه، والأسود تستأنس به، والطير  
والوحش كذلك.

وكان يقول: مَنْ أنس بالله أنس به كل شيء، وَمَنْ  
خاطبه الله خاطبه كل شيء، وَمَنْ هاب الحق هابه كل  
شيء.

وكان يمشي بين النخيل فإذا اشتهى رطباً تدلّى له حتى  
يصله فيأخذ منه حاجته ويرجع لعلوه.

وكم له من مثل هذه الكرامات، ومع جلاله قدره قال  
في الشيخ عبد القادر: سيدخل بغداد شاب شريف من  
العجم يقتقر إليه الوجود بأسره، أو قال كله: ويسلم إليه  
الكون بجميع ما فيه من الفاضل والمفضول، وله لسان  
ناطق بين يدي الله تعالى في حضرة القدس وهو من أرباب  
المراتب التي فاتت كثيراً من الأولياء.

ومَنْ شهد للشيخ سيدي عبد القادر: الشيخ الإمام أيو  
علي منصور خال الشيخ أبي العباس الرفاعي المتقدم  
الذكر من أصحاب الشيخ أبي محمد الشنكي وبه تخرج،  
وكان مصاحباً أيضاً للشيخ الرفاعي.

وله مغربات وكرامات وهذا المختصر لا يحتمل بسطها،  
وإنما هو للتلميح لأوصاف الشيخ سيدي عبد القادر T.

قال صاحب حرز الأتقياء: سئل عنه أبي العباس الرفاعي  
قال: ذلك الوفي البر في صعوده ونزوله من السماء إلى  
الأرض، ومن الأرض إلى السماء.

وحكي عنه: إنه جيء إليه برجل افترسه الأسد وكسّر  
عضده على نصفين، فجاء إلى الأسد وأمسك بناصيته أو  
قال: بأذنه.

وقال له: ألم أقل لك لا تتعرض لجيراننا؟ فخضع له  
الأسد فأخذ عضد الرجل.

وقال: يا حيُّ يا قيُّوم اجبر عظمة الكسير فصَحَّ العضو في الحين؛ كأن لم يكن به بأس.

وهو مع جلالة قدره قال في الشيخ سيدي عبد القادر: سياي زمان يفتقر إليه وتعلو منزلته بين العارفين، ويموت وهو أحب أهل الأرض إلى الله تعالى ورسوله.

ويُحكى عن الشيخ أبي علي منصور: إنه كانت والدته وهي حامل به دخلت على الشيخ الشنبكي، فقام لها فاستعظم ذلك جلساءه.

فقال: ما قمت لها إنَّما قمت إجلالاً للجنين الذي في بطنها يعني: أبا علي هذا.

ومن شهد للشيخ سيدي عبد القادر: شيخه الإمام العالم الهمام العلم الكبير القدر: أبو الوفا المعروف بتاج العارفين وإمام المتقين من شيوخ الشيخ، وهو الذي أخذ عنه العهد أبو محمد الشنبكي بعد ما تاب على يد ابن هواره.

فقال لأصحابه في ذلك اليوم قبل دخوله: وقع في شبكتي اليوم صيداً لم يقع مثله في شبكة ولي.

ورأى الشيخ أبو محمد عزاز النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما تقول في أبي الوفا.

فقال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، يا عزاز: ما أقول فيمن أباهي به الأمم يوم القيامة، وكان من أكابر مشايخ العراق وأعيانها، صاحب كرامات.

قاله صاحب الروض، وابن بادس، وصاحب حرز الأتقياء قالوا: انتهت إليه رئاسة العلم والدين، اشتهرت ولايته وهو من أكابر العارفين في العراق.

ومن بعض كراماته: إنه أتاه أناس يسألونه فوجدوه نائماً وأعضائه كلها تنطق بالتسبيح والتحميد والتهليل، فجلسوا ينظرون فنطقت أعضائه لهم بجوابهم في مسائلهم وهو نائم، وقد شهد للشيخ سيدي عبد القادر بجلالة القدر وعظيم المقام.

قال صاحب حرز الأتقياء في كمال حكاية الشيخ عزاز في أبي الوفا: إن النبي ﷺ أخذ بيده، ومر به على الأنبياء ويقول لهم: انظروا آفي أممكم مثل هذا؟ وبين عينيه شعرة يعرف بها كالنجم الثاقب.

وذكر أيضاً: إنه لما قدم بغداد وتكلم على الناس بعث إليه السلطان بصرّة فيها مائة دينار وفيها عشرة من حرام مختبراً له، فأخذها ورفع منها العشرة وقال له: قل لأمر المؤمنين هذه لمثلك لا لأمثالنا، فتعجب منه وبعث إليه ليأتيه إلى قصره فمشى فنصب له الخليفة كرسيّاً وألقى بينه وبينه حجاباً وشرع يتكلم بما أعجب منه كل من سمعه مما أذهل به العقول ثم قال: يا أهل بغداد أنتم تتعلمون العلم من الكتب وأنا لي معلم اسمه: الله

شرفني سيدي وخطّ تاج الرضا

على الناس على رأسي

جج

جج

شربتُ من كفٍّ وكان ذاك المراد

سيدي قدحاً بلا كأسٍ

جج

ج

فقال الخليفة من وراء الحجاب: أحسنت يا تاج العارفين.

فقيل للخليفة: لم تنادِ أحداً بهذا الاسم قبله.

قال: سمعت منادياً من السماء ينادي، ويقول: أحسنت يا تاج العارفين ورأيت سطر أخضر مكتوب بذلك على رأسه فقلته.

وكان أبو العباس الرفاعي يقول لأصحابه: إذا ذكرتم أبا

الوفا فقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم ومروا بأيديكم على وجوهكم تبركا، فإن النبي ﷺ سماه أبو الوفا وهو مع جلالة قدره يثني على الشيخ عبد القادر الشفاء الجميل الذي ليس بعده ثناء وقد قدمنا طرفا من قوله فيه قبل هذا الباب وها نحن نستوفيه.

قال صاحب حرز الأتقياء وابن بادس وصاحب الروض والتادلي: إن الشيخ أبا الوفاء كان يوما يتكلم، فدخل عليه الشيخ عبد القادر وهو شاب صغير فقطع كلامه فعلم أنه ولي وأنه أقوى حالا، فأمر بإخراجه ثم شرع يتكلم فانبسط في القول.

فقال: ادخلوه فلما دخل انقطع كلام الشيخ حتى لم يبق له قول.

فقال: اخرجوه أيضا فلما أخرج أيضا انبسط أحسن ما يكون ثم أمر بإدخاله ولما دخل كان الأمر كما كان، فقام في الثالثة أو الرابعة فاعتنقه وقبل ما بين عينيه.

وقال: قوموا لولي الله يا أهل بغداد اعلموا أني ما أمرت بإخراجه إهانة له؛ وإنما فعلت ذلك؛ لتعرفوه فالوقت الآن وسيصير له، ثم أنه قال: وقد وهب الله لك العراق يا عبد القادر ولا بد لكل ديك يصيح ويسكت إلا ديكك يا عبد القادر، فإنه يصيح إلى يوم القيامة وأعطاه سجادته وقميصه وسبحته وعكازه وكانت هذه السبحة من خصائصها إذا طرحها في الأرض دارت وحدها حبة حبة إمارة على استخلافه له.

ومما أتخفه به أيضا قطعة لا يمسه أحد بيده إلا وجاءت يده برائحة المسك.

ومن شهد للشيخ سيدي عبد القادر: إنه قطع المقامات وإنه حاز قصب السبق على التمام: الشيخ أبو الخير شمس الدين حماد الدباس وكان من أشياخه ومن أئمة هذا الشأن رفيع الهمة والقدر عالي المقام.

قال صاحب حرز الأتقياء مع الرواة المتقدمين هو: من أعيان أرباب الحقائق الراسخين في علوم القوم، وانعقد

عليه الإجماع في الصداقة وما والاها أنه إمام العصر في وقته وكان أبو الوفاء قبل أن يسكن بغداد إذا قدم بغداد ينزل عليه وكان مشايخ بغداد يتأدّبون معه وينصتونه لقوله.

قال الشيخ أبو النجيب السهروردي: وهو أول شيخ فتح الله علي بركاته وخرج يوماً لزيارة قبر سيدي معروف الكرخي، فسمع في طريقه صوت جارية تغني في دار سيدها فرجع فسأل أهل منزله أي ذنب أدّبت اليوم حتى عوقبت؟

فتذكروا فلم يجدوا شيئاً إلا أنهم اشتروا إناء وجدوا فيه صورة، فقال: من هنا أوتي علي وهي الصورة من الإناء، قلت: ذنوبهم فعرفوها.

وهكذا شأن الصديقين إذا قعدوا في أمر رجعوا لأنفسهم فاتهموها إذ ليس لهم عدو غيرها والشيطان.

وكانت له أحوال وكرامات ومما اشتهر عنه: إنه كان له صاحب من أرباب الدولة ووزراء الخليفة وإنه أخذ عنه ولازمه بالزيارة وهو علي رتبته.

فقال له: يا هذا إني أرى لك سابقة خير وخصوصية وأردت أن أجذبك إلى حضرته فأمره بالخروج عن المملكة والتردد إليها فأبى.

قال: إن الله Y قد حكمني في أمرك وقد أمرت البرص أن يغشاك، وأصبح وإذا البرص شاع فيه وعم جسده كله فأجمع الخليفة الأطباء لعلاجهم فاجتمعوا كلهم على أن البرص إذا عم الجسد لا دواء له، فأشاروا للوزراء على إخراجه من القصر فرجع إلى الشيخ وتضرع إليه والتزم موافقته فأعطاه قميصه.

وقال: يا أيها البرص ارجع بقدرة العزيز العليم من حيث جئت، فإذا بالبرص كأنه ثوب نزع وصار جسده أبيض كالفضة أحسن مما كان فخطر بباله أنه من الغد يرجع إلى الخليفة فإذا بالشيخ خط له في جبهته خطاً فإذا هو خط برص.

فقال له: ماذا يمنعك من الدخول على الملك؟ ومع هذا يقول في الشيخ سيدي عبد القادر: هو الجبل الذي لا يتحرك ولا يتزلزل.

وروي: إنه دخل عليه يوماً فقام إليه إجلالاً.  
فقال: مرحباً بالجبل الراسخ الذي لا يتخلخل ولا يتحرك أنت سيد العارفين.

ومن شهد للشيخ مولانا عبد القادر أبو يعقوب الهمداني وكان ذا كرامات وآيات يحكي عنه: إنه كان يوماً يتكلم فكان فقيهان في المجلس، فقالا له: اسكت فإنك بدعي فقال: اسكتا وجاءت إليه امرأة وهي باكية.

فقال لها: ما شأنك؟ قالت: إن الإفرنج سرقوا ولدي فصرها فلم تصبر، وقالت: لم يبق لي من بعده صبر.  
ثم قال: اللهم الأمر أمرك لك أسره فعجل سراحه، ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها فذهبت المرأة فوجدت ولدها في الدار فتعجبت وسألته.

فقال لها: إني كنت الآن في القسطنطينية العظمى والقيود على رجلي والحرس علي فأتاني شخص ما رأيته قط فاحتملني وأتى بي إلى هاهنا كلمح البصر.

ومع جلال قدره وما اختصه الله به من على المقام شهد للشيخ سيدي عبد القادر.

قال الشيخ: نزلت بأبي يعقوب الهمداني فقام إليّ إجلالاً وأجلسني، وقال لي: تكلم على الناس.

فقلت له: أنا رجل أعجمي وكيف أتكلم مع فقهاء بغداد.

فقال لي: تكلم فإنك قطب العلماء والفصحاء في كل فن.

ويُحكى عن الشيخ: إنه كان يبكي كثيراً، ويقول: يا ربّي كيف أهدي إليك الروح؟ وقد صحّ بالبرهان والعيان أن الكل لك وكان كثيراً ما يقول في مجلسه وينشد:

وما ينفعُ الأعراب وما ضرُّه تقوى  
إن لم يكن تقي لسان معجم

جج ج

قلت: البيت معروف من إنشاء سيبويه النحوي، قاله في مرض موته، وقالته أرباب التواريخ والسير وقبله بيت آخر وهو قوله:

لساني فصيحٌ فيا ليته من وقفة  
معرّب في كلامه العَرَض يَسْلَمُ

جججج جج

ويُحكى عنه فيما رواه الثقات قال: أصابني فاقة شديدة في غلاء ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم أكل فيها طعاماً وأنا كنت أتبع المنبذات، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى شاطئ الدجلة لعلّي أجد شيئاً من ورق الخس أقتات به أو غيره من البقل أتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلا وأجد فيه جماعة من الفقراء قد سبقوني إليه فلا أحب أن أضايقهم وأكره أن أزاحمهم، فرجعت أمشي في وسط البلد أجد موضعاً كان فيه شيء منبذاً إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى موضع سوق الرياحين وقد أجهدتني الجوع، وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه وقعدت في ناحية منه وقد كدت أصافح الموتى؛ إذ دخل علي شاب أعجمي ومعه خبز صاف، وشوى وجلس يأكل فكنت كلما رفع يده باللقمة أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي.

فقلت: ما هذا ماهنا إلا الله أو ما قضي الله يكون، وإذا بالأعجمي التفت إلي.  
وقال: بسم الله يا أخي فأبيت عليه فقسم عليّ فبادرت



نفسي إلى إجابته فأكلت مقصراً، وأخذ يسألني: ما شغلك؟ ومن أين أنت؟ ومن تعرف؟

قلت له: أما شغلي فطالب علم، وأما من أين أنا فمن جيلان، فقال لي: وأنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً اسمه عبد القادر ويعرف بسبط أبي عبد الله الزاهد.

فقلت: أنا هو فاضطرب عند ذلك وتغير وجهه، وقال لي: والله يا أخي لقد وصلت إلى بغداد ومعني نفقة لك، فسألت عنك فلم يرشدني أحد إليك إلى أن نفدت نفقتي وبقيت بعدها ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوت إلا من أمانتك.

فلما كان هذا اليوم وهو اليوم الرابع قلت: تجاوزني ثلاثة أيام بلياليها لم أكل فيها طعاماً، وقد أحل لي الشرع أكل الميتة، فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشوى فكل حلالاً طيباً فإنما هو متاعك وأنا من أضيافك اليوم، أو قال: الآن بعد ما كان الطعام في الظاهر لي وأنت من أضيافي.

فقلت له: وما ذاك، قال: اعلم يا أخي أن أمك قد وجهت معي لك ثمانية دنانير فوالله ما خنت فيها إلا اليوم وأنا معتذر إليك من خيانتني مع فسحة الشرع لي في بعض ذلك قال: فسكنته وطيت نفسه وفضل من الطعام ما دفعته له مع شيء من الذهب الذي أتى به إلي من عند الوالدة، وقلت له: هذا رسم النفقة.

ويحكي عنه ٢٠ قال: فبقيت أياماً لم أطعم طعاماً فبينما أنا في باب محلة القطعة الشرقية إذا برجل جعل في يدي قرطاساً مصروراً وانصرف فأقبلت حتى دفعته لبعض البقالين وأخذت منه خبزة سميد وخبيصاً، وجئت به إلى مسجد منفرد كنت أخلو فيه لدرس العلم وطرحت ذلك في القبلة بين يدي وأخذت أفكر هل أكل أم لا؟

فبينما أفكر في ذلك فإذا بقرطاس مطوي في ذلك الحائط فأخذته ففتحته فإذا فيه مكتوب قال الله تعالى في بعض الكتب السالفة: «ما للأقوياء والشهوات إنما خلقت الشهوات للضعفاء ليستعينوا بها على الطاعة».

قال: فأخذت المنديل وتركت ما كان فيه في القبلة وصليت ركعتين وانصرفت.

ويُحكى عنه  $\pi$  أنه قال: كنت في المجاهدة ترد عليَّ الأثقال الشديدة الكثيرة التي لو وضعت على الجبال لهدمتها وتفتت تحتها، فإذا كثرت عليَّ وضعت جنبي على الأرض وقلت: ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:ة].

ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني تلك الأثقال. ويحكى عن بعض أصحاب الشيخ فيما نقله عن الثقات: إنه كان يوماً يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب.

فقلت في نفسي: مَنْ ينجو من هذا وكيف الخلاص من الرياء وأوصافه؟ قالتفت الي في الحين، وقال لي: إذا رأيت الأشياء من الله  $Y$  وأنه وفقك لعمل الخير، وأخرجت نفسك من الشيء سلمت من هذه الآفات.

وقال بعضهم: كنت أسمع حلية الأولياء وما فيها فكنت إذ ذاك عند الوراق وابن المناصري، قلت في نفسي: أنقطع إلى الله تعالى وعزمت على ما اشتئت نفسي فمشيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلى وجلسنا بين يديه نظر إلي وقال لي: إذا أردت الانقطاع إلى الله  $Y$  فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بأدابهم؛ وحينئذ يصلح لك الانقطاع وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت، فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسال الناس عن دينك أو بالعكس، وما أحسن صاحب الزاوية يخرج من زاويته يسأل الناس! وينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

ويُحكى عن بعضهم: إنه كان يسمع عنه خوارق العادات وكأنه في قلبه من ذلك شيء.

قال: فذهبت إلى حاجة وإذا بأذان العصر بمدرسته، فقلت: أصلي هاهنا وأرى أيضاً هذا الشيخ ولما أقيمت الصلاة تقدم فصلى، فلما سلم ودعا التفت إلي، وقال لي:

أما إنك لو قدمتنى في أول أمرك لقضيت حاجتك التي أتيت إليها أو قال: التي أنت قاصد إليها فعلمت أنه كاشفني وتحقق عندي حينئذ إنه على بصيرة من ربه وفراسة صادقة.

وعن أبي البركات قال: قال له الشيخ الفهرماني: سمعت أن الشيخ عبد القادر لا تقع على ثيابه دبابه. فقلت له: ما لي علم بهذا وفي بكرة الجمعة اتفقنا ومضينا إلى مجلسه، فالتفت إلينا في أثناء مجلسه، وقال لنا: أي شيء تعمل الذبابه علي؟ لا دنس الدنيا علي ولا غسل الآخرة يعني: قلبه تخلص من الوجهين وأنه مخلص لربه من غير ميل.

ويُحكى عن أبي النجيب ضياء الدين السهروردي أخبرني أبي قال: كان الشيخ حماد الدباس كل ليلة يسمع له دوي كدوي النحل.

فقال أصحابه للشيخ عبد القادر: اسأله، وكان ذلك عام ثمان وخمسمائة وما زال الشيخ إذ ذاك تحت نظره وولايته، فسأله فقال له: إن لي اثنا عشر ألف مرید وإني أذكر أسمائهم كل ليلة وأسأل لكل منهم حاجته من الله Y وإذا أصاب مرید لي ذنب فلا ينقضي عليه شهره ذلك حتى يتوب الله عليه أو يموت إشفاقاً عليه أن يتمادى فيه.

فقال له حينئذ الشيخ عبد القادر: لئن أعطاني الله Y منزلة عنده لأخذن من ربي Y عهداً لمريدي إلى يوم القيامة ألا يموت أحد منهم إلا على توبة ولا كونن بذلك زعيماً لهم.

فقال له الشيخ أبو الخير حماد: أشهد أن الله سيعطيك ذلك وسيبسط جاهه عليهم أو قال: جاهك عليهم.

ويُحكى عن أبي السعود وأبي عبد الله محمد الأرابي وأبي عثمان البزار قالوا: ضمن الشيخ عبد القادر لمريده إلى يوم القيامة ألا يموت أحد منهم إلا على توبة وأعطى أن مریده ومريد مریده إلى سبعة يدخلون الجنة.

وقال: كفيـل لمرید المرید إلى سبعة في كل أمورهم ولو

انكشف عورة لمريدي بالمغرب وأنا بالمشرق لسترهما وأمرنا من حيث الجلال والقدر أن يحفظوا بهمتنا أصحابنا وطوبى لمن رأى ورأى من رأى إلى سبعة.

وحكى عن بعض أصحاب الشيخ قال: كنت عام ثمانية وأربعين وخمسمائة رأيت الشيخ معرف الكرخي قدس سره في المنام تأتيه قصص الأولياء وهو يعرضها على الله Y ثم التفت وقال: يا شيخ داود هات قصتك.

فقلت له: أشيخى عزلوه يعنى: الشيخ عبد القادر، فقال لي: لا والله ما عزلوه ولن يعزلوه ثم استيقظت وأتيت في السحر إلى مدرسة الشيخ وجلست على باب داره لأخبره بما رأيت فناداني من داخل قبل أن أراه أو أكلمه: يا داود شيخك ما عزلوه ولن يعزلوه هات قصتك أعرضها لك على الله تعالى فوا عزته ما عرضت قصة لأصحابي ولا غيرهم فردت علي مسألة واحدة منها.

ويحكى عن فتح المزني T أنه قال: سمعت الشيخ عدي بن مسافر يقول: يا مريدون سعد من هو مريد الشيخ عبد القادر.

وكان بعض العارفين يقول: ما رجع الشيخ عبد القادر إلى العالم الأعلى حتى أعطى أن كل من تمسك بذيله نجح.

وقال الشيخ عدي بن مسافر يحكى عنه تلميذه والخاص به والد أبي البركات والد أخي الشيخ عدي بن مسافر قال: سمعت عمي الشيخ عدي بن مسافر في عام أربع وخمسين وخمسمائة بزأوته بالجبل وهو يقول: من سألني من أصحاب المشايخ أن ألبس له خرقة التصوف فعلت إلا أصحاب الشيخ عبد القادر فإنهم منغمسون في الرحمة وهل يترك أحد البحر ويأتي بالساقية.

وقال الشيخ عبد القادر: أعطيت سجلاً مد البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلى يوم القيامة.

وقيل لي: قد وهبوا لك ثم قال بعد كلام: وأنا جيد وعزة ربي وجلاله أن يدي على مريدي كالسماء على الأرض إن لم يكن مريدي جيداً لا أبرح، أو قال: لا

برحت قدمي من بين يدي ربي Y حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة.

ويُحكى عنه: أوتي يوماً وقيل له: إن رجلاً مات منذ أيام بحضرة كذا وكذا وله حس وهول عظيم في قبره، فقال: هل عبر على مدرستنا؟ فقالوا: ما نعلم.

قال: صلي ورائي؟ قالوا: ما نعلم، قال: لبس مني خرقه؟ قالوا: ما نعلم، قال: المفطر أولى بالخسارة.

ويُحكى عنه أنه قيل له: إنه قد رأى وجهك وحسن بك الظن يروي أن ذلك الرجل لم يسمع له بعد ذلك حس في قبره والله أعلم ما كان من أمره.

ويُحكى عنه: إنه أتاه رجل فقال له: رأيت رسول الله p وقد تقدمت أمته كالسيل وفيهم المشايخ ومع كل شيخ أتباعه أو قال: أصحابه يتفاوتون عدداً وأنواراً، وأقبل رجل في جملة المشايخ ومعه خلق كثير يفضل عليهم، فسالت عنه فقيل لي هذا الشيخ عبد القادر.

قال الرجل: ورأيت الأنبياء يتبعهم أمهم وحتى أن بعضهم ليس معه إلا رجل أو رجلان وبعضهم ليس معه أحد لم يؤمن به.

وممن شهد للشيخ عبد القادر الشيخ عقيل المنبجي من أئمة الشام وكان رأساً في هذا الزمان وممن تخرج به الشيخ عدي بن مسافر وكان من الطيارين على رؤوس الأشهاد وكذلك ثبت عنه: إنه غاص في الماء كالسهم، وذكر هذا صاحب النفحات القدسية وصاحب الروض وله كرامات عديدة أضربنا عنها اختصاراً مع جلالة قدره.

قال في الشيخ عبد القادر: إن شاباً اشتهر في بغداد يقال له: عبد القادر أمره في السماء أشهر من أمره في الأرض الفتى الرفيع القدر المدعو في الملكوت بالباز الأشهب وممن شهد له أيضاً الشيخ أبي الفضائل عدي بن المسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان أن أبي الحسن بن مروان بن الحكم الأموي أحد أركان هذه الطريقة وأعلم العلماء له

مقام صعب في المجاهدة سلوكه على غيره حتى قيل: لو كانت النبوة تدرك بالمجاهدة لكان عدي ابن المسافر وله أحوال عجيبة أضربنا عنها اختصاراً.

ومن أغرب ما اتفق له من كرامته: إنه أتاه رجل وهو لا يحفظ إلا الفاتحة والإخلاص وشكى إليه، فضرب في صدره فخرج من عنده وهو يتلو القرآن ولا تتوقف عليه ولو آية واحدة ببركاته، كذا ذكره الإمام بن بادس وهو إمام ثبت ثقة وكذا ذكره صاحب الروض وكان يقول لأصحابه: إذا خاف أحدكم شيئاً فليذكر اسمي.

ومع جلالة قدره مرّ ليلة مع الشيخ سيدي عبد القادر لزيارة سيدي أحمد بن حنبل وكانت ليلة مظلمة فكان الشيخ سيدي عبد القادر كلما مرّ بحجارة أو خشبة أشار إليها فتضيء، فيسيرون في ضوئها كالقمر فلا زالوا يمشون في النور وليس فيهم من يتقدم على الشيخ عبد القادر وكان المشايخ يزورون، فلما خرجوا أرادوا الانصراف ويفترقون.

قال الشيخ عدي بن مسافر للشيخ عبد القادر: اوصني.  
قال: أوصيك بالوقوف عند الكتاب والسنة.

ويحكى عن الشيخ عمر البزار وكان من أصحاب الشيخ سيدي عبد القادر قال: كنت كثيراً ما أسمع الشيخ سيدي عبد القادر يثنى على سيدي عدي بن مسافر، فاشتقت إلى زيارته فاستأذنت الشيخ فأذن لي، فسرت إليه فلما وصلت إليه وجدته قائماً على باب زاويته.

قال: مرحباً وأهلاً وسهلاً يا عمر تركت البحر وأتيت إلى الساقية الشيخ عبد القادر مالك أزمة الأولياء كلهم وقائد ركب المحبين بأسرهم.

ومن شهد أيضاً للشيخ عبد القادر الشيخ العارف الصدر أبو الحسن علي بن وهب وكان آية من آيات الله .Y

وروي عنه: إنه رأى أبا بكر الصديق في النوم، فأخرج له طاقية من كفه فلبسها له ووضعها على رأسه، ثم بعد

أيام أتاه الخضر، وقال له: يا علي اخرج إلى الناس ينتفعون بك.

قال: فتثبت في أمري فرأيت أبا بكر الصديق أيضاً في النوم، فقال لي كمقالة الخضر U فتثبت في أمري، فرأيت رسول الله P في الليلة الثالثة.

فقال لي كمقالة الصديق، فعزمت على الخروج فنمت فرأيت كآني واقف بين يدي الله Y وهو يقول لي: يا عبدي جعلتك من صفوتي في أرضي أقمتك رحمة لخلقى، فأحكهم بين الناس بما علمتك من حكمتي أو قال: من حكمتي فخرجت إلى الناس فأسرعوا من كل جانب.

ويُحكى عن عمر البزار المتقدم أنه قال: اجتمع المشايخ مع الشيخ أبي الحسن علي بن وهب عند صخرة عظيمة تحت جبل.

فقالوا له: يا علي ما الوجد؟ فأشار بيده إلى الصخر، وقال: الله فانفلقت على نصفين وهي إلى الآن معروفة يصلي الناس بين نصفيهما على وجه التبرك ومع هذه العناية العظيمة والولاية الكريمة كان يقول الشيخ عبد القادر أحد أعيان الدنيا: الشيخ عبد القادر واحد أفراد الدنيا، الشيخ عبد القادر نخبة الأكوان والوجود طوبى لمن رآه! طوبى لمن جالسه! طوبى لمن بات في خاطره! الشيخ عبد القادر من هدايا الله Y لخلقه أو قال: إلى الكون.

ويروى: إنه لما ألبسه أبو بكر الصديق الطاقية قال له: إني أمرت بإلباسها لك، وقالوا: ما ألبس أحد من أرباب المحققين طاقية في النوم ثم أصبحت على رأسه إلا أبو الحسن هذا وأبو بكر بن هوارة المتقدم.

وقد حكى صاحب حرز الأتقياء: إن الشيخ أبو السعود محمد بن العشائر المسعودي الواسطي أمره النبي P في نومه بعد مجاهدة وأسفار ولقاء شيوخ أنه يأخذ العهد لنفسه وأنه وضع طاقيته على رأسه.

وقال له: ما يسمع مني أحد، قال له: علامة ذلك إذا استيقظت تجد الطاقية على رأسك، فاستيقظ فوجدها



فأغمي عليه يومين ثم فاق وأظهرها وثوب الناس لوقته وإلى هذا الشيخ انتهت التربية، ويقال: إنه كان من أصحابه أربعون رجلاً كلهم أصحاب أحوال.

ويُحكى عن الخضر: إنه أتاه فكلمه وسلم عليه فرد U ثم اشتغل يكنس في مدرسة الشيخ.

فقال له: أو ما عرفتني؟ قال: بلى، قال: ولما لا تبتهل بي؟ قال: لأن الشيخ عبد القادر كفاني عن كل أحد لا أنت ولا غيرك.

ومن شهد للشيخ الشيخ أبو عمران موسى بن مهدي الزوبى ويلقب بأبي موسى كانت له خوارق ينطق بها ويتحدث عن الكوائن في خوارق العادات، فأوقع الله Y هيبته في القلوب وله قبول عام في الخلق وانعقد عليه الإجماع كذا قاله ابن بادس وصاحب حرز الأتقياء وكان يُقصد لحل المشكلات والتربية والتهديب وكان كثير المشاهدة للنبي P.

ومن غر كراماته أنه وقع حريق في بلده فلم يطق إطفأؤه فأفرغت الناس إليه فأعطاهم عكازه.

وقال: إلقوه فيها فلما وضع طفيت النار من ساعتها وخمدت وما احترق العكاز وما اسود وقال لهم: عاهدني ربي أن لا يحرق بالنار ما مسته يدي.

وروى جماعة: إنه أتت إليه امرأة بصبي من أربعة أشهر فدعاه فقام من حجر أمه يمشي على رجله حتى وصل إليه.

فقال له الشيخ: اقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقرأها حتى ختمها بلسان فصيح وما زال بعدها يمشي ويتكلم.

وقال صاحب الروض والورنيدي وابن بادس: قدم الشيخ بغداد حاجاً فلما اجتمع بالشيخ عبد القادر رأت الناس من تعظيمه للشيخ عبد القادر وتأدبه معه ما لم يروه من غيره ولما قام من بين يديه سئل عن تعظيمه للشيخ عبد القادر، وقيل له: رايناك فعلت مع هذا الشاب ما لم تفعله



قط مع أحد.

فقال: إن الشيخ عبد القادر خير من علي وجه الأرض اليوم وهو في زمانه سلطان الأولياء وتاج العارفين وكيف لا أتأدب مع من تتأدب معه ملائكة السماء.

ومثل هذا حُكي عن أبي نجيب السهروردي لما دخل عليه في داره عام إحدى وستين في السنة التي توفي فيها قال ولد أخيه شهاب الدين، فسألته عن ذلك حين جلوسه بين يديه بلا لسان قال له: وكيف أتأدب مع من حرفه مالكي في قلبي وحالي وفي قلوب الأولياء وأحوالهم إن شاء أمستكها وإن شاء أطلقها أو قال: أرسلها.

وتقدم بعض حاله في ترجمة شهاب الدين صاحب العوارف كما تقدم حال أبي العباس أحمد الرفاعي وله خوارق وتصرف في العالم وكراماته.

ومع هذا كان ذات يوم جالساً فقال لبعض أصحاب الشيخ سيدي عبد القادر: حدثني بشيء من مناقب الشيخ سيدي عبد القادر فاشتغل الرجل يحدثه وذكر منها بعض العجائب التي شاهد، فدخل رجل من أصحاب الشيخ أحمد الرفاعي فقال له: اسكت لا تذكر عندنا إلا مناقب شيخنا أحمد الرفاعي، فنظر إليه مغضباً ورفع الرجل من يديه ميتاً ثم قال: ومن يبلغ منزلة الشيخ عبد القادر بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن شماله ومن أيهما شاء اغترف الشيخ عبد القادر لا ثاني له في وقتنا إذا دخلتم بغداد لا تقدموا على زيارته شيئاً إن كان حياً ولا على زيارة قبره إذا كان ميتاً، وأما رجل دخل بغداد من العلماء والصلحاء وأصحاب الأحوال ولم يزره سلبه الله مما أعطاه والشيخ عبد القادر حسرة على من لم يزره نفعنا الله به.

ويُحكى عنه أنه قال: من استغاث بي في كربة كشفت عنه ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه ومن توسل بي إلى الله Y في حاجة قضيت له ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص أحد عشر مرة ثم يصلي على النبي p مائة مرة ويبدأ قبل ذلك بالاستغفار

ويتوب من ذنوبه ثم يخطو إلى جهة العراق أعني جهة المشرق التي تطلع منه الشمس من الاعتدال ومن النجوم مطلع العوا أحد عشرة خطوة ويذكر اسمي يعني: اسم الشيخ ويذكر حاجته فإنها تُقضى إن شاء الله بحول الله تعالى وقوته.

وكان له مقام عجيب في التوكل ويحكي عن أحمد بن صالح قال: كنت مع الشيخ عبد القادر في المدرسة النظامية، واجتمع إليه الفقهاء والفقراء فتكلم عليهم في القضاء والقدر فبينما هو يتكلم؛ إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف ففر منها كل من كان في المجلس وهو قاعدٌ على حاله، فدخلت الحية ومرت على جسده وخرجت من طوقه، والتفت حول عنقه وهو مع ذلك لم يقطع كلامه ولا تغيرت هيئته، ثم نزلت إلى الأرض، ووقفت بين يديه على ذنبها فصوتت ثم كلمها بكلام ما فهمناه ثم ذهبت فاجتمع عليه الناس الذين فروا وسألوه عما قالت، وما قال لها، قال: قالت لي: لقد اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أرى مثل ثباتك فقلت لها: إنك قد سقطتي علي وأنا أتكلم في القضاء والقدر وهل أنت إلا دويبة يحررك القضاء والقدر.

قلت: ومن عجيب إمام دار الهجرة فيما نقله الثقات أنه كان يتكلم في حديث رسول الله ﷺ وإذا بعقرب تضربه بإبرتها ستة عشر مرة وهو لا يتحرك ولا يقطع كلامه حتى استوفي الحديث فقبل له في ذلك قال: استحيت أن أقطع حديث رسول الله ﷺ.

وحكي ولده الشيخ عبد الرزاق قال: سمعت الشيخ والذي يقول: كنت في جامع المنصوري ليلة وأنا أصلي وإذا بحنش يمشي بين السواري ثم ظهرت لي حية عظيمة فآغرة فآها في موضع سجودي، فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت فلما جلست في التشهد مشيت على فخذي، وطلعت على عنقي، والتفت عليه فلما سلمت لم أرها فلما كان من الغد دخلت خربة بظاهر مسجد فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طويلاً فعلمت أنه

جني.  
فقال: إن الحية التي رأيت البارحة ولقد رأيت كثيراً من الأولياء واختبرتهم بما اختبرتك فلم يثبت أحد منهم مثل ثباتك، وكان منهم من اضطرب ظاهراً وباطناً. ومنهم من اضطرب باطناً دون ظاهراً ورأيتك أنت لم تضطرب ظاهراً ولا باطناً وسألني أن يتوب على يدي فتوبته، وقبلت أن يكون من أصحابي وحكايته مع جميل الذي كان من أصحابه، وقد قرأ عليه ثم انقطع عنه وشرع يتكلم فيه وحكايته شهيرة في سلبه نسأل الله السلامة والعافية أضربنا عنها اختصاراً مع اختصار الكثير من أحواله؛ إذ هو أعجوبة الزمان وعديم النظير والأقران ووحيد العصر وتحفة الدهر.

قال بعض العارفين: هو أعجوبة البر والبحر.  
وذكر صاحب الروض: إن بعض تجار بغداد كان يحب طريقة التصوف ويحب الشيخ عبد القادر، وفد من بغداد إلى بلاد الهند بتجارة فلما بلغ الهند سأل هل عندكم من صالح أتبرك به؟

فقالوا: نعم هنا جملة صالحين ولكن بيننا وبينهم مسيرة يوم على شاطئ البحر فمضى إليهم وبات عندهم ثلاث ليالٍ فاتفق أنه مات منهم رجل فلما أصبح غسلوه وكفنوه وطرحوه على الساحل وجلسوا ينتظرون فلم يسعه السكوت حتى سألهم عما ينتظرون به بعدما تمكن الضحى.

فقالوا له: ننتظر الشيخ عبد القادر، فإذا به قد أقبل وهو يمشي على الماء، فقال: فبقيت أقول في نفسي هو أم غيره إلى أن بلغ الساحل فتقدمت إليه فوجدت الشيخ عبد القادر فقبلت يده، فتقدم وصلى على الجنازة، ثم رجع حيث جاء.

فقلت لهم: يا أصحابنا أيصل الشيخ عبد القادر من بغداد ويصلى ها هنا على هذا الميت؟  
فقالوا: نعم، فلما رجعت إلى بغداد وكان يوم جلوس

الشيخ على المنبر فلما رآني قال: اكتم ولا تبح بما رأيت، فلما تفرق المجلس قمت وسلمت عليه.

فقال: كن كَتَامًا ولا تكن بَوَّاحًا، وتقدم أن الذي صلى على الشيخ الغزالي سيدي الشيخ أبو شعيب صاحب أزمور، وتقدم في ترجمة سيدي أبي مدين أوصاف صاحبه الذي كان طيارًا وكذا من أصحاب الشيخ أبي الحسن أن خلف بن غالب وكذلك من أصحاب أبي العباس بن العريف وغيرهم كثير كما تقدم من حال سيدي واضح بن عاصم وسيدي أبي مهدي الدغوعي.

ومن كلام الشيخ سيدي عبد القادر: الإرادة تبلى كما يبلى الثوب فجددوها بملاقات الإخوان.

وكان يقول: مَنْ ضَيَّعَ حقوق الإخوان ابتلى بتضييع حقوق الله Y، وله T أحزاب شهيرة وأدعية مباركة وكان يحض أصحابه أن يقولوا دبر كل صلاة لا سيما بعد صلاة الصبح بصوت واحد جهرا وهو:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وبه نستجير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون، اللهم صل على سيدنا محمد كما حمدك الحامدون، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما ذكرك الذاكرون، اللهم صل على سيدنا محمد ما غفل عن ذكرك الغافلون.

واعلم أن هذا الإمام ممن طبق في الآفاق ذكره واشتهرت كراماته في حياته وبعد مماته وما من وقت إلا وتظهر له كرامات وقد أثني عليه أيضًا كثير من المشايخ غير الذين ذكرنا ممن له حال ومقام مع الله Y وكرامات وآيات كالشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبي سعيد القليوبي والشيخ عبد الرحمن وهو الذي قال فيه الشيخ: هو جبل راسخ والشيخ ماجد الكردي والشيخ جاكير من أعيان

العارفين وأبي محمد القاسم البصري المعروف بابن عبيد وهو من شيوخ شهاب الدين، وتقدمت غربته في مكاشفته معه، والشيخ أبي عمر عثمان ابن مرزوق من أكابر المتصرفين المشهورين مات عام أربع وستين وخمسمائة وقد نيف على السبعين سنة، وودفن بالقرافة وكالشيخ سويد السنجاوي واسمه نصر الله وسويد لقبه والشيخ أرسلان الدمشقي من أعيان العارفين، وسيدي عبد الرحيم المعروف بأشد وقد تقدم ذكره في ترجمة سيدي أبي مدين؛ إذ هو من أصحابه.

ومثل هؤلاء الأكابر عمرو عثمان البطائحي من ذوي الأحوال والكرامات كالشيخ مكام العراقي وكان من أكابر الأولياء والشيخ خليفة كان من الأئمة أعلام كثير الرؤيا للنبي ﷺ قالوا: كان يراه يقظة ومناماً.

حتى قال صاحب النفحات: إنه رآه ليلة سبعة عشر مرة فقال له في أحدها: يا خليفة لا تضجر مني فإن كثيراً من الأولياء مات بحسرة عدم رؤيتي وعلمه استغفاراً يدعو به أضربنا عنه اختصاراً والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد إبراهيم القرشي وقد تقدم في ترجمة أبي مدين، والشيخ أبي الحسن الجوسقي منسوب إلى الجوسق وهي بلدة على نهر دجلة من العراق وأبي البركات بن صخر الأموي وأبي اسحاق إبراهيم الأعزب وهو لقب له وهو ابن أخت الشيخ الرفاعي المتقدم الذكر، وأبي الحسن علي بن الصباغ من أكابر شيوخ مصر المشهورين وأعيانها العارفين، وكان آية الله في علوم المنازلات، وكان من أصحاب الشيخ عبد الرحمن وكان يثنى عليه كثيراً.

ويقول: دخل أبو الحسن من باب ما دخلنا منه وصحب أيضاً أبا محمد عبد الرزاق أو قال فيه: أودع أبو الحسن سرّاً ما أودعناه.

قال ابن بادس: وكان من أصحابه الإمام فخر الدين بن دقيق العيد وأبو محمد الحسن ابن محمد عبد الرحيم بن أحمد ظهر بعد أبيه عبد الرحيم المغربي المتقدم. واعلم أعزك الله أن هؤلاء الذين سردت كلهم من أئمة

المعارف والحقائق وكلهم يثنون على الشيخ سيدي عبد القادر وعلى كل حال من أحواله ومقاماته مما يقصر عنها الوصف، ويكل عن ذكرها اللسان، وتفضت في إيضاح كراماته الأعلام والبنان وهؤلاء السادات هم أركان فهم عدة الضعيف وكهف أمن كل مخوف ممن استغاث بالله وبهم أغيث ومن استجار بفضل الله فبحماهم أجير.

اللهم يا مَنْ إليه الحكم والتذكير، يا مَنْ هو على كل شيء قدير، يا نعم المولى ونعم النصير بك نتوسل بوجهك الكريم وبنبيك العظيم القدر عندك ويأولياك وأحبائك إلا ما كفتنا من هموم الدنيا والآخرة، وأسبلت علينا جلايب سترك في الدنيا واكنفنا بخصوصية رحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

### الخاتمة

وأما الخاتمة فيما ينبغي من المتمسك بالتسليم للمنتسبين وسلامة الصدر لأرباب الصدق والعارفين والمحبة والتعظيم ولا سيما مَنْ يكون منهم من الملامية الذين لا يظهرون طاعة أصلاً أو أرباب التخريب الذين يظهرون للناس شبه الحمق والجنون وربما لفظوا بكلام لا يليق مع أن المطلوب من الولي كمال الأوصاف وتحقيق الإنصاف واستعماله بالأوصاف.

وقد قال تاج العارفين في لطائفه: إياك أيها الأخ أن تُصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين لئلا تسقط من عين المولى تعالى، وتستوجب المقت من الله فإن هؤلاء جلسوا مع الله تعالى على حقيقة الصدق، وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله تعالى وقد أسلموا قيادهم إلى الله تعالى وألقوا نفوسهم بين يديه وتركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته، واكتفوا بقيوميته فأقام لهم بأوفى ما يقومون به لا يحجبهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم.

وقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق وخصوصاً أهل العلم الظاهر فقل أن تجد منهم من يشرح الله صدره للتصديق



بولي معين؛ بل يقول: نعم نعلم أن الأولياء موجودون ولكن أين هم؟ فلا تذكر لهم أحوالاً وجعل يدفع خصوصية الله فيه طلق لساني بالاحتجاج عارياً من وجود التصديق؛ فاحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الأسد جعلني الله وإياك من المصدقين بأوليائه بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير انتهى بلفظه.

قلت: كما ينبغي حسن الظن بالمنتسبين يجب حسن الظن بالعلماء؛ إذ هم حملة الشريعة وسراج الدين، وبهم يُقام الحلال والحرام وإذا كان فيهم بعض ما قال هذا الإمام:

اعلم أن لكل [ندرة حالة] وكذلك في هذه الطائفة كما قال الإمام ابن العربي.

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ؑ: ما أراها إلا أخلاق إسرائيلية كبنى إسرائيل آمنوا بموسى وكفروا بعبسى يعني: هؤلاء الذين ذكروا آمنوا بالمتقدمين وكذبوا بالمتأخرين ولم يصدقوهم بخصوصية الله فيهم.

قال الشيخ أبو الحسن ؑ: من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصراً على الكبائر وهو لا يعلم وربما أنهم يحبون الزهاد والعباد وينكرون أهل الحقائق؛ لأنهم لم يدركوا تلك العلوم.

ومن هنا اختلف في طائفة وتلوّث بهم الألسنة؛ لأنهم تكلموا فيما هو فوق أطوار العامة وكل من لم يفهم كلام أرباب أهل الصدق فهو من العامة ومن حق صاحب القول إن كان له حكم على نفسه أن يكلم الناس على قدر ما يفهمون كما صح في الحديث: «كلم الناس بما يفهمون» ١٢١ وقد ينكر لأجل سطوته وظهوره بالجمال.

وقد حكى أبو العباس المرسى: إنه كان ببلاد المغرب ولي من الأولياء يتكلم على الناس وكان بادئاً، فبينما هو في بعض الأيام يتكلم وكان تحته رجل وهو على الكرسي

مكشوف الرأس كبيرة؛ إذ قال: هذا يزهدنا في الدنيا وهو  
كالدب فكشف به الشيخ.  
فقال من فوق المنبر: يا أبا رويس بن رويس ما سمنني إلا  
حبه ثم أنشد في الحال:

وقائلٌ لست بالمحبِّ كنتُ محبًّا لذبتُ من

ولــــــــــــــــو زــــــــــــــــمــــــــــــــــن

جج

ججج

أجبتني ولي بفؤادي لم تذقُ الحبَّ كيف

حُرْقــــــــــــــــة تــــــــــــــــعــــــــــــــــرفن

ججج

جج

أحبَّ قلبي ولو درا الحبُّ ما

ومَا درَا بدني أقامَ في السَّمنِ

ججج

ج

وقد قدمنا في ترجمة الشيخ سيدي أبي مدين حكاية  
العنابي الذي كان لا يلبس إلا المرقعة ولا يعيش إلا من  
صيد الحوت، ولا يملك من الدنيا لا قليلا ولا كثيرا.

يُحكى عن بعض المشايخ أنه قال: كان رجل بالمغرب  
من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان  
عيشه مما يصيده من الحوت من البحر وكان الذي يصيده  
يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه، فأراد بعض أصحاب هذا  
الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا  
الشيخ: إذا مررت ببلدة كذا فاذهب إلى أخي فلان  
فأقرئه مني السلام وتطلب منه الدعاء، فإنه ولي من أولياء



الله تعالى.

قال: فسافرتُ حتى قدمت تلك البلدة، فسألت عن ذلك الرجل، فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك، فتعجبت من ذلك وطلبته.

ف قيل لي: هو عند السلطان، فازداد تعجبي وبعد ساعة وإذا به قد أتى في أفخر ملبس ومركب كأنما هو ملك في موكب، فازداد تعجبي أكثر من الأول.

قال: فهمت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت لا تمكني مخالفة الشيخ، فاستأذنت فأذن لي فلما دخلت رأيت ما هالني من الخدم والعبيد والشارة الحسنة، فقلت له: أخوك فلاّ يقرئك السلام.

قال: جئت من عنده؟ قلت: نعم، قال: إذا رجعت إليه قل له: إلى كم اشتغالك بالدنيا إلى كم إقبالك عليها وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها.

فقلت: هذا والله أعجب من الأول فلما رجعت إلى الشيخ.

قال لي: اجتمعت بأخي فلان؟ قلت نعم.

قال: فما الذي قال لك، قلت: لا شيء، قال: لا بد أن تقول لي فأعدت عليه القول فبكى طويلاً.

وقال: صدق أخي فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره وأنا أخذها من يدي ولي إليها بقايا التطلع.

وقد تقدّمت قصة البقوري وابن البنا وأوصافهما، وربما قد يكون بسبب سوء الظن ويصد عن الالتفات إلى الأولياء صدور بعض الزلات من أمثالهم فيحملون الكل على ذلك الوجه ويعتقدونهم كلهم على ذلك النمط ولا يحسن الظن بأحد منهم.

قال التاج أيضاً مما قد يصد عقول العموم عن أولياء الله تعالى: وقوع زلة ممن قد تزياً بزيهم، وانتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع هذا حرمان ممن وقف معه.

وقال مولانا جل علاه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨].

فمن أين يلزم إذا أساء واحد من الجنس أو ظهر على عدم صدقه في طريقه أن يكون بقية أهل الطريق كذلك، وقد أنشد علم الدين الشيخ ياسين الصوفي لنفسه:

استتارَ الرجالُ في كلِّ تحت سوء الظنون قدر

أرضٍ جليج جليج

ججج ججج

مما يضرُّ سوء السحاب وهو

الهلال في حلدس ججج جليج

الليل ججج جليج

ججج

وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله شهود المماثلة وهو حجاب قد حجب الله به الأولين.

وقال الله ﷻ: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

وقال تعالى أيضاً مخبراً عنهم: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ [القمر: ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن آية: ٦].  
وقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

ثم قال تاج العارفين ⵓ: وإذا أراد الله ﷻ أن يعرفك

بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته.

وقد قال الشيخ أبو العباس المرسى  $\tau$ : معرفة الولي أصعب من معرفة الله  $Y$  فإن الله تعالى معروف بجلاله وجماله، ومتى تعرف شخصاً يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وعلى كل حال أوصاف البشرية حجاب عظيم وطلسم كبير إلا من أكرمه الله بالصدق ولا يكون الصدق إلا بالخصوصية الربانية وسابقة الفضل.

قال  $Y$  ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

وقال الشيخ أبي العباس المرسى  $\tau$ : العامة إذا رأوا إنسان ينتسب إلى طريق الله تعالى جاء من البراري والقفار يحمل أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم فمثلهم في ذلك كمثّل الحمار الوحش يدخل البلدة فيطوفون به الناس، فيتعجبون لتخطيط جلده وحسن صورته والحرر التي بين أيديهم مستقرة هي التي تحمل أثقالهم فلا يلتفتون إليها، والغالب على الولي أنه لا يعظمه أهل زمانه وإنما يعظم بعد مماته غالباً كما اتفق لأبي العباس السبتي إنما عظم بعد انقضاء أهل جيله كلهم.

وقد قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف أنت عند قومك؟

قال: يعظموني ويجلوني.

قال كعب الأحبار له: إنّنا نجد الصديق في التوراة يبغضه قومه وجيرانه، فقال أبو مسلم حينئذ: صدق الله وكذب أبو مسلم.

ولما زار أبو الحسن المريني سيدي عمر الكثراني قال له في وصيته: استوص بمن ينتسب إلى الله خيراً ولا تتعرض له بسوء فإن كان صديقاً انتفعت به، وإن كان غير ذلك نفعتك الله بنيتك وعلى هذا القصد أدركنا بعض ملوك العصر الذي يلي عصرنا رحمه الله تعالى.

وكان الشيخ أبي العباس المرسى يقول: لو كشف عن حقيقة الولي؛ لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته.

وقال أبو الحسن الشاذلي: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع!

قال أبو العباس المرسى: الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي يعني: لكثرة تلبسهم فيهم وسوء الظن بهم.

وقال التاج: اعلم أن الله يتلي هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على آذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم؛ لتحقيق الميراث فيهم ليؤدوا كما أودى من قبلهما فيصبروا كما صبر من قبلهم، ولو كان من أتى بهدى أطبق الخلق على تصديقه هو الكمال لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ، وقد صدق قوم هداهم الله بفضله وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك بعدله، فانقسم الخلق أو قال: العباد في هذه الطائفة إلى معتقد ومنتقد ومصداق ومكذب.

وإنما يُصدّق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقهم بهم والمعترف بتخصيص الله وعنايته فيهم قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكرهية الخلق أن يكون لأحد عليهم شفوف في منزلة واختصاص بمنّة. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

من أين لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق في أوليائه وشروق نوره في قلوب أحبائه وسبب هلاك الهالك فيهم أن من أظهره الله منهم لا بد أن يظهره ببراهين المنن وخوارق العادات فتستغرب عقول العموم أن يعطى أحد ذلك غير الأنبياء وألا يظهر الخارق إلا في أهل العصمة وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هو الولي تابع له.

واعلم أن كل من لم يفهم حقائق الطريق ولا سلم

مسالك التحقيق، فهو من العوام وإن كان عالماً بظواهر  
الرسوم وإن كان في فنه لا يشق غباره ولا تلحق آثاره،  
ومن أكرمه المولى بالتسليم فقد أخذ بقسطه من الولاية.  
قال إمام الطائفة أبو القاسم الجنيد: الإيمان بطريقتنا هذه  
ولاية.

وقال أبو الحسن الشاذلي: الإيمان بالأولياء ولاية.  
يُحكى عن بعضهم: إنه كان عظيم الجد كبير القدر في  
العلم والعمل إلا أنه كان كثير الوقعة في أهل الدين  
فابتلي والعياذ بالله تعالى بأن صار خديماً للمخبثين فلقبه  
بعض من كان يعرفه، فقال له: يا فلان ما حالك؟  
قال له: تلك الوقعة التي كنت أشتغل بها عوقبت  
بسببها بأن صرت خادماً للمخبثين.

ويُحكى عن آخر: إنه كان يقع في الأولياء كذلك  
فاحتضر فكان يتكلم بكل كلام إلا الشهادتين، فإذا قيل  
له: قل لا إله إلا الله، قال: لم يؤذن لي في ذلك فضج أهله  
بالبكاء والأعويل وتطارحوا على الشيخ سيدي نصر الله  
المعروف بسيدي سويد السنجاي، فأتوا به إليه وجلس  
عند رأسه ساعة ثم قال له: قل: لا إله إلا الله فقالها مراراً.  
فقال لهم الشيخ: إنه عوقب لوقيته في السلف  
والأولياء، فشفعت فيه وذلك أني دخلت الحضرة الربانية  
واستوهبته من معروف والجنيد وسري السقطي والشبلي  
وأبي يزيد وغيرهم، فسئل الرجل ما الذي منعك من  
النطق بالشهادتين؟

قلت: كلما أردت أن أنطق بها وثب علي شخص أسود  
ويشد لساني ويقول: أنا وقيعتك في الأولياء أمنيحك من  
النطق بالشهادتين ثم رأيت شخصاً نور وجهه يتلألأ فطرد  
ذلك الشخص الأسود، وقال: أنا رضا أولياء الله عليك،  
فما زال الرجل يلهج بالشهادتين حتى خرجت روحه.  
قال أبو سالم سيدي إبراهيم بن محمد في لاميته:

وقد قال حبُّ ولي إله الشاذلي

الأولياء فريضة ابن بطال

## ج ج ج ج ج

وقال الإمام سيدي أبو مدين ٢: التشبُّه بطريقتنا ولاية يعني: أستعمال ظواهر الرسوم المعروفة في الطريق مع المحبة والصدق والتسليم والإذعان لأهل التحقيق.

وقال أبو سالم المذكور قيل:

ونصَّ على مدح التشبُّه أبو مدين غوث المعاصر

شُمُّهُمُ      وَالتَّحَالُ



ج

وقد صح عنه  $\rho$  أنه قال فيما رواه الترمذي وغيره: «إن لله ملائكة طوافين في الأرض فإذا وجدوا حلق الذكر تنادوا هلموا إلى حاجتكم حتى يبلغوا السماء، فإذا ختم وعرجوا سألهم الحق  $Y$  وهو أعلم بهم كيف وجدتم عبادي قالوا: يا ربنا وجدناهم يسبحونك ويهللونك ويمجدونك ويمجدونك فيقول لهم  $Y$ : وهل رأوني؟ فيقولون: لا يا ربنا، فيقول  $Y$ : وكيف لو رأوني؟ فيقولون: لكانوا أشد تحميدًا وتمجيدًا وتعظيمًا، قال:

فيقول: ما يسألون؟ قالوا: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا يا ربنا ما رأوها قال: فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذن؟

قالوا: يتعوذون من النار، فيقول لهم: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لكانوا أشد فراراً وأشد لها مخافة».

على اختلاف الرواة واتفاقهم في المعنى: «قال: فيقول الحق جلا وعلا أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة فيهم: فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة، فقال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

قلت: وكفي بما في هذا الحديث فخراً لأهل النسبة من أهل الصدق في محبته والسالكين على منهاج الحقيقة، وإذا كان كلب مشى مع قوم صديقين فانتفع بتلك الخطوات فما بالك بمن يحبهم ويجالسهم ويعاملهم.

وقد قال أبو محفوظ سيدي معروف الكرخي ؒ: عند

ذكر الصالحين تنزّل الرحمت فقال سيدي إبراهيم  
التازي رضي الله عنهم:

هم القوم لا يشقى بحق من والاهم  
جليسهم بهم خير أذبال

جججججج جج

فينبغي للمؤمن إن لم يكن من الصديقين ولا من المحبين  
أن يحبهم فمحبتهم لهم تبلغه إلى رتبتهم فحاشا من أحبهم  
أن يحرم ولا ينال من بر كآتهم.  
ويحكى عن إبراهيم ابن أدهم ٢ أنه قال: رأيت في المنام  
جبريل ٣ كأنه نزل إلى الأرض، فقلت له: لما نزلت؟  
قال: لأكتب المحبين، فقلت له: مثل من؟ قال: مثل مالك  
بن دينار وثابت البناني وأيوب السخيتاني وعد جماعة.  
فقلت له: أنا منهم؟ فقال: لا، فقلت له: إذا كتبتم  
فاكتبني تحتهم محب المحبين، فقال: قد أمرني ربي أن أكتبك  
في أولهم فإذا أحبهم كفي بذلك فخراً وكفاهم نسبة  
للصديقين وليكن كما قيل.

كفاني عزاً كفاني فخراً  
أَنْنِي عبيدكم أَنْكُم سادتي  
جج

ج

كفاني حالاً أَنْنِي كفاني سؤلاً  
بِعِينِكُمْ عِلْمِكُمْ بِحَاجَتِي



ججج

جج

وينبغي للمنتسب لهم أن يكون متأدباً بآدابهم عارفاً  
بطريقتهم مستمسكاً بالكتاب والسنة متواضعاً خاشعاً  
تارك الحظوظ قائماً بحقوق ربه ملازماً للصمت كثير  
التفكير مراعيًا لحقوق الأكابر ظاهرًا وباطنًا تاركًا  
للاعتراض يقتدي بالمتقدمين ويسلم للمتأخرين من تمسكه  
بالشرائع والحقائق ولا يشتغل بالانتقاد فإن ذلك باب  
الهلاك وإن ابتلي بزلة في الأكابر أو منصف من الأصاغر،  
فليقم وجه اعتذاره فإنهم أهل سماحة وسلامة صدر وكل  
من اعتذر إليهم صفحوا وسامحوا وعاملوا بالجميل،  
وينبغي للمنتسب أن يكون صاحب إفضال مع دوام حزنه  
في قلبه لا يطلع عليه إلا ربه وغضيض الطرف عن عثرات  
الإخوان لا يرى العيب إلا في نفسه شغله عييه عن عيوب  
غيره، وقد استوفى شيخ المشايخ سيدي أبو مدين ما ينبغي  
من بعض آداب الفقير في رائيته فقال:

مَا لَذَّةُ الْعِيشِ إِلَّا هَمُّ السَّلَاطِينِ

صَحْبَةُ الْفُقَرَا وَالسَّادَاتِ وَالْأُمَرَا

فَاصْحَبُهُمْ وَتَأَدَّبَ فِي وَخَلَّ حَظُّكَ مَهْمَا

مَجَالٌ سَهْمٌ قَدْ دُمُوكَ وَرَا

وَلَا زِمِ الصَّمْتَ إِلَّا عَنِ لَا عِلْمَ عِنْدِي وَكُنْ

سُئِلْتُ فَقُلْ بِالصَّمْتِ مُسْتَتِرَا

راقب الشيخ في يرى عليك من

أحواله فعسى استحسانه أثرا

واعلم بأن طريق القوم وحال من يدّعيها

# دَارسَـةُ الیومِ کِیفَ تَری

فاستغنم الوقتُ واعلم بأن الرضا

وأحضر دائماً معهم يخصُّ مَنْ حضرًا

وإن أتى منك ذنبٌ<sup>٢٨</sup> وجه اعتذارك عمّا

فَاعْتَرَفْ وَأَقِمْ فَيْكَ مِنْكَ جَرَى

وقل عبيدكمو أولى فسامحوا وخذوا

بـصفحـكمـو بالعفو يا فقرا

هُم بِالْفَضْلِ أَوْلَى وَهُوَ      فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ  
شَمِيمٌ تَهْمُ      ضَنْكًا وَلَا ضَرَرًا

وَبِالْتَفَتِي عَلَى الْإِخْوَانِ      حَسًّا وَمَعْنَى وَغَضُّ  
جَدًّا أَبَدًا      الطَّرْفَ إِنْ عَثَرَ

وَلَا تَرَى الْعَيْبَ إِلَّا      فَإِنَّهُ بَيْنَ لَوْ لَمْ يَكُنْ  
فِيكَ مُعْتَقِدًا      ظَهَرَ

س

وَحَطَّ رَأْسَكَ      وَقَمَّ عَلَى قَدَمِ  
وَاسْتَغْفِرْ بِلَا سَبَبٍ      الْإِنْصَافِ مُعْتَذِرًا

مَتَى أَرَاهُمْ وَإِنِّي لِي      أَوْ تَسْمَعُ الْأُذُنُ مِنِّي  
بِرُؤْيَيْهِمْ      عَنْهُمْ خَبِيرًا

مَنِّي وَإِنِّ لَمَثَلِي أَنْ      عَلَى مَوَارِدٍ لَمْ يَلْفِ

يـــــــزاحمهم بها كدرا

قومٌ كرام السجايا يبقى المكان على  
أينما جلسوا آثارهم عطرا

يهدي التصوف من حُسن التصرُّف فيهم  
أخلاقهم طرفا رائقا نضرا

فكم تنفّست من أزكى من المسك  
أنفاسهم نفسا تعيقا إذا نُشرا

أحبُّهم وأداريهم بمهجتي وخصوصا  
وأوثـــــــرهم منهمو نفرا

هم أهلٌ ودِّي ممن يجرُّ ذيولَ العزِّ  
وأحبابي الذين همو مُفتخـــــــرا

لا زال شملي بهم في وذنبا فيه مغفوراً  
الله مجتمعاً ومغتفراً

يجاه سيدنا الله من صادق  
المختار صلّ عليه أوفي بما نذرنا

### [من أساس الطريق]

واعلم أن هذا الطريق أساسها إنما بني على الأدب فمن أقام بحقه بل مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب رجع من حيث أتى.

ولهذا قالوا: من أساء الأدب في البساط رُدَّ إلى الباب، ومن أساء الأدب بالباب رُدَّ إلى سياسة الدواب، فبحسن الأدب سادوا، وبحسن الخلق ارتفعوا مع دوام الذل والافتقار والخلوة والسهر ودوام الذكر والأوراد.

وقد قيل لبعضهم: يا سيِّئ الأدب، فقال: لست بسيِّئ الأدب، فقليل له: من أدبك، قال: الصوفية.

وحكي: إنه اجتمع ثلاثة من الصديقين بالموقف، فقالوا: تعالوا حتى نعرض أحوالنا بين يدي الله، ونتعرف إليه بذلنا، وننظر ماذا يرد علينا من فضله وما يعاملنا من أطافه فقام الأول ورمى بثيابه وهي في المئزر وخر ساجدا يبكي بكاء المضطر، وأطال ثم قال: إلهي وسيدي ومولاي نفسي معيوبة وكلامي معيوب وأفعالي كلها معيبة فإن كنت تقبل معيوباً بكل الجهات لبيك اللهم لبيك فسمع نداء في سره: عبدي لما تتعب نفساً أنا خلقتها وبلطفي

رزقتها ولولا أني أحبها وأردت أن أغفر لها لما وفقتها  
ولحضرتي.

قال: فقام الثاني فقال: إلهي وسيدي إن نفسي مطلوبة  
وعقلي مغلوب ولست مقراً بالذنوب ولا حيلة أوي إليها  
يا علام الغيوب يا مَنْ إليه المشتكى والمرجع في الكروب.

قال: فنودي من السرِّ إلى السرِّ عبدي لما تجعل بيني  
وبينك ثالثاً عصيتني مغلوباً سرّاً وأتيتني مضطراً قد غفرت  
لك سرّاً.

قال: فتقدم الثالث، وقال: إلهي وسيدي ما لي سرّاً به  
أناجيك ولا قدم به أوي إليه ولا بد أرفعها أليك أرحم  
تضرعي وتذللي بين يديك فسمع هاتفا يقول: حجك  
مبرور وسعيك مشكور وذنبك مغفور وقد وهبنا لك أهل  
الموقف فمن أتاننا بالذلة والافتقار استقبلناه بالعز والافتخار  
ومن أتاننا بالذلة والخضوع وأسبل على الوجنتين الدموع  
عاملناه بالفضل وحسن الرجوع.

ويقال: إذا أحب الله العبد استعمله في الأوقات الفاضلة  
بأفضل الأعمال.

واعلم أن الولاية على قسمين: ولاية كبرى وهي بالعلم  
والعمل والحال والمقام وولاية صغرى وهي محبة الأولياء  
يعنى: مع الإيمان والصدق في الطلب وملازمة الأدب.

والولاية الكبرى أيضاً على قسمين: ولي يتولاه الله  
برعايته ويكتنفه بعنايته.

قَالَ اللَّهُ Y: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يعنى: إنه إذا تولاهم بخصوصيته أخرجهم من ظلمات  
الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعة  
ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة ومن ظلمات  
الاستئناس بالناس إلى نور الفرار إليه من كل شيء  
والاضطرار إليه بكل حال.

وولي يتولى الله Y وهو: الذى أكرمه بمحبته وحب إليه طاعته فجلس علي باب فضله بالصدق واللجوء إليه.  
قال الله Y: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقد جمعهم في آية واحدة فقال Y: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].  
وقال Y في الولاية الثانية: ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].  
والصالح المذكور هاهنا الصالح لحضرة الحق.

قال أبو العباس زروق الأصول في هذا الشأن ثلاثة: خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب القصد في الغنى والفقر.

الفروع ثلاثة: حفظ الحرمة ولزوم الخدمة، وتصفية النعمة وحققها بثلاثة أشياء أفراد القلب لله في جميع الأوقات، واتهام النفس في جميع الحالات، وأتباع العلم في الحركات والسكنات وتمتعها بثلاث حسن الخلق بمعاملة الخلق والرفق في تناول، والتأني في التوجه وثلاث كرامات صدق لا تصحبه دعوى ومعرفة تصحبها سكينة وعلم يصحبه عمل، وما ارتفع من ارتفع إلا بثلاث لزوم الخدمة ولزوم حفظ الحرمة ورفع الهمة انتهى.

وقال T: طفت المشارق والمغارب في طلب الحق، واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتحيلت بقدر الإمكان في مرضات الخلق فما طلبت قرب الحق بشيء إلا كان مبعدني عنه ولا عملت في معالقة النفس بشيء إلا كان لها معيناً ولا توجهت لإرضاء الخلق بشيء إلا كان غير موفٍ بالمقصود، ففرغت الى الله Y باللجوء اليه في الجميع فمزجت بفاضل ذلك علة رؤية الاسباب، ففررت الى الاستسلام فخرج لى منه رؤية

وجودى وهو رأس المال، فطرحته نفسي بين يدي الحق  
سبحانه طرحاً لا يصحبه الحول والقوة فصح عندي أن  
السلامة من كل شيء بالتبري من كل شيء والغنيمة من  
كل شيء بالرجوع الى الله بكل شيء اعتباراً بالحكمة  
والقدرة وقياماً مع الطباع بشواهد الانطباع لما يرد من الله  
أمراً ونهياً وبراً وقهراً وعبودية لا تصحبها ردية ورؤية لا  
يصحبها اعتماد واتساعاً لا يصحبه ضيق وضيقاً لا  
يصحبه اتساع متمثلاً في ذلك الإمام حجة الإسلام سيدي  
أبي حامد الغزالي ؒ ونفعنا به وبأمثاله آمين.

قد كنتُ أحسبُ أنَّ بنفائسِ الأموالِ

وصلَّكَ يُشترى والأربـاح

ججج

جج

وظننتُ جهلاً أنَّ تُفنى عليه كرائم

حبَّكَ هيَّ الأرواح

ج

حتَّى رأيتُكَ تَجِتي تختاره بلطائفِ الأمانح

وتخصُّ مَنْ جججج

ج

فعلمتُ أنَّكَ لا تنالُ فلويتَ رأسي تحتَ

بحيلةٍ طي جناح



جج

واعلم أني أوقفت موقف العصيان حتى آيست من نفسي، ثم إني أوقفت موقف الخدمة حتى فرحت بنفسي، ثم إني أوقفت موقف التخليط حتى تعبت في نفسي، ثم إني أوقفت موقف الامتحان حتى ذلت في نفسي، ثم أوقفت موقف الحيرة حتى خفت على نفسي فترددت بين عالم الملك والملكوت تردد من لا قدرة له على شيء، فعلمت أن الأسباب لإقامة الحكمة ورأسها الذلة والافتقار فالتزمتها فظهر لي أنها عين العلة، وانتصب لفؤادي أن الكل منه وإليه، وأن رجوعي إلى أولى من تعريجي عليه؛ لأن ذلك حق الربوبية وهذا حفظ النفس في بساط العبودية، فكنت مع الشريعة على نفسي، ومع الحقيقة بالحق لا بنفسي انتهى.

\* \* \*

## فصل

فيما ينبغي لكلّ مريد سالك؛ بل وكل مراد مالك لزمام نفسه ومتحقق في نهايته أن يلزم اللجوء إلى الله تعالى في جميع مقتضيات أحواله، وينبذ الحول والقوة وراء ظهره تحقّقاً بوصف الثلاث الذين ذكر الله تعالى في كتابه بقوله:

و «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» .

وتعطف بفضل: «وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه» عليه.

وأنه من أوكد أسباب الوصول بعد مسابقة العناية وملازمة الخمس في الجماعة فذلك عصمته من جميع الآفات، ومجانبة أهل الغواية من الظلمة وذوي العناد وغيرهم من أهل الفساد من غير منازعة لهم أو مزاحمة لهم فيما هم فيه إلا أن يكون شفاعة أو إرشاداً مصحوباً بالرفق واللين.

كما قال الله تعالى خَيْرِ خَلْقِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ مَعَ أَشَرِّ خَلْقِهِ:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

ومن وقفت له حاجة أو حوائج في مسالك دينه أو دنياه فليقدم اللجوء والدعاء والاضطرار بين يديه فيده مبسوبة إلى الخلق وقلبه متعلق بالحق، وأن يقوم بحق الخلق كما أمره الملك الحق فيرحم الصغير ويحترم الكبير ويحلم على العاصي ويشفق على قاسي القلب، ويلزم التواضع للطائع والإحسان لمن أساء إليه والدعاء له بالصلاح من غير حقد على أحد ولا ذلة له، وأن يرفق بنفسه في جده ووكره امتثالاً للشرع من غير تفرط ولا إفراط، ويلزم الرواتب الشرعية في الأذكار والدعاء والدعوات والنوافل والأوراد، وليعمر الأوقات بما فيه

سداد وإرشاد وعليكم بامثال السنة في الصدود والورود.  
وقفوا مع الحدود ودعوا الخلق ما دفعوا إليه من التلف،  
فإن ذلك مراد المعبود وأحبوا الحق وأحبوا أهله وأبغضوا  
الباطل ومن ارتكبه، فإن هذا هو المطلوب منكم  
والمقصود، وانظروا إلى الخلق بعين الحقيقة، واعذروهم،  
واحكموا عليهم بعين الشريعة بذلك إن عصوا فانبذوهم  
ومقتوهم، والزموا من الصيام ما استطعتم من الإثنين  
والخميس والجمعة، أو صيام داود كما صح به الأثر  
بقدر الاستطاعة، ولا تجعلوا التوغيل في أفعالكم بضاعة  
فإنها بئس الصناعة.

وجاء في الخبر: «خير الأمور أوسطها».

وليجعلها للمريد في كل شيء، واعلموا رحمكم الله تعالى  
أنه عمل قليل في سنة، خير وأفضل من كثير في بدعة، فإن  
الانتفاع على قدر الاتباع.

وقد قالوا: المؤمن مثل النحلة ترعى من كل نور ولا  
تبيت إلا في جحبتها وإلا فلا ينتفع بعسلها.

يعنى: يأوى إلى قدوته، والمريد الصادق لا يرتكب من  
الأمور إلا أصفها ولا من الأقوال إلا أسداها ولا من  
الأفعال إلا أقصاها، ويجانب سوء الظن بعباد الله إلا إذا  
كان متمرداً على معاصي الله ومن ألقى جلباب الحياء عن  
وجهه فلا غيبة فيه ولا تعب على من أساء الظن به.

وحسين الظن وصف المؤمن إلا من اتضح غيه وفساده  
ولا يغتر بظواهر الخلق إلا أحق وليعتمد على الله في كل  
شيء ويلتجأ إليه في كل شيء، وينحاش إليه في المهمات  
والملمات ولا ينتصر لنفسه؛ بل مولاه الناظر إليه والبصير  
فهو له نعم النصير، ويلزم العبودية والتعلق بأوصاف  
الربوبية ولا يتبع الفضائل على وجوهها، فإن ذلك له  
مدهش وليتبع من الأفعال ما صح عن الثقات، ومن  
الأقوال ما حققته الرواة، وليحظر كل الحظر مما لا ينبغي؛

فإن أقل ما فيه يُردى كالتوجه إلى الجهاد من غير إذن أمام الوقت أو جماعة المسلمين أو الحج من غير تحقيق اليقين، أو لم يؤدي الفروض الواجبة في الحين ولم يكن له وجد يحمله أو زاد يبلغه أو يقين ليكمل به أحواله.

فإن هذه الأشياء باب سلم الفتن، وكلما اشتغل أحدٌ بذلك فما يحج.

ومما ينبغي حسن الظن بالناس في عين الحذر منهم وهذا كان وصفه U.

قال بعض العارفين: فلا تأمن أحداً بأهلك ومالك ودينك إلا من جربته ألف ألف مرة أنه يخشى الله ويخافه ويتقه، ومن ابتلاه الله بالأموال وأكرمه بالنوال والأفضال، فليجعل نفسه كالحازن الأمين يجعل الأشياء وليضعها مواضعها.

وقد قالوا: أبخل الناس من منع الدنيا ممن لا يستحقها؟  
فكيف بمن هو أولى بها وهو يستحقها!

وقد قالوا: يطمع من غير إسراف ويطلب إذا احتاج من غير الحاف، والمؤمن أبداً وصفه العفاف، والصادق يفتح له بقدر صدقه في التوجه، وليجانب الوسواس فإنه بدعة وضلال.

قال أبو عبد الله البلاي المصري: أصله جهل بالسنة أو خبال بالعقل.

ومما حذرت منه أئمة التحقيق التباعد من تخليط الفقراء وفعل جهلة الفقهاء من الاشتغال بالكنوز وطلب الكيمياء وغير ذلك مما هو فضول، فإن كل ذلك بُعد عن الله ومجلب للفقر في الحين والمؤمن ألوف مألوف، كما صح:

«لا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف» الحديث.

وإن كان للخلطة آفات فإن لها أيضاً منافع لا حد لها ولا

غاية: «والمؤمن كيس فطن ثلثاه تغافل» الحديث.

وفي العزلة السلامة لمن لا طاقة له بالخلطة إن كانت  
بشروطها، والقيام بحقوقها مع حسن الظن بالخلق أنه إنما  
اعتزل عنهم لئلا يؤذيهم ويضرهم كما قال بعض  
الرهبان: إنما سجت كلبًا عقورًا يؤذى الناس.

قيل له: من هو؟

قال: نفسي فإنها تؤذى الخلق، وقد قالوا: الأصحاب  
ثلاثة:

صاحب لدنياك فاطلب من هو حسن الخلق.  
وصاحب لدينك وأخرتك فاطلب من هو ثقة فاقبله  
كيف كان.

وصاحب للمجاورة، فاطلب السلامة من شره مع  
حسن الظن والحذر الكامل من غير تعيين، والحذر كل  
الحذر ممن لهم نسبة من غير تحقيق ولا بني أشممه على  
الكتاب و السنة في الطريق مع التسليم لهم فيما ارتكبه  
تسليم متاركة لا تسليم إذعان.

فإن ذلك لأرباب التحقيق والإيمان وأرباب البصائر  
والشهود والعيان والذي يجب على كل مرید صادق  
الإنحياش إلى الله تعالى في كل حال والعتقاد على الله في  
كل الأحوال والاستناد إليه في الإدبار والإقبال ورؤية  
الأمور كلها منه في المنع والنوال وأن يتحقق بالرجوع إليه  
والاعراض عما سواه، إذ لا عاصم له اليوم من أمر الله إلا  
من رحمه ولطف به وعطف عليه؛ فليعتصم به فإنه العروة  
الوثقى التي لا تنفصم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، فليتخذهُ وَكِيلًا كَفِيلًا وليلتزم اللجوء والاضطرار في الجلب والرفع والضر والنفع ولا يعرج الصادق على غير باب مولاه قلبًا وقلبًا.

وَمَنْ خطر إلى الأسباب واعتمد عليها في الأبواب يشقى شقاء الأبد، وإذا أقام الأسباب وجودًا، فالواجب الغيب عنها شهودًا، فيثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته، ولا يستند إليها؛ لتحقيقه بوحداية الحق والتصريف العام لقدرته ومشيئته وتحصين إرادته، وعظموا العلماء فإنهم أئمة الدين وحملة الشريعة، وأكرموا أهل الدنيا، فإن ذلك لمرادهم لكي تنتفعوا بهم وتسلموا من شرهم ولا ترفعوهم على الفقراء تعظيمًا لهم؛ فتسقطوا من عين الله ويزدرونكم.

وقد حُكي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنه كان بعد النبي ﷺ من أزهد الصحابة، فصنع وليمة عظيمة، فدعى وجوه قريش فأتوا إليه في أفخر الملابس، وأحسن الهيئات، وأتت الفقراء لعلمهم بمحبته فيهم فزاحموهم.

فقال لهم: يا معشر الفقراء اعتزلوهم لئلا تلوثوا عليهم ثيابهم، فإننا نطعمكم مما أطعمناهم أو كلامًا هذا معناه، فقام بحق الفريقين.

والمريد الصادق رأس ماله اللجوء إلى الله في كل أوصافه، وليقل ما قاله سيد الطائفة الشاذلية: إن أردت أن تكون الإجابة طوع يديك فقل: يا غني من الفقير غيرك، ويا عزيز من اللدليل سواك، ويا قوي من للضعيف غير القوي، ويا قادر من للعاجز غيرك، فينبغي لكل محقق أن يلازمها في جوف الليل والخلوات والاضطرار، فإنه يري لها من الفضل والأسرار ما لا يجده في كثرة الأوراد والأذكار.

وقد قالوا: مما ينبغي أن يلازم من غلبته النفس والهوى أو توالى عليه مع ظلم العدا وخصوصًا الطغاة من العمال

والظلمة، فليزِم العزيز الجَبَّار المتكبر الغالب القادر القاهر  
القَهَّار القوي الشديد المنتقم، فإن الله يكفيه من الكل  
ويهابه القريب والبعيد، والمريد لا يطلب في تعبده الحظوظ  
وإنما يقوم بحقيقة عبودية الرب المعبود.

وقال بعض العارفين: مَنْ أقامه الحق واسطة بين الناس  
يتردد في حوائج المسلمين فليكن ورده كل يوم صباحاً  
ومساءً: يا عزيز يا جبار يا متكبر يا ودود يا نصير مائة  
وخمسين مرة، ومثلها من الصلاة على النبي ﷺ.

قالوا: فإن الله يلطف به في تصرفاته ويرى عجب  
العُجاب في نفوذ كلماته وتدل له نفسه، ويستقيم على  
طاعة ربه.

فمن شروط المتعلم: لزوم الأدب، واستعمال السبب  
واعتبار النسب.

وينبغي للمريد: لزوم الصدق في الطلب والتعطُّش؛  
لبلوغ الإرب.

وينبغي للعارف: لزوم الرضا عن الله، والانحياش إلى  
الله، والتوكل في الحركات والسكنات على الله، والفرار  
مما لا يرضي الله؛ بل من كل شيء بالله لله، والإنصاف في  
الرد والقبول، ويلزم علم المعاملة ظاهراً وباطناً، وأن يحكم  
بالبصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية في كل شيء،  
وأن يتحقق بقوله Y: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ  
وَأُخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] فيدخل في  
الأشياء بالله لا بنفسه والمخرج الصدق كذلك، وخير  
القول ما اختصر وأفاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي  
العظيم.

ثم أقول: اللهم صلِّ وسلم على سيدنا ومولانا محمد  
صلاة تتضمن شمول الآمال وتصلح لنا بها جميع الأحوال،  
وترفع بها قدره في المرسلين، وأدخلنا بفضيلتها في حضرة  
المقربين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين واحشرنا في  
زمرتهم بلا محنة يا أرحم الراحمين.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ  
عَمَلٍ يَقْرِبُنَا إِلَى حُبِّكَ يَا كَرِيمَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأُمُورِ وَقُوَّةَ الْعَزِيمَةِ عَلَى  
الرِّشَادِ وَالْأَقْوَالَ عَلَى السَّدَادِ، وَالرِّضَا عَنْكَ فِي كُلِّ مَرَادٍ،  
وَالشُّكْرَ عَلَى النِّعْمَةِ وَالتَّسْلِيمَ لِلْحُكْمِ وَالْحِكْمَةَ فِي جَمِيعِ  
الْأَحْوَالِ وَقَلْبًا سَلِيمًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ قَاصِدًا فِي جَمِيعِ  
الْأَقْوَالِ.

وَنَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ مِنْ زَلَّتِي اللِّسَانَ وَالْقَدَمَ، أَوْ مَا طَغَى  
بِهِ الْقَلَمُ أَوْ خَطَرَ وَثَبَتَ فِي الْجَنَانِ.

قاله كاتبه عبید الله تعالى المفتقر إليه من فقره في سرّه  
وجهره: أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سيّلم بن عبد  
العزیز الشعبي الهروي التادلي الدار مولدًا ومنشأً.

وكان الفراغ من تبييضه ضحى يوم الأحد تاسع الأيام  
من شوال عام عشرة مائة، رزقنا الله خيرَه وخير ما بعده  
مصحوبًا بالعافية.

وأرغب ممن يقف عليه من علماء الأمة والسادات  
الأئمة أن ينظر فيه بعين الرِّضا والصفح والتجاوز  
والإغضاء، فما وجد فيه متحرِّفًا فليصلحه من معادنه،  
وقد تحرّيت فيه وجه الصواب بجهدِي، وما أبرئ نفسي.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
تسليمًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلامٌ على  
المرسلين والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*